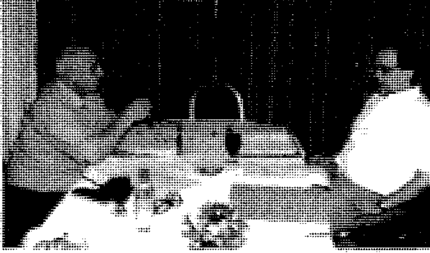
أوري سبير كبير المفاوضين الإسرائيليين

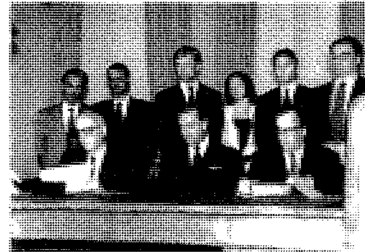
المسيرة

«حكاية أوسلو من الألف إلى الياء»

ترجمة : بدر عقيلي








المســـــــــــــيرة٠٠٠٠٠

خفايا "أوسلو"٠٠٠ من الألف إلى الياء

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٨/٨/١٢٣٢)

رقـــــم التصنيف : ٩٥٦,٤٠٦

المؤلف ومن هو في حكمه: أوري سبير، ترجمة بدر عقيلي

عنوان الكتاب: المسيرة : خفايا أوسلو من الألف الى الياء

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ

٢- فلسطين -التاريخ

بيانات النشر: عمان- دار الجليل

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

طبع في شركة الشرق الأوســط للطباعــة- هــاتف٤٨٩٤٩٤١

تصميم الغلاف: ماروة

الطبعـــــة الأولى

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية-عمـــــان
تلفون ٥١٥٧٦٢٧ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨
ص.ب ٨٩٧٢ الرمز البريدي١١١٢١

١٩٩٨

أوري سـبير

كبـير المفـاوضين الإسـرائيليين في أوسـلو

المســــــــــيرة......

خفايا "أوسلو".... من الألف إلى الياء

تـــــرجمة :

بدر عقيلي



إصـدار

دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢

تلفون ٥١٥٧٦٢٧ ـ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨

المحتويات

تقديم:

يكاد المرء أن يقفز من مكانه، وهو يقرأ تفاصيل التفاصيل، في حكاية أوسلو، بقلم عرابها الإسرائيلي أوري سبير، وإذ نرى مصداقية الرجل أكثر تجسيدا في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة صدور كتابه" المسيرة"، وحضره بيرس-سابير وأبو علاء، فإننا نضع علامات استفهام كبرى حول بعض الحيثيات، ليس تشكيكا في حدوثها، بل لانها، ربما،لا تتساوق مع مفاهيمنا المتواضعة، وثمة حاجة ملحة لتوضيحها فلسطينيا.

نفهم المأزق الفلسطيني الذي راكمته سنون طويلة من عمر زمن المعاناة والقهر والتشرد، وندرك مدى الإحباط الذي رافق مسيرة النضال الفلسطيني، منذ بداية البدايات، لكننا نفضل ألف مرة، شعار" لو بقيت أم فلسطينية واحدة لأنجبت شعبا"، على مماحكات تفاوضية تدور بأدق التفاصيل المملة، حول" هذه لنا وتلك لكم"، لأننا بذلك نجسد مقولة الإسرائيليين، المعتدلين جدا، الداعية إلى التخلي عن أجزاء من "أرض إسرائيل" مقابل السلام، وذلك يعني ببساطة، أن ما تقدمه الدولة العبرية، لا يعدو كونه منة، وليس حقا .... هذه واحدة أما الثانية، فإن "التنازل" الإسرائيلي لم يأت من فراغ بل نتاجا لاعمال المقاومة بكل فروعها وطقوسها.

نقرأ الكتاب، ونحملق بعبارات تتسم بالخبث الإسرائيلي المستند إلى صف خلفي من خبراء القانون، فيما تفوح منها روائح اللامبالاة، أو ربما جهالة المفاوض الفلسطيني ذلك أن "بريستيج" الزعامة طفا على السطح، مع أنه لا يعدل ذرة من تراب أو حق.

الصداقات التي نشأت عبر"أوسلو" بين المفاوضين الإسرائيليين والفلسطينيين، وعبر عنها سابير في كتابه، بصيغ بيانية رائعة، هي مصلحة إسرائيلية لا ترتبط بالعواطف، فالغزل هنا، محاولة للحصول على الصيد، وليس تعبيرا عن الإعجاب والحب العذري.

نرفض بملء الفم مزاعم أن "أوسلو" وضعت القدم الفلسطينية على أرض الوطن وصولا إلى الدولة، من خلال "خذ وطالب"، بمثل الإصرار على رفض مقولة أن "حرب السلام" أشرس من "ساحة الوغى"، ذلك أن السلام لا يتحقق بمصطلحات الضعف العربي عامة والفلسطيني خاصة.

نتميز من الغيظ، ونحن نستعرض عبارات من مثل"الحرص الفلسطيني على الأمن الإسرائيلي" و"تنازل القيادة الفلسطينية عن تحديد حجم الانسحابات الثلاثة، مقابل مركز شرطة في الخليل" إلى الإيحاء بسطوة

بيرس على عرفات، وسابير على أبو علاء... ثم نتساءل وبقوة: هل حدث هذا فعلا؟ إنه سؤال بحاجة إلى إجابة موثقة.

حكاية "أوسلو"، كما جاءت في كتاب سابير "المسيرة"، تعيدنا إلى الجدل البيزنطي حول" أيهما أفضل حزب العمل أم الليكود، وهذا في اعتقادنا، مرادف لـ"أيهما أكثر سوءا"؟

لا نشك للحظة، في أن الحزبين الكبيرين يتفقان في النظرة إلى "أرض إسرائيل"، وإذ يعمد الليكود إلى رفع شعار القوة لفرض الأمر الواقع، فإن حزب العمل يطرح شعار رفض دولة يهودية بقوميتين"، وهو يبدي استعداده للتنازل، خاصة في المواضيع التي لا تشكل "إجماعا وطنياً" كقضية القدس، ولعل صعود نتنياهو على رأس الليكود والأحزاب المتطرفة إلى الحكم، حرمنا من متابعة ما سيؤول إليه الأمر، في الانسحابات والتسوية الدائمة، فيما لو نجح حزب العمل ومرشحه لرئاسة الوزراء في الانتخابات.

عزاؤنا الوحيد، أن اتفاقيات اوسلو، ترقد في غرفة العناية المركزة، والعراب الإسرائيلي يصر على أنها تجتاز حالة ما يشبه الموت الدماغي، ولا بد من نزع كل الأجهزة التي تتصل بأمل الحياة سعياً وراء دفنها. نحسب أن الزعامة الإسرائيلية، ستتحسر ذات يوم، على "أوسلو" التي تقاطعت مع أيدولوجيتهم، اذ سيكتشفون أنهم اختاروا طريق العذاب بدل السلام، وحينئذ ستفرض" ولات مندم" رتم الأحداث.

كتاب سابير" المسيرة"، ليس ككل الكتب التي تحدثت عن"أوسلو"، ذلك ان الرجل كان رئيس طاقم المفاوضين الإسرائيليين الذي رصد بالحرف والكلمة دقائق أحداث المفاوضات مع الفلسطينيين، من خلال تفاصيل مثيرة، سوف تتعامل معها عيون القراء بدهشة تصل حد الصدمة، يفيقون منها على حقائق التاريخ والجغرافيا، التي يرسمها الشعب الفلسطيني لاعادة الحق إلى نصابه بإيقاع مختلف تماما ولغة لا يفهم المحتل سواها.

"دار الجليل"

الباب الأول

-الإنفراج-

الفصل الأول

اللقاء الأول

- من خلف كواليس الحسم التاريخي-

عرفات: مفاوضات واشنطن محاولة لطحن الماء

إتفاق على الحديث عن المستقبل والتخلي عن الشجار حول العدل والظلم

بدأت الرواية بأكملها في ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة، الرابع عشر من أيار ١٩٩٣، فقد اتصل بي وزير الخارجية شمعون بيرس ، وطلب أن آتي إلى شقته الرسمية في القدس.

كان بيرس، قبل فترة قصيرة، قد اختارني مديرا لوزارة الخارجية ونظرا لأنني لم أكن آنذاك قد تجاوزت الأربعين، فقد أثار تعيينه لي عاصفة شديدة. وعندما وصلت إلى شقته وجدته مستلقيا على أريكة، وإلى جواره رئيس مكتبه آفي جيل.

بادرني بيرس بالقول، هل تحب أن اقدم لك كاسا من النبيذ؟؟ فأومأت برأسي دلالة الموافقة، فنهض لاعداده، وسأل بصورة عرضية: ما رأيك في قضاء نهاية الأسبوع في أوسلو؟ حاولت إخفاء مشاعري، وأنا أسمع سؤاله، فقد كنت أدرك أن الذهاب إلى أوسلو يعني إجراء أول حوار رسمي مع ممثلي منظمة التحرير.

لقد كنت أعلم أن اثنين من الأكاديميين الإسرائيليين- يائير هيرشفيلد، ورون فوندك-يجريان، منذ خمسة اشهر، حوارات سرية وغير رسمية مع ثلاثة شخصيات رفيعة من منظمة التحرير، وهم: أحمد قريع(أبو علاء) وحسن عصفور، وماهر الكرد، وهم جميعا من مقربي ياسر عرفات.

ويرجع الفضل في بدء هذه الحوارات السرية إلى صديقي الدكتور يوسي بيلين الجريء داعية السلام الذي لا يكل. فقد عقد صداقة خلال عام ١٩٩٢ مع

الباحث النرويجي في علم الاجتماع (تاري لارسون) الذي كان يترأس مركز (أف آيه أف أو) النرويجي، والذي يعتبر أحد أهم المعاهد الأوروبية لأبحاث السلام، والذي تعمق في دراسات "شروط حياة الفلسطينيين في المناطق المحتلة".

وقد تمكن الاثنان -لارسون وبيلين- من دفع الأمور باتجاه بدء المحادثات غير الرسمية في العشرين من كانون الثاني، في النرويج، والتي مثلها عن الجانب الإسرائيلي البروفيسوران آنفا الذكر، وعن الجانب الفلسطيني الشخصيات الفلسطينية الثلاثة الذين أشرنا إليهم. وقد تمثل هدف هذه المحادثات في بلورة صيغة غير رسمية بشأن المبادئ الأساسية لصيغ السلام في المستقبل بين إسرائيل والفلسطينيين.

وسرعان ما اتضح خلال المفاوضات، أن المفاوضين الثلاثة- وعلى وجه الخصوص ارفعهم مقاما- أبو علاء، يتخذون عدة مواقف مفاجئة في مرونتها خلال الحوارات.

لقد كانت المواقف التي طرحها الثلاثة عملية أضعافا مضاعفة قياسا بالتعقيدات القانونية التي خلقها الوفد الفلسطيني الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير، خلال المفاوضات في واشنطن. ذلك الوفد الذي تم تشكيله من فلسطيني الضفة والقطاع، وتفاوض مع إسرائيل بصورة رسمية منذ مؤتمر مدريد، أواخر عام ١٩٩١.

استغرقت مفاوضات واشنطن شهورا طويلة، وآلت في نهاية المطاف إلى طريق مسدود وفي مرحلة معينة بعث آفي جيل- مدير مكتب بيرس- إلى بيلين وبيرس وإليّ، مجموعة من التقارير حول هذه المفاوضات، بعد أن شطب منها تاريخ إعدادها. ونظرا لأن المفاوضات، كانت تجري في واشنطن، على نار هادئة فإن أيا منا لم يستطع تحديد هامش الترتيب الزمني الذي أعدت فيه هذه التقارير.

ومن الجدير بالذكر، أن أبو علاء حدد، فيما بعد، مبدأين مهمين من مبادئ المحادثات السرية الجارية في أوسلو، وقد نال هذان المبدآن إعجابنا الشديد: التقدم بصورة عملية من القضايا السهلة إلى القضايا الصعبة، وتعاون فلسطيني إسرائيلي بصورة خاصة في المجال الاقتصادي.

لقد أثار التناقض الواضح بين نمطي مفاوضات واشنطن، وأوسلو، انطباعا لدينا، يشير إلى أن عرفات يلمح إلينا بوضوح إلى أن: محادثات واشنطن لا تعدو كونها" محاولة لطحن المياه"، لزمن لا يعلمه الا الله، بيد أنه في أوسلو، أي في المكان الذي نتحاور فيه، مع ممثلي منظمة التحرير، فإنه على استعداد للتسوية، وتأسيسا على هذا الانطباع، اعتقدنا أنه آن الأوان لاجتياز ساعة الامتحان الحقيقية.

بيرس وضعنا في صورة الحوارات التي أجراها مع رئيس الحكومة، اسحق رابين، بهذا الصدد، فقال: "أعلمت رابين بأن المفاوضات السلمية على شفا الانهيار، رغم أن الأرضية باتت ممهدة للتقدم".

تحدثنا في الكثير من الأحيان عن التناقض الماثل على أرض الواقع، فقد طرأ تغيير واسع جداً على أرض الواقع، في غضون السنوات الخمس الماضية على الوضع في الشرق الأوسط، إذ انهار الاتحاد السوفيتي"الصديق الحميم"، ونصير الدول العربية ذات الأنظمة الراديكالية، وبرز عدد من التصدعات في أوساط العالم العربي في أعقاب حرب الخليج، وإيران منشغلة في تصدير الإرهاب، وتطوير المعدات الحربية غير التقليدية. وأصبحت الأصولية الدينية، التي يعتبر الفقر مرتعا خصباً لنموها- عاملا مهددا لغالبية الأنظمة العربية في المنطقة، الأمر الذي حدا بالدول العربية للشروع بأخذ قضايا التطوير الاقتصادي بعين الاعتبار بصورة جدية أكبر بكثير مما كانت عليه في السابق، إضافة إلى التقديرات الاستراتيجية التقليدية.

لقد بذلت جميع دول المنطقة -تقريبا- جهوداً واسعة لمغازلة الولايات المتحدة. وعملت على ابراز الاستقرار في أراضيها كوسيلة رئيسية لجذب رؤوس الأموال والاستثمارات الاقتصادية الأميركية.

لقد بدأت جهات عربية ترى في إسرائيل شريكاً في جهودها الجديدة. فالفلسطينيون أدركوا أن سني الانتفاضة لم تجن أي إنجازات سياسية. وبدت منظمة التحرير، وكأنها قد وصلت إلى نهاية الطريق، والى حالة الإفلاس، ثم جاءت حرب الخليج لتقويض التحالفات السياسية الإقليمية التي كانت سائدة في المنطقة، مما خلق انطباعاً يشير إلى أن الاستعداد العربي للتفاوض مع إسرائيل، قد نضج، وبات في متناول اليد.

وعلى خلفية كل هذه الأحداث والمستجدات، ولد مؤتمر السلام في مدريد، الذي تمخضت عنه مفاوضات واشنطن. بيد أن هذه المحادثات سرعان ما بلغت حد الجمود التام. وقد أبدى السوريون تصلبا أيديولوجيا وسياسيا شديدا. وبدا تقدمهم بطيئا جدا أو معدوما.

أما الأردنيون، فالمحوا إلى أنهم سينتظرون، طالما لم يحدث الانفراج المأمول مع الفلسطينيين.

وهكذا، شاعت المفارقات أن يصبح الفلسطينيون الذين يعتبرون أضعف حلقة في السلسلة بمثابة العامل الأساسي المحرك للمسيرة كلها. بيد أن المشكلة التي كنا نواجهها معهم تتمثل في أن الدكتور حيدر عبد الشافي يرأس طاقمهم التفاوضي ثم فيصل الحسيني، اللذين لم يحصلا على تخويل حقيقي للتفاوض.

وكل قضية تم طرحها خلال المفاوضات، كانت ترسل من الوفد إلى قيادة منظمة التحرير في تونس.

وبدا بوضوح، أننا نشارك في حفلة تنكرية رغم أننا لم نعترف بذلك آنذاك فالسياسة الإسرائيلية كانت ترفض، منذ زمن بعيد، إجراء أي مفاوضات مع منظمة التحرير وهاهم ممثلو إسرائيل، يجرون الآن، مفاوضات مع ياسر عرفات عبر أجهزة الفاكس.

قال لي شمعون بيرس إبان اللقاء آنف الذكــر فــي بيتــه:" بــات واضحــا لنــا من هي الجهة التي تديــر المســرحية الفلســطينية، وقــد قلــت لرابيــن، أنتــي علــى استعداد للسفر إلى أوسلو، والالتقاء بممثلي منظمـــة التحريــر ســرا، والتعــرف علــى نواياهم الحقيقية، نحن ملزمون بدفع المســيرة الســلمية إلــى الأمــام، ولا جــدوى مــن إضاعة الوقت سدى في واشنطن، من خلال الإدعاء بعـــدم مشــاركة منظمــة التحريــر في المفاوضــات".

وأضاف بــيرس:" بــدا بوضــوح أن رابيــن أيضــاً كــان قــد ضجــر مــن مفاوضات واشنطن، بيد أنه كان يعتقـــد، أن مــن المبكــر جــداً الآن، إشــراك وزيــر إسرائيلي في الاتصالات مع منظمة التحرير لذا، فإنــه يفضــل إرســال موظــف رفيــع المستوى إلى أوسلو، وقد وقع اختيارنا عليــك أنــت".

فغرت فمي كي أعقب على ما قاله، بيد أنه قــال لــي: انتظــر لحظــة، رابيــن يصر على شــرطين للحــوار: توخــي الســرية التامــة، واســتئناف المفاوضــات فــي واشنطن، لأن هـــذه المفاوضــات، يجــب أن تظــل المســار الرئيســي للمفاوضــات. ويجب عليك أن تعلم الفلسطينيين بذلــك، عــبر الوســطاء الــنرويجيين، أوضــح لــهم، بصورة قاطعة، أنه إذا ما تسربت كلمة واحـــدة حــول لقــاءاتكم، فســوف تكــون تلــك هي نهاية مسار أوســلو".

أما فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية، فقد كلفني بــيرس وبنــاء علــى مشــاوراته مع رابين- بأن أطرح ثلاث قضايا، وقال:" قبل كــل شــيء، يجــب علــى الفلســطينيين أن يوافقوا على أن القدس لن تدرج في إطـــار تســوية الحكــم الذاتــي. فــإذا رفضــوا ذلك، يجب أن يدركوا أنه لن يحــدث أي تقــدم.

ويجب عليهم ثانيا أن يتخلوا عـــن النمــط التقليــدي الــذي يتبعونــه، والــذي ينص على عرض جميع الخلافـــات التــي تحــدث بيننــا للتحكيــم الدولــي، فنحــن لا نرغب في إدخال أي جهاز من أجهزة مجلــس الأمــن فــي الصــورة، فمــن المــهم أن نعرف كيف نحل مشاكلنا بأنفســنا.

وبعد ذلك، سيمكننا أن نستوضح منهم ومعهم فكرة إقامة الحكم الذاتي في غزة أولا، والذي تستطيع زعامة منظمة التحرير الانخراط فيه".

كان بيرس يرفع، منذ زمن طويل، فكرة ضرورة فحص الحكم الذاتي للفلسطينيين، أولا في قطاع غزة، قبل توسيعها إلى الضفة الغربية وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٢، طرح -بالتشاور مع اسحق رابين- اقتراحا بهذه الروحية، خلال الحديث الذي أجراه مع الرئيس المصري حسني مبارك الذي قام بدوره بنقل الاقتراح إلى عرفات.

ويبدو أن منظمة التحرير كانت تنزع نحو قبول الفكرة بصورة مبدئية، بيد أن عرفات طلب إضافة أريحا إلى غزة، وسيطرة الفلسطينيين على أحد المعابر الحدودية على نهر الأردن. أو بمعنى اصح، فإنه أراد الحصول على موطئ قدم في الضفة الغربية، وعلاقة مباشرة مع الأردن. بيد أن رابين رفض إضافة أريحا إلى غزة، ورفض رفضا قاطعا تنازل إسرائيل، بأي صورة من الصور، عن السيطرة الإسرائيلية على أحد جسور الأردن. وأصر رابين على إبقاء جميع المناحي ذات العلاقة بأمن إسرائيل والضفة الغربية الخارجي، في أيدي إسرائيل. وقال: يجب على إسرائيل أن تسيطر سيطرة كاملة على جميع الخطوط الحالية.

وأضاف بيرس:" لذا من الأفضل أن تطرح فكرة-غزة أولا-، ولا تلزمنا بإضافة أريحا إليها. وفيما يتعلق بمسودة إعلان المبادئ، التي تمت صياغتها في أوسلو مع فوندك وهيرشفيلد، يمكنك أن تتفحص الجوانب المختلفة، لكن لا تبدأ المفاوضات وفقا لما هو وارد في المسودة نفسها. وبعد عودتك سنقرر كيف يمكن التقدم. هل كل شيء واضح لك؟؟.

بدا لي وجه شمعون بيرس، وقد اكتسى طابعا جديا أكثر مما أعرفه، فأومأت برأسي بالإيجاب، فقال:" ليحالفك النجاح".

أعلمنا النرويجيون، في غضون يومين، أن منظمة التحرير توافق على الشرطين اللذين طرحناهما لإجراء اللقاء القادم في أوسلو، وهما: السرية التامة،

واستئناف المفاوضات في واشنطن، وحينئذ بدأت دراسة المستندات والوثائق الموجودة حول مسار أوسلو.

نزولاً عند توجيهات بيرس، تم ترتيب إجراءات سفري إلى أوسلو عبر مكتب يوسي بيلين. وكانت الحوارات غير الرسمية أجريت في أوسلو، خلال الأشهر الماضية، قد هدفت إلى بلورة تصور مبدئي حول التعاون، مع تطبيق التسويات بصورة تدريجية.

وفي تبريري لسفري، قلت لموظفي مكتبي أنني متوجه إلى فرنسا لإجراء مفاوضات اقتصادية، وسأنضم، كما يبدو، بعد ذلك، إلى زوجتي عليزة الموجودة في مدينة(كان) لحضور مهرجان السينما. وكانت زوجتي ستتوجه إلى هناك بحكم عملها كرئيس لشعبة الفنون في وزارة الخارجية بيد أنني ألمحت لابنتي، بأن هذه الرحلة لن تكون رحلة عادية. ومن الجدير بالذكر، أن ابنتي (مايا) -التي أنهت خدمتها العسكرية لتوها- كانت تؤيد ،بحماس بالغ، أي نشاطات لدفع المسيرة السلمية إلى الأمام فقد رافقتنا منذ سن الرابعة في المظاهرات السلمية التي كنا نشارك فيها، وتبنت وجهات نظرنا القائلة بضرورة إجراء حوار مع منظمة التحرير، وبأهمية هذا الحوار. ولم أكن قادرا على البوح لها بشيء، بيد أنني أردت أن تدرك أن أحد آمالنا على وشك التحقق، لذا، قلت لها قبل سفري بيوم أو يومين، بصورة عارضة:" هذه الرحلة مهمة " فتساءلت بفضول: إلى أي حد هي مهمة، فقلت" إنها أهم رحلة" ويخيل إليّ أنها أدركت قصدي.

وقبل سفري، زرت بيلين في بيته، لقد انتظرنا طويلا هذه اللحظة، منذ منتصف الثمانينات، عندما شغل بيرس منصب رئيس الحكومة لأول مرة، واشتهرنا نحن باسم" شبيبة بيرس"، وكنا خمسة مساعدين شبان معبئين بالحوافز".

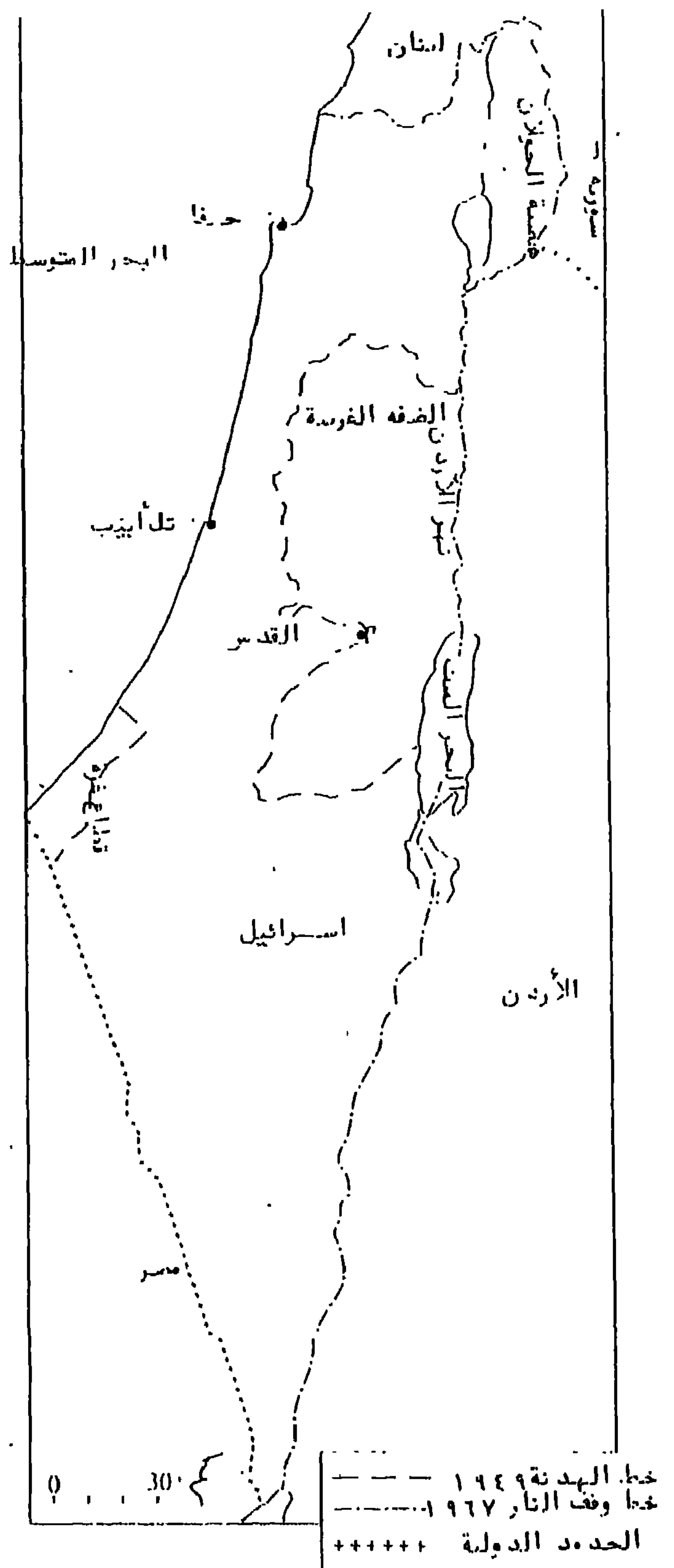
كان يوسي بيلين -الذي عمل مع بيرس، منذ الانقلاب الذي حدث عام ١٩٧٧ وأوصل الليكود إلى السلطة- آنذاك سكرتيراً للحكومة. وتم استدعائي من

نيويورك، حيث كنت أعمل ناطقـــا باســم القنصليــة الإســرائيلية هنــاك، كــي أعمــل كناطق رسمي لبــيرس.

شعرت، وأنا بصحبة بيلين، بعـــدم الارتيــاح، جــراء توجــهي إلــى أوســلو، وبقائه هو في إســرائيل، فــهو صــاحب الفضــل فــي خلــق مســار أوســلو، رغــم المخاطرة التي جازف بها، والتي كــان بالإمكــان أن تكلفــه مكانتــه السياســية بيــد أن بيلين أكد لي أنه شديد الارتياح لما يحدث. لقد كان كبيرس قـــد تنبــأ بالمســتقبل.

أقلعت طائرتي في العشرين مـــن أيــار، فــي طريقــها إلــى بــاريس. وإثــر إقلاع الطائرة، سجلت لنفسي عدة أسطر لتكون نبراســا لــي حــول بــدء الحــوار. ثــم تناولت تقرير وزارة الخارجية، والذي كان يتضمـــن معلومــات حــول الشــخص الــذي سأقابله بعد عدة ساعات(أبو علاء)، وقد عرفت مـــن التقريــر، أنـــه ينــاهز الخمســين، وقد بدأ حياته كموظف بنك، وترأس مؤسسة (صـــامد) والتــي تعتــبر بمثابــة الشــبكة الاقتصادية لمنظمة التحرير. كما ترأس العديـــد مــن الــهيئات الأخــرى التــي كــانت تقوم بأعمال تمويل نشاطات اقتصادية واجتماعية فــي الضفــة الغربيــة.

ولد أحمد قريع في أبــو ديــس المتاخمــة للقــدس، وبعــد أن أنــهى دراســته الثانوية عمل في الأردن والسعودية، وانضم إلـــى مؤسســي حركــة فتــح، وفــي عــام ١٩٦٧-في أعقاب انتهاء الحرب- تفرغ للعمل فــي منظمــة التحريــر بوظيفــة كاملــة، وكرس عمله في المجال الاقتصادي ومنذ ذلك الحيــن، نقــل مكــان ســكنه مــن دولــة إلى أخرى، فعمل في الخليج، وبيروت، وقبرص وتونس ومـــع مــرور الزمــن أصبــح أحد المقربين للرئيس الفلسطيني عرفات، وأكثر من العمــل مــع محمــود عبــاس -أبــو مازن-، وهو الرجل الذي كان مســئولا، فــي غضــون الســنوات الخمــس الماضيــة، عن العلاقات غير الرسمية بين إسرائيل ومنظمـــة التحريــر.



الخارطة الأولى : اسرائيل ، الضفة الغربية ـ وقطاع غزة

وصفت أجهزتنا أبو علاء كشخص برغماتي، وذكي وماكر، وقد كان موجها للمحادثات متعددة الأطراف، التي جرت إثر مؤتمر مدريد، من وراء الكواليس، نظرا لعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات آنذاك. وكان يوجه، من غرفته في الفندق، الوفد الفلسطيني– الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير– لما يجب أن يقوله.

وتساءلت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان قد تورط خلال سني عمله في أعمال"الإرهاب" التي مارستها منظمة التحرير؟؟ ورغم أن ملفه الذي كان بين يدي لم يتطرق إلى هذا الجانب أبدا، الا أنني لم استطع منع نفسي من التساؤل فيما إذا كان على معرفة مسبقة بعمليات قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ، أو عملية (معالوت) و"كريات شمونة" الدمويتين؟ وراودتني الكثير من الأفكار حول العمليات الإرهابية، وسفك الدماء، والاحتلال، والتوق إلى السلام، واللقاء القريب مع هذا الرجل.

كانت أمامي مهمة صعبة للغاية، ولم أبدأ بعد الخطوة الأولى.

إستقبلني في مطار، شارل ديجول، في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، اسحق آلون الملحق في السفارة الإسرائيلية بباريس، وفي طريقنا إلى فندق(بولتيمور) أخبرته أنني سأتوجه إلى مدينة(كان) للقاء زوجتي، واقترحت عليه أن نلتقي في ساعات المساء من يوم السبت في الفندق. وحال وصولي إلى الفندق وضعت على باب الغرفة المخصصة لي يافطة" أرجو عدم الإزعاج"، وسارعت مجددا إلى الشارع وتوجهت إلى المطار من جديد، وهناك وجدت رون فوندك بانتظاري.

وفي طريقنا إلى كوبنهاجن، وصف فوندك لي الشخصيات الفلسطينية الذين سنجتمع بهم والجرأة التي يتحلون بها، وأدبهم الجم، واعتدالهم. واعتقدت أنه يتوقع مني أن أقابلهم بالمثل.

وما كدنا نصل باب الطائرة في كوبنهاجن، حتى وجدنا مجموعة من الإيرانيين تهم بصعود الطائر، فرشقت فوندك بنظره تحذير، رد الى مثلها، ثم

انفجرنا، نحن الاثنين، بالضحك من الشكوكية التي نحملـــها، نحـن الإسـرائيليين، لكـل مكان نذهب إليه. ولا شك أن شكوكيتنا كانت في محلـــها، فتـهديدات "الإرهـاب" التـي تواجهنا تحت رعاية الإيرانيين، كانت تسكن عقولنا وقلوبنا، وقـــد اتضـح، فيمـا بعـد، أن هذا الإرهاب سيظهر كثقل موازٍ أساسي للمســيرة السـلمية كلــها.

وحينمـــا هبطـت الطـائرة وجدنـا هيرشـفيلد بانتظارنـا، وبصحبـة تـاري لارسون، والذي شعرنا بمـــرور الأيـام، بالارتيـاح الشـديد لكفاءاتـه النفسـية الفـذة، والتي استخدمها بأناة ترويجية لا تعرف الحـدود، بـل أن أصعـب العوائـق والمشـاكل التي واجهتنا، لم تجعله يفقد صـبره وأناتــه.

أخذنا لارسون إلى غرفة الشخصيات المهمة فـي المطـار، واهتـم بـأن تمـر الإجراءات بسرعة وأن يعفينا من الكثير من المراسيم التي كـان علينـا اجتيازهـا.

قال لارسون :" سنغادر المطار من الباب الخلفي وسـنتوجه إلـى شـقة آمنـة تبعد حوالي نصف ساعة سفر هذا في الوقت الذي قامت زوجتــه مونــه يـول- وهـي أيضا دبلوماسية ناجحة- بمرافقة الفلسـطينيين إلـى هنـاك. وقـد جلسـت إلـى مقـود السيارة التي أقلتنا، أحـد أعضـاء معـهد(أف آيــه أف أو) وحارسـان مـن الشـرطة السرية النرويجية. لقد تم التخطيط لجميع التفاصيل بدقـــة بالغـة للغايـة.

استهل لاريسون الحديث حول(روحيـة أوسـلو) مثلمـا اسـماها- وبـدا لـي بوضوح أنه يعتبرني تكنوقراطيا شابا رابط الجأش، وربمـا صلبـا أكـثر ممـا تتطلبـه المهمة التي نحن بصددها- قال لاريسون: يجـب أن تكـون الحـوارات غـير رسـمية، تماما مثلما كان الامر مع الأكاديميين السـابقين. إن النتـائج التـي خلصنـا إليـها، فـي مسار أوسلو، هي نتائج للحلول الخلاقــة والمبدعـة لمسـار التفكـير الحـر، وليسـت نتاجا للجدل التقليدي بين طرفين متصلبين، وبـدا واثقـا، مـن أن الأجـواء النرويجيـة المريحة، ستلقي بظلالها علينا، وامل فـي أن ننجـح فـي خلـق مزيـج مـن أوسـلو وإسرائيل. وقال:" الفلسطينيون متـأثرون كالأطفـال".

أدركت ما الذي يسعى إليه، بيد أنني كنـت متوتـرا، إلـى الدرجـة التـي لـم أرغب فيها القيام بمحاولة لاقناعـــه.

وصلنا إلى (لهفتي لودج) أحد منازل الضيافة النرويجية، وجلسنا بصمت دون أن ينبس أي منا ببنت شفة، وبعد لحظات، سمعنا طرقات خفيفة على الباب، ودخلت(مونه) بشخصيتها الساحرة، وتبعها الفلسطينيون الثلاثة واحدا اثر الآخر، وسارعت أنا وفوندك وهيرشفيلد للوقوف على أقدامنا، وكأننا في حفل استقبال رسمي، وفجأة وجدت أبو علاء يقف في مواجهتي، وبادرني لاريسون بالقول: أرجو أن تتعرف على عدوكم الأول، أحمد قريع، المعروف باسم أبو علاء.

فاجأني منظر الرجل، بنظاراته السميكة، والتي لم تتمكن من إخفاء نظراته النفاذة، وحلته الرسمية، والتي أبدته في صورة رجل أعمال أوروبي، أكثر منه زعيما لعمل سري.

تمتم أبو علاء وهو يصافحني:" لطيف أن أتعرف عليك"، وحدق كل منا في الأخر بعصبية مع إدراكنا التام لمغزى هذا اللقاء الذي لم يسبق له مثيل. ثم ساد صمت تام في الغرفة، قطعة تاري بالقول:" أرجو أن تتعرف على عدوكم الثاني حسن عصفور.

بدا الرجل وكأنه يناهزني في العمر، ورأيت في عينيه بريقا غاضبا إلى حد ما، وكنت أعرف أنه شيوعي سابق، وأحد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي يترأسها جورج حبش، وقد سبق له أن سجن في سورية قبل أن يصبح مستشارا سياسيا لأبو مازن.

وعندما ازدادت معرفتي بهذا الرجل، فيما بعد، خيل اليّ أنه ممزق بين فكرين. اشمئزازه من الغطرسة التي يعزوها إلى إسرائيل من جانب، وإيمانه بإمكانية صنع السلام معها من جانب اخر.

أما العدو الثالث الذي قدم اليّ، فهو ماهر الكرد-٦٠سنة- وهو شخص في غاية الأدب، وقد أثار لدي انطباعا فوريا، بأنه يصلح لأن يكون مديرا لمدرسة ألمانية. واتضح لي فيما بعد، أنه درس في إحدى جامعات ألمانيا الشرقية، قبل أن يصبح مستشارا اقتصاديا لعرفات.

وشعرت أن البرود الذي ساد لقائي الأول بهم قد ذاب، إلى حد ما، عندما قام فوندك وهيرشفيلد بمعانقة الثلاثة، الذين التقوا بهم المرة تلو الأخرى، في غضون الأشهر الخمسة السابقة.

قام لاريسون فجأة، وخلع معطفه، وعرض علينا أن نفعل مثله، وأدركنا أنه يحاول تخفيف حدة التوتر القائم، بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل. فقال وهو يتجه إلى الباب، أنا موجود في الطابق الأسفل، سأترككم وحدكم، وإذا لم تستطيعوا التفاهم. أرجو أن تدعوني للعودة.

وهكذا، جلسنا نحن الستة على جانبي طاولة العمل، وقمت أنا بإخراج المذكرة التي كتبتها في الطائرة، وبدأت أقرأ الملاحظات على الفلسطينيين، كي لا يسيء أي شخص في تونس فهم نوايانا، وقام الفلسطينيون بتسجيلها واحدة تلو الأخرى.

وقد بدأت كلامي بالإعراب عن الارتياح نظرا لقدرتنا على التحاور وجها لوجه، وشكرت الحاضرين على الجهد الذي بذلوه خلال اللقاءات السابقة، وقلت:" إن هدف الحكومة المنتخبة في إسرائيل، يتمثل في إحراز مصالحة تاريخية مع الشعب الفلسطيني، ولسنا معنيين إطلاقا بإحداث تغيير جمالي فقط في الوضع الراهن، ولا نرغب في التحكم والسيطرة على حياتكم، ومصلحتنا تكمن في السلام والأمن والانفراج، سوية معكم، واحلال السلام في المنطقة كلها".

وأضفت ..."لقد فرض الاحتلال على إسرائيل عام ١٩٦٧، وهدفنا الأخلاقي والسياسي يتمثل في التحرر والانعتاق من هذا الوضع، بصورة تضمن الحرية للفلسطينيين، وتوفر الأمن لإسرائيل".

وفي أعقاب هذه المقدمة، طرحت الشرطين اللذين أصر عليهما بيرس ورابين، فأكدت، بادئ ذي بدء، أن القدس ستكون خارج الحكم الذاتي الفلسطيني، وقلت:" القدس هي بؤرة أخلاقياتنا الوطنية، وإذا كانت هذه القضية مفتوحة للمفاوضات، فلن نتمكن من إحراز أي تقدم.

"أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولـــي، فيجــب عليكــم أن تقــرروا، فيمــا إذا كنــا سنعمل كشركاء ونسوي خلافاتنا في الرأي، فيمـــا بيننـــا، غــير الحــوار أم أنـــه يجــب علينا أن نطلب وسطاء فـــي صـــورة مجلـس الأمـــن الدولـــي، ونصـــل، فـــي نهايـــة المطاف، إلى كومة كبيرة من القرارات، التـــي لــن تعــدو كونـــها أكـــثر مـــن أرقـــام متسلسلة دون جـــدوى.

"وإذا كنتم توافقون علـــى هذيـــن الشـــرطين، فســوف أوصـــي أمـــام رئيـــس الحكومة اسحق رابين، ووزير الخارجية شـــمعون بـــيرس، بالشـــروع فـــي مفاوضـــات توطئة لبلورة إعلان مبادئ مقبول لـــدى الطرفيـــن".

وفي ختـــام كلمتـــي أوضحـــت أن الخـــط الـــذي يوجـــهنا فـــي تعاملنـــا مـــع المفاوضات، يتمثل في التقدم على مراحل، وأننـــا نرغـــب فـــي أن نطبـــق أول النتـــائج في قطاع غزة، وامتنعت عن الإشارة إلـــى أريحـــا.

وأضفت... مـــن وجهـــة نظرنـــا، يجـــب أن يتـــم التركـــيز علـــى الجـــانب الأمني، ويجب أن يكون واضحا تمامـــا، أن علـــى منظمـــة التحريـــر أن تكـــف تمامـــا عن ممارسة أي أعمال إرهابيـــة، كمـــا أن هنـــاك زخمـــا كبـــيرا جـــدا، علـــى صعيـــد التعاون الاقتصادي ويجب أن نعمل على ترجمتـــه إلـــى لغـــة العمـــل لقـــد لاحـــت لنـــا جميعا فرصة تاريخية، لا يجب أن نضيعها، بأي حـــال مـــن الأحـــوال".

نهض أبو علاء مـــن مقعـــده، واســـتهل الحديـــث بـــالقول: "زميـــلاي وأنـــا، والزعامة الفلسطينية في تونس، نشعر بالسرور جراء وصـــول الاتصـــالات بيننـــا فـــي نهاية المطاف إلى المرحلة الرسمية، لقد أنجزنـــا عمـــلا مـــهما مـــع صديقينـــا فونـــدك وهيرشفيلد. وسأشعر بالسرور البـــالغ، إذا مـــا أعلمـــت مســـئوليك أن نوايانـــا ونوايـــا الرئيس عرفات، جديـــة".

حال سماعي اسم عرفات شعرت بإحساس غريـــب ينتـــابني، فقـــد كـــان مـــن الصعب علي، بداية، أن أفكر فيه كشخص ســـيصبح جـــزءا مـــن روتينيـــة مفاوضـــات. ويبدو أن أبو علاء قرأ أفكـــاري لـــذا واصـــل الحديـــث قـــائلا: "لا توجـــد أي فرصـــة

للتقدم نحو السلام دون منظمة التحرير وزعامتها، حيث لا تملك أي جهة أخرى الصلاحية والشرعية المطلوبة للتحدث باسم الشعب الفلسطيني".

وأضاف بجدية ظاهرة للعيان:" نحن نرغب في التعايش معكم، ونرغب في التعاون معكم، من أجل تطوير المنطقة واحياء خطة (مارشال) شرق أوسطية وبذلك، نستطيع أن نفتح الطريق أمامكم إلى العالم العربي، وتنفتح الطريق أمامنا نحو الحرية. إن الوضع القائم في المناطق المحتلة، هو وضع يائس على الصعيدين السياسي والاقتصادي، في آن واحد، والزمن يمضي بسرعة دون عودة".

واعترف أبو علاء، بأن مفاوضات واشنطن آلت إلى طريق مسدود، بيد أنه وعد باستمرارها. وفي معرض تطرقه للبندين (الشرطيين) اللذين طرحتهما، قال: إن عليه التشاور مع الزعامة في تونس.

وأضاف،،في كل ما يتعلق بالأمن، لدي أوامر صريحة من الرئيس عرفات في التوصل معكم إلى اتفاق حول جميع مناحيه".

توقف أبو علاء للحظة، ثم توجه إلى بصورة مباشرة، وقال: قل لي سيد سبير لقد سمعت تصريحات إسرائيلية تقول أنكم تعتبرون منظمة التحرير بمثابة خطر على وجودكم، وأنا أريد أن أفهم هذه النقطة. فإسرائيل هي دولة عظمى في المنطقة، ووفقا لما تنشره وسائل الإعلام الدولية، فإن إسرائيل هي أيضا دولة عظمى نووية، ولديكم أفضل سلاح جو في العالم، وعدد هائل من الدبابات، وأفضل جهاز استخبارات في العالم، وأحد الجيوش البرية الكبيرة وذات القدرة الهائلة. وأنتم تطلقون علينا لقب مخربين، في حين نسمى أنفسنا مقاتلي حرية، ولا نملك سوى حفنة من بنادق الكلاشينكوف والقنابل اليدوية، وسيارات الجيب والحجارة. فهل يمكنك أن تقول لي كيف يمكننا أن نشكل خطرا على وجود إسرائيل؟؟ ولماذا لا نرى نحن الأمور على العكس تماما مما تقولون؟

بدا أبو علاء راضيا عن نفسه، فقد طرح الرأي الفلسطيني بوضوح، حيث أبدى فيه الفلسطينيون في صورة داود، والإسرائيليين في صورة جوليات.

لقد أدركت، فيما بعد، أن الفلسطينيين يفـــهمون التـــوازن بيننـــا وبينـــهم حقـــا، مثلما طرحه أبو علاء:" قزم يقف في مواجهـــة عمـــلاق". ومثلمـــا يحـــدث فـــي العديـــد من النزاعات كل طرف يعتبر نفســـه الضحيـــة.

وبعد لحظة تفكير خاطفة، قلت له:" أنتم تشـــكلون خطـــرا لأنكـــم تريـــدون أن تسكنوا في بيتـــي".

-أبو علاء: من أين أنـــت؟؟

-أنا: من القـــدس.

-أبو علاء: أنا أيضا من القدس. ومن أيـــن والـــدك؟

-أنا: لقد ولد في ألمانيـــا.

-أبو علاء: لقد ولد أبي في القدس، ولا زال يعيـــش هنـــاك.

-أنا:" ولماذا لا تسأل عن أجدادي، أنا أســـتطيع أن أقـــول لـــك أن ســـلالتنا تعـــود إلـــى الملك داود". ولم أخف غضبي:" أنا واثق أننا قـــادرون علـــى التجـــادل حـــول المـــاضي سنين طويلة، ثم لا نصل إلى أي اتفاق. لذا قـــد يكـــون مـــن الأجـــدى أن نتفـــق حـــول المســـتقبل".

-أبو علاء: موافـــق.

وهكذا توصلنا إلى أول تفـــاهم بيننـــا، ينـــص علـــى أن لا تجـــري أي جـــدال حول الماضي. لقد كان هذا الاتفاق بمثابة خطوة مهمة نظـــرا لانـــه وضعنـــا خلـــف أي محاولة للشجار حول العدل والظلم. إن الســـعي لمناقشـــة مـــا ســـيؤول إليـــه المســـتقبل يعني البحث عن الحلول في خضـــم المصـــالح والحقـــوق للطرفيـــن، وليـــس الـــدوران والمراوحة المكانية في دوامة الحديث عن الظلـــم القديـــم,

قلت لأبو علاء: أريد أن أرجع إلى ما قلته أنت حول أمننـــا، مثلمـــا يبـــدو الان.

أبو علاء: رفض الاعتراف بإسرائيل لن يمنحنا الحرية
وسيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن
رابين عكف على اختبار نوايا الفلسطينيين
وبيرس عمد إلى إثارة خيالهم

وضعت ورقة على الطاولة، وشرعت في رسم خارطة لإسرائيل والمناطق المحتلة، ثم رسمت خارطة للعالم العربي المحيط بنا. وقلت:" لقد كفرتم، أنتم الفلسطينيين، بوجودنا كدولة، ومنذ ولادة إسرائيل، كان رفض وجودنا هو الذريعة التي طرحها العالم العربي لمحاربتنا". وأشرت إلى الخارطة الموضوعة أمامي، وقلت: هذه هي معادلة الأمن الحقيقية:" عدت إلى مقعدي، وجلست بارتياح بعد أن أوضحت لأبو علاء، من هي الجهة التي كانت (داود) على أرض الواقع.

بيد أن أبو علاء رد علي بصورة موضوعية قائلا:" أعتقد أننا وصلنا إلى لب المشكلة لقد تعلمنا بأن رفض الاعتراف بوجودكم لن يمنحنا الحرية، وأنتم ترون أن سيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن، لذا يجب علينا أن نتعايش، أحدنا إلى جانب الآخر بسلام ومساواة وتعاون وهذا هو أيضا رأي زعامتنا في تونس.

قلت في محاولة لخلق قاعدة مشتركة لمواصلة الحوار:" أوافقك بصورة مبدئية على ما قلته. ونحن بحاجة إلى تقدم على مراحل، ولبلورة الصلة الجديدة من العلاقات، والتي يمكن، من خلالها، تطوير سلام وأمن وازدهار اقتصادي. إننا بحاجة إلى خريطة طرق جديدة، قادرة على قيادتنا إلى الثقة المتبادلة".

ذكرت أبو علاء بأن عددا لا بأس به من الإسرائيليين، يحتقر منظمة التحرير، ويشك في مصداقية زعامتها،"بيد أننا، نعتزم وبجدية، فتح صفحة جديدة وبناء الثقة بيننا بصورة تدريجية. وبمقدورنا أن نبدأ الحوار حول الوثيقة التي توصلتم إلى إعدادها مع فوندك وهيرشفيلد، بيد أنني أريد أن أعرف أولا ردك على قضية القدس والتحكيم الدولي. أضف إلى ذلك، أن من الأهمية بمكان أن

تظل حواراتنا سرية أيضاً، في المراحل القادمة. أي تسريب سيجعل هذه القناة مستحيلة، على الصعيد السياسي".

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال:" لا يجب أن تخشوا منا على هذا الصعيد، وقلقنا ينصب على صحافتكم، فهي تعرف أشياء، حتى قبل أن تحدث". واقترح أبو علاء إرجاء الحوار حتى يتمكن من الاتصال بقيادته في تونس، ويعلمها بفحوى الحوار الذي دار بيننا.

كانت الساعة قد شارفت على الرابعة تقريبا عندما نهضنا جميعا، وتصافحنا، ونزلنا إلى الطابق الأرضي، وهناك وجدنا لاريسون وزوجته بانتظارنا فتساءل بقلق:

ما الذي حدث؟ فقال أبو علاء: "لم يعد هناك ما يمكن الحديث عنه وسنعود إلى تونس". وقلت أنا:" لقد انتهى كل شيء.

بدا لاريسون شديد القلق ولم يعرف فيما إذا كنا نمزح أم نحن جادون، لكننا جميعا انفجرنا بالضحك، وهدأنا روعه. لقد كان ما حدث أمام لاريسون، نموذجا لما سيحدث مرات عديدة بعد ذلك، كلما آلت الأمور إلى عائق يصعب تجاوزه، وتوقفت المفاوضات توقفا حرجا.

أخذني لاريسون وزوجته إلى منزلهما لأحل ضيفا عليهما. وكنت ارغب في إعلام بيرس بفحوى ما دار، فهو الرجل الذي أتاح فرصة الانتقال إلى هذه المرحلة الرسمية من الحوار مع منظمة التحرير، كجزء من خطة فضفاضة وواسعة للسلام والازدهار الاقتصادي في الشرق الأوسط والتي كانت تستحوذ على كل تفكيره. بيد أن ضرورة السرية حالت دون اتصالي بإسرائيل. وخرجت إلى شرفة غرفتي، ووجدت أفكاري تنتقل إلى أبي. (ليئو سبير) وهو صهيوني متحمس، ومثقف فطن وكان دبلوماسيا منذ الولادة، وأحد مؤسسي الخدمة الإسرائيلية في الخارج. وقد اعتبر الاحتلال الإسرائيلي، منذ اللحظات الأولى، في الضفة الغربية وقطاع غزة، كارثة ستؤدي إلى تدمير الجانب الأخلاقي والإنساني في دولة إسرائيل، وهو الجانب الذي اعتبره شديد الحيوية لبقاء اليهودية.

وفي نهاية السبعينات، دعي والدي لإجراء حوار بين إسرائيل ومنظمة التحرير، ولم يكن متوهما أبدا في تحديد ماهية المنظمة، بيد أنه اعتبرها الممثل الحقيقي لاكبر واخطر أعداء إسرائيل واعتبر التحاور مع"العدو" عندما يصبح هذا العدو على استعداد لذلك- بمثابة اختبار لنضج إسرائيل وأن عدم التفكير في التحاور مع المنظمة، يرجع إلى المخاوف الكامنة في صدورنا، وأن هذه المخاوف، هي التي قادت مناحم بيغن لتشبيه عرفات بهتلر.

وكان أبي يعتقد أن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية كي يجعلها قادرة على التحاور مع اعدائها. وكان يقول: إذا كنا نخشى عمل ذلك، فسوف نكون قد أخطأنا في حق الصهيونية، بوصفها"جهدا تاريخيا للترفع" فوق عقدة الغيتو. لقد اعتبر أبي النزوع اليهودي لاكتشاف اللاسامية، في كل مكان وبقعة، بمثابة مرض واعتقد أيضا، أن اليهود في أمس الحاجة إلى دولة قوية، ليس فقط لضمان البقاء، بل أيضا كي تسهم في تغيير التوجهات الشائعة تجاه اليهود، ومن ضمنها شعور الشعب اليهودي تجاه نفسه. وكان يؤمن إيمانا قاطعا بضرورة تطبيع علاقاتنا مع العالم. وكان يجد من الصعب عليه، أن يستوعب أن أمة صغيرة كأمتنا، تحظى بتأييد دولي لم تحظ به سوى قلة قليلة من الأمم الأخرى، وفي نفس الوقت، هناك عدد كبير جدا من الإسرائيليين لا زالوا يعتبرون أنفسهم ضحايا أبديين. وكان أبي يقول: إن الحوار مع العدو، والتأثير على توجهاته، لن يسهما فقط في إزالة الكراهية تجاهنا، بل سيسهمان أيضا، في أن نداوي نحن، جراح أنفسنا.

وفي عام ١٩٨٥- أي قبل وفاته بعام واحد كتب مقالة في جريدة" جيروزواليم بوست"، ضمنها هذه الأفكار، ولا زلت أحمل هذه المقالة معي دائما، لقد كان أبي أقرب الأشخاص اليّ.

وشعرت بحزن عميق، وأنا أقف على الشرفة في أوسلو، لأنني لم استطع أن أقول له أنني فعلت لتوي الامر الذي حلم به زمنا طويلا وأنني تحدثت

مع العدو-بوصفي ممثلا عن دولة إسرائيل- بغية العثور على أساس مشترك للتحاور. ولا شك أنه كان سيشعر بالفخر لو أنه علم بذلك.

لقد شعرت فيما يتعلق باللقاء مع أبو علاء وزميليه، أنني قمت بزيارة للمجهول، فخلال اللقاء- الذي بدا وكأنه لا يختلف عن أي لقاءات دبلوماسية أولية- تجسدت اعمق مخاوفنا وكذلك أكبر آمالنا. لقد وقفنا في نهاية المطاف على عتبة الخروج من نزاع دام مائة سنة، حول نفس البقعة من الأرض. رفض خلاله كل طرف، حق الطرف الآخر في الوجود كاملة، وتحمل كل منهما وزر وعبء العذابات الإنسانية والقتل. وأبرز لقاؤنا أيضا، حقيقة أن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يحتل مركز الخلافات القائمة بين إسرائيل والعالم العربي بأسره فالعربي لم يكن يجد أمامه حافزا أقوى من مشكلة الفلسطينيين لمقاومتنا، لذا، فإن المصالحة الفلسطينية الإسرائيلية ستكون بمثابة المفتاح الذي سيتيح الفرصة للمنطقة كلها كي تلج إلى عهد السلام وستقوم هذه المصالحة، مع مضي الوقت، بردع القوميين، والأصوليين، والمتطرفين مهما كان نوعهم، وتثنيهم عن ممارسة أي دور تخريبي. وسيمنح كل واحد منا للآخر الشرعية، مقابل حرية تحقيق الذات الوطنية، والتخلص من الحروب والعنف.

أثارت الفرصة الكبيرة السانحة تأثيرا كبيرا في نفسي، ورغم ذلك، أخافتنا العوائق والعقبات الجمة القائمة على الطريق، والحقيقة، هي أنني لم أكن أتخيل حجم تلك الصعوبات، ولم أتخيل المآسي التي قد تقع.

وفجأة، شعرت بيد لاريسون على كتفي تنتشلني من أفكاري، وقال: "أقترح أن تذهب إلى سريرك، ولا تنس أن لديك غدا لقاء مع أصدقائك الجدد". فقلت: "حسنا، على الأقل هم جيراني في المستقبل".

جلست وحدي، صبيحة اليوم التالي، بعد أن تناولت طعام الإفطار مع لاريسون وزوجته، كي أدون لنفسي العناوين اللازمة والتي سأطرحها خلال لقائي مع أبو علاء. وقلت لنفسي، أن مفتاح النجاح يتمثل في التغيير السريع على أرض الواقع، استنادا إلى نظرية "غزة أولا"، التي طرحها بيرس.

ولا شك أن مثل هذا التغيير سيضمن، علـــى الأقـل، عـدم ضيـاع الفرصــة السانحة لنا، بالجدل القضائي العقيم. وحــددت عشــر خطــوات علــى طريــق الــهدف آنف الذكر، والتي يجـب تنفيذهــا خــلال المفاوضــات، وضمنتــها تصريحــات حــول الاعتراف المتبادل، ووضع حد للإرهــاب الــذي تمارســه منظمــة التحريــر، وتفعيـل الحكم الذاتي في غزة، خلال ثلاثة أشهر. وقد تقت إلى طــــرح هــذه الأفكــار، للحــوار مع بيرس، حال عودتي إلى إسرائيل، ولم أفكر أبدا في أنــــها ســتثير مشــكلة.

توجهت أنا(ومونه) لإحضــــار فونــدك وهيرشــفيلد فــي طريقنــا إلــى بيـت الضيافة الرسمي. وفي الطريق، تحدثنا عن الانسجام الــــذي حــدث أمــس بيننــا وبيــن الفلسطينيين. وقد أشار لاريسون إلـــى هــذه القضيـــة أيضــا، عندمــا جــاء مصطحبــا أعضاء الوفد الفلسطيني، بل واقترح أن أخـــرج أنــا وأبــو عــلاء للتــنزه قليــلاً فــي الغابة المجــاورة.

وعندما بدأنا أنا وأبو عـــلاء التــنزه قــال لــي: أنــه خصـص بــاقي الليلــة الماضية للاتصال بتونس، وأعرب للقيادة عن ارتياحه مــن اللقــاء معنــا، واشــار إلــى أنه يعتقد أن نوايانا جدية. وعلى أرضيـــة ذلــك، وافــق عرفــات وأبــو مــازن علــى إخراج القدس من إطار حوارات الحكم الذاتـــي-رغــم تــأكيده علــى أن هــذه القضيــة ستطرح مجددا، إبان مفاوضات التســوية الدائمــة.

وشعرت بالدهشة من الرد السريع والواضـــح الــذي نقلــه إلــي أبــو عــلاء، ووجدتني أميل للاقتناع بأن الزعامة الفلسطينية، تســعى للســير قدمــا.

أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فقد اقترح أبـــو عــلاء أن نلجــا إلــى التحكيـم الدولي في حالة موافقة الطرفين على ذلك. وقال: أن هنــاك مــا يمكــن الحديـث حولــه بشأن إقامة الحكم الذاتــي فــي غــزة أولا، وأشــار إلــى أن عرفــات لا زال يواصـل الضغط من أجل إضافة أريحــا كصــورة رمزيــة. وقــال: هنــاك أهميــة كبـيرة لان تحظى القيادة الفلسطينية بموطئ قدم فــي الضفــة الغربيــة، وذلــك خشــية أن تتحــول غزة أولا، إلى غزة أولا وأخــيرا.

ثم بدأنا نتحدث عن أنفسنا، فرويت لأبو علاء الكثير عن نفسي وعن عائلتي، وسنوات عملي مع بيرس، في حين روى لي هو عن ترحاله المتواصل بدءا من القدس وانتهاءً بتونس. ثم تحدث عن زوجته وعن أبنائه الخمسة -اثنان في تونس، واثنان في أوروبا، والخامس في الولايات المتحدة- تحدث عن السنين التي قضاها بمعية عرفات، وبدا شديد التقدير لزعيمه وأساليب عمله "الملتوية".

وعندما عدنا إلى غرفة الاجتماعات، أعلن أبو علاء الردود انفة الذكر، التي أعلمني بها، أمام جميع الموجودين، ثم اقترح أن ننتقل لمناقشة مسودة إعلان المبادئ التي تمكن هو وزملاؤه من إعدادها بالتعاون مع فونداك وهيرشفيلد.

ألقينا معا نظرة خاطفة على المسودة، ثم أشرت إلى أنها لم تتطرق بإسهاب وجدية، إلى قضايا مهمة، مثل الأمن، ومكانة الاستيطان الذي لن نوافق على حله. واعربت عن تأييدي لتطلعات التعاون الاقتصادي. والحقيقة، هي أنني فوجئت بالاهتمام الكبير الذي أولاه الفلسطينيون للعلاقات الاقتصادية مع إسرائيل. فهم لم يتطلعوا إلى هذه العلاقة على أنها ستفضي إلى تحسين وضعهم الاقتصادي فقط، بل تطلعوا إليها كجسر لتطوير المنطقة.

أصغى الفلسطينيون الثلاثة إلى الملاحظات التي أدليت بها، واقترحوا أن نعكف على إعداد ملحق أمني. فقد أدركوا أن هذا اللقاء هو بمثابة اختبار بالنسبة للإسرائيليين وتاقوا إلى اجتياز هذا الاختبار. وقد أكد أبو علاء ذلك قائلا:" نحن معنيون بالتعاون معكم في جميع مناحي الحياة ومن البديهي القول: أننا نسعى للحصول على جميع حقوقنا الوطنية وجميع أشكال الحرية التي نستحقها، ونحن ندرك أن أفضل الطرق لنيلها هي طريق التعاون معكم، ربما أكثر من التعاون مع أي جار اخر من جيراننا".

لقد كنا، نحن أيضا، نسعى إلى هذا التعاون، وعندما أشرت بمصطلحات عامة إلى ضرورة انعكاس كل ذلك على أرض الواقع، جاء رد أبو علاء مؤيدا جدا لما أقول، وأضاف:" الوضع في المناطق المحتلة خطير للغاية، ومن الجائز أن يفضي في كل لحظة إلى حدوث الانفجار.

لذا، فإننا ملزمون بمنح الأمل لشـــعبنا".

-أنا:" بالتأكيد، بيد أن هذا الأمـــل يجـب أن يكـون بعيـدا عـن ممارسـة أي أعمـال عنف ضدنـا".

-أبو علاء:" هناك علاقة جدلية بين هـاتين المسـألتين، ونحـن قـادرون علـى وضـع حد للعنف، شريطة أن نتمكن من ضمان مستقبل مختلف عمـا هـو عليـه الان".

ومن الجدير بالذكر، أن العلاقة بين الأمل والعنف، بـدا فيمـا بعـد كمحاولـة أساسية للمسيرة السلمية برمتـها.

واستطرد أبو علاء قائلا:" يجب أن تسـفر الانتفاضـة عـن ثمـار سياسـية، لأنكم لن تستطيعوا إخضاعنا بالقوة، أضف إلى ذلك أنه لا حاجـة لذلـك أبـدا".

-أنا:" قلت ساخرا: أنا متأثر لأنك توقفت عن قـراءة الصحـف، هنـاك فـي إسـرائيل اليوم حكومة، لا ترغـب فـي مواصلـة السـيطرة علـى شـعبك". فحقـوق الإنسـان والاحتلال لا يسيران جنبا إلى جنب، ونحـن نـدرك ذلـك جيـدا، لكـن إذا لـم يطـرأ تغييرا على توجهاتكم السياسية، بشكل خـاص، بشـأن الوضعيـن السياسـي والأمنـي، فإننا لن نستطيع إحراز تغيير عميق علـى أرض الواقـع".

وأعتقد أن أبو عـلاء أدرك، فـي هـذه اللحظـة، أنـه يقـف علـى أعتـاب مفاوضات صلبة ومرهقة، لذا، أطاح بجسـده إلـى الأمـام، ورشـقني بنظـرة ثاقبـة، وقال:" يجب أن تعرف سيد سـبير، وأن تعلـم المسـئولين الإسـرائيليين، أننـا قدمنـا خلال المحادثات مع فوندك وهيرشفيلد تنازلات كبيرة، تنـازلات تاريخيـة مـن وجهـة نظرنا. نظرا لأننا نسعى، حقا، إلى بدايـة جديـدة، بيـد أن عرفـات سـيجد صعوبـة بالغة في تقديم تنازلات أكثر من ذلـك".

-أنا:" اعتقد أننا اتفقنا على الا تبـدأ المسـاومات.

ضحك أبو علاء لردي، وبدا أنه يشـعر بالمتعـة لخـوض المفاوضـات التـي تنتظرنا. وهنا تدخل هيرشفيلد، واشار إلى قضية تم التطـرق إليـها خـلال المحادثـات التي أجراها مع الفلسطينيين، وهـي: ضـرورة السـير قدمـا وبصـورة عمليـة علـى صعيد المصالحة بين الشعبين، في صورة بناء"خطـة دعايـة سـلمية".

حـذرت أبـو عـلاء قـائلا:" أنـت تعـرف أن الكثـير مـن الإسـرائيليين يعتبرونكم، مجرد عصابة مـن الإرهـابيين".

-أبو علاء:" وغالبية الفلسطينيين تعتقـد أنكـم أمـة تمـارس الاضطـهاد ومتوحشـة، تسعى لسلبنا أراضينـا".

اتفقنا على إشراك شعبينا في مسيرة المصالحـة، بيـد أننـا لـم نلـتزم، فيمـا بعد، بفحوى هذا الاتفـاق.

وعندما توقفنا عن المحادثات وتوجهنا إلى قاعـة الطعـام، انضـم إلينـا(يـان اجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، ووعد بأن يحـرص علـى توفـير جميـع سـبل الراحة والسرية للمحادثات ثم اتفقنـا علـى تنصيـب لاريسـون فـي منصـب ضـابط الاتصال بين إسرائيل وتونس، واتفقنـا علـى كلمـة سـرية للاتصـالات فيمـا بيننـا، فسمينا عرفات" بالجد"، واسمينا أبو مـازن"روح القـدس"، وأبـو عـلاء"رقـم واحـد"، وهكذا دواليك. أما علـى الصعيـد الإسـرائيلي فأطلقنـا علـى اسـحق رابيـن لقـب" الجد،"و على بيرس لقب"الأب"، وبيلين لقب"الابن"، وأنـا "رقـم واحـد".

وفـي سـاعة متـأخرة أخذتنـي (مونـه) لمقابلـة وزيـر الخارجيـة النرويجي(يوهان يورجان هولست)، الذي استقبلني استقبالا حـارا، وكـاد يخـرج عـن طوره، وهو يحاول إقناعي بأن منظمة التحرير تتعـامل مـع الامـر بمنتـهى الجديـة. وأنه اقتنع بذلك تماما، في أعقاب لقائـه بعرفـات.

ثم أعلمني بالاتصالات التي أجراها مـع الأمـيركيين بشـأن المسـار السـري في أوسلو، وقال لي: أن رجاله اعلموا دان كرتسـر-نـائب وزيـر الخارجيـة لشـئون الشرق الأوسط-بـالأمر، وأن كرتسـر اعلـم وزيـر الخارجيـة كريسـتوفر. ووعـد هولست بأن يزود الأميركيين بتقارير وافيـة عـن سـير الحـوار، كلمـا رغبـت فـي ذلك. وطلب أن تجري اتصالاتنا مع الأميركيين، بـهذا الصـدد، بالتنسـيق معـه، كـي لا تتضرر المصالح النرويجية مع الأمـيركيين، ووعدتـه أنـا بـدوري، بذلـك وقـال محذرا:" الأميركيون لا يعرفون بزيارتك هنـا". فقلـت:" أنـا اعـرف ذلـك" ووعـدت بإعلام بيرس بذلـك.

وحسب معلوماتي، فإن الأميركيين لم يطلبوا من هولست أي تقارير حول مسار أوسلو، كما أن رابين قدم إليهم تقريرا متحفظا جدا حول احتمالات نجاحه. فقد كانوا عاكفين، آنذاك، على معالجة المسار السوري، وتركوا لنا حرية التصرف على المسار الفلسطيني.

وفي ساعات ما بعد الظهر عدت إلى باريس لتناول طعام العشاء مع الملحق الإسرائيلي ألدن، ثم طرت صبيحة اليوم التالي إلى روما، حيث التقيت زوجتي، في طريق عودتها إلى إسرائيل، ورويت لها كل ما حدث. بيد أنه كان يتوجب عليّ الانتظار، حينما وصلنا إلى إسرائيل، ثلاثة أيام، حتى يعود بيرس من الجولة التي كان يقوم بها في الشرق الأقصى، ولأروي له ما حدث.

حاولت خلال فترة انتظار عودة بيرس أن أتخيل ردود فعل الإسرائيليين على إعلان المفاوضات مع منظمة التحرير، وتخيلت أن غالبية الإسرائيليين سترحب بذلك، وتعرب عن اعتقادها بضرورة التفاوض مع منظمة التحرير، لأننا سنحقق ربحا من ذلك، حيث لن يضطر أبناؤنا الذين يؤدون الخدمة في الجيش، للعمل كرجال شرطة ضد الأولاد الذين يرشقونهم بالحجارة في غزة لقد دفعت الانتفاضة بالكثير من الإسرائيليين للاستيقاظ، ولم يعد الاحتلال مسألة روتينية يمكننا التغاضي عنها، وتجاهلها، وأخذ الكثير من الإسرائيليين يبدون مظاهر الضجر والإرهاق من هذا النزاع المتواصل، ويتطلعون إلى السلام والراحة.

وعندما تلفت حولي على الخارطة السياسية في إسرائيل، وتساءلت من هي الجهات التي ستعارض هذا الحوار؟؟ بدا واضحا لي، أن أول المعارضين هم المتدينون ذوو الصلة الأيديولوجية باليمين الإسرائيلي وبالمستوطنات، والذين سيعتبرون أي صفقة نعقدها مع عرفات، بمثابة مأساة وطنية، وتهديد لوجودنا.

وفجأة، شعرت بالرعب من أن تبدو المسيرة السلمية التي أؤمن بها إيمانا عميقا- للآخرين- وعلى وجه الخصوص أولئك الداعين لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل لأسباب تاريخية، ورغم كونها مأهولة بأكثر من مليون فلسطيني- بمثابة خنوع، بل وربما انتحار.

وإذا كنت أنا، قد اعتبرت أن المصالحة مع "الأعداء" ستحقق فكرة دولة اليهود، وأهدافها، فإن الكثيرين، سيشعرون، بأن سقوط الأسوار ستجعلنا أكثر تعرضا للإصابة بالأضرار من قبل أعدائنا في الداخل والخارج، نظرا لأن وحدة المجتمع الإسرائيلي، رهن بالمقاومة لعدو مشترك. ترى هل بالإمكان تجسير الهوة بين هذين العالمين الموجودين في إسرائيل؟؟ اعتقد أن الرد سلبي.

لقد اكتشفنا، فيما بعد، أن السلام مع منظمة التحرير، أسهم في تعميق شقة الخلاف بين أولئك الذين آمنوا بإمكانية وأهمية قيام علاقات جديدة بين إسرائيل القوية والقادرة على مواجهة المستقبل والجيران، وأولئك الذين يعتقدون أن العداء الخارجي حقيقة، ستبقى قائمة، وأن مصلحة إسرائيل، تكمن ليس في الوقوف موقف الحذر فقط، بل أيضا في الشكوكية الدائمة والمتطرفة تجاه جيراننا. لكنني قدرت أن غالبية الإسرائيليين، يرغبون في السلام وسوف يؤيدوننا. أما السؤال الذي كان يقلقني فهو إلى أي حد ستصل ردود فعل المعارضين؟.

ووجدت لدي انطباعا من معالم السلام التي بدا أنها أخذت تبرز في أوسلو، يشير إلى أن نزاعا داخليا إسرائيليا سيقوم لا محالة، وذلك على أرضية السؤال الذي كان دائما وأبدا بمثابة الحد الفاصل بين اليمين واليسار، والقائل: هل يجب على إسرائيل الحديثة أن تتعاون مع جاراتها من خلال إمكانية المصالحة والتسوية–مثلما أمل ديفيد بن غوريون ؟؟ أم أنه يجب عليها مواصلة العيش خلف" الجدار الفولاذي" الذي دعا إليه زئيف جابوتنسكي"؟؟

وأدركت أن نجاح محادثات أوسلو سيؤدي إلى انهيار: الجدار الفولاذي"، وبالتالي فإن المسيرة السلمية، لن تكون فقط، نضالا حاسما تجاه الفلسطينيين، بل أيضا تجاه أنفسنا.

وعلى أية حال، فإن الفلسطينيين سيجتازون وصفا مماثلا، ففي الوقت الذي سيبدو فيه السلام بالنسبة للبعض كخشبة النجار، فإنه سيبدو في أعين البعض الآخر كخنوع. ومن المنطقي، أن يحاول الرافضون ممارسة الإرهاب ضدنا في

محاولة لتحدي عرفات ووضع حد لاستسلامه لإسرائيل. أي أن السلام سيثير في أوساط الفلسطينيين صراعا حول الهوية، تماما مثلما سيفعل بالإسرائيليين وسيضطر الطرفان للشروع بشن حرب داخلية شديدة من أجل إنجاح السلام. ورغم كل ذلك آمنت إيمانا مطلقا، بأنه آن الأوان كي نبدأ المسيرة.

عدت إلى مكتبي لإعداد وثيقتين، الأولى تحت عنوان" اتجاهات عمل مقترحة لمواصلة المفاوضات"، والأخرى تحت عنوان" إجمال شخصي" يقوم على أساس العناوين التي سجلتها لنفسي بينما كنت في ضيافة لاريسون.

وسجلت في هذه الأوراق، انطباعاتي حول قدرة منظمة التحرير في اتخاذ القرارات، وحول استعداد زعامتها للمصالحة. وقلت:" لقد أتيحت لنا فرصة كي نسير خارج أطر كامب ديفيد ومؤتمر مدريد، وأن نصل إلى اتفاق تدريجي، يبدأ بغزة، مع وقف الأعمال العدائية والإرهابية التي تشنها منظمة التحرير، وخلق تعاون اقتصادي، حتى قبل التوقيع على اتفاقية حكم ذاتي كاملة.

وتأسيسا على ذلك، اقترحت التحرك على مسارين متوازيين:" المسار الأول في واشنطن، من أجل الحفاظ على الصورة الخارجية، والمسار الثاني: في أوسلو، على أن نحرص، نحن والنرويجيين، بإطلاع الولايات المتحدة على مجريات الأمور، والتطورات، واقترحت أيضا، أن يتم إدراج التسويات الأمنية في وثيقة إعلان المبادئ وأن تتم الإشارة صراحة، إلى أن المستوطنات ستبقى في مكانها. بيد أنه يجب علينا أيضا أن نتخذ قرارا، حول ما سنعرضه على الفلسطينيين، بشأن التغيير الفوري على أرض الواقع، وما الذي يتوجب علينا أن نطالب به مقابل ذلك. واقترحت أيضا، إشراك مستشار قضائي في المفاوضات.

تفحص بيرس الوثيقتين، ووافق على إشراك مستشار قضائي- يوآل زينجر -الذي أوصى به شلومو جور مدير مكتب بيلين. والذي كان آنذاك، يعمل في واشنطن، في الشركة القضائية ذائعة الصيت" سيدلي آند اوستين"، والذي شارك في جميع المفاوضات الإسرائيلية المهمة التي جرت منذ كامب ديفيد.

اقترح بيرس تطبيق الحكم الذاتي أولا على غـــزة، فـــي نفـــس الوقـــت الـــذي يتم فيه نقل قيادة منظمة التحرير إلى هناك. في حين أعربـــت أنـــا وبيليـــن وآفـــي عـــن شكنا فيما إذا كان عرفات سيجد أن من الصـــواب تحمـــل مســـئولية غـــزة علـــى كـــثرة مشاكلها. وتساءلنا عن كيفية استيعاب الجمـــاهير الإســـرائيلية للجـــار الجديـــد؟؟ بيـــد أن بيرس كان مصرا على رأيـــه.

لقد أمل بـــيرس، ســـنوات طويلـــة، فـــي أن يكـــون الملـــك الحســـين شـــريكا لإسرائيل، في حـــل المشـــكلة الفلســـطينية، بـــل وتوصـــل عـــام ١٩٨٧-إبـــان شـــغله لمنصب وزير الخارجية في حكومة الوحدة الوطنيـــة- إلـــى تفـــاهم مـــع الحســـين فـــي لندن، ذلك التفاهم الذي عرفته العامة باسم (اتفاقية لندن)، علـــى عقـــد مؤتمـــر دولـــي- على غرار المؤتمر الذي تم عقده فيما بعد في مدريـــد- وعلـــى أن يلعـــب الأردن فيـــه دورا رائدا في حل المشـــكلة الفلســـطينية، بيـــد أن رئيـــس الحكومـــة، آنـــذاك، اســـحق شامير، تمكن من إحباط هذا الاتفاق، وقـــام الحســـين فيمـــا بعـــد، وفـــي ذروة انـــدلاع الانتفاضة، بفك الارتباط مـــع الفلســـطينيين.

لقد رأى بيرس، في محادثات أوسلو، نقطة تحول تاريخيـــة. لقـــد رغـــب فـــي إحداث تغيير في الوضـــع الراهـــن، ليـــس كصـــورة تكتيكيـــة سياســـية، بـــل كخطـــوة استراتيجية، لخلق مصالح مشتركة مع شـــريك جديـــد.

كان بيرس قادرا علـــى رســـم مســـتقبل أفضـــل بمصطلحـــات حاســـمة جـــدا، مبديا بذلك كفاءة وقدرة نادرتين، وسط أمة تعيـــش أســـيرة رؤيـــة قاتلـــة مـــن العـــداء الأبدي.

كانت منظمة التحرير، بوضعـــها الضعيـــف انـــذاك، قابلـــة لإحـــداث عمليـــة التغيير الجذرية، وبدا الزمن ناضجا تماما، لتقبل الحســـم التـــاريخي، ولـــم يبـــق ســـوى شيء واحد، وهو إقناع شخص واحد ووحيد، وهو رئيـــس حكومـــة إســـرائيل.

قطع اسحق رابين وشمعون بـــيرس زمنـــا طويـــلا مـــن العمـــل، فـــي ظـــل منافسة شديدة جدا ومتواصلة وفقدان ثقة أحدهما بالاخر، لقـــد كانـــا نقيضيـــن كـــاملين. فقد كان رابين محللا حـــذرا للواقـــع، وشـــديد التعلـــق بالتفـــاصيل ويحـــرص عليـــها

حرصاً بالغاً، في حين كان بيرس صاحب ذهنية موسوعية عالمية. يرى عبرها التاريخ بمصطلحات في صورة مسيرات، وينجذب انجذاباً شديداً جداً، باتجاه المستقبل. وقد غذت هذه التناقضات في شخصيتهما من العداء والخصومة بينهما. وفجأة برزت أوسلو، التي تعتبر بمثابة الفصل النهائي في علاقتيهما.

تم الاتفاق بين بيرس ورابين، عندما شكل رابين الحكومة، صيف ١٩٩٢، على أن يهتم بيرس بالمفاوضات متعددة الأطراف، في حين اختار رابين أن يدير بنفسه، المفاوضات الثنائية، التي تعتبر أكثر أهمية. وقد توصل الاثنان، حتى ذلك الحين، إلى تفاهم أساسي آخر.

ولا زلت أتذكر ما قاله بيرس إثر الزيارة التي قام بها لرابين في منزله، بعد انتهاء الانتخابات في محاولة لوضع علاقاتهما على مسار عمل جديد، حيث قال:" قلت لرابين، لقد أصبحنا، نحن الاثنين، في السبعين ونيف، وطيلة حياتنا كنا مختلفين في وجهات نظرنا، دعنا نضع خلافاتنا جانباً، ونعمل معاً بالأسلوب الوحيد الذي يمكنه أن يجلب السلام إلى هذه البلاد، إننا قادران على اتخاذ القرارات المطلوبة لصنع السلام. إننا قادران على تجنيب أولادنا العبء الذي نرزح تحته، ونمنحهم فرصة محورة جهودهم، حول الأوضاع الاقتصادية. والثقافة، والقضايا الاجتماعية".

وافق رابين على الطرح الذي وضعه بيرس، واتفق الاثنان على إبرام نوع من الاتفاق السري. وأنا اعتقد أنه لولا إقدام بيرس على هذه الخطوة، لحيل دون خوض دولة إسرائيل معركة من هذا القبيل، والتي تتسم بشروخ وانقسامات عميقة في أوساط الجماهير الإسرائيلية حولها، مثل معركة الاعتراف بمنظمة التحرير والتصالح معها.

أصبح رابين في صورة ما يحدث في أوسلو منذ اللقاء الأول هناك. ففي التاسع من شباط، أعلمني بيرس أنه عقد اجتماعاً مهما مع رابين، أطلعه خلاله على فحوى ما دار في أوسلو، وشجعه على خوض المفاوضات مع منظمة التحرير. وقد بدا رابين، في البداية، متشككاً، لكن حينما لاحظ التغييرات التي

طرأت على منظمة التحرير، بدأ يقتنع، بصورة تدريجية. ورغم ذلك، كان رابين يجد سحرا أكثر جاذبية في المسار السوري بالتنسيق مع الولايات المتحدة، فقد ألهب خياله الطابع الاستراتيجي الكامن في هذا المسار، في حين بدأ بيرس يؤمن بضرورة التمسك بالمسار الفلسطيني بغية التوصل إلى تسوية تاريخية مع منظمة التحرير، واعتبر هذا الطريق بمثابة الطريق الوحيد لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام.

ومنذ اللحظة التي اقترح فيها انتقال ياسر عرفات من تونس إلى غزة، اصبح الاعتراف المتبادل بين الجارين، مسألة مطلوبة، باعتبار أن هذا الاعتراف، هو الجسر الذي سيعبر عليه السلام الشامل في المنطقة.

وفي الوقت الذي عكف فيه رابين على اختبار مدى جدية نوايا الفلسطينيين، عمد بيرس إلى إثارة خيالهم، والإيحاء لهم عبر تحديد المصالح المتبادلة الأوسع.

كان رابين مصرا على إحراز تقدم، بيد أنه كان لا يزال أسيرا لوضع العداء القائم مع الفلسطينيين، هذا في حين كان بيرس يعيش وضع ما بعد العداء. كانت الشراكة بين بيرس ورابين، شراكة إرغام، بيد أن الاثنين كانا يشكلان معا قوة هائلة.

وإثر اتخاذهما قرار الشروع بالمفاوضات السرية الرسمية مع منظمة التحرير، اشترك الاثنان في اتخاذ جميع القرارات ذات العلاقة بالمفاوضات، وجميع التساؤلات التي طرحت أثناءها.

ورغم ذلك، كادت قاطرة المفاوضات في أوسلو تنحرف عن قضبانها، قبل انطلاقها.

ففي أعقاب عودتي من أوسلو، سلم بيرس إلى رابين الوثائق التي أعددتها، وقد وافق رابين فورا على استدعاء يوآل زينجر –الذي كان يكن له تقديرا كبيرا جدا– من واشنطن إلى إسرائيل للتشاور. بيد أن رابين عاد وتفحص الوثائق، وبعث رسالة غاضبة إلى بيرس، بشأن مقابلاتي في أوسلو، وبشأن النقاط

العشر التي أعددتها. فقد شك في أن أكون قد طرحت النقاط المذكورة أمام منظمة التحرير.

بدا بيرس مذهولا من التحفظ الذي أبداه رابين، وأكد في رسالة خطية:" أنني لم أناقش النقاط المذكورة مع ممثلي المنظمة في أوسلو". بيد أن بيرس شعر، بعد ذلك، بالارتياح، نظرا لان رابين احتج على عملي دون ايلائي الصلاحيات اللازمة، وليس على طبيعة النقاط. وهكذا، ورغم أن محادثات أوسلو، ظلت حتى ذلك الحين سرا من الأسرار، الا أنها أصبحت جزءا من السياسة الرسمية.

وصل يوآل زينجر من واشنطن وتوجه للعمل فورا، وخلال اجتماعنا المشترك في مكتب بيلين، وجه عدة أسئلة حول الصيغة المقترحة لإعلان المبادئ. وبدا زينجر حادا جدا، وتناول إحدى الوثائق الموضوعة على الطاولة، ولوح بها بغضب، وقال: ما هذه؟؟ هذه ليست مسودة اتفاق، أنها لا تعدو كونها كومة من اللغو.

ذهلت من عدوانيته، واقترحت عليه أن يعد هو بنفسه مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه رفض ذلك رفضا مطلقا، وطلب أن تعرض على الفلسطينيين اولا سلسلة من الأسئلة بغية استيضاح مواقفهم. وهكذا تم إعداد قائمة تضم حوالي مائة سؤال. وقد احتلت هذه الأسئلة جل الوقت، خلال اللقاء التالي الذي أجريناه مع ممثلي المنظمة.

وافق رابين وبيرس على عودتي إلى أوسلو ومعي زينجر، بيد أنهما طلبا منا الانتظار حتى الإعلان عن استئناف المفاوضات في واشنطن.

وقد استؤنفت المفاوضات في السادس عشر من حزيران، حيث أظهر الوفد الفلسطيني خلالها أسلوبا أفضل من الأسلوب الذي انتهجه سابقا.

ورغم ذلك، تشدد الوفد بالمطالبة بإدراج القدس في اتفاقيات الحكم الذاتي. وهكذا كان عرفات يلوح لنا، بأن التقدم إلى الأمام لن يكون الا من خلال التفاوض مع منظمة التحرير ومع أبو علاء في أوسلو.

وقبل عودتي إلى أوسلو، تذكرت ما قاله لي أبو عــــلاء، عندمـــا تنزهنـــا معـــا في الغابة وحدنا:" لقد سمعنا عنك الكثير سبير، ونحن نعـــــرف أنـــك وصديقيـــك يوســـي بيلين وحاييم رمون تتحدثون باسم جيل جديد، ونحن نعلـــق عليكـــم آمـــالا كبـــيرة. لقـــد خيب أخوتنا العرب آمالنا، ونحن –أبو مازن وأنـــا– توصلنـــا إلـــى اســـتنتاج مفـــاده، أن من الجائز أن يكون (أبناء عمومتنا) الإســـرائيليين هـــم أفضـــل الشـــركاء للتقـــدم إلـــى الأمام. وأريدك أن تعرف بأننا منخرطـــون فيمـــا ســـيصبح-حســـب إحساســـي-شـــراكة حقيقيـــة".

لقد تمنيت هذه اللحظة، منذ زمن طويـــــل، ووجدتنـــي أرغـــب فـــي أن أقـــول له ذلك:" أصدقائي وأبناء عائلتي يعتقدون منذ زمن طويل، أنـــــه يجـــب علينـــا التحـــاور معكم. وقد أقنعت الانتفاضة، العديد من الإســـرائيليين، بـــأن مـــن المســـتحيل أن نتمكـــن من السيطرة عليكم إلى الأبد. إسرائيل هـــي روايـــة نجـــاح كبـــيرة، بيـــد أن الاحتـــلال يسهم في تدمير نفوس أبنائنا، ونحن نرغب في التخلص منـــــه بصـــورة لا تـــترك لدينـــا أي شكوك بشأن أمننا، وأنا آمـــل أن تتمكـــن مـــن زيـــارة إســـرائيل بســـرعة، لرؤيـــة أصدقائي والتأكد مما أقوله لـــــك".

وبعد لحظة قصيرة قال أبو علاء:" بيتـــي فـــي أبـــو ديـــس، وأمـــي توفيـــت، وأبي مريض، واراضينا صودرت لاقامة مســـــتوطنة عليـــها".

قلت له: هل تريد أن تزور والدك؟؟ هل تريـــــد أن أنقـــل لـــه رســـالة منـــك؟؟ فقال لي بلهجة فخورة:" لا، سأزوره حينما أتمكن من العـــودة إلـــى بيتـــي" بيـــد أن أبـــو علاء لم يحظ برؤية والده، الذي توفي بعد ذلـــك بســـنة، بســـكتة قلبيـــة، بعـــد أن رفـــع دعوى إلى المحكمة كي تعيد لـــه أرضـــه.

قلت له: أنا أستطيع أن أتفهمك، فقد توفـــي أبـــي أيضـــا، ولا شـــك أنـــه كـــان سيسعد بلقائك وأنا أرغب في أن اقدم لك نسخة مـــن مقالـــة كتبـــها عـــام ١٩٨٥ حـــول ضرورة إجراء حوار من النوع الـــذي تجريـــه الان.

وحينها، ولأول مرة نـــاداني أبـــو عـــلاء باســـمي الشـــخصي، وقـــال لـــي:" أتدري أوري، لدي إحساس بأننا سننجح". فقلت له:" وهـــذا أيضـــا إحساســـي".

الفصل الثاني

خارطة طرق أوسلو

السرية رافقت المفاوضات حتى التوقيع

زينجر: إذا لم نتوصل إلى إتفاق مع هؤلاء سنكون حميراً

لم تسر الأمور في أوسلو بعد ذلك بسهولة، فقد اتسمت في غضون الأشهر الثلاثة التالية بالشدة والإرهاق، وعندما كانت المفاوضات تصل إلى طريق مسدود، كان هذا الطرف أو ذاك، يوقف المفاوضات نهائياً، وكانت تراودنا منذ البداية، مخاوف بأن يتم اكتشافنا. وفي الثاني عشر من حزيران، وعندما سافرت، أنا ويوآل زينجر لأول مرة معاً، وقع لنا حادث محرج في مطار كوبنهاجن، فقد وجدت أمامي فجأة الضابط الإداري في السفارة الإسرائيلية، في الدنمارك(يوسي الفسي) والذي أتى لاستقبال فريق كرة القدم الإسرائيلي، وقد سر باللقاء والحديث معي. وقد بادرني بالسؤال "إلى أين تسافر"؟ فقلت بهدوء" إلى أوسلو"، قال "لماذا"؟ فأجبته:" أريد أن أزور شقيقتي هناك". والحقيقة هي أن شقيقتي تسكن في فيلادلفيا.

كان الوضع شديد الحساسية، وكل تسريب لوسائل الإعلام، يمكن أن يخرب المحادثات والتي جرت دون معرفة حكومة إسرائيل، باستثناء رئيس الحكومة رابين، ووزير الخارجية بيرس، ونائبه يوسي بيلين.

وفي نفس الليلة، كانت بانتظارنا مفاجأة أخرى، فحال وصولنا إلى أوسلو قدم لنا(يان أجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، تقريراً لوكالة الأنباء الفرنسية، حول محادثات سرية تجري بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين من منظمة التحرير في النرويج، وبدا النرويجيون شديدي التأثر. وشاء حسن طالعنا، أن يعقد اجتماعاً مغلقاً في أوسلو، فقام النرويجيون بتحويل أنظار وسائل الإعلام

إلى هذا الاجتماع. الذي خصص لإجراء أبحاث، حول جذور النزاع الإسرائيلي العربي، وليس لحلها.

جعلتنا هذه الحادثة، نبذل جهداً أكبر، على صعيد بناء (روايات تغطية) لسفراتنا السبع إلى أوسلو، وقد أثارت سفراتي المتكررة الشكوك لدى موظفي وزارة الخارجية، ولم تفد رواية الاتفاقيات الاقتصادية شيئا، لذا، روجنا شائعة تفيد بأنني أجري اتصالات مع مبادرين من الخليج، وهذا الأمر يتطلب الحفاظ على أقصى درجات السرية.

وخلال سفرياتنا المتواصلة والطويلة، تمكنت أنا وزينجر من رسم استراتيجية المفاوضات التي سننتهجها. وعندما كنا نصل إلى أوسلو، كنا نحن والفلسطينيين، نتمازح حول الأساليب التي اتخذها كل منا لتضليل من قد يحاول اقتفاء أثره. وكنا خارج غرفة المفاوضات، خلال تناول وجبات الطعام، وأثناء الجولات التي نقوم بها، وساعات الاستراحة، نثرثر بصورة جعلت لاريسون يطلق علينا اسم"منتدى أوسلو".

كانت لقاءاتنا تجري بصورة عامة على بعد عدة ساعات سفر من أوسلو، في أماكن مريحة، وفي ظل أجواء ريفية رائعة. وكانت وجبات الطعام تغص بكل ما لذ وطاب، والغابات الجميلة كانت تغوينا للقيام بنزهات ثنائية وإجراء محادثات غير رسمية. وقد خصص النرويجيون مبلغ خمسة ملايين دولار لتغطية نفقاتنا. ومثلما هو الأمر في مثل هذه اللقاءات السرية، فقد طورنا فيما بيننا قاموسا خاصا على أساس الطرف التي كنا نتبادلها والتي انخرطت في ذاكرتنا

وذات مرة روى لنا أبو علاء رواية مضحكة، فقال: توفت زوجة رجل كبير في السن، بعد زواج دام خمسين عاما، وقد امتلأ المنزل بالمعزين، الذين أخذوا يؤمون البيت في الأيام الأولى، ويتناقصون تدريجيا، حتى وجد نفسه ذات يوم وحيدا، فأخذ يتجول في أنحاء البيت ويقول: أنا وحدي، أنا وحدي، ورويداً رويداً أخذ يغني الكلمتين حتى أصبحت شبه أغنية.

ولا زلت أتذكر منظر أبو علاء وهو يدور حول نفسه ممثلا ذاك الرجل، ويرقص، مما أثار في أوساطنا عاصفة من الضحك. ومنذ ذلك الحين اعتدنا استهلال اتصالاتنا الهاتفية بالقول:" أنت وحدك"؟ وعندما رويت لبيرس القصة، قال لي:" كتب شاعر هندي ذات مرة بيتاً من الشعر يقول:" أنت وحدك وأنا وحدي، دعنا نكون وحدنا معاً".

بيد أن الخصوصيات التي كنا نتبادلها، والمزاح لم تتسرب إلى مفاوضاتنا.

لقد بدت محادثاتنا المكثفة، والتي كانت تصل إلى حوالي خمسين ساعة فأكثر كل جولة، لا يقطعها سوى ساعتين أو ثلاث للنوم، أو لتناول وجبة نرويجية غنية- كلعبة شطرنج مارثونية، مليئة بالمكائد، والخدع، ومناورات لفت الأنظار، بعيداً عن المقاصد.

وكانت المواجهات أحيانا، وحشية، والأزمات التي كانت تنشب، تكاد أن تدمر كل شيء. وكثيرا ما كان الثور يعبر عن نفسه في ضحكة رنانة مدوية، وأحيانا كان أحدنا يضغط الآخر، حتى يصل إلى مرحلة الغليان.

كانت مشاعر العداء الماضية، والمشاعر التي نتمنى أن تسود بيننا في المستقبل تختلط اختلاط الحابل بالنابل في نفوسنا. وكان الطرفان يتحليان ويتسمان بنفس عوامل الدفاع: الشكوكية، السخرية، وحب النكته، والشعور العميق بالاضطهاد التاريخي.

قلت ذات مزة لأبو علاء:" هل تعرف لماذا لا نحبكم؟؟ لأنكم تذكروننا بأنفسنا".

-أبو علاء: بالضبط هذه هي المشكلة أيضا بالنسبة لي.

-أنا: ربما كان ذلك يرجع لأننا ننتمي إلى شعبين عانيا الكثير.

-أبو علاء: وربما لأنكم ونحن، قد جئنا من نفس المكان. لم يكن أبو علاء لينسى للحظة، أو ليسمح لي أن أنسى أننا- نحن الاثنين- من القدس.

لقد كانت طبيعة المفاوضات بيننا-نحن الطرفين- متشابهة إلى حد بعيد، ففي جولتي المحادثات اللتين أجريتا خلال الفترة الواقعة بين ١٤-١٥ من حزيران، و ٤-٦ من تموز، وجه كل طرف للطرف الآخر مجموعة من التساؤلات لاستيضاح موقفه.

وفي اليوم الذي وجه فيه، يوآل زينجر قائمة المائة سؤال لأبو علاء، أدرك أبو علاء أنه يقف أمام اختبار اسحق رابين، لأنه كان يعلم أن رابين يصغي لأقوال زينجر، وأنه طلب منه أن يقدر فرص وإمكانية التوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير. وقد جعل هذا الوضع أبو علاء يجيب عن الأسئلة بأناة وصبر ويضبط نفسه إلى أقصى حد، رغم الغضب الذي كان يجيش في صدره-كما خيل إلي- من أسلوب ولهجة زينجر، التي تميل إلى التحقيق. وقد جاءت الأسئلة والأجوبة على النحو التالي:

-زينجر: بأيدي من سيكون مصدر الصلاحيات في الضفة الغربية وغزة؟

-أبو علاء: ستنتقل بصورة تدريجية إلى أيدينا.

-زينجر: هل فكرتم في جهاز سلطة؟ جهاز، أو جهازين؟؟

-أبو علاء: نحن نطالب بصلاحيات تنفيذية وتشريعية.

-زينجر: وماذا بشأن إعادة الانتشار؟؟.

-أبو علاء: يجب أن يطبق على جميع المناطق المأهولة بالفلسطينيين في البداية، ويجب عليكم أن تخلوها قبل أن تجري انتخاباتنا.

-زينجر: وماذا بشأن مسائل الانسحاب الأخرى؟؟

-أبو علاء: يجب أن تنسحبوا إلى مناطق أمنية محددة.

س: وما الوصف الذي سيمنح لهذه المناطق؟؟ أنا أفترض أنك تدرك أن الجيش الإسرائيلي هو الذي سيحدد أماكن إعادة انتشاره في الضفة الغربية؟؟

-أبو علاء: وأنا أفترض أنكم لن تتخذوا قراراً ينص على أن الضفة الغربية هي منطقة أمنية.

وهكذا، تواصلت الأسئلة طيلة اليومين الأولين للقـــاء، وطيلــة ثلاثيــن ســاعة تقريبا، مما ساعد زينجر في بناء فكرة تحدد اتجــاه منظمـــة التحريـــر.

شعرت بالخشية من الانطباع الذي أثــاره زينجــر فــي أوســاط الفلســطينيين. فقد كنتُ أفضل دائما أسلوب الإقناع كوســيلة مجديــة لإنجــاز الأهــداف. بيــد أننــي سرعان ما أدركت أن لدى زينجر أسلوبه الخاص، وأنـــه يجيــد عمليــة خلــق الثقــة. وعلى أية حال فقد تأثر زينجر خلال هذا اللقاء من عمق وجدية محادثيه.

وفي أعقاب اللقاء طرنا إلى(فينا) لتقديم تقرير إلـــى بــيرس، الــذي قــدم إلــى المدينة للمشاركة في مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنســـان. وفــي الطريــق قــال لــي زينجر أنه مقتنع بأن هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق مع منظمــــة التحريــر، بيــد أنــه أهاب بي كيلا نبدي حماسا خلال تقديم التقريـــــر لبـــيرس.

كان زينجر، مثله مثل الكثـــيرين، يعتقــد أن "شــبيبة بــيرس متلــهفون أكــثر مما ينبغي لمعانقة العدو- هذا رغم أنه غير رأيــــه فيمــا بعــد، واعتبرنــا مــن أشــد المفاوضين الإســـرائيليين.

عندما عاد بيرس إلـــى غرفتــه، وجدنـــا بانتظـــاره، فقـــال بصــوت مرتفـــع:" كيف سارت الأمور يا زينجـــــر"؟؟

-زينجر: إذا لم نتوصل إلى اتفاق مع هؤلاء الأشـــخاص ســنكون حمــيرا.

-أنا: يا إلهي كيف تبدو عندما تكـــون متحمســـا.

*** *** ***

مكنت الإجابات التي قدمها أبـــو عـــلاء علــى الأســئلة التــي وجــهت إليــه، والمسودة التي أعدها الفلسطينيون بالتعاون مـــع هيرشــفيلد وفونــدك، مكنــت زينجــر من إعداد الصيغة القضائية لإعلان المبادئ. وفي الوقـــت الــذي انشــغل فيــه بــإعداد الإعلان، قمت أنا بإعداد تقديراتي للوضع، كي أقدمـــها لبــيرس وبيليــن. وقــد قمــت بإعداد هذه الوثيقة في مقصف الفندق الذي يـــنزل فيــه بــيرس، وعلــى بعــد طاولــة واحدة من فاروق الشرع وزير الخارجية السوري، وقـــد تقــابلت نظراتنـــا، فحيــا كــل

منا الآخر بهزة رأس دون أن تكون لديه فكرة عمن أكون، ولم يكن يعلم أنني أكتب ما يلي:

" لا شك لدي في أن الفلسطينيين يسعون لاقامة دولة مستقلة، ويخيل إلي أنهم يفضلون إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن، مع تطوير مصالح مشتركة مع إسرائيل. وهم معنيون بتوجه عرفات إلى المناطق، وهدف عرفات يتمثل في نزع سلاح حماس. وفي نفس الوقت، بأنهم يخشون من إدارة الحكم الذاتي، ويدركون أنهم سيكونون مرتبطين بالتعاون مع إسرائيل. وهم شديدو الحساسية تجاه الرأي العام الفلسطيني، بيد أنهم لا يكنون الكثير من التقدير للزعامة المحلية التي تدير المفاوضات في واشنطن". اعتدت خلال زمن المفاوضات أن أتقاسم مع بيرس مشاعري وأحاسيسي تجاه الفلسطينيين. وقد قلت له ذات مرة: لقد أخطأنا جميعا بالإدعاء أننا خبراء في الشئون العربية بشكل عام، والشئون الفلسطينية بصورة خاصة. فكلما أكثرت من الالتقاء بشركائنا الفلسطينيين، كلما اكتشفت أننا ربما نعرف الكثير جدا عنهم، بيد أننا نفهمهم قليلا.

لقد أخطأت إسرائيل بتجاهلها للشعب الفلسطيني. فعندما بدأنا المفاوضات مع عرفات كنا نعتقد اعتقادا جازما بأن الفلسطينيين سيقبلون كل ما نمليه عليهم دون أي اعتراض، وهو الأمر الذي حال دون رؤيتنا لضرورة العمل من أجل إحلال السلام بين الشعبين. فعرفات هو حقا زعيم ورمز، بيد أن السلام معه ليس بالضرورة سلاما مع الفلسطينيين. وقد عبر أبو علاء عن هذه الحقيقة بالقول مرات عديدة:" إذا أنجزتم سلاما مع عرفات أو معي، واعتبرت الجماهير الفلسطينية هذا السلام غير منطقي، فإن هذا السلام لن يصمد أبدا، يجب عليكم أن تتذكروا أن الفلسطينيين كلهم جيرانكم". بيد أنني لم أعرف انذاك، فيما إذا كان أبو علاء يقول ذلك من أجل إحراز مكسب تكتيكي أم أنه كان يقصد حقا ما يقول. ولربما أن أبو علاء قال ما قال، كمحاولة لتقليدنا، ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين تعاملوا دائما مع طرحنا لمسالة الخلافات العميقة المستشرية في أوساط المجتمع الإسرائيلي، حول السلام، وكأنها طرح تكتيكي يقصد به إحراز

مكاسب سياسية، بيد أنهم اضطروا لتغيير تفكيرهم فـــي الرابـــع مـــن تشـــرين الثـــاني ١٩٩٥، في أعقاب اغتيال رئيس الحكومة اســـحق رابيـــن.

تضمنـــت مســـودة يـــوآل زينجـــــر - الخاصـــــة بـــــإعلان المبـــــادئ- قسمين: الإتفاقية نفسها، ومذكرة حـــول قضايـــا متفـــق عليـــها، والتـــي كـــانت بمثابـــة تفسير مشترك وملزم لبعض البنود الأكـــثر تعقيـــداً.

وقد أضاف زينجر إلى ذلك توصيات شخصية تتعلـــق بـــإبرام اتفـــاق مفصـــل حول الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير. فقـــد كـــان مثلـــي تمامـــاً قلقـــاً من حقيقة أننا نمنح منظمة التحرير شـــرعية حيـــن نتفـــاوض معـــها، دون أن نطالبـــها بتغيير النظرية التي قامت عليها، والتي تنص على نفي حـــق إســـرائيل فـــي الوجـــود، والذي اعتبرناه بمثابة لب النزاع الإسرائيلي-العربي. وبنـــاءً علـــى ذلـــك قـــدم يـــوال زينجر إلى رابين مسودة إعلان المبـــادئ مصحوبـــة بتوصيـــات شـــخصية بضـــرورة التوصل إلى اتفاق حول الاعتراف المتبـــادل بيـــن الطرفيـــن. وقـــد رد رابيـــن علـــى ذلك بحذر بالغ، حيث صادق على مسودة إعلان المبادئ، بيـــد أنـــه تـــرك لنـــا حريـــة جس النبض و التحري بشأن اتفاقية الاعـــتراف المتبـــادل.

وفي حواراتنا معه، أصر رابين علـــى مســـألة واحـــدة وأكـــد علـــى ضـــرورة توضحيها للفلسطينيين بصـــورة لا تقبـــل الجـــدل، وهـــي: التـــأكيد علـــى أن إســـرائيل ستكون صاحبة الحق الوحيدة في ضمـــان أمـــن مواطنيـــها والدفـــاع عنـــهم، ضـــد أي تهديد خارجي. وقـــال: إذا رفـــض الفلســـطينيون هـــذا المطلـــب، يمكنـــهم أن ينســـوا الاتفاق برمتـــه.

سافر زينجر إلى أوسلو في الســـابع والعشـــرين مـــن حزيـــران وحـــده- مـــن أجل عرض مسودة اقتراح إعـــلان المبـــادئ- علـــى الفلســـطينيين، وكنـــا نـــدرك أن الفلسطينيين سيجدون من الصعـــب هضـــم هـــذه المســـودة. ولـــهذا الســـبب، حـــرص زينجر على إيضاح وجهة نظرنا بأناة وصـــبر. وكمـــا حـــرص زينجـــر،علـــى إفـــهام الفلسطينيين، بأن اسحق رابين كان مســـروراً مـــن تقريـــره، وأنـــه بـــدأ ينخـــرط فـــي

المفاوضات.وألمح إليهم بشأن الاعتراف المتبادل، بيد أنهم فضلوا عدم التطرق إليه.

وفي رحلتنا اللاحقة إلى النرويج، في الرابع من تموز، عرضنا على الفلسطينيين المسودة الرسمية المكتوبة لإعلان المبادئ، والتي تطرقت إلى مسار تدريجي، ينص على إقامة حكم ذاتي في غزة وأريحا، ثم إبرام اتفاقية تسوية مرحلية تنتهي بتطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وفي الختام إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

وقد تم تسليم الفلسطينيين الوثيقة والتي تم إعدادها على ورق عادي، لا يحمل أي إشارة رسمية لإسرائيل-كي يدرسوها. وحال عودة الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات بدا ردهم متشددا جداً. وانفجر حسن عصفور قائلا: لقد ألقينا أشهر العمل الطويلة السابقة في صندوق القمامة، وها نحن نبدأ كل شيء من الصفر"

خشي الفلسطينيون من أن الحكم الذاتي الذي عرضناه عليهم، ليس سوى عرض صوري. لا يمنحهم أي صلاحيات حقيقية، وذلك على عكس الوثيقة التي تم التوصل إليها، مع فوندك وهيرشفيلد.

والحقيقة هي أن الامر كان أقل من ذلك بكثير، فقد قبل الفلسطينيون خلال محادثاتنا التفصيلية مبدأ(التدريج) والذي يبدأ من الحكم الذاتي في غزة وأريحا، وقد وافقنا على إدراج أريحا في المرحلة الأولى من الحكم الذاتي. وأوضحنا للفلسطينيين، ما كانوا يعرفونه أصلاً، بأن المفاوضات الحقيقية الملزمة، ستبدأ الان، بيد أن الاحتجاجات تواصلت، حتى قرر أبو علاء وقف الجدل، غير المجدي، والتعقيب على النص نفسه.

Draft of July 3, 1993

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinians, represented by the Palestinian team in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference (the "Palestinian delegation), agree to the following principles:

Article I

PREAMBLE

1. Israel and the Palestinians agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict and achieve historic reconciliation and peaceful coexistence.

2. In order to accomplish these objectives, in line with the invitation to the Madrid Peace Conference, the aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is to establish interim self-government arrangements for the Palestinians in the West Bank and the Gaza Strip for a transitional period of five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.

3. The agreed framework for the interim self-government ~~arrangements~~ is set forth in this Declaration of Principles ~~below~~.

הטיוטה המשפטית הראשונה שהוגשה לנציגי אש״ף באוסלו ב־4 ביולי 1993

(הכוללת הערות שנכתבו בהכשא״וכתן).

المسودة القانونية الاولى التي قدمت لممثلي المنظمة بتاريخ

٤-٧-١٩٩٣

قال أبو علاء:" أرى أنكم تتشددون بشكل خـاص فـي مجـال الأمـن، وهـذا مقبول لدى الرئيس عرفـات".

ولا شك أن التطرق إلى الصلاحيات في المسودة، كـان بمثابـة إلماحـة إلـى الاستعداد للعمل معاً. وقد بدا في الأيام الثلاثة التاليـة، وحتـى السـادس مـن تمـوز، أننا فعلاً بدأنا نتقـدم إلـى الأمـام. وقـد وافقنـا علـى تضميـن المسـودة تحفظـات الفلسطينيين بين قوسين، ثم كـان علينـا أن نـرد علـى تسـاؤلات عرفـات وإشـباع فضوله. وقد أطلعنا أبـو عـلاء علـى عـدة أوراق مغطـاة بملاحظـات وتسـاؤلات عرفات بخط يده بالقلم الأحمـر. اسـتهل أبـو عـلاء تسـاؤلاته قـائلا:" مـن الـذي سيسيطر على المعابر الحدوديـة؟"

-يوآل زينجر: نحـن.

-أبو علاء: كم ستكون مساحة منطقـة أريحـا؟؟

-زينجر: نحن نعتبر هذه المنطقة رمزيـة فقـط.

-أبو علاء: هل ستوافق إسرائيل على إجراء دوريات مشـتركة علـى طـول الحـدود بين قطاع غزة ومصـر؟؟

-زينجر:لا، كل ما يرتبط بأمن إسرائيل الخارجي سيبقى بيـن أيـدي إسـرائيل.

س: كم عدد رجال الشرطة الذين سيكون بمقدورنا إحضـارهم مـن الخـارج؟؟

-زينجر: يجب أن نتوصل إلى اتفاق حول ذلك، وفقـا للتقديـرات الأمنيـة.

-أبو علاء: أنا أتفهم ذلـك، لكـن يجـب أن تتذكـر أن هدفنـا هـو التعـاون وليـس الفصل، كما أننا ملزمون بالدفاع عـن اقتصادنـا.

-أنا: دون أمن لن يكون هناك أي تطويـر اقتصـادي".

-أبو علاء: ودون تطوير اقتصادي لن يكون هناك أي صورة مـن صـور الأمـن.

كان من الواضح أننـا لا زلنـا فـي البدايـة، وفـي مرحلـة الاسـتيضاحات، رغم أننا تميزنا بكون الوثيقـة الموضوعـة علـى طاولـة المفاوضـات هـي وثيقـة إسرائيلية، مع اعتراضات فلسـطينية.

وخلال الجولة التالية، وخلال يومي١١-١٢ من تموز، جاء دور الفلسطينيين المجتمعين معنا في فندق (هالفسبوله) القريب من أوسلو، كي يقدموا موقفهم الأولي للانطلاق. وقد استهل أبو علاء هذا الموقف بقراءة رسالة من عرفات، كان يوجهها إلى القيادة الإسرائيلية عبرنا، وقد جاء فيها: "لقد بلغت هذه المحادثات المتفردة الجارية بيننا، مرحلة جديدة الآن، لقد لاحت لنا فرصة تاريخية في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي، وعلى أكتافنا، يلقى عبء العمل من أجل عدم إضاعتها هباء".

هذا، وقد كرس عرفات جل الرسالة لطرح المطالب الفلسطينية الجديدة، حيث طالب بالانسحاب الفوري والكبير من غزة وأريحا. وقال:" يجب أن تأخذوا بعين الاعتبار الرأي العام الفلسطيني، لذا، هناك أهمية كبيرة جدا لتواجد الزعامة الفلسطينية في تونس- أي عرفات نفسه- في المنطقة التي ستنسحبون منها بهدف مواجهة احتمالات قيام المجموعات المتطرفة المهتمة بتخريب اتفاقية السلام الجديدة، من خلال نشاطات بهذا الصدد.

ويجب إجراء انتخابات في القدس، وإيجاد السبل الكفيلة بمنح "تعبير" للمؤسسات الفلسطينية في القدس".

وأكد عرفات في رسالته أيضا، أهمية الضمانات الدولية، والوساطة الخارجية، وبذلك يكون عرفات قد تنكر للوعود، التي حصلنا عليها منه، في أيار بهذا الصدد. مما جعلني أعبر عن احتجاجي الشديد.

وفي أعقاب توقف أبو علاء عن القراءة، قلت:"نحن نقدر رسالة الرئيس الفلسطيني، بيد أنكم تتراجعون عن المواقف الأساسية التي طرحتموها. ونحن لن نقبل التفاوض بهذا الأسلوب. وبمقدوركم إعلام الرئيس عرفات بذلك فورا".

وسرعان ما بدا لي" أن الاحتجاج الشديد الذي طرحته كان مجديا، ففي نفس الليلة، بعث عرفات رسالة جديدة بالهاتف عبر أبو علاء، أكد فيها نيته التوصل إلى اتفاق، وقال: أن الرسالة السابقة التي بعث بها كتابة، عبر أبو

علاء، ترمي فقط، للإعراب عن نواياه الحسنة وطرح عدد من القضايا التي تثير قلقه.

وهكذا، ففي الثاني عشر من تموز أصبح لدى كل طرف صوره عامة عن مطالب الطرف الآخر، كما تم توضيح المعايير الأساسية للمفاوضات. وقامت إسرائيل ومنظمة التحرير. بمناقشة خارطة طرق مستقبلية للضفة الغربية وقطاع غزة، واللتين تتراوح مساحتهما حول_٦٢٠٠)كيلو متر مربع-(الضفة ٥٦٠٠) وغزة(٣٦٠)كيلو مترا مربعاً.

واتفق الطرفان على أن افضل الصيغ لاعادة بلورة العلاقات فيما بينهما، تتمثل في التقدم على مراحل-بيد أن كل طرف رغب في ضمان مزايا لنفسه، من خلال التفكير في التسوية الدائمة. ووفقا لذلك كان الإصرار الإسرائيلي على الاحتفاظ بصلاحيات معينة، نظراً لإدراكنا أنها ستؤثر على مصالحنا على المدى البعيد- مثل السيطرة على الموارد المائية-.

كان همنا الوحيد، وأكثر الأمور الحيوية بالنسبة لنا، هو الأمن. وتمثلت مشكلتنا في رغبتنا في التخلص من عبء الاحتلال، وفي نفس الوقت القدرة على مواصلة الدفاع عن المواطنين الإسرائيليين، وتوفير الأمن لهم، بمن فيهم عشرات آلاف المستوطنين في الضفة والقطاع.

ولهذا السبب، أصر اسحق رابين على أن تكون إسرائيل مسئولة بالكامل عن أمن الإسرائيليين، وعن الأمن الخارجي لمناطق الحكم الذاتي المستقبلية.

طالبت منظمة التحرير أن نعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ونتعهد بتطبيق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن الدولي في أعقاب حرب ١٩٦٧، والذي يدعو إسرائيل إلى الخروج من (مناطق احتلت) خلال تلك الحرب، مقابل إحلال سلام دائم. كما طالبت منظمة التحرير بأن يكون للحكم الذاتي ذراعان: تنفيذي وتشريعي، وأن تتحكم سلطة الحكم الذاتي بمعظم السيطرة داخل مناطقها، وناضل المفاوضون نضالاً عنيفاً، من أجل إحراز مكانة للسلطة الفلسطينية في القدس- مثل منح مواطني القدس الشرقية حق الترشيح لمجلس

الحكم الذاتي" ورغبوا في خلق مسار لاعادة نازحي عام ١٩٦٧ خلال التسوية المرحلية. وتطلعوا للحصول على نصيب في السيطرة على جسر الملك حسين الواقع على نهر الأردن. وذلك على افتراض أن يصبح نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة فلسطينية مستقبلية.

وأرادت منظمة التحرير أيضا، أن تحتفظ ببقاء خيار التحكيم الدولي كضمانة لتطبيق الاتفاقية.

كانت غالبية هذه النقاط غير مقبولة لدى إسرائيل. وكانت هناك ضرورة لتطوير استراتيجية مشتركة تقوم على رغبة الطرفين في الاعتراف المتبادل بالأمن والازدهار الاقتصادي وتسوية القضايا محل الخلاف بما يتلاءم مع المصلحة الأساسية للتعاون بينهما. كان هذا التفكير هو الاختبار الحقيقي للمفاوضات بيننا، فلو أن الاستراتيجية المشتركة والمأمولة، تمكنت من السيطرة على الطرفين، فلا شك أن المفاوضات ستندفع قدما بسرعة فائقة، أما إذا لم يحدث ذلك، فسوف ندور مطولا حول أنفسنا في حلقة مفرغة.

حددت محادثات أوسلو أيضا، التوجه التكتيكي الأساسي من الطرفين للمفاوضات، بدءا من مرحلة جس النبض التي أردنا من خلالها استيضاح ماهية المصالح المشتركة للطرفين.

ورغم أن هذه المرحلة من المحادثات، لم تكن مرحلة مفاوضات كلاسيكية، الا أنها كانت مرحلة حرجة للغاية، نظرا لأننا حددنا خلالها الأهداف الأساسية التي تطلعنا إلى إنجازها. فالاتفاق هو بمثابة (بوصلة) تشير إلى اتجاه محدد وواقع جديد، فإذا كان الاتجاه الذي يشير إليه الاتفاق، غير قابل للتطبيق، من وجهة نظر أحد الطرفين، فإن ذلك يعني، أن هذا الاتفاق لا قيمة تذكر له.

لقد كان بيرس هو صاحب فكرة انتقال عرفات إلى غزة، وقد ناقش ذلك خلال محادثاته مع الرئيس المصري حسني مبارك، في تشرين الثاني١٩٩٢، وكذلك ناقشها فوندك وهيرشفيلد مع أبو علاء إبان مناقشة قضية التعاون بين الطرفين ومغزى ذلك.

لقد قـــامت المباحثـــات الخاصـــة بـــإعلان المبـــادئ علـــى عـــدة افتراضـــات رئيسية تتمثل فيمـــايلي:

إن إسرائيل ومنظمة التحرير تدخـــلان عـــهداً جديـــداً مـــن تعـــاون المصـــالح، وأن التعبير عن هذا التعاون ســـيتمثل فـــي قيـــام حكـــم فلسـطيني ذاتـــي فـــي غـــزة وأريحا، مع مسئولية إسرائيل عن أمنها، والـــذي ســـيجد تعبـــيره فـــي عمليـــة ســـلام إقليمية. وإن تقدم المسيرة سيأتي تدريجيا حتـــى تصـــل إلـــى التســـوية الدائمـــة، التـــي ستقوم على مصالحة تاريخيـــة.

وفي المرحلة الثانية، يختار كل طـــرف- بصـــورة عامـــة- أن يبـــدي مرونـــة كدلالة على حسن النوايـــا، ولدفـــع الطـــرف الآخـــر للكشـــف عـــن بعـــض مواقفـــه الحقيقية. وهذا ما حدث في الجولتيـــن الأوليـــن فـــي أعقـــاب انضمـــام زينجـــر إلـــى المحادثـــات.

أما في المرحلة الثالثـــة، فتبـــدأ الصداقـــة والعلاقـــة الـــودود فـــي الاهـــتزاز، عندما يقوم أحد الأطراف- إسرائيل في أوسلو- بطـــرح موقـــف البـــدء، الـــذي يعـــتزم الانطلاق منه صراحة، ويحاول إقناع الطرف الآخر، بـــأن هـــذا الطـــرح هـــو أفضـــل ما يمكن أن يقدمه، بل وأنه الطرح الوحيد الذي لا يوجـــد غـــيره، وفـــي هـــذه الحالـــة، يكشف الطرف الآخر عن مواقفه، وتبدأ عمليـــة المســـاومة الحقيقيـــة.

وتميل المساومة في البداية إلى أن تكون مضنية وبطيئـــة وذلـــك نظـــراً لعـــدم استعداد الطرفين للكشف عن خطـــوط المرونـــة المســـتعدين للتنـــازل إليـــها، أو حتـــى الاعتراف بوجود مثل هذه الخطوط. ويسفر هـــذا الوضـــع عـــن ولادة أزمـــات، يقـــوم كل طرف بتوجيه إصبع الاتهام خلالها، إلـــى الطـــرف الآخـــر، ويتهمـــه باللامنطقيـــة ويؤكد أن آخر الاقتراحات التي قدمها، هـــو آخـــر الحلـــول، وأن البديـــل ليـــس ســـوى انهيار الحوار. وفي غالبية الاحيان، ما تنتهي الأزمـــات بالاعتمـــاد علـــى الثقـــة التـــي تم تطويرها بيـــن الطرفيـــن، والتـــي تتيـــح لـــهما إمكانيـــة الكشـــف عـــن (الخطـــوط الحمراء) الحقيقية التي يضعانها لأنفســـهما. وحينـــها فقـــط، تبـــدأ عمليـــة المســـاومة،

ويعود الطرفان لتبني مصلحتـــهما المشـــتركة، واللجــوء إلـــى طـــرح أفكـــار خلاقـــة ومبدعة، بغية التوصل إلى اتفاق لم يتوقعه أي منـــهما منـــذ البدايـــة.



١ – أوري سبير وأبو علاء خلال المحادثات في ايلات حول التسوية المرحلية – آب ١٩٩٥.

(حالات المد والجزر في المفاوضات)

عرفات حرص على العودة إلى الذاتي لمعالجة المعارضة

عملية يوم الحساب لم تؤثر على مسار المفاوضات

يبدو تقدم المفاوضات في ظـل الواقـع، ليـس مخططـا، نظـرا لأن القـائمين عليه يصطدمون بالعديد من المشـاكل، إضافـة إلـى التغـيرات فـي الواقـع، والتـي تؤثر على سير المفاوضـات.

وديناميكية المفاوضـات تتـأثر أيضـا بوسـائل الإعـلام والنشـاطات التـي تبديها، وباستخدام الأطراف الثلاثـة، ومـن التنـازلات الوهميـة والحلـول الكاذبـة، ومن مختلف المناورات والألاعيب الأخرى، لـذا، فـإن المفاوضـات المعقـدة تتطلـب من كل طـرف، التحديـد الواضـح والدقيـق للأهـداف والمصـالح بعيـدة المـدى. وإدراك واضح لما هو حيوي، وما هو غير مجد، وقـدرة علـى التفريـق بيـن الغـث والسـمين.

ومثل هذه المفاوضات، تحتاج أيضا إلى قـدرة وأنـاة للتفكـير فـي المشـاكل على صورة:"كتلة"، وإجراء أعمال جذرية بصـورة منهجيـة.

وخلال محادثات أوسلو، قام المتفاوضون أنفسـهم بـإدارة الأعمـال الجذريـة بالتعاون مع يوسي بيلين. وآفـي جيـل وشـلومو جـور، وبتوجيـهات مـن بـيرس ورابين. ومن الجدير بالذكر، أنه عندما كان رابين وبـيرس يلتقيـان كنـا نقـول: لقـد التقى رئيس الحكومة بوزراء الدفاع والخارجية والماليـة ورئيـس الأركـان والسـفير في واشنطن ونائب وزير الدفاع، وجميـع المنـاصب الأخـرى التـي شـغلها الاثنـان طيلة حياتهما السياسـية.

واتضـح لنـا أيضـا أن السـرية هـي شـرط ضـروري لنجـاح المعركـة السياسية، وطيلة السنوات الثلاث مـن المفاوضـات، والتـي تمخضـت عـن ثـلاث اتفاقيات، لم يتسرب أي شيء جوهري. أضـف إلـى ذلـك، أن السـرية هـي مفتـاح

العمل المشـــــترك بين الأطـــراف، إضافـــة إلــى جدواهــا الكبـيرة، فـي بنــاء الثقة بين المفــاوضين.

لقد بقيت القاعدة السرية، التي تم العمـــل بــها فـي.أوسـلو، علـى مـا هـي عليه، منذ ربيع عام ١٩٩٣، وحتـى التوقيـع علـى اتفاقيـة التسـوية المرحليـة فـي أيلول ١٩٩٥.وعملنا بها أيضــا تجـاه الأمـيركيين وتجـاه المصريــين. وكــان ذلـك نتاجا للايمان، بأن على أولئـك الذيـن حكـم عليـهم بالتعـايش المشـترك سـوية، أن يقرروا بأنفسهم، كيفية عمل ذلك، وتحمل مســئولية قرارهـم.

وفي غضــون الفــترة اللاحقـة، لعبـت الإدارة المركزيـة دورا رئيسـا فـي المسيرة. بما يتلاءم مع العلاقة الجديدة التـي أنشـأناها مـع منظمـة التحريـر، كمـا سارعت إلى تقديم شبكات الحماية، كلما بـــرزت مشـكلة عويصـــة فـي حاجـة إلـى حل، وبتقديم المساعدات الاقتصادية للفلسطينيين. هـــذا فـي الوقـت الـذي لـم تـول الولايات المتحدة مفاوضات أوسلو، طيلــة الأشـهر السـبعة الأولـى مـن بدئـها أي اهتمام.

ويرجع السبب في ذلك، إلى أن الفطنـــة والحنكـة الأميركيـة كانتـا تشـيران إلى أن فرص التوصل إلى سلام مع سورية أكـبر، وأكـثر أهميـة.

ورغم ذلك، بذل طاقم السلام الأمـيركي بقيـادة روس، جـهودا كبـيرة لدفـع المفاوضات في واشنطن مع الفلسطينيين إلــى الأمـام. وفـي الثـامن والعشـرين مـن الشهر نشر هذا الطاقم صيغتـــه لإعـلان مبـادئ مقلـص، بيـد أن الاقـتراح الـذي عرضه كان أقل مما اعتقدنا أن بمقدورنا إنجازه فـــي أوســلو، أضـف إلـى ذلـك أن قسما لا يستهان به من بنود الاقتراح- وعلـى وجـه الخصـوص تلـك البنـود التـي تطرقت إلى العلاقة بين التسوية المرحلية والدائمـــة- متعبـة ومثـيرة للمشـاكل، مـن وجهة نظرنـا.

وحرصنا علـى إطـلاع المصريــين أيضـا، بيــن الفينـة والأخـرى، علـى مجريات الأحداث، وعلى رأسهم الرئيـس المصـري ومسـاعدوه وقـد عقـد أسـامة الباز، مساعد الرئيس مبارك اجتماعه مـــع رئيـس الحكومـة رابيـن، فـي حزيـران

إضافة إلى أن عرفات، كان يستعين بخبرة المصريين، بصورة دائمة ويتشاور معهم. والحقيقة هي أن المصريين كانوا للفلسطينيين بمثابة الأخ الأكبر.

وفي أعقاب لقاء الباز برابين، سارع إلى إعلام الفلسطينيين، بأن رابين ملتزم بمسار أوسلو.

ولم يكتف النرويجيون بمكانة الرعاية بل عملوا على دفع المسيرة نفسها إلى الأمام. ففي الثاني عشر من تموز، توجه وزير الخارجية هولست وزوجته مريانة، وتاري لاريسون وزوجته مونه إلى تونس، فيما أسموه بالدمج بين زيارة عمل واجازة خاصة. وكان هدفهم الرئيسي يتمثل في الاجتماع بعرفات. وفي أعقاب المحادثة المطولة التي أجروها معه، توجه لاريسون وزوجته للقاء شمعون بيرس، حاملين معهما رسالة من هولست حول ما أسفرت عنه محادثاته مع عرفات.

وفي البداية، عمد عرفات إلى إخراج مسرحية كبيرة بحضور مساعديه، فوجه شجباً إلى الولايات المتحدة، على محاباتها لإسرائيل. بيد أن النرويجيين وجدوا في عرفات، في اللقاء الثاني الذي أجراه معهم، بحضور -أبو علاء فقط- شخصاً مختلفاً، وواقعياً، وقد تحدث بارتياح عن التقدم الذي تم إحرازه في أوسلو، وأثنى على ضيوفه، والجهود التي بذلوها من أجل ذلك.

وأطلعهم على خارطة تفصيلية لمنطقة الحكم الذاتي في غزة، والمنطقة الواسعة التي حصل عليها في أريحا، والطريق الواصل بين المنطقتين. وسجل على خريطة- تم نقلها إلينا فيما بعد- نظريته حول أريحا. وفي محاولة لتبرير مطلبه الخاص بمنحه منطقة واسعة في أريحا، أكد عرفات على عدم وجود مستوطنات، حول أريحا، أو أي أماكن مقدسة لليهود. وأكد أيضا، أنه كلما كانت المناطق الخاضعة له أوسع، كلما تمكن من كبح جماح أولئك الذين سيسعون لإثارة الشغب.

وعزا عرفات أهمية كبيرة لحقيقة أن عليه، هو بالذات، أن يتوجه إلى مناطق الحكم الذاتي، كي يتمكن- مثلما قال- لمعالجة حركة حماس.

وقال: أنه إبان تواجده في بيروت كان قادرا على إحداث شروخ في أوساط المعارضة التي قامت ضده، وأنه سيعود إلى ذلك مجددا، في الضفة الغربية. إن فكرة فرق تسد هي إحدى طباع عرفات.

أعرب لاريسون وزوجته مونه، عن اعتقادهما بأن عرفات يرغب حقا في إنجاز السلام. وقد تحدثا عنه بمزيج من الاحترام والسخرية، الامر الذي ساعدنا في فهم هذا الرجل، زعيم منظمة التحرير الذي اتخذ جميع القرارات الصعبة وحده.

وخلال مأدبة العشاء التي أقامها بيرس، على شرف لاريسون وزوجته في فندق(لاروم) في القدس، أعرب عن ثقته بأن إحراز السلام مع الفلسطينيين، سيبشر بولادة عهد جديد للشرق الأوسط كله. وطلب من الضيفين أن يوضحا لعرفات بصورة لا تقبل الجدل، أن هناك ثلاث قضايا ليست واردة بالحسبان، إطلاقا:

- توسيع مناطق الحكم الذاتي بأي صورة من الصور باتجاه القدس.
- توسيع مساحة المنطقة الممنوحة له في أريحا.
- منح معبر مستقل-خارج السيطرة الإسرائيلية للفلسطينيين بين غزة والضفة الغربية، وقال:"إذا أصر عرفات على معارضة أي نقطة من هذه النقاط، فلن يتم إبرام أي اتفاقيات".

لقد اتضح لنا بصورة فجائية أن بيرس يتحدث بصراحة تامة رغم حقيقة أن النادل الذي قدم لنا الوجبة، هو فلسطيني الجنسية- وقد لاحظ يوسي بيلين نظراتي، وهي تتحرك باتجاه النادل، بيد أن بيرس تجاهل ذلك. ولحسن الحظ، فإن النادل لم ينتبه لما نقول.

ومع عودة لاريسون، حمله بيرس رسالة إلى هولست، ضمنها الخطوط الحمراء آنفة الذكر وفي العشرين من تموز أطلع هولست عرفات على فحوى الرسالة. فعاد عرفات، ليؤكد على المسائل المهمة بالنسبة له، والمتمثلة في الأهمية التي يدليها للمعبر بين غزة وأريحا، وبين أريحا والأردن، وأبدى حماسا

بالغا، وهو يتحدث عن ضرورة عودته إلـــى غــزة، وحــاول أن يبـدو وكأنـــه شـديد الإخلاص، في تجسيد المصالح المشتركة، ووافــق علــى ضــرورة تسـريع المسـيرة السلمية، واغتنام الفرصة الســانحة.

وفي الرسالة التي بعث بها هولست فيما بعــد إلــى بـيرس، قــال: أن عرفـات أكد له، أن منظمة التحرير جــاهزة لإجمــال المفاوضــات والتوقيـع علــى الاتفاقيــة، وأن الإرجاء، أكثر من ذلك سيفضي إلى فقدان السيطرة مـــن أيدينــا جميعــا.

الطرفان بحاجة إلى السلام، ويجـــب علينــا أن نتوصــل إلــى حلــول، يجــب على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يتعلموا كيفيــة التعــايش معــا.

*** *** ***

أدت مســاهمة هولســت فــي توضيــح المواقــف للطرفيــــن، والحـــوارات الجماعية التي أجراها مع بيرس، فيما بعد، إلــــى وضــع الأســس لجولــة المحادثــات التالية بين الرابع والعشرين والسادس والعشرين مـــن تمــوز.

كانت مسيرة أوسلو قد وصلت إلى لحظــة الحقيقــة، وجئنــا إلــى المفاوضــات ونحن نتوقع حدوث تقدم سريع، وفي نفوسنا اســتعداد كبــير للتســوية، وســرعان مــا اتضح لنا أن علينا أن نستيقظ من هذا الحلم، فقـــد عــاد الفلســطينيون ليؤكــدوا علــى مواقفهم من خلال وثيقة كاملة وجديدة تماما. ورغـــم وعودهــم بــالتقدم إلــى الأمــام، فقد بدا لنا أنهم تراجعوا عـــن المواقــف التــي سـبق لنــا أن جذرناهــا معــهم. فقــد تجاهلت وثيقتهم الوثيقة التي قدمناها إليهم في الرابـــع مـــن تمــوز. وطــالبوا بتواجــد عشرة آلاف شرطي فلسطيني في غزة وأريحــا، وســيطرة فلســطينية علــى المعــابر الحدودية، وانســحاب إســرائيلي مــن غـــزة فــي غضــون ثلاثــة أشــهر، وإجــراء مفاوضات لتحديد حجم كل انسحاب إسرائيلي جديـــد. وقــد تحــدث الفلســطينيون فــي هذه الوثيقة، لأول مرة، عن منظمة التحرير كشريك لنــــا فــي المفاوضــات.

ورغم أن مثل هذا الأسلوب في المفاوضــات، لــم يكــن غريبــا بالنســبة لــي، الا أنني رددت عليه بالقول:" أبـــو عـــلاء... أنــك تتنكــر للتفــاهم الــذي ســبق أن أحرزناه، وإذا ما أطلعنا رابين وبيرس على هــذه الوثيقــة، فــإن ذلــك ســيعني نهايــة

هذه المباحثات، فإما أن نعود لمناقشة وثيقة السادس من تمـــوز – والتـــي أضفنـــا إليـــها معارضة الفلسطينيين في السادس من تموز، وإمـــا أن تنتـــهي المباحثـــات.

ثم خرجت من الغرفة، وسرعان ما لحق بي أبـــو عـــلاء، وطلـــب أن نتحـــدث أنا وهو على انفراد–مثلما اعتدنا أن نفعل مـــرات عديـــدة يوميا••وقـــال:" لا نتجـــاهل وثيقة السادس من تموز، والمواقـــف التـــي نطرحـــها مفتوحـــة للنقـــاش، أمـــا إذا مـــا تجاهلتم الوثيقة التي نقدمها إليكم، فلن نستطيع العـــودة إلـــى تونـــس".

اقترحت أن نعود إلى وثيقة السادس مـــن حزيـــران، وأن نـــدرج فـــي إطارهـــا مطالبهم الجديدة. وهكذا كرسنا في هذه المباحثات التـــي جـــرت، نهايـــة شـــهر تمـــوز، أكثر من يومين في محاولة للعثور على حل وســـط بيـــن تفـــاهم الســـادس مـــن تمـــوز وبنود الوثيقة الفلسطينية الجديـــدة.

كانت حواراتنا مكثفة جدا، ناقشنا خلالـــها الحلـــول المطروحـــة طيلـــة خمـــس وخمسين ساعة دون توقف؛ بل إن الأنباء التـــي وصلتنـــا مـــن إســـرائيل حـــول شـــن إسرائيل حرب "يوم الحساب" على لبنان، لم تـــؤد إلـــى وقـــف المباحثـــات. ولـــم يبـــد الفلسطينيون اهتماما لما يجري فـــي لبنـــان، وركـــزوا جـــل اهتمامـــهم علـــى الوثيقـــة الماثلة أمامـــهم.

انضم إلى المفاوضات محمد أبو كرش، والذي حل محـــل مـــاهر الكـــرد. وقـــد قدمه أبو علاء بأسلوبه الفكاهي خلال جولـــة المباحثـــات الســـابقة عندمـــا وقـــف فـــي باب غرفة الاجتماعات، وقـــال:"الإرهـــابي القـــاتل ذو الســـمعة الســـيئة محمـــد أبـــو كرش" وآنذاك دخل إلى الغرفة شخص قصير القامة خجـــول، قـــدم نفســـه علـــى أنـــه أحد ممثلي منظمة التحرير في الأمم المتحـــدة فـــي جنيـــف. وعندمـــا حـــاولت معرفـــة ما حدث للكرد، رد علـــي أبـــو عـــلاء باختصـــار وإيجـــاز:" لا تســـأل كثـــيرا". وقـــد علمنا، فيما بعد، أن الكرد، لم يتوخ السرية التامة، وباح بقليـــل ممـــا يعـــرف، لـــذا تـــم إرساله إلى كندا، بيد أنه عاد إلـــى تونـــس فيمـــا بعـــد، واصبـــح مستشـــارا اقتصاديـــا للرئيس الفلســـطيني.

أبديت اهتماما خلال الأيام الثلاثة اللاحقة بأحد المفاوضين القدامى- حسن عصفور، فقد شعرت بالدهشة، من شبكة العلاقات التي طورها مع زينجر، والتي تختلف-بمفهوم معين- عن العلاقة القائمة بيني وبين أبو علاء. لقد كان زينجر وعصفور ذوا جذور عميقة كل في مجتمعه، مما أحدث بينهما في البداية الكثير من الصدامات، بيد أنهما اعتادا، فيما بعد، تطوير لغة مشتركة وقد بدأ زينجر يقدر عصفور، كإنسان مستقيم وذكي، والذي طرأ لديه تغيير عميق في طبيعة تعامله مع إسرائيل. ولم يكن يجيد التعبير عن نفسه بالانجليزية، بيد أن عينيه أشارتا إلى التغيير الذي طرأ عليه، من الاحتقار الذي كان يكنه للمفاوضين الإسرائيليين الجالسين أمامه، إلى فضول متزايد، بل وإلى قدر مفاجئ من المشاركة الوجدانية.

وبينما نحن نثرثر ذات يوم، بالقرب من الفندق، قال لي: بوصفه شيوعيا عسكريا وتلميذا لجورج حبش، فإنه اصطدم مرات عديدة مع عرفات، بيد أن وجوده في تونس، ودخوله في دائرة تأثير أبو مازن، جعله يتبنى مواقف أكثر اعتدالا تجاه إسرائيل.

وعندما جلسنا، وحاولنا تخيل قيام علاقات جديدة بين إسرائيل والفلسطينيين، قال لي:" هل تعرف.. لديكم أناس يفكرون بالأساليب القديمة: ولديكم أناس يفكرون بأسلوب العصر، إن جميع الإسرائيليين الذين قابلتهم هنا، يتطلعون نحو المستقبل، وهذا يشجعني على الإيمان بالسلام القائم على المساواة بيننا".

لقد قال لي ذلك، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات والتي تعتبر بمثابة الخيط الواهي الذي يربط بين الماضي والحاضر-تواجه فيه اختبارا صعبا

كان الفلسطينيون، آنذاك، قد أسقطوا من حسابهم، سلسلة من المطالب، بما فيها مطالبتنا بإجراء حوار حول كل انسحاب جديد إضافي، هذا إضافة إلى

وجود خلافات عميقة بيننا في البنود الستة عشر الأخرى، إلى الدرجة التي يصعب تجسيرها.

وفي ساعات ما بعد ظهر السادس والعشرين من تموز، قررنا إجراء محاولة لإنقاذ المحادثات وقد رفض الفلسطينيون مسألة مسئوليتنا الكاملة عن الأمن الإسرائيلي، في مناطق الحكم الذاتي. مما جعلنا ننتقل إلى مرحلة الصراخ وتبادل الاتهامات، بلهجة صارمة وحادة.

وقد صرخ أبو علاء قائلا:" أنتم تريدون أن تحتفظوا بالسيطرة الأمنية الكاملة، بيد أنكم لن تمنحونا كامل الصلاحيات المدنية ولن تعترفوا بحقوقنا الوطنية، وستبقون جميع المستوطنات في مكانها. وأنتم تلقبون ذلك بالحكم الذاتي؟؟ إن ما تصفونه بالحكم الذاتي هو في الحقيقة "لا شيء"، سوى الاحتلال بوسائل أخرى. إننا نفضل الانتظار عشر سنوات أخرى لإنجاز اتفاق منطقي".

وقد رددت عليه بالقول: أن كل ما تفعلونه هو أن ترفضوا، وترجئوا، إن التطرف لن يقودكم إلى أي مكان، ولن يحقق لكم أي إنجاز كان، لماذا لا تعترفون بالمسارات والقضايا التي نقدر على إدخالها إلى حركة الزمن؟؟ لماذا لا تدركون أنه، ومنذ اللحظة التي ستوقع فيها على الاتفاقيات، ونبدأ بنقل الصلاحيات، فإن العد التنازلي لبدء التسوية الدائمة سيبدأ؟؟ وحتى نبدأ هذا العد، فلن يكون بمقدوركم عمل شيء سوى الانتظار، -بل كلنا سننتظر قدوم المسيح، وستتواصل آلام الشعبين". بيد أن الفلسطينيين واصلوا الإصرار على آرائهم.

توقفت عن الصراخ، وشرعت في توضيح الصورة ببطء، قائلا:" لن نتخلى عن أمن الإسرائيليين، ولن ننصبكم مسئولين عن هذا الأمن، ما الذي يجعلنا نفعل ذلك؟ لقد حارب أحدنا الآخر مائة سنة، والآن فقط، شرعنا في بناء الثقة فيما بيننا. لن نعترف بحقوقكم الوطنية، لأن ذلك يعني قيام دولة فلسطينية، في حين، يجب علينا، أن نميز بين المحادثات التي نجريها حاليا، حول الحكم الذاتي، ومحادثات التسوية الدائمة في المستقبل".

تواصل الجدل والنزاعـــات، واتـــهمنا أبـــو عـــلاء بأننـــا نســـعى إلـــى إبقـــاء الاحتلال على ما هو عليه إلى الأبـــد.

وبدا فوندك، يعرب عن اســـفه البـــالغ لإضاعـــة الفرصـــة الكبـــيرة الســـانحة. أما زينجر، الذي كان يعزف عن الخوض فـــي أي جـــدل، لا علاقـــة لـــه بالمباحثـــات فقد جلس غارقا في مقعده مغمـــض العينيـــن، متظـــاهرا بأنـــه لا يســـمع شـــيئا ممـــا يـدور.

قررت إنهاء هذا الوضع، فقلت لأبـــو عـــلاء بصـــوت رســـمي:" أبـــو عـــلاء، يخيل الي أننا لم نعد نتقدم إلـــى الأمـــام، وأنـــا أقـــترح أن يقـــوم كـــل وفـــد بـــإعلام المسئولين عنه بنشوب أزمـــة".

حملق أبو علاء فـــي كومـــة الأوراق المطروحـــة أمامـــه. ثـــم بـــدأ يجمعـــها، بصورة منظمة، وكأنه يعتزم مغادرة القاعـــة، وبـــدأت، أنـــا أيضـــا، جمـــع حاجيـــاتي لأغادر القاعة، وحينها استدار بصورة فجائيـــة نحـــوي، وقـــال:" لحظـــة فقـــط، أود أن أدلي بتصريح شخصي"، وجلس في مقعـــده، وقـــال بصـــوت خـــافت:" أنـــا وزملائـــي نبذل جهودا مضنية من أجل التوصل إلى سلام معكـــم. ونحـــن علـــى اســـتعداد لتقديـــم تنازلات كبيرة، بيد أنني لم أعد أجـــد معنـــى لمواصلـــة هـــذه القضيـــة برمتـــها، لقـــد وصلنا إلى طريق مسدود وأنا لا أتـــهم أي إنســـان، بيـــد أننـــي لا أســـتطيع تقديـــم أي مساهمة بعد ذلك. ورغم أن هذه لحظة صعبة بالنســـبة لـــي، الا أننـــي أعلمكـــم بـــأنني سأستقيل من المفاوضات. وأبو عمـــار ســـيقرر، مـــن هـــو الشـــخص الـــذي ســـيحل محلي. وأنا آمل أن ينجح البديل في إحراز ما لم أتمكـــن مـــن إحـــرازه لأننـــي أؤمـــن بالاتفاق ، وسأكون على استعداد تام، لتقديـــم أي استشـــارة أو معونـــة لـــه، إذا رغـــب في ذلك أشكركم على التعاون، لقد كان التعـــرف عليكـــم شـــيئا ممتعـــا بالنســـبة لـــي، آمل لكم النجاح، وأن نلتقي فـــي المســـتقبل".

ساد الغرفة صمت شديد، وشاهدت دموعا فـــي عينـــي أبـــو عـــلاء وأدركـــت أن علي أن أرد بشيء ما. بيد أنني لم أكن أعرف بالضبط، مـــا إذا كـــان يقصـــد حقـــا ما يقول، أم أنه يقوم بعرض مسرحية؟؟ ولربما أنه هو نفسه لـــم يكـــن يعلـــم الحقيقـــة.

وعلى أية حال، فقد قال لي إحساسي الداخلي، أنه لا يجب علي بأي حال، أن ألين:

استهللت كلامي بالقول:" لقد جئنا إلى هنا لإجراء حوار، توطئة للتوصل إلى مصالحة، وكدنا نعتقد أن منظمة التحرير هي شريكنا في هذه المبادرة، لكن عندما نكشف عن الأوراق، سنجد أن منظمة التحرير تتهرب من اتخاذ قرارات واضحة. وأنا أحترم الجميع هنا، بيد أنني لا أفهمكم. هل تعتقدون أن أي مواطن فلسطيني في المخيمات سيغفر لكم رفضكم لتسلم المسئولية عن قسم من أبناء شعبكم، فقط بسبب خلافات على بعض الكلمات؟؟ لربما كانت منظمة التحرير أهم لديكم من الشعب الفلسطيني. ولربما أن أولئك الذين يقولون أنكم لا تفوتون فرصة لإضاعة الفرص السانحة، محقون في قولهم.

"أيضا نحن ارتكبنا أخطاء، ففي عام ١٩٧١ اقترح علينا الرئيس المصري أنور السادات تسوية مؤقتة في قناة السويس، بيد أننا رفضنا المبادرة، وفي عام ١٩٧٣ اندلعت الحرب، وعام ١٩٩٣، هو عام ١٩٧١ بالنسبة لكم. فبدلا من أن نتوصل إلى سلام في أوسلو، قد نجد أنفسنا بعد سنتين في خضم نزاع عنيف. "لقد شعرت في أعقاب مئات الساعات التي قضيناها في التفاوض معا، أنني أقدركم واحترمكم. وأنا أشعر بالأسف للقرار الذي اتخذته يا أبو علاء، وهو قرار خاطئ، بيد أنني سأحترمه، وباسمي وباسم زملائي أتمنى لك النجاح، ولا شك أننا سنواصل العمل مع البديل، الذي سيحل محلك".

بقي وجه أبو علاء مقطبا وجامدا كما هو، وحينها طلب هيرشفيلد أن يقول شيئا ما، واستهل كلامه بالقول: أنا وفوندك نعرفك منذ أشهر طويلة، وكنا نعتقد أننا سنتمكن من التوصل إلى اتفاق إلى حد كبير بفضلك. هذا يوم اسود، والتاريخ لن يغفر لنا، لقد ناضلت طيلة حياتي من أجل هذا السلام وها أنا أراه يفر من بين أصابعي، ولا يوجد هناك من يدري ما إذا كنا سنواصل السير على هذا الطريق أم لا، وربما ينجح غيرنا، وربما كتب علينا أن ننتظر زمنا طويلا آخر. ونحن لم نتواجد هنا، من أجل أنفسنا، بل من أجل شعبينا اللذين يستحقان

السلام والحياة الأفضل، بيد أننا نحبطهما، إن هذا اليوم هـــو أســوأ يــوم شــهدته فـــي حيـاتي".

أثرت كلمات هيرشفيلد فينا أبعد تـــأثير، لقـد قـال لنـا مـا الـذي ينتظرنـــا، وكان هو الوحيد القادر على فعل ذلك، وتوجـــهت جميـــع الأنظـــار إلـــى أبـــو عـــلاء، الذي بدا وجهه شديد التكدر والعبوس، ونهض على قدميـــه، وطلـــب مـــن زملائـــه أن يحزموا أمتعتهم، واتجـــه نحـــو بـــاب الغرفـــة دون أن ينبـــس ببنـــت شـــفه، ويتبعـــه المفاوضون الآخرون، دون أن يلقـــوا نظـــرة واحـــدة باتجاهنـــا، وســـرنا. نحـــن فـــي أثرهم .

وعلى مداخل المنزل، وجدنا لاريســـون وزوجتـــه مونـــه، ومعـــهما الحـــراس جالسون. كانت وجوهنا تعكس كل شـــيء وعندمـــا اقـــتربت مـــن لاريســـون تمتمـــت بهدوء: هذه المرة كل شيء قد انتـــهى.

***   ***   ***

لم أكن واثقا حقاً من أن الأمور آلـــت إلـــى الطريـــق المســـدود واتجـــهت إلـــى غرفة حاسوب (أف.آيه.أف.أو)، حيث كـــان فونـــدك يعمـــل علـــى إعـــداد مســـودات الأتفاقيات واحدة إثر الأخـــرى.

بدا زينجر– وهو الرجل الذي شهد أزمات لا حصـــر لـــها–هادئـــاً للغايـــة. لقـــد ساد بيني وبينه، تفاهم تام، حول التكتيك المتبـــع، فقـــد كنـــا نحـــن الاثنيـــن، مقتنعيـــن تماماً بأن هناك شيئاً أهم من إنجـــاز الاتفـــاق، ألا وهـــو إحـــداث تغيـــير فـــي نظريـــة منظمة التحريـــر.

شعرت، وأنا في طريقي إلى غرفة الحاســـوب بـــأنني بحاجـــة لإلقـــاء نظـــرة على مصدر المشكلة، على المسودة التي أعدهـــا زينجـــر بشـــأن الاعـــتراف المتبـــادل بين إســـرائيل ومنظمـــة التحريـــر ونســـخنا منـــها البنـــود الســـبعة المهمـــة بصـــورة مختصرة، ثم عمدنا إلى إجراء مقارنة بيـــن البنـــود الســـتة عشـــر، موضـــع الخـــلاف في إعلان المبادئ مع التنازلات التـــي احتفظنـــا بـــها للمرحلـــة النهائيـــة. ووضعـــت علامات على ثمانية بنود لا نستطيع تقديم أي تنـــازلات بشـــأنها، ومـــا كـــدت أنتـــهي

من ذلك، حتى دخل لاريسون إلى الغرفة وتوسل الـــي قـائلا:" اذهـب وتحـدث مـع أبو علاء إنه يجلس وحده في المكتبـــة.

-أنا: هل طلب أو وافق على التحـدث معـــي؟؟

-لاريسون: الحقيقة، هي أنني عرضت عليـه أن أرتـب لقـاء بينكمـا، فكـاد أن يلقـي بي خارج الغرفـة؟

ذهبت إلى المكتبة، فوجدت أبـو عـلاء جالسـا إلـى جـوار النـافذة مقطـب الجبين، وشديد العبوس. فبادرته بالقول: كيـــف حـالك".

-أبو علاء: الوضع سيء للغاية. الطرفان متصلبـان فـي رأيـهما، ولا يدركـان مـدى أهمية هذه اللحظة، وأنا لا أستطيع مواصلة الحوار علـى هـذا النحـو".

-أنا:" إذا كنت غير قادر على معالجة أعراض المرض، ربمـا يجـب عليـك أن تلجـأ لمعالجة جذوره، ما رأيـك فـي أن تجـري حـوارا حـول الاعـتراف المتبـادل بيـن منظمة التحرير وإسـرائيل؟؟

-أبو علاء:" ما الذي تقصـــده".

-أنا:" اطلب منك أن تسجل البنود السبعة التالية"، ثم أخـذت أقـرأ البنـود مـن الورقـة التي معـي:

أولا: حق إسرائيل في الوجود بـأمن وسـلام.

ثانيا: قبول قراري مجلس الأمـن الدولـي ٢٤٢، ٣٣٨.

ثالثا: حل النزاع بالطرق السـلمية.

رابعا: حل الخلافات في وجهات النظر عـبر المفاوضـات.

خامسا: التخلي عن الإرهـاب.

سادسا: وقف الانتفاضـة.

سابعا: إلغاء بنود الميثاق الوطني الداعيـة لتصفيـة إسـرائيل، أو التـي تتنـاقض مـع المسيرة السـلمية.

" إذا ما نجحت في إقناع الرئيس الفلسطيني بقبول هذه البنود، فسأحاول إقناع رابين وبيرس بالاعتراف بمنظمة التحرير، والشروع بحوار علني معها ومع عرفات كرئيس للمنظمة، وليس كرئيس فلسطيني".

–أبو علاء:" سأنقل ذلك إلى عرفات".

–أنا:" أرجو أن توضح له أنني أفعل ذلك على مسئوليتي، وأنني بحاجة إلى مصادقة رابين وبيرس. واقترح عليك أيضا– وهذا أيضا بمبادرة مني– أن تقنع عرفات بالرد على البنود الثمانية التالية في إعلان المبادئ، وإذا ما وافق عليها، فسأحاول إقناع زعمائنا بإبداء مرونة بشأن البنود الثمانية الباقية". ثم عمدت إلى توضيح البنود الثمانية المهمة بالنسبة لإسرائيل، والتي تتضمن المسئولية الإسرائيلية الكاملة، على أمن الإسرائيليين، والاحتفاظ بصلاحيات مدنية معينة والسيطرة على المعابر الحدودية.

–أبو علاء:" أنا على استعداد للمحاولة، رغم أن ذلك سيكون صعبا".

–أنا: سيكون ذلك أيضا صعباً بالنسبة لنا، بيد أنها ستكون –ربما– الفرصة الأخيرة للتوصل إلى اتفاق. وأرجو أن تبعث لي رداً بواسطة لاريسون، سواء أكان الرد إيجابيا أم سلبيا. ولا اعتقد أن هناك هامشاً زمنياً قد تبقى لدينا للمساومة.

فوارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركي سيقوم في غضون الأيام القليلة القادمة بزيارة للمنطقة، ومن الجائز أن يتم تحريك المسار السوري، مثلما يفضل الأميركيون".

فهم أبو علاء إلماحتي، وأدرك أنني أمارس عليه ضغطا، بيد أنني أيضاً، أخاطر بالإعراب عن الاستعداد لإبداء مرونة فيما يتعلق بالبنود الثمانية الباقية، التي لم أشر إليها–مثل الاعتراف بالحقوق السياسية للفلسطينيين، وانتقال الزعامة الفلسطينية إلى المناطق المحتلة–.

(التوقيع بالأحرف الأولى)

بيرس احتفل بميلاده السبعين مع بشائر التنازلات الفلسطينية

واشنطن أهملت أوسلو ووجدت في المسار السوري قبلة السلام

لقد أدرك، أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يدور فيما بيننا، الا بفضل الثقة التي بدأ كل منا يوليها للآخر، تلك الثقة الناجمة عن اعتقادنا، بأنه رغم جميع الحيل والألاعيب التي تمارسها، فإن هناك في نفسنا توقاً شديداً، لإحراز السلام. وكنا ندرك أيضاً أننا سنكون بحاجة في المستقبل لهذه الثقة، كي تخدمنا، لذا لم يكن هناك أي سبب يجعلنا لا نضعها على المحك العملي.

طلبت من زينجر الانضمام إلينا، كي نستعرض معاً البنود الستة عشر موضع الخلاف. وقد سلط زينجر الأضواء على البنود التي تحتاج من الفلسطينيين إلى تقديم تنازلات، وقد بدا أنه يتحلى بقدرة فائقة على طرح ذلك بصورة مباشرة ومزخرفة، تلك القدرة التي ساعدته في العديد من المرات، على إقناع محادثيه، بأن التنازلات تتساوق مع مصالحهم. أضف إلى ذلك أن الفلسطينيين كانوا يثقون به، فقد رأوا فيه مفاوضاً شديداً، وفي نفس الوقت منطقياً للغاية.

وفي نهاية النقاش، نهض أبو علاء من مقعده، وحذرنا بلهجة جدية للغاية، قائلا:" أوضحوا لزعمائكم، انهم إذا لم يتقدموا إلى الأمام، فلن تكون هناك إمكانية لإحراز الاتفاق". وبدا لي، أنه عاد لممارسة اللعب من جديد.

بقي أبو علاء في أوسلو بعد خروجنا منها عائدين إلى إسرائيل، وبعث عصفور إلى تونس للالتقاء بعرفات، وإعلامه بفحوى ما حدث، وتحمل صلية غضبه الأولى. في حين توجه هو للتحاور مع النرويجيين.

وفي أعقاب اللقاءات والحوارات التي أجراها أبو علاء مع النرويجيين، كتب هولست رسالة إلى بيرس، قال فيها: أنه وجد في أبو علاء شخصاً متفائلا للغاية. لكن عندما قدمنا إلى بيرس تقريراً، بدا قلقاً إلى حد ما، وقال: :"أعتقد

أنكم بالغتم، إلى حد ما، عندما اقترحتم علـى أبـو عـلاء الاعـتراف المتبـادل، فمـا فعلتموه أكثر من مجرد جـــس نبض. أما فيمـــا يتعلــق بـالبنود الثمانيــة، فـأرى أن من الأفضــل أن ننتظر ردهـم عليـــها. ويجـب علــيّ أن أتحـدث، علـى وجـه السـرعة، مع رابيـن".

طلب بيرس من زينجر وبيليـن مصاحبتـه فـي لقائـه مـع رابيـن، بيـد أن الاثنين بديا متخوفين في أعقاب رد بيرس، من أن يصطدمـــا بمعارضــة رابيــن. بيـد أن رابين فاجأهم بالقول:" إذا ما قبلوا البنـــود السـبعة آنفـة الذكـر، فسـوف نعـترف بمنظمة التحريـر".

لقد عمل رابين بصورة منطقية وعمليــة، فـإذا مـا قبلـت منظمـة التحريـر الشروط التي قدمناها إليها، فســوف يكـون هـذا القبـول بمثابـة بادئـة الاعـتراف المتبادل. أما فيما يتعلــق بـإعلان المبـادئ، فقـد أعـرب عـن شـكه فـي قبـول الفلسطينيين للشروط التي عرضناها عليهم، وعلـى وجـه الخصـوص المتعلـق منـها بالأمن والصلاحيات الإسرائيلية، واقترح هو الآخـر، أن ننتظـر ردهـم.

وسرعان ما جاء الرد أسرع مما توقعنا، فقد وصـــل فـي نفـس الليلـة، فـي الساعة الثالثة صباحا، حيث اتصل لاريســون بـي هاتفيـاً وقـال:" هـاي، هـذا هـو لاريسون الإرهابي، أرجو ألا أكون قـد أزعجتـك".

كنا في تلك الآونة قد اعتدنا مثل هذه الاتصـالات الهاتفيـة الليليـة، فقـد ألفنـا ساعات العمل التي ينشط فيها عرفات، وتعودنا العمل فـي الأوقـات الغريبـة.

واصل لاريســـون الحديث، قـائلا:" اتصـل بـي رقـم واحـد، وقـال أن الأب وروح القدس يقبلان البنود السـبعة، وهمـا علـى اســتعداد لمناقشــة البنود الثمانية الأخـرى".

رأينا في هذا مجرد رد جزئي، وقررنا الــرد عليـه أيضـاً جزئيـاً. وأرجأنـا سفرنا إلى أوسلو، إلى ما بعـد الثـالث عشـر مـن آب – أي إلـى مـا بعـد زيـارة كريستوفر للمنطقـة.

اتصلت بلاريسون، وطلبت إليـــه أن يحصـــل مـــن تونـــس، علـــى رد أكـــثر تحديداً. وقد رد أبو علاء بالقول: أنه يعتقد أن بالإمكـــان التوصـــل إلـــى تفـــاهم خـــلال اللقاء القادم، وأكد ذلك أيضاً لهيرشفيلد، إبان اللقاء الذي جـــرى بينـــهما فـــي بـــاريس، في السادس مـــن آب.

فـــي تلـــك الآونـــة قـــام دنيـــس روس وكريســـتوفر بجـــولات بيـــن دمشـــق وإسرائيل، وتم إحراز تقدم معين على المســـار الســـوري. وقـــد بلغـــت الأمـــور حـــد تبادل الرسائل بين الرئيس السوري حافظ الأســـد ورابيـــن بوســـاطة الأمـــيركيين بيـــن الثالث والرابع من آب. وقد طـــرح خـــلال هـــذه الرســـائل، المعـــايير الخاصـــة بعقـــد صفقة سلام محتملة بين الدولتين، استناداً إلى انســـحاب إســـرائيلي كـــامل مـــن هضبـــة الجولان، وذلك مقابل التطبيـــع الكـــامل فـــي العلاقـــات، وترتيبـــات أمنيـــة مرضيـــة لإسرائيل، وجدول زمني موسع لتنفيذ العملية. بيد أياً منا لـــم يكـــن يعلـــم شـــيئاً أبـــداً، عندما عدنا للاجتماع بممثلي منظمة التحرير في النرويج فـــي الثـــالث عشـــر مـــن آب في إحدى الفيلات في (بورجـــرد).

كانت الفيلا فخمة للغاية، وقـــد حـــدث لدينـــا انطبـــاع، بـــأن أصحابـــها مـــن الطبقة النرويجية الأرستقراطية وحينما وصلنا إلى الفيـــلا، قدمـــوا إلينـــا شـــمبانيا، بيـــد أن الفلسطينيين لم يتناولوها. وقـــد تـــم إعلامـــهم بأننـــا رجـــال أعمـــال مـــن الشـــرق الأوسط. واعتقد أن العصبية التي أبديناها خلال الحوارات أكـــدت لـــهم ذلـــك.

جلسنا في غرفة فارهة، وبدأنا الحوار بصـــورة أكـــثر نعومـــة مـــن الســـابق، وكما يبدو فإن طعم الفشل، يمكن أن يهز ثقـــة أفضـــل المفـــاوضين وأكـــثرهم حنكـــة، بأنفســـهم.

وبدأت العوائق تتساقط، وقد اتضح لنـــا، أن الفلســـطينيين لـــم يغـــيروا رأيـــهم بشأن البنود الثمانية في إعلان المبادئ، بيد أنـــهم أبـــدوا لينـــاً، بعـــض الشـــيء، فـــي بعض البنـــود الحرجـــة. فـــهم مثـــلاً لـــم يعـــودوا يطـــالبون بالإشـــارة إلـــى حقـــوق الفلسطينيين سكان القدس الشرقية في ترشـــيح أنفســـهم لمجلـــس الحكـــم الذاتـــي. وقـــد رددنا لهم هذه المبادرة بتسريع الانسحاب مـــن غـــزة وأريحـــا، والاعـــتراف بحقوقـــهم

السياسية– وليس بحقوقهم الوطنية، وقد تم إبقـــاء منطقـــة أريحـــا مفتوحـــة للتفـــاوض فيما بعـد.

في الرابع عشر من آب، اجتمعنا ســـوية فـــي إحـــدى الفيلـــل، وجلســـنا معـــاً حول الموقد، للتخطيط لاستمرارية عملنا فـــي أعقـــاب التوقيـــع علـــى الاتفاقيـــة: نقـــل الصلاحيات، والتعاون في المجال الأمني، وتجنيـــد المســـاعدات الاقتصاديـــة.

وفجأة، ارتسم المستقبل أمامنـــا، فـــي ضـــوء واقعـــي وحقيقـــي، لقـــد انطلـــق النور من هذه الفيلا القابعـــة فـــي أقصـــى أطـــراف أوروبـــا، ووصـــل إلـــى الشـــرق الأوسط، كي يحدث تغييرا عميقاً في حياة ســـكان المنطقـــة بأســـرها.

لقد وافق الفلسطينيون، على بنودنـــا الســـبعة الخاصـــة بـــالاعتراف المتبـــادل، بيد أنهم طرحوها بأسلوبهم، كما أنهم عملوا على خلـــق تســـاوق بيـــن هـــذه المطـــالب، ومطالب مقابلة قدموها من طرفهم، مثل قيامهم بكبح جمـــاح الإرهـــاب مقـــابل قيامنـــا نحن بوقف أعمال العنف ضدهـــم.

شعرنا، رغم ذلك، أن الطرفيـــن لـــن يتوصـــلا إلـــى اتفـــاق ســـريع، وقررنـــا إرجاء قضية الاعتراف المتبادل، إلى ما بعد استكمال إعـــلان المبـــادئ. لكننـــا أكدنـــا، أن هذه القضية، يجب أن تجري قبل التوقيـــع علـــى بيـــان إعـــلان المبـــادئ. وهكـــذا، تحولت قضية استكمال بيان إعلان المبـــادئ إلـــى المهمـــة التـــي تحتـــل رأس جـــدول الأعمـــال.

إن بناء اتفاقية سلام، يعني أن يتـــم خلـــق تـــوازن يمكـــن كـــل طـــرف مـــن الحفاظ على مصالحه الحيوية. ولم نعتقد أن هناك مـــا هـــو أهـــم مـــن خلـــق مســـتقبل دائم. ولربما كان عملنـــا فـــي أوســـلو، تحـــت وطـــأة ضغـــط شـــديد مـــن المصـــالح الأساسية المشتركة والمتعارضة، هو الذي مكننا مـــن بنـــاء تـــوازن كـــهذا الآن، بـــل إن الشراكة التي تمكنا من خلقها، كانت قادرة علـــى الصمـــود أمـــام اختبـــارات تبـــدو مســـتحيلة.

ولم يبق عشية الرابع عشر من آب على جداول الأعمال، سوى خمسة بنود. وبدا أبو علاء في وضع نفسي جيد، بصورة خاصة، وقال:" سأتصل بأبو مازن، وأطرح بعض صيغ الحل، وآمل أن تتمكن غدا من إجمال المفاوضات".

عدنا إلى الفيلا ونحن لا نحمل شعوراً بالارتياح وتوجه أبو علاء إلى الهاتف، بينما جلست أنا وزينجر لنتحدث مع مونه. وبينما نحن نستمتع بحديث مونه، وبشعورنا بأننا أنجزنا المهمة، قدم أبو علاء من الطابق الأعلى وهو يهز رأسه دلالة الإحباط، وقال:" لقد رفض أبو عمار وأبو مازن اقتراحاته بشأن البنود الباقية.

عدنا إلى غرفة المباحثات، وأخذ الفلسطينيون يوضحون لنا الصعوبات القائمة على صعيد قضايا مثل السيطرة على المعابر الحدودية على نهر الأردن، وحرية حركة الجيش الإسرائيلي في غزة. بيد أنني أمرت جميع أعضاء وفدنا بعدم التعقيب، وانسحبنا إلى غرف النوم.

في صبيحة اليوم التالي، طلب أبو علاء أن نمدد فترة إقامتنا ليوم آخر، كي نتمكن من حل المشاكل العالقة بيد أنني رفضت ذلك، فقد شعرت أنه إذا ما ضعفت وطأة الضغط سوف تتواصل المفاوضات إلى ما لانهاية. وقد أثمر رفضي، ففي نفس الليلة، وحتى قبل أن أتمكن من تقديم تقريري إلى بيرس، اتصل لاريسون بتل أبيب، لنقل رسالة من أبو علاء قال فيها، أنه تم العثور على طريقه لتجسير الخلاف خلال مباحثاته مع عرفات.

احتفل بيرس في السادس عشر من آب بعيد ميلاده السبعين، وقد حضرت الاحتفال أنا والأديب عاموس عوز -الذي كان شريكا في السر، والحنان شاي-كأقدم أصدقاء بيرس. وبيرس نفسه الذي كان يدرك أنه يحتفل بعيد ميلاده في يوم تاريخي بالنسبة لإسرائيل. وقد ألقى كلمة قصيرة، قال فيها:" سريعا ولربما في غضون فترة قصيرة جداً، سنشهد انفراجاً تاريخياً في علاقاتنا مع الفلسطينيين، وقد عزا غالبية الحاضرين الذين لم يكونوا على علم بما يدور وراء الكواليس، في أوسلو، أقواله إلى التفاؤل الدائم الذي يتحلى به. لقد أدرك

بيرس، أن على إسرائيل أن تبني قوتها بصورة تمكنها من بلورة مستقبل مختلف عما عاشته في الماضي. لذا، أنهى كلمته قائلا:" لقد كرست حياتي كلها للأمن، والآن بعد أن أصبحت إسرائيل قوية، لم يبق أمامي سوى أن أجلب السلام لأجيالنا الشابة".

توجه بيرس من الاحتفال للاجتماع برابين وقد قرر الاثنان خلال هذا الاجتماع، أن يعمل بيرس خلال الزيارة الرسمية التي سيقوم بها إلى الدول الاسكندنافية على حل القضايا العالقة بشأن إعلان المبادئ، وتوقيع الاتفاقية في التاسع عشر من آب في أوسلو.

وفي صبيحة اليوم التالي توجه بصحبته (آفي جيل) إلى ستكهولم، على أن يلحق بهما زينجر هناك، ودعي هولست إلى الانضمام لهم بصحبة لاريسون ومونه، في حين بقيت أنا في إسرائيل، على أهبة الاستعداد، وللانضمام إليهم إذا ما طلب مني ذلك. وفي صبيحة الثامن عشر من آب، اتصل بي آفي جيل وقال لي:" أنصت إليّ، لقد أنهينا لتونا سبع ساعات من الاتصالات الهاتفية مع تونس، وقد تحدث هولست من هنا، في حين وقفنا أنا وبيرس وزينجر إلى جانبه. وقد كان أبو علاء في الناحية الأخرى من الخط وأبو عمار على جانبه. لقد تم تجسير جميع المشاكل باستثناء مشكلة واحدة، والتي ستكون مهمتك أنت".وذكر (آفي) المشاكل التي تم حلها بالتفصيل مثل: التنسيق على المعابر الحدودية الدولية، ومسئوليتنا الكاملة عن الأمن الخارجي، وحاولت بدوري أن أنقشها في ذاكرتي. ثم قال جيل:" أنا ذاهب الآن إلى النوم، لقد ارتحت أنت بما فيه الكفاية لذا امتط أول طائرة واذهب إلى أوسلو وأتمنى لك النجاح".

ولم تمض عدة ساعات، حتى كنت أنا وفوندك وهيرشفيلد في طريقنا إلى أوسلو في الوقت الذي وصل بيرس إلى هناك في زيارة علنية ورسمية. وقد تم نقلنا من المطار مباشرة إلى فندق (أوسلو بلازا)، وكان الفلسطينيون، بانتظارنا في إحدى الفيلل الفاخرة وفي أحد المقاعد شاهدت بصحبة الفلسطينيين وجهاً جديداً، هو(طاهر الشاش)، وهو مستشار قضائي مصري، أحضره الفلسطينيون معهم

لدراسة إعلان المبادئ. وبينما جلس هو وزينجر -الذي كان يعرفه، منذ الثمانينات لدراسة الإعلان، تمكنت أنا وأبو علاء من حل المشكلة التي لا زالت عالقة. وقد اتفقنا على إنهاء مفاوضات التسوية الدائمة في موعد لا يزيد عن خمس سنوات من موعد الانسحاب الإسرائيلي، من غزة وأريحا. وهكذا بدأت عقارب الساعة تدق باتجاه موعد المفاوضات الدائمة والمصالحة الصعبة.

وحال الانتهاء من ذلك، قرأ الوفدان البروتوكول الاقتصادي، والذي قام الدكتور عمانوئيل شارون- رئيس مجلس إدارة بنك العمال الإسرائيلي بفحصه تلبية لطلبي دون أن أعلمه من أين أو كيف ولدت هذه الوثيقة؟.

وقد شاء سوء الطالع أن يقع التعاون الاقتصادي -والذي احتل مكانة بارزة جداً في تفكيرنا حينما بدأنا المباحثات- ضحية للصعوبات الأمنية والتقديرات السياسية الفلسطينية والإسرائيلية. وهي الرواية التي عادت لتكرر نفسها في الاتفاقيات اللاحقة.

في الوقت الذي جلسنا فيه، أنا وأبو علاء، في فندق أوسلو بلازا، لإعداد الكلمات التي سنلقيها خلال المراسيم السرية للاتفاق والتي كان يفترض أن تجري في نفس الليلة، كان بيرس يتحدث مع مضيفيه النرويجيين ويحظى بضيافتهم.

وفي حوالي منتصف الليل، قدم لاريسون إلى الفيلا بلباسه الرسمي، وبدا عصبياً بصورة واضحة، وقام بتوجيهنا خلال مراسيم التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق.

وحال انتهائه من كلمته، قام فوندك بالتقاط صورة جماعية (لمنتدى أوسلو) السري، لأول مرة في تاريخه، ونحن نقف على استعداد للعب دورنا التاريخي دون جماهير النظارة.

وما كاد فوندك يلتقط الصورة حتى اتصل آفي جيل، وسأل فيما إذا كان عليه أن يخبر حراس بيرس الإسرائيليين- والذين تم إعلامهم بأن حدثاً ما سيجري خلال الليل، دون أن يتم شرح ذلك- بماهية ما يحدث-؟؟

وقد قلت له: أن عليه أن يخبرهم، وقلت لــــه:" تخيــل مـــا الـــذي ســيحدث إذا ما اكتشفوا وجود شخص ما مسجل لديـــهم كمخــرب، مـــن منظمـــة التحريـــر وهـــو يتجول في شقة بيرس، في ســاعات الفجــر".

ثم نقلنا، في أعقاب ذلك، إلى بيت الضيافـــة الحكومـــي، وإلـــى غرفـــة كبـــيرة، شاهدنا طاولة ضخمة قيل لنا أنه تم التوقيع عليها عــــام ١٩٠٥ علـــى اتفاقيـــة الفصـــل بين النرويج والسويد. وقام جيـــير فدرســـون- أحــد كبــار رجــال وزارة الخارجيــة النرويجية-والمســـئول عـــن الجـــانب الإداري للمحادثــات، بـــإعداد الأوراق اللازمـــة للتوقيع عليها في ملفات من الجلد الأحمر، وتم إرســـال كـــل وفـــد إلـــى غرفـــة، وقـــد وجدنا في غرفتنا شمعون بيرس وآفي جيل. وبدا بـــيرس متوتـــراً، ففـــي نفـــس اليـــوم، سقط سبعة من جنودنا في لبنان وقد أعلمه رابين بذلـــك لتـــوه. لقـــد بـــدا لنـــا أن كـــل خطوة من خطوات التقدم إلى الأمام فـــي هـــذه المســيرة، ملطخـــة بـــالدم، وأن الألـــم يمتزج بكل انتصار نحـــرزه.

أوضح لنا بيرس، أن رؤســـاء الوفـــود ســيوقعون بـــالأحرف الأولـــى علـــى الاتفاقية وتم الاتفاق على أن ينضم إلينا يوآل زينجـــر، وحســـن عصفـــور. وقـــد حيــل دون إلقاء بيرس كلمة، خلال المراسيم أو التوقيع علـــى الاتفـــاق نظـــرا لأن الحكومـــة لم توافق على إعلان المبادئ، والحقيقـــة هـــي أن جميـــع الـــوزراء-باســتثناء رابيـــن وبيرس- لم يكونوا يعلمون بوجود الإعلان. وقـــد قـــام الـــنرويجيون بتصويـــر جميـــع الأحداث، على شـــريط فيديـــو، ثـــم نـــهض أعضـــاء الوفـــد لمصافحـــة المســـتقبلين والمتمثلين في بـــيرس ويوهـــان هولســـت، ومريانـــة هيـــبرج، ولاريســـون ومونـــه، وفدرسن، ثم جلست أنا وأبو علاء علـــى جـــانبي الطاولـــة، وجلـــس هولســـت بيننـــا، وجلس الجميع وراءنا باستثناء بـــيرس وهيـــبرج وقـــد وقـــف بـــيرس جانبـــا، وكأنـــه مجرد شاهد فقط. وبعد أن وقعت أنا وأبو عـــلاء علـــى كـــل صفحـــة مـــن صفحـــات الاتفاقية، نهضنا وتصافحنا وتعانقنا. ثم جـــاء حســـن عصفـــور وزينجـــر وجلســـا فـــي مقعدينا، ووقعا على الاتفاقية بدورهمـــا.

كنا مجموعة صغيرة، ورغم ذلك، تم إلقاء أربعة خطابات بهذه المناسبة، وكنا جميعاً ندرك حجم المفارقة في هذا الاتفاق لشعبينا، وللشرق الأوسط، وربما للعالم بأسره من جانب، ومدى خصوصية هذه المراسيم من الجانب الآخر.

وقد أثنى هولست- أول المتحدثين- على الزعماء وممثليهم في المفاوضات، ووعد بمواصلة مد يد المساعدة النرويجية، وقال:" نحن هنا على أهبة الاستعداد دائماً لتقديم يد المساعدة لكم وخدمتكم إذا ما احتجتم لنا. بيد أن المهمة هي مهمتكم، ويجب عليكم أنتم، إنجاز العمل".

كان أبو علاء المتحدث الثاني، وقد لاحت الدموع في عينيه وهو يتحدث عن التأثر الذي أخذ بزعماء منظمة التحرير، في أعقاب المحادثة التي أجروها مع هولست وبيرس قبل ليلتين، وتوجه إلى بيرس، الذي كان يناضل من أجل إخفاء تأثره-قائلا:" أهلاً وسهلاً، لقد تابعت بانتباه شديد تصريحاتك، وأقوالك ومقالاتك، والتي أكدت لنا رغبتك في إحراز السلام العادل والدائم والشامل وباسم الوفد الفلسطيني وزعيمه ياسر عرفات، أحييك، وأتمنى لك السعادة في عيد ميلادك السبعين، آملاً أن تتمكن من إحراز الانتصار في معركة السلام الكبيرة".

وأضاف.. "إننا نخوض اليوم حملة جديدة باتجاه مستقبل جديد. في عالم لم يتم بعد بلورة صورته النهائية، والذي لا زال مفتوحاً أمام التغييرات من جميع الأنواع. إن المستقبل الذي نسعى إليه لن يتجسد الا إذا تغلبنا جميعاً على مخاوف الماضي، واستقينا العبر من أجل المستقبل".

وعندما جاء دوري، كان علي أن اضبط مشاعري الجياشة، وقد تحدثت أنا أيضاً عن المستقبل، فقلت:" حقاً أن ما بدأناه اليوم هو بداية المستقبل، المستقبل الذي سترتفع فيه التطلعات الشرعية الفلسطينية للسيطرة على حياتهم في حكم ذاتي بصورة تتساوق مع رغبة إسرائيل للسيطرة على مصيرها بوساطة الأمن. إنها بداية مرحلة انتقالية. تجسر بين فوضى النزاع في الماضي، وتسوية التعايش الدائر في المستقبل".

وعندما جاء دور لاريسون، تحدث إلى المتحـــاورين وعددهــم واحــداً واحــداً بالأسماء، وقال:" شيء واحــد هــو الــذي جمعكــم ووحدكــم هنــا، وهــو مصطلــح الصداقة. وهو المصطلح الذي سترتكز إليه علاقتكم فـــي المســتقبل". كــان لاريســون على ثقة من أن هناك مغزى تاريخيا عالميا للمسيرة الســـلمية التــي خضناهــا.

وفي أعقاب انتهاء المراسيم، اجتمع بيرس وأبو عـــلاء لمـــدة نصــف ســاعة، على حدة، لأول مرة. وقد أعربا عن التزامـــهما بالاتفاقيـــة التـــي تــم التوقيــع عليــها، بالأحرف الأولى، وقد أثار بيرس إعجاب أبـــو عـــلاء بحماســـته لتشـــجيع المســـاعدات الاقتصادية الدولية للإطار الفلسطيني الجديد. وناقش بـــيرس ايضـــا وزيـــر الخارجيـــة النرويجي، هولست، بشـــأن المســـاعدات الاقتصاديـــة واقـــترح العمـــل علـــى تشـــكيل جهاز دولي لهذا الغـــرض.

ثم عاد كل منا إلى الفندق -للإخلاد إلـــى الراحـــة فـــي أعقـــاب هـــذا الجـــهد الخارق الذي بذلناه- حاملا معه نســـخة مـــن الإتفاقيـــة، موقعـــة مـــن قبـــل الجميـــع كذكرى. وأخذت أتصفح الأوراق والتي جاء فيـــها:" إعـــلان المبـــادئ بشـــأن التســـوية المرحلية لحكم ذاتـــي".

لقد عكس هذا الإعلان صورة الخطوة، خطـــوة توطئـــة لإبـــرام تســـوية تقـــوم على مبادئ واضحة. لقد كانت كلمة" بالتدريج" هـــي المفتـــاح لوصـــف الانتقـــال مـــن مرحلة الاحتلال إلى الحكم الذاتي، ومن العنف إلـــى التعـــايش بســـلام، مـــن خارطـــة طرق سياسية إلى المصالحة الحقيقيـــة.

ويضيف إعلان المبـــادئ:-

" لقد أخذت إسرائيل على عاتقـــها ســـحب جنودهـــا مـــن قطـــاع غـــزة وأريحـــا فـــي غضون ستة أشهر منذ بدء نفـــاذ مفعـــول إعـــلان المبـــادئ-الثـــالث عشـــر مـــن اب ١٩٩٣.

إعادة الانتشار الجديد للجيش الإسرائيلي فـــي المنـــاطق الأخـــرى مـــن الضفـــة الغربية، والانتخابات لمجلس السلطة الفلسطينية، يجـــب أن تنفـــذ فـــي غضـــون تســـعة أشهر، من تاريخ نفاذ مفعول إعـــلان المبـــادئ.

يجب أن تبدأ المفاوضات حول المكانة الدائمة للضفة الغربية وقطاع غزة في غضون زمن لا يتجاوز العام الثالث للانسحاب الإسرائيلي من غزة وأريحا، وعلى أن تنتهي قبل نهاية خمس سنوات على هذا الانسحاب- بدأ الانسحاب في الرابع من أيار ١٩٩٤، وبدأت المحادثات حول التسوية الدائمة بعد سنتين، في الخامس من أيار ١٩٩٦، أي أن الاتفاقية الدائمة يجب أن توقع حتى الخامس من أيار ١٩٩٩.

يجب نقل الصلاحيات المدنية- ليس جميع الصلاحيات التي كانت بأيدي الحكم العسكري الإسرائيلي- إلى أيدي الفلسطينيين، بادئ ذي بدء، في غزة وأريحا، ثم وبصورة تدريجية في الضفة الغربية. وسيشمل المجال القضائي للمجلس الفلسطيني" مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة-باستثناء المناطق التي سيتم تحديد مكانتها خلال المفاوضات حول التسوية الدائمة- القدس، المستوطنات، والمناطق الأمنية.

سيتم نقل قسم من الصلاحيات الأمنية بصورة تدريجية إلى أيدي "قوة شرطة فلسطينية قوية" في حين تواصل إسرائيل تحمل المسئولية الشاملة لأمن الإسرائيليين والمستوطنات والدفاع ضد التهديدات الخارجية". اتفق الطرفان على التنسيق في المعابر الحدودية بين غزة ومصر، وبين أريحا والأردن-مع السيطرة الإسرائيلية الوحيدة على المناحي الأمنية، كجزء من صلاحياتها للأمن الخارجي.

سيتم توسيع صلاحيات المجلس الفلسطيني على مراحل، ومن المفروض أن تنسحب إسرائيل اولا من أجزاء من قطاع غزة ومنطقة أريحا، ثم تنفيذ إعادة انتشار جديد تدريجيا من قبل القوات الإسرائيلية، في باقي مناطق الضفة الغربية على أن يتم ذلك في البداية من المناطق المأهولة- قبل إجراء الانتخابات للمجلس الفلسطيني، -وفيما بعد- وعلى مراحل- من مناطق غير مأهولة، باستثناء المستوطنات الإسرائيلية" ومناطق محددة"أخرى وفقا لتحديد إسرائيل لها".

الانتخابات للمجلس الفلسطيني ستجري تحت إشراف دولي متفق عليه، وسيتم تحديد صلاحيات المجلس الفلسطيني، وأسلوب انتخابه، والشروط الدقيقة للانتخاب-بما فيها القدس-في اتفاقية التسوية المرحلية".

لقد تطرق بيان إعلان المبادئ أيضاً، بصورة عامة، إلى هدف التسوية الدائمة بالتأكيد، على أن هدف المفاوضات هو"التعايش بسلام واحترام وأمن متبادل" وللتوصل إلى " مصالحة تاريخية" بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

وجاء في إعلان المبادئ، أن المفاوضات حول التسوية الدائمة، ستقود إلى "تجسيد قراري مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨،٢٤٢" وسيشمل "قضايا تم إبقاؤها: بما فيها القدس، واللاجئون. المستوطنات، والترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، إضافة إلى قضايا ذات اهتمام مشترك".

ونظراً لأن التعاون كان شرطاً ضرورياً في كل مرحلة، فقد تم التأكيد، في الإعلان، على إقامة لجان مشتركة للشئون الأمنية، والاقتصادية، ونازحي عام ١٩٦٧، وتنفيذ الاتفاقية.

لقد تم إعداد الخرائط التي يفترض أن تنقل الشعبين من المواجهة إلى المصالحة، في ظل الأجواء الرائعة في (بيوزديم) القريبة من أوسلو، كي تتمكن من منافسة العوائق والتغلب عليها، ومواجهة، الغضب والكراهية والعنف وعدم الثقة.

لقد أثمرت الجهود الأولية التي بذلناها، وأدت إلى التوصل إلى مصالحة معقولة بين حالتين من حالات التوق إلى الحرية:"التحرر من السيطرة، والتحرر من العداوة. لقد كان طرفا الاتفاق حركتي تحرر وطني، تقاتلا طيلة مائة عام دفاعاً عن وجودهما، وبدتا الآن، على استعداد للتعايش السلمي، وهو الأمر الذي لم يسبق له مثيل على صعيد حدة تحولاته.

بيد أن كل هذه التمخضات والأمور، كانت في تلك الآونة- بين التاسع عشر والعشرين من آب- لا تزال سراً من الأسرار الدفينة. وعندما عدنا إلى فندق أوسلو بلازا كنا شديدي التأثر من الحدث التاريخي، ومتحررين من

الضغوط الشديدة التي عشناها طيلة الوقت الماضي، لذا أخذنا في قتل الوقت، بتقليد بعضنا البعض، كي يبرهن كل منا للآخر، أنه كان يدرك كل ما كان يخفيه في داخله، ويمارسه من حيل ومناورات.

وعندما هممنا بمغادرة، المكان، أشار إلي أبو علاء بأن ألحق به إلى غرفته وهناك أخرج وثيقة من حقيبته، وقال: أشرت في كلمتك، أننا كنا دائماً متفقين حول مسألة واحدة، هي ضمان مستقبل أفضل لأولادنا- ولهذا السبب، اقترحت إهداء هذه الاتفاقية لهم ولأبناء جيلهم في الشرق الأوسط. دعنا نخرج ما قلته إلى حيز التنفيذ الفعلي، فأهدي أنا الكلمة التي ألقيتها لابنتك، وتهدي أنت الكلمة التي ألقيتها لابنتي، فالاثنتان تناهزان العشرين وبمقدورهما فتح أجنحة الأمل للمستقبل".

جلسنا، نحن الإثنان، وكتبنا على أوراق الخطابين عدة كلمات. وعندما قارنا ما كتب كل منا، اتضح انهما متماثلان.

فقد كتب أبو علاء:"

مايه الغالية:

أود أن أهنئك لسببين:-

أولاً: اهنؤك على والدك.

وثانيا: بسبب إنجازه الكبير من أجلك ومن أجل ابنتي منى ومنال. وإنني آمل أن تصبحن صديقات في المستقبل القريب جداً حظ سعيد، لقد انطلق التاريخ الجديد في طريقه.

أبو علاء، ١٩ آب ١٩٩٣

وفي صبيحة اليوم التالي، وحال هبوطي في مطار بن جوريون، توجهت إلى المطعم الذي تعمل فيه ابنتي مايه، كنادلة، في إجازة الجامعة الصيفية. كنت قبل سفري إلى أوسلو قد قلت لزوجتي عليزة ولميه أن من الجائز أن أعود هذه المرة ومعي وثيقة الإتفاق. وحينما شاهدتني ميه من النافذة سارعت للخروج إلى

وعانقتني، ثم ابتعدت عني قليلاً وتــــأملت وجــهي باهتمـــام كـــي تـــرى مـــا تعكســـه ملامحي، فقدمت إليها صيغة خطاب أبو عـــلاء، فتصفحتـــه، ثـــم تصفحـــت الإهـــداء، وتوجهت نحو سيارتي، وجلست فيها، وانفجـــرت بالبكـــاء.



٢- من اليسار الى اليمين : أبو علاء ووزير الخارجية النرويجي هولست، أوي سبير جلوسا، وخلفهم من اليسار الى اليمين : حسن عصفور، يان اجلند، مونة يول، تاريه لارسون، يوئيل زينجر، يائير هيرشفيلد.

Dear Maya
May I congratulate you
for two things:
- The first of your great father for the great achievement
- The second for you and for my daughter [illegible]
We made for you and [illegible]
Mona and [illegible]
that you will be friends [illegible]
very near future [illegible]

Exc. Mr Holst

Exc. Mr Perez

Mr Uri

Ladies and Gentlemen

Mr Holst.

I would like to confirm that we are indebted to Norway, to you personally and to all the women and men who contributed to this great historical breakthrough. Indeed it is our obligation towards your friendly country and towards you personally to recognize here your courage, wisdom and persistence and outstanding role in this back channel.

Mr Perez. Welcome,

I have keenly followed up your declarations, statements and writings which confirmed to us your care to achieve a just, permanent and comprehensive peace. In the name of the Palestinian delegation and its leader Yassir Arafat I would like to welcome you and to congratulate you on your 70th birthday, Hoping you all Success for the great battle of Peace

We start today a new journey towards a new future, in a world whose final form has not yet been shaped and which is open to all sorts of change. The future which we look for will not materialize unless we both together overcome the fears of the past and learn from the past lessons for our future.

נאום אבו עלא בטקס החתימה החשאי באוסלו בליל ה־19 באוגוסט 1993.

עם ההקדשה למיה סביר.

الخطاب الذي ألقاه ابو علاء خلال مراسيم التوقيع السرية في اوسلو ليلة التاسع عشر من آب ١٩٩٣ مع الاهداء لمية سبير

الفصل الثالث

الاعتراف المتبادل

مرحلة جديدة من العلاقات تستبعد فكرة"كل شيء أولا شيء"

الميثاق٠٠الانتفاضة ومحاربة الإرهاب كانت أصعب القضايا

كان الاحتفاظ بسرية المحادثات بمثابة معجزة من المعجزات، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هناك حوالي مائة شخص كانوا مطلعين على خفايا هذا السر، منهم خمسة وسبعون إسرائيليا وفلسطينياً ونرويجياً، وحوالي خمسة وعشرين أميركياً ومصرياً ومغربياً وتونسياً وروسياً.

لقد تم الحفاظ على السر بفضل الشعور العميق بالمسئولية لدى جميع الجهات ذات العلاقة بالأمر من جهة، وللشكوك العميقة التي كانت تراود الكثير من الجهات في إمكانية نجاح مساعينا، وأيضاً للحظ الذي حالفنا. إضافة إلى أننا أدرنا حياتنا طيلة فترة المفاوضات بصورة طبيعية للغاية ظاهرياً.

في أعقاب تعييني مديراً عاماً لوزارة الخارجية، في الأول من أيار ١٩٩٣، أعلنت عن اعتزامي إجراء عملية إصلاح واسعة النطاق في خدمة وزارة الخارجية، والتي أخذت من وقتي واهتمامي جانباً كبيراً جداً. كان علينا أن نبني وزارة خارجية جديدة، متحررة من حالة الدفاع التقليدية التي انتهجناها تجاه ما اعتقدنا أنه عداء دولي تجاهنا، وأن نعمل على الانفتاح تجاه العالم، وكل ذلك بغية خلق شبكة علاقات دولية عملية على الصعيد الاقتصادي والعلمي والحضاري.

كان العالم آخذاً، في التغير تحت أسماعنا وأبصارنا، وبدا أن مهمة الدبلوماسية الإسرائيلية المساعدة في ربط إسرائيل بالبؤر والمصادر الجديدة للقوة العالمية، والاغتراف منها، وتقديم المساعدة لها في كل موقع محتمل.

وقد تم بناء خط واضح بين أوسلو والإصلاحات التي اعتزمت إجراءها في الوزارة، ويتمثل في بناء جسر بين إسرائيل ودول العالم.

واجه يوآل زينجر تحديا صعبا للغاية ولا شك أنه كان لديه بديل يحل محله، لأنني لا أدري إذا لم يكن لديه بديل، كيف تمكن من الصمود إزاء السفريات والجولات التي كان يقوم بها، كل أسبوعين، بين ثلاث قارات، دون أن يثير الشبهات، هذا، في الوقت الذي كان علينا جميعا أن نعيش تحت وطأة الصمت والكتمان.

لم يبد في أي من التصريحات والكلمات والمقابلات التي كنا نجريها هنا وهناك، ولو إلماحة واحدة إلى ما يحدث على الرغم، أن التفاؤل في نفوسنا كان يبدو واضحا للعيان. وقد عزت الكثير من الأوساط تفاؤلنا إلى الآمال المفرطة التي نحملها، والتي تمكنت من تشويش تفكيرنا الواقعي.

وفي الثاني من آب، كدت أسقط في زلة فظيعة خلال اللقاء المتلفز بيني وبين الناطقة باسم الوفد الفلسطيني حنان عشراوي، عندما قلت:" لننتظر للغد والأيام القادمة، لنرى ما الذي سنقترحه كي نتحرك باتجاه الانتخابات الفلسطينية الديموقراطية الحرة، مع الاهتمام الكامل بأمننا. وأنا أعتقد أن المفاجأة لن تهل علينا عبر وثيقة إسرائيلية بل عبر العمل المشترك، على أرض الواقع. وعندما غادرنا الاستوديوهات في القدس، سألتنا حنان عشراوي: ما مصدر تفاؤلي الكبير؟؟

فقلت لها:سترين أنني كنت محقاً فيما قلته.

مضى أسبوع، منذ توقيعنا على الاتفاقية بالأحرف الأولى، قبل أن تظهر الدلائل الأولية في وسائل الإعلام، حول ما حدث، ورغم ذلك، كانت المعطيات خاطئة، ففي الرابع والعشرين من آب، أي في نفس اليوم الذي عاد فيه بيرس من جولته في الدول الاسكندنافية، همس الصحفي شمعون شيفر في أذني قائلا:" أنا أعرف من مصدر رفيع، أن بيرس اجتمع في ستكهولم مع شخصية

رفيعة من منظمة التحرير، ولا جدوى مـــن إنكـــار ذلـــك، لقـــد أردت أن أوفـــر عليـــك المفاجأة، عندما تقرأ صحيفة يديعوت احرونـــوت صبـــاح الغـــد".

كنا في هذه المرحلة، قد قررنا، عدم الكذب على وســـائل الإعـــلام، وفـــي نفـــس الوقت عدم مساعدتها في معرفـــة الحقيقـــة. أو علـــى الأقـــل حتـــى إطـــلاع الحكومـــة الأميركية على التطـــورات، وقبـــل أن تصـــادق الحكومـــة الإســـرائيلية علـــى إعـــلان المبـــادئ.

وبناءً على ذلك، قلت لشـــيفر: " أنـــت مخطـــئ، ورغـــم ذلـــك، خرجـــت جريـــدة يديعوت في صبيحة اليوم التالي، وهي تحمل عنوانـــاً يقـــول: "شـــمعون بـــيرس يجـــري لقاءً سرياً في ستكهولم مع شخصية رفيعة مـــن منظمـــة التحريـــر".

وفي اليوم التالي، كتب زئيف شـــيف فـــي جريـــدة هـــآرتس،أن شـــمعون بـــيرس اجتمع بممُثل منظمة التحرير في النرويج، بحضـــور أوري ســـبير، بيـــد أنـــه لـــم يتـــم التوقيع على أي اتفاقيـــات".

حال عودة بيرس إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بـــأن يقـــوم هـــو بنفســـه بـــإعلام و زير الخارجيـــة الأمـــيركي، وارن كريســـتوفر، وجـــهاً لوجـــه، بـــالانفراج الـــذي تـــم التوصل إليه في أوســـلو.

كان كريستوفر آنذاك موجوداً في كاليفورنيـــا وقـــد طلبنـــا مـــن ســـفيرنا هنـــاك ترتيب اللقـــاء.

وفي الثامن والعشـــرين مـــن آب انطلقـــت طـــائرة بـــيرس إلـــى هنـــاك، ومعـــه زينجر، وأفي جيل. وقد هبطـــت الطـــائرة فـــي جنيـــف، حيـــث التحـــق بـــها هولســـت ولاريسون ومونه. أما أنا وبيلين، فقد بقينا فـــي إســـرائيل مـــن أجـــل معالجـــة النتـــائج التي ستنجم عن إعلان النبأ والتي باتت الآن شـــبه محتومـــة.

وفي التاسع والعشرين من آب(يوم جمعة) وبعد سبعة أشـــهر تقريبـــاً، مـــن بـــدء مسيرة أوسلو وبعد عشرة أيـــام، مـــن التوقيـــع علـــى الاتفاقيـــة بـــالأحرف الأولـــى، كشفت إذاعة الجيش، النقاب عن أن بـــيرس فـــي طريقـــه للالتقـــاء بكريســـتوفر، كـــي

يعرض عليه مسودة اتفاق تم التوصل إليه مع منظمة التحرير خلال مفاوضات سرية أجريت في أوسلو.

اجتمع الإسرائيليون ونظراؤهم النرويجيون مع كريستوفر ودنيس روس، في القاعة الجوية التابعة للأسطول الأميركي(بوينت موجو). وكان هذا اللقاء بمثابة اختبار حقيقي لمعايير الثقة الأساسية القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة، وأيضاً لسياسة الخارجية الأميركية.

كانت الإدارة الأميركية على علم بوجود المسار السري في أوسلو، بيد أنها كانت تشك في إمكانية أن يسفر عن أي شيء كان.

ولم تبد وزارة الخارجية الأميركية أي اهتمام. بتفاصيل المحادثات في أوسلو، فقد كان الأميركيون يسعون إلى بناء استراتيجية مفاوضات مع سورية أولا. وفجأة يأتي شمعون بيرس إلى كاليفورنيا، وبيده، ليس فقط، إعلان مبادئ، موقع، بل أيضا وثيقة اعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

خشي بيرس من أن يشعر الأميركيون بالإهانة، جراء تركهم خارج الصورة كل هذا الوقت، وبالتالي، يردون ببرود على الفرصة السانحة. أما النرويجيون فخشوا الا يقبل الأميركيون الاتفاقية، مثلما هي عليه.

وحينما عرض بيرس الوثيقتين على كريستوفر، تحدث عن الانفراج التاريخي الذي يجب انتهازه بكل قوة. وألمح إلى أنه، ومنذ الآن، فصاعداً، سيصبح الأميركيون رعاة مسيرة أوسلو.

طلب كريستوفر وروس الاطلاع على الوثائق، وبعد أن قرآها، سأل كريستوفر روس:"ما رأيك؟؟". فقال روس:" هذا إنجاز تاريخي كبير". فعقب كريستوفر بحماس بالغ:" بالتأكيد".

لقد بدا أصدقاؤنا الأميركيون دعاة سلام حقيقيين، وارتفعوا في اللحظة المناسبة فوق الصغائر. لقد كانت اللحظة، بمثابة لحظة مهمة بالنسبة لدولة عظمى وذكية وكريمة.

لقد أعلنت جميع الحكومات الأميركية المتعاقبة منذ عهد الرئيس لندن جونسون، أنه يتوجب على الأطراف أن تتوصل بنفسها إلى حل، وأنه ليس من مهمة الولايات المتحدة، أن تفرض عليهما الحلول التي تراها، وكان هذا أيضا، هو رأي الحكومة الأميركية.

وافق الأميركيون على استضافة مراسيم التوقيع على الاتفاق في البيت الأبيض، وهو الأمر الذي يعني أنه إذا وافقت منظمة التحرير على النقاط السبع، فإن الولايات المتحدة أيضاً ستعترف بهم، وهو الأمر الذي يحتاج إلى موافقة الكونغرس. وتم اتخاذ قرار بالتأكيد، بالموافقة على البند الذي فصّل فيه عرفات حركته عن منظمات الإرهاب العاملة خارج منظمة التحرير.

حال عودته إلى إسرائيل، وجد بيرس بانتظاره دولة مذهولة، فقد تناولت العناوين الرئيسة للصحف نبأ الاتفاق، تحت عنوان"انفراج تاريخي بين إسرائيل ومنظمة التحرير". وشرعت وسائل الإعلام في التطرق إلى رواية بصورة غير دقيقة.

وفي الثلاثين من آب، صادقت الحكومة الإسرائيلية على بيان إعلان المبادئ، بعد أن عرض يوآل زينجر، على الوزراء، مسألة الانسحاب التدريجي من الضفة الغربية، والتي لم تتطرق إليها اتفاقيات كامب ديفيد.

تقابلنا أنا وأبو علاء في أوسلو، لمناقشة شروط الاعتراف المتبادل، وقد قبل الفلسطينيون غالبية مطالبنا والتي كانت شبيهة بالنقاط السبع التي سبق أن طرحتها في الخامس والعشرين من تموز، بعد أن صاغها زينجر بعناية بالغة. ورغم ذلك كانت الخلافات القائمة-رغم قلتها-ذات أهمية كبيرة.

وصلت المحادثات إلى اللحظة الحاسمة، خلال المحادثات التي تم إجراؤها في باريس، في التاسع والعاشر من أيلول. وفي الثالث من أيلول، حاول بيرس وهولست، التحاور مع تونس عبر الهاتف. كان بيرس آنذاك في باريس، من أجل اطلاع صديقه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران على التطورات. وجرت محادثات

مماثلة في السادس من أيلول بين إسرائيل والقاهرة حينما قام هولست وعرفات بزيارة الرئيس مبارك.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل بي هولست وقال أنه والرئيس المصري مبارك مقتنعان بضرورة إجراء لقاء آخر بين طاقمي أوسلو. وإذا لم يحدث ذلك، فإن الاعتراف المتبادل سيرجأ في أحسن الأحوال. وطلب أن أتوجه أنا وزينجر إلى باريس، لإجراء جولة مباحثات أخرى، من أجل ترتيب الاتفاق قبل التوقيع على إعلان المبادئ، في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول.

طلب مني أن أوصي بعقد اللقاء في فندق (ديسكرني) كي لا تكتشفنا وسائل الإعلام، وإزاء اعتقادي بأن الصحفيين يتغلغلون في كل زاوية مظلمة من باريس، فقد اقترحت إجراء اللقاء في الفندق المعروف بريستول. وقد اتضح فيما بعد، أنني كنت محقا، فقد أفادت الصحفية أورلي ازولاي كيتس -يديعوت احرونوت- في التاسع من أيلول، عن إجراء حوارات ومباحثات في فندق غامض خارج باريس، وضعته الحكومة الفرنسية في خدمة المفاوضين، في الوقت الذي سجلنا فيه جميعاً أسماءنا العائلية، تحت اسم عائلة لاريسون، وأعطى لكل واحد منا اسم نرويجي خاص، يبدأ بنفس الحرف الذي يبدأ به اسمه، فأسموني أولف لاريسون، وأبو علاء ألف لاريسون، وهكذا دواليك. وحول طاولة في صالون الطابق الثاني من الفندق جلسنا أنا وأبو علاء وهولست ومحمد أبو كرش، ومريانة وهيبرج ومونه ويوآل زينجر. وتم تخصيص هاتف لكل وفد في غرفة ملاصقة للصالون، كي يتمكن من الاتصال بصانعي القرارات في إسرائيل وتونس. وفي اللحظات الحرجة، كان بيرس ورابين يتواجدان سويا، في حين كان ياسر عرفات يتواجد بصحبة أبو مازن وحسن عصفور.

بدأنا المفاوضات في الساعة الرابعة من بعد ظهر الثامن من أيلول، وواصلنا النقاش حتى الساعة الثانية من ظهر اليوم التالي. وقامت مريانة، بطباعة مسودات الاتفاق الواحدة تلو الأخرى.

لقد كانت الساعات الاثنتان والعشرون، أهـــم الســاعات التــي قضيناهــا فــي التفاوض، نظراً لأننا حاولنا خلالها إبطـــال النظريــات التــي غــزت الــنزاع المســتمر الذي دار بين حركتينا الوطنيتين. ولم يكن التحـــدي مســـألة شــعارات أو كلمــات، بــل كان مسألة اتخاذ قرارات تتحول إلى التزام دولي جديد، قـــادر علــى توجيــه العلاقــات بيننا، نحو آفاق جديـــدة.

لقد رسمنا في أوسلو افتراضات براغماتيـــة لإنـــهاء الســيطرة الإســرائيلية علــى الفلسطينيين، بصورة تدريجية، دون أن يمس ذلــك بــأمن إســرائيل. وهــا نحــن الآن، نعكف على معالجة الجذور الأيديولوجية للــنزاع. لقــد كــان واضحــاً تمامــاً أن بنــود إعلان المبادئ، لن تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلـــي أبــداً، دون أن يطــرأ تغيــير حقيقــي متبادل على وجهات النظر والتفكير، المعمـــول بــهما لــدى ممثلــي منظمـــة التحريــر وإســرائيل.

وهكذا، وجدنا أنفسنا نقـــف علــى أبــواب الإعــلان عــن وضــع حــد للــنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والانتقال إلى مرحلة العلاقـــات السياســية الدائمـــة. ومنــذ هــذه اللحظة، قد تتعرض هذه العلاقات للمد والجــزر، وتصبــح ســيئة أو جيــدة، بيــد أنــها لن تقوم ابداً تحت شعار" إما كل شــــيء أو لا شـــيء".

ولهذا السبب، طلبنـــا أن تعــترف منظمـــة التحريـــر بإســـرائيل وتقبـــل قـــراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢،٣٣٨ وأن تشـــجب الإرهـــاب، وتحاربــه، وأن تضــع حــداً للانتفاضة، وتلغي بنود الميثاق الوطني التـــي تنكــر وجــود إســرائيل. وقلنـــا أنـــه إذا قبلت منظمة التحريـــر كـــل ذلــك، فســوف تعــترف إســرائيل بــها كممثــل للشــعب الفلســطيني.

وظهرت خلال النقاشات خلافات واسعة فيما يتعلـــق بمــدى المســئولية التـــي ستتحملها منظمة التحرير بشأن محاربة الإرهاب، ودعــوة الفلســطينيين لنبــذ العنــف.

وقد تساءل أبو علاء:" كيف تريدون منـــا أن نتعــهد بمحاربـــة ومنـــع الإرهـــاب في المناطق التي لا تقع في إطار صلاحياتنـــا؟؟ وإذا مـــا دعونـــا شــعبنا للتخلــي عــن الإرهاب، فإن ذلك سيعني أن شعبنا يمارس الإرهاب، والأمـــر ليــس كذلــك".

وقد رد عليه زينجر بالقول: لقد كان الإرهــاب بمثابــة الوســيلة الأساســية التــي استخدمتموها في حربكم ضدنـــا، والآن عليكــم محاربتــه بجميــع الوســائل الممكنــة، والتأكيد لأبنـــاء شــعبكم أن الإرهــاب، ليــس وســيلة مشــروعه للنضــال. ودون أن تلتزموا بذلك، لن نستطيع التوصل إلـــى اتفــاق".

لقد دار معظم الجدل، حول قضية أوسع من ذلــك، وهــي هــل يجــب أن يكــون الاعتراف المتبــادل مطلقــا؟ أم يجــب ربطــه واشــتراطه بشــروط التســوية الدائمــة للنزاع؟؟ وقد طالبنا بأن يعـــترف الفلســطينيون بحــق إســرائيل فــي الوجــود بســلام وأمن. وفي أعقاب المشاورات التي أجراهـــا أبــو عــلاء مــع تونــس، عــاد وقــال:" طلبكم مقبول مع تغيير طفيف:" منظمة التحرير تعــترف بحــق إســرائيل فــي الوجــود داخل حدود آمنة ومعروفـــة".

رد زينجر على هذا التعديل بغضب قــائلا:" هــذه العبــارة مــأخوذة مــن قــرار ٢٤٢، وهي تعني أن الاعــتراف ســيدخل حــيز التنفيــذ الفعلــي، عندمــا يتــم تنفيــذ القرار، أضف إلى ذلك، من هي الجهة التي سترسم حـــدود إســرائيل، بصــورة تســمح لمنظمة التحرير بالاعتراف بـــها؟؟

تساءل أبو علاء عابسا:" هل تريدون أن نعــترف بإســرائيل فــي ظــل حدودهــا الحالية؟؟ إن هذا يعني أننا سنعترف بالاحتلال، وهذا ما لن يكـــون إلـــى الأبــد".

تدخلت في الحديث قائلا:" يجب عليكــم الاعــتراف بإســرائيل دون أي شــروط، وهذه القضية غير قابلة للتفاوض، بمقدورنا مناقشة نقاط الخـــلاف فــي المســتقبل، أمــا الاعتراف فيجب أن يكون مســألة مبدئيــة".

نشب خلاف مماثل بيننا، عندما وصلنـــا إلـــى مناقشــة بنــود الميثــاق الوطنــي الفلسطيني التي يجب إلغاؤها فقد طالبت إسرائيل بـــأن تتخلــى منظمــة التحريــر عــن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود، بان تعلن أن هـــذه البنــود، لــم تعــد ســارية المفعول أو عملية. هذا في حين أرادت المنظمة الاكتفاء بـــالإعلان عــن أن البنــود لــم تعد سارية المفعــول.

قال أبو علاء:" الأمران همـــا نفـــس الشـــيء، فالميثـــاق الوطنـــي الفلســـطيني غير عملي منذ سنوات، ومن الواضح أنه ليـــس ســـاري المفعـــول، فقـــد قررنـــا عـــام ١٩٨٨ الاعتراف بوجود إســـرائيل".

بيد أن هذا التنكر السلبي، لم يكن جيدا بما فيه الكفايـــة. لقـــد طالبنـــا بـــأن يقبـــل الفلسطينيون إسرائيل ليس كحقيقة واقعة، بـــل كجوهـــر سياســـي مشـــروع. وقـــد قلـــت لهم:" يجب أن نتأكد، ليس فقط من أن أيديولوجيتكـــم فقـــط، قـــد تغـــيرت بـــل أن نقتنـــع أيضا بأن سياستكم العملية قد تغيرت، لذا يجب أن تعلنـــوا صراحـــة بـــأن البنـــود التـــي تنكر حق إسرائيل في الوجود لم تعد نـــافذة المفعـــول أو عمليـــة؟ فقـــال، أبـــو عـــلاء:" يجب أن اتصل بعرفات وأسأله رأيـــه".

كنا ندرك أن الفلسطينيين يعانون آلاماً نفســـية جســـيمة، مـــن كـــل كلمـــة واردة في النص. فقد كان مغزى الاعتراف واضحاً لـــهم، تمـــام الوضـــوح، بيـــد أن التطـــرق بإسهاب إلى التغييرات وكتابياً بدا لهم أصعب بكثير مـــن التســـليم بالسياســـة الجديـــدة.

وفي مرحلة معينة، قال الفلسطينيون أنـــهم لا يســـتطيعون العثـــور علـــى صيغـــة باللغة الإنجليزية، فأطلعتهم على البنود الجـــادة الـــواردة فـــي الصيـــغ التـــي أوردناهـــا معنا من إسرائيل، والتي تحدثـــت عـــن"تحريـــر فلســـطين" كـــهدف مقـــدس، وواجـــب وطني. من أجل طرد الاجتياح الصـــهيوني الكبـــير مـــن الوطـــن العربـــي". لقـــد كـــان يجب محو مثل هذه العبارات من الواقع الجديد. لقـــد ســـبق لجولـــدا مـــائير، أن قـــالت في حينه:.لا يوجد شعب فلسطيني، وهـــذا يحتـــاج إلـــى تعديـــل. إن المغـــزى الحقيقـــي للاعتراف المتبادل، كان يتمثل، بادئ ذي بدء، فـــي الاعـــتراف بـــالواقع.

ساد توتر في غرفة الاجتماعـــات عندمـــا عـــاد أبـــو عـــلاء، وقـــال: أن اللجنـــة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على دراسة بيان المبـــادئ لـــذا لـــم يســـتطع الاتصـــال بعرفات بشأن بنود الميثاق. لذا قررنا الإعلان عـــن مرحلـــة اســـتراحة.

عندما عدنا إلى غرفة الاجتمـــاع، حـــاول أبـــو عـــلاء الاتصـــال بعرفـــات مـــرة أخرى دون جدوى، وفجأة قدم أربعـــة ضيـــوف غـــير مرغـــوب فيـــهم، فـــي البدايـــة (مايه)، والتي كانت في زيارة لباريس، وقدمـــت مـــع صديقـــة لـــها، ثـــم زوجـــة أبـــو

علاء وابنه عصام، اللذان كانا ينزلان في فندق آخر، وشعرا بالقلق جراء عدم اتصاله بهما. وقد قدم أبو علاء زوجته وابنه لنا، وعندما قدمت إليه مايه عانقها. ووقفنا حائرين في هذا الوضع الجديد، بيد أن لاريسون خلصنا من المأزق، حينما اقترح أن يتحاور عصام ومايه باسم الطرفين، فضحك عصام، وقال: لا توجد أي مشكلة في ذلك، سنذهب إلى مرقص، ونحل كل المشكلة هناك، في لحظة".

وعندما ذهب الضيوف، عدنا إلى المفاوضات الصعبة التي كنا غارقين فيها، بينما بقيت (مايه) للعمل كعاملة هاتف بالنسبة لنا.

وفي حوالي الساعة الثانية ليلا، تمكن أبو علاء من الاتصال بأبو عمار، وقال: لقد تحدثت معه مطولا، فقال لي: لا أستطيع اتخاذ قرار مهم من هذا القبيل بنفسي، لذا، سوف يعقد اجتماعاً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ثم يتصل بنا".

اتصلت ببيرس في حوالي الساعة الثالثة صباحاً، وأوضحت له الصعوبات القائمة، فطلب مني أن أطلعه على التطورات في الساعة السابعة صباحاً، قبل اجتماعه مع رابين.

واصلنا النقاش، ونحن بانتظار اتصال أبو عمار، وخلال النقاش طرحنا ثلاث قضايا أخرى:" القدس والانتفاضة، والاستيطان. وقد رغبت منظمة التحرير في أن تلتزم إسرائيل بعدم إغلاق مؤسسات فلسطينية في القدس الشرقية. وقد وافقنا على ذلك، شريطة أن ينطبق ذلك، فقط، على المؤسسات التي لا تعتبر ممثلة لمنظمة التحرير أو بالحكم الذاتي الفلسطيني المستقبلي، أي أننا لن نغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية، لان مصلحتنا تقضي بتطويرها. وقد طلب بيرس أن لا يتم الإعلان عن التزامنا بهذا الصدد. ورغم أن الموافقة الإسرائيلية، لم تكن تحمل أي تنازلات الا أن كل ما يتعلق بالقدس، كان يثير الرأي العام الإسرائيلي، ويجعل من الصعب أخذ مصادقة الكنيست على الاتفاقية. وقد أصر أبو علاء على أن يقوم بيرس، بإرسال رسالة بهذا الشأن لهولست، بيد أنه وافق على الاحتفاظ بالأمر طي الكتمان.

ثم طالب أبو علاء بتجميد جميع عمليات التوسع الاستيطاني في الضفة والقطاع، وهو الأمر الذي أثار ثائرة بيرس، والذي صرخ في الهاتف قائلا:" ما الذي يطلبه في هذه اللحظات الأخيرة؟؟ قل له أننا لن نوافق على وقف البناء تحت وطأة الضغط الفلسطيني. وقل له أن الحكومة قررت منذ عام ١٩٩٢ وقف عمليات البناء".

وعندما نقلت رد بيرس إلى أبو علاء، قال لي:" لا تهمنا الصورة التي ستوقفون بها البناء في الضفة والقطاع، بيد أن ما يجب أن تدركوه جيدا، هو أن استئناف البناء في المستوطنات، سيؤدي إلى انهيار المسيرة السلمية".

وعندما طرحنا قضية الانتفاضة التي ضعفت جداً، ثارت ثائرة أبو علاء من جديد. وقال:" أنتم لم تصفوا الاحتلال وهو باعث الانتفاضة. وإذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف يمكننا أن نوقف الانتفاضة؟؟ إن هذه القضية خارج سيطرتنا".

فقال زينجر:" عليكم أن تختاروا بين العنف، وبين المسيرة السلمية، التي ستمكنكم من بناء مجتمعكم واقتصادكم. ويجب أن تقولوا لنا الآن ما هو خياركم، لأن هذا الخيار سيؤثر إلى حد كبير على طبيعة توجهنا بشأن الاتفاق".

قال أبو علاء:" أنه سيوصي عرفات بدعوة الفلسطينيين للعودة لممارسة حياتهم العادية، والاهتمام بالتطوير الاقتصادي، أو بمعنى آخر أن يوقفوا العنف.

وقد اقترح هولست، أن يتم الإعراب عن هذا الالتزام في رسالة ترسل إليه. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحاً وافقنا على ذلك.

لم تتمكن وسائل الإعلام من العثور على مكاننا، باستثناء جين كوربين من شبكة (بي بي سي)، وقد بعثت رسالة إلى غرفتي قالت فيها: إذا أجريت معها مقابلة، فإنها لن تكشف مكان وجودنا، وستحرص على بث المقابلة يوم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن. ولم يكن بوسعي سوى الموافقة.

وفي غرفة رقم ٥٣٥ في الفندق، وجدتها هي وطاقمها بانتظاري:

س: ماذا تفعلون في الطابق الثاني؟

-أنا: نعمل على تشييع جنازة النزاع.

س: هل أبو علاء صديقك؟

-إلى الدرجة التي لن أجيب فيها عن سؤالك.

وفي تمام الساعة السابعة، اتصلت ببيرس لأطلعه على المستجدات مثلما اتفقنا، بيد أنه كان نافذ الصبر، وقال لي:" إذا اصبح عرفات عالقا ويراوح مكانه في هذه القضايا الأساسية، فلا شك أن بمقدورنا أن نعيش دون الاعتراف المتبادل. دعنا نترك هذه القضية إلى مرحلة لاحقة، ونوقع على إعلان المبادئ".

حتى الساعة التاسعة، لم يتصل عرفات بأبو علاء، وعرفت منه، أن اللجنة التنفيذية لا زالت منعقدة، فقلت له:" يبدو لي آنفا أننا لن نتوصل إلى اتفاق" فقال:" ليكن، أدار لي ظهره وذهب.

لحق به لاريسون، واقترح أن يتصل هولست بعرفات. وقد اتصل هولست بعرفات وقال له بأدب حاد:" أبو عمار، يجب عليك أن تتخذ قرارا فوعد عرفات، بمناقشة القضية مع مساعديه والاتصال به بسرعة.

واصل بيرس ممارسة الضغوط، وقال لنا:" إن الحكومة ستجتمع في الساعة الخامسة للمصادقة على الاتفاقية، إذا كانت هناك اتفاقية".

لقد استغرقت جلسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ثلاثة أيام متوالية لمناقشة بيان إعلان المبادئ، والآن لم يبق أمامهم سوى ثلاث ساعات فقط، للتوصل إلى قرار حول الاعتراف المتبادل.

لم يكن الفلسطينيون يواجهون أية مشكلة في الاعتراف بإسرائيل في إطار المسيرة السلمية بيد أننا كنا نتحدث عن اعتراف دون أي شروط، أو التطرق إلى حدود اسرائيل، أو لجوهر الحل بيننا. أما نحن فكنا على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني لكن ليس كزعامة لدولة فلسطينية. لذا كنا مصرين ووفقا لأوامر من إسرائيل، أن يوقع عرفات على رسالته إلى رابين باسم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وليس رئيس فلسطين مثلما اعتاد التوقيع على رسائله منذ عام ١٩٨٨.

وفي ساعات الظهر من يوم التاسع من أيلول، تحدث أبو علاء مع أبو مازن والذي أعلمه بموافقة منظمة التحرير بعد نقاش عاصف، على صورة الاعتراف التي طلبناها. ووافق زعماء المنظمة أيضا على تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وعلى شجب الإرهاب، والدعوة إلى إنهاء الانتفاضة.

وقد رددنا لهم ذلك بإبداء الاستعداد للاعتراف بمنظمة التحرير، وبالتعهد بأن يعلن بيرس في رسالة يبعث بها إلى هولست، عن التزامه بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس الشرقية. وأن تزود الفلسطينيين بقرار الحكومة عام ١٩٩٢ الذي ينص على تجميد الاستيطان. ولا شك أنه لولا هذه السياسة، لما تمكنا من التوصل إلى اتفاق.

وبعد برهة وجيزة أصبحت رسالة الاعتراف جاهزة للطباعة النهائية وللنقل عبر النرويجيين إلى تونس وإسرائيل. ومن الجدير بالذكر، أن رابين أكد بألا نستهل رسالته إلى الرئيس الفلسطيني بالكلمات المألوفة في رسائله: سيدي الرئيس العزيز، بل فقط الكلمات السيد الرئيس. وقد انطبقت هذه القاعدة على رسالة عرفات إلى رابين أيضا.

كانت مريانة على وشك الانتهاء من طباعة الرسالة، عندما دخلت فيه إلى الغرفة وقالت لي: رئيس الحكومة يرغب في التحدث إليك والى زينجر. وقد قال لي رابين أريد أن تبدل كلمة واحدة في الرسالة. التي يجب أن يرسلها عرفات إلي. وكان قد جاء في الصيغة الرئيسية" وفقا لذلك" فإن منظمة التحرير تلتزم بمطالبة المجلس الوطني الفلسطيني مصادقة رسمية للتغييرات الضرورية في الميثاق الفلسطيني". وقد طالب رابين باستبدال كلمة"وفقا" بكلمة"بناءً على ذلك".

وقد قال لي يوآل: لا أجد أي فارق في المعنيين، بيد أنني أدركت أن أبو علاء سيشك في أن لهذا التغيير معنى سياسيا عميقا.

عدت إلى الصالون- ووجدت النرويجيين في حالة رعب، حتى قبل أن أتفوه بأي كلمة وأطلب من أبو علاء الانضمام إلي في الغرفة المجاورة. وهناك أعلمته بمطلب رابين، وقلت له: ثق أنني لا أفهم معنى هذا التغيير. فابتسم، وقال:

أنا أدرك الأمر جيداً، لديكم هواجس من الكلمات، حسناً دعنا نخرج إلى الذين ينتظروننا في الخارج، لقد بات لدينا اتفاق".

وجدنا النرويجيين في الصالون شديدي الإحراج رسم أبو علاء على وجهه أكبر تقطيبه ممكنة، وقال للنرويجيين قلت لسبير، أن بالإمكان التوقيع على الاتفاقية، شريطة تغيير كلمة واحدة، بيد أنه رفض الاستجابة لي".

"أية كلمة" صرخ هولست قائلا، لقد باتت الرسائل مطبوعة وأنا مضطر للسفر بعد نصف ساعة لا يمكنكم أن تضيفوا كل نصف ساعة شيئا جديدا".



٣- المصافحة التاريخية في واشنطن، من اليسار الى اليمين اسحق رابين، بيل كلينتون، وياسر عرفات ١٣/٩/١٩٩٣.

أوسلو أغضبت دولاً عربية كانت آخر من يعلم

الأردن كان محطتنا الثانية وطريقنا إلى القمة الاقتصادية

طلب أبو علاء نسخة رسالة عرفات وأشار إلى الكلمة، وقال: أنا أطالب بتغييرها.

بدأ النرويجيون يتوسلون إلينا أن نتنازل، وبعد عدة مشاورات بيننا في غرف جانبية قلنا أننا توصلنا إلى اتفاق لتغيير الكلمة، وتم طباعة الرسالة من جديد.

وهكذا، اصبح بين أيدينا أربع رسائل: رسالة عرفات لرابين باعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، ورسالة عرفات لهولست والتي يوجه فيها نداءً للشعب الفلسطيني لشجب العنف ورسالة رابين لعرفات يعترف فيها بمنظمة التحرير، ورسالة سرية من بيرس لهولست يتعهد فيها بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس. وقد قمنا بإرسال صور عن النسخ الأربع بالفاكس، لإسرائيل، واحتفظنا بالنسخ الأصلية.

وفي الساعة الثانية ظهراً، وبينما صوت إسرائيل يعلن أنه لا زالت هناك صعوبات جمة في المفاوضات، تناول هولست زجاجة شمبانيا من الثلاجة، ودعوت"مايه" للانضمام إلينا، وبدأنا الاحتفال بالعهد الجديد في العلاقات، بين منظمة التحرير وإسرائيل.

*** *** ***

في نفس الليلة صادقت منظمة التحرير على تبادل الرسائل، وبذلك، أصبح الميثاق الوطني الفلسطيني لاغياً وملغياً على الصعيد العملي، ولا شك أن هذه كانت خطوة كبيرة جداً، على صعيد منظمة التحرير. وبعد سنتين ونصف السنة، وفي نيسان ١٩٩٦، صادق المجلس الوطني الفلسطيني، على تعديل الميثاق، في الجلسة الخاصة التي عقدها في غزة، في الوقت الذي واصلت فيه جهات إسرائيلية يمينية الادعاء-استناداً إلى تفسيرات كلامية لا أساس لها من الصحة-

بأن الميثاق الأصل لا زال ساري المفعول. وتساءلت بيني وبين نفسي، ما الذي بقي على الفلسطينيين عمله بدون الجدار الاستنادي العدائي المعروف والمريح؟ لقد سقط هذا الجدار في العاشر من أيلول عندما وقع عرفات على الرسائل المتعلقة بذلك في تونس، وقام هولست بعرضها على وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية في مراسيم بسيطة، في مكتب رئيس الحكومة في القدس، وقد قام رابين والى جانبيه بيرس وهولست بالتوقيع باسم حكومة إسرائيل على رسالة الاعتراف بمنظمة التحرير، وهكذا كان التحدي التاريخي كله في جملة واحدة جاء فيها:

سيدي الرئيس:

ردا على رسالتك في التاسع من أيلول ١٩٩٣، أود أن أؤكد أمامك، أنه وفي ضوء التزام منظمة التحرير المدرجة في رسالتك، فقد قررت حكومة إسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير، كممثل الشعب الفلسطيني، والشروع بمفاوضات مع منظمة التحرير في إطار مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

وبعد ثلاثة أيام- في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣- تم التعبير عن هذا الاعتراف، بأكثر الصور علنية في حدائق البيت الأبيض في تمام الساعة العاشرة صباحا، عندما وقع شمعون بيرس باسم إسرائيل، وأبو مازن باسم منظمة التحرير على إعلان المبادئ. وفي أعقاب التوقيع، طلب الرئيس الأميركي من اسحق رابين وياسر عرفات -اللذين لم يتخيل أي إنسان أن بالإمكان رؤيتهما معا في أي مكان- كي يصافح أحدهما الآخر.

وكما يبدو، فإن هذه المصافحة كانت أكثر مصافحة التقطت لها صور في العالم. لقد عزا العالم بأسره، إلى هذه المصافحة، السحر الذي أدى إلى تسوية أحد أكثر النزاعات تعقيدا في العالم، وأشدها حساسية في التاريخ الحديث، والآمال التي ولدت في قلوب الكثيرين على أرضية هذه المصافحة.

جلست إلى جوار يوسي بيلين- وهو الرجل الذي حرك هذه المسيرة- في الصف الأول، وهمست له :" هل تصدق ما ترى عيناك" فقال" إذا كان ما نراه حقيقيا، فلا شك أنه هائل".

لقد قدم بيرس إلى واشنطن على أهبة الاستعداد، بل ومسرورا لمقابلة أبو مازن، وجها لوجه، باسم إسرائيل، ولم يكن متحمساً لوجود رابين وعرفات وقال أن وجودهما سابق لأوانه جداً.

أما رابين البراغماتي، فقد اعتبر الاتفاقية بمثابة أمر وطني، وتعامل مع الفلسطينيين كشركاء في السلام، رغم أنه لا زال يراوده شعور بالإحجام عنهم، وخصوصاً من رئيسهم ياسر عرفات، وقد وجد صعوبة بالغة في إخفاء ذلك. بل وشعر بالاشمئزاز عندما صافح الرئيس الفلسطيني، وربما أنه يكون بذلك قد عكس مشاعر الكثير من الإسرائيليين. ثم جاء دور بيرس لمصافحة عرفات الذي بدا وكأنه هبط من كوكب آخر، رغم مظهره الخارجي الذي بقي على حاله، وقد حظي بتصفيق حاد كالذي يحظى به المبشرون بالسلام. لقد كان بمقدوره أن يترفع ويرتفع إلى مستوى الحدث، بيد أنه، كما يبدو، كان يرى الحدث برمته دليلا على عدالة النضال الذي خاضه حتى الآن، وليس كتحية للتحول الكبير الذي طرأ على القيم.

كانت هناك قواسم مشتركة تربط بين الشخصيات الثلاثة الماثلة على "خشبة المسرح"، عرفات ورابين وبيرس: فقد كانوا زعماء أقوياء ومحنكين، لا يمكن لتشويهات كلامية أن تهزمهم، والثلاثة كانوا وحيدين، ومقتنعين بعدالة طريقهم، ويحملون في أعماقهم حوافز هائلة بغية إنجاز أهدافهم، والثلاثة كانوا يتمتعون بالقدرة على التحمل، وقد تزايد تأثير المسيرة عليهم تدريجيا كلما تقدمت إلى الأمام. وهاهم الثلاثة يقفون على (خشبة المسرح) المتحركة باتجاه مستقبل لا زال في المجهول.

شاهدت أبو علاء في أعقاب انتهاء مراسيم التوقيع واقفاً وسط مجموعة من كبار شخصيات منظمة التحرير، فاتجهت نحوه، لكنه رمقني بنظرة محرجة. لقد شعرنا الآن، ونحن في خضم الواقع، أننا بعيدون عن خصوصية أوسلو وعزلتها، إننا غرباء. وبدا أننا تحولنا من شركاء سريين إلى أعضاء في معسكرين مختلفين وعلى وشك الانطلاق في مسيرة مشتركة.

وقفت إسرائيل ومنظمة التحرير الان علـــى خـط الانطــلاق، وكـــان عليـــهما أن يترجما إعلان المبادئ إلى واقع عملي. ترى هل ســـيتمكنان مـــن العمــل معـــا؟ هــل سيستطيعان اتخاذ الاستعدادات اللازمة لبدء الجــدل حــول إقامـــة الحكــم الذاتـــي فـــي غزة واريحا؟؟ وكيف ســيعالجان ردود الفعــل الداخليـــة لديـــهما؟؟ ولا شـــك أن الـــرد على هذه التساؤلات كان يحتاج إلى جدول أعمـــال كـــامل وجديـــد.

عقدت أول جلسة عمل بين إسرائيل ومنظمـــة التحريـــر فـــي ســـاعات مـــا بعـــد ظهر الثالث عشر من أيلول في أحد أجنحة الطابق الخـــامس مـــن فنــدق(مـــاي فلـــوا) والذي كان بيرس يحل فيه مع عائلته. وقد شارك فــــي الجلســـة أبـــو مـــازن وبـــيرس ويوسي بيلين وأبو علاء وحسن عصفور ويوآل زينجر وأنـــــا- قـــرر رابيـــن وبـــيرس عدم ضم هيرشــــفيلد وفونـــدك إلـــى الوفــد الرســمي للمراســيم- حيــث اعتقـــدا أن هيرشفيلد وفوندك بالغا في الإدلاء بتصريحـــات حـــول الـــدور الـــذي قامـــا بـــه فـــي المسيرة وكان ذلك خطـــأ.

استهل بيرس حديثه بتحديد المقدمات الثـــلاث التاليـــة"

"أولا: من المهم تشكيل طاقم المفاوضات لتجســـيد الاتفاقيـــة.

ثانيا: علينا أن نسلط الأضواء فـــي النقـــاش علـــى القضيـــة المركزيـــة الخاصـــة بالتطوير الاقتصادي في الضفة والقطاع، وقد تحدثـــت مـــع الـــنرويجيين وقـــالوا لـــي: أنهم أعدوا قاعدة اســـكندنافية لتقديـــم المســـاعدات الدوليـــة، والأمـــيركيون ســـيؤيدون هذه الخطوة، وقد ضمنت خلال زيارتي لبروكســـل، تعـــاون الاتحـــاد الأوروبـــي بـــهذا الصدد، سوف يتم تشكيل تنظيـــم دولـــي مـــن أجــل دعمكــم ونحــن نتـــوق لرؤيـــة نجاحكم، لأننا مهتمون بالعيش إلى جانب جـــيران، يتمتعـــون بالازدهـــار الاقتصـــادي. ولا يوجد لدينا أي اهتمام في إدارة حياتكم بيد أننا نرغب فـــي تقديـــم المســـاعدة لكـــم.

ثالثا: أنا واثق أن علينـــا أن نجـــري اتصـــالات يوميـــا فيمـــا بيننـــا، واقـــترح أن يصبح أبو علاء وسبير ضابطين هـــذا الاتصـــال".

وفي مستهل كلامه، قال أبو مازن: أنه كان دائمـــا يقـــدر الجـــهود التـــي يبذلـــها من أجل السلام. ورغم أنه انتهج أسلوبا أقل عملية مـــن بـــيرس الا أنـــه وافـــق علـــى

أهمية التعاون بين الطرفين. وأضاف:" يجب علينا أن نعمل معا على معالجة الوضع الاقتصادي الحالي، لان شعبنا بحاجة لأن يشعر بالفروق".

كان هذا اللقاء، هو الأول مع الرجل الذي يوازي يوسي بيلين لدينا، على صعيد مبادرة حوار أوسلو في الجانب الفلسطيني. ولم يكن هذا الرجل قد مني، ولو بقدر صغير من العصبية التي مني بها نظراؤه.

ولم ندرك في تلك المرحلة، أن ضبط النفس السودي الذي يتحلى به، وعدم وضوح ردوده كانا يعكسان عدم استعداد الفلسطينيين للشروع بسرعة في تطبيق الاتفاقية. كانت المشكلة بالنسبة لهم تتجلى في عدم توفر مصطلحات ومعدات جاهزة للحكم، إضافة إلى تركيز غالبية الصلاحيات بين أيدي عرفات.

وخلال الاحتكاكات التي جرت مع مستشاريه وفي معرض التطرق إلى عامل الزمن، اتضح لنا لدهشتنا أن الفلسطينيين يعتقدون أن الزمن يعمل لمصلحتهم، في الوقت الذي كنا نحن نشعر بالضيق الشديد جراء مرور الزمن دون أن نستغله.

وكان من الصعب علينا، أيضا، في تلك الآونة، أن نحدد ما الذي يتوجب على كل طرف عمله وحده، وما الذي يجب أن نفعله بالتعاون معا؟ وهكذا، وجدنا أنفسنا نراوح بين بقايا النزاع من ناحية والتعاون فيما بيننا من الناحية الأخرى.

رافقت أعضاء الوفد الفلسطيني حتى باب الفندق، وهناك أخذت أرقام هواتفهم، وأخذوا رقم هاتفي، وقال أبو علاء: يمكنكم أن تتصلوا بنا مباشرة في تونس، أما نحن فلا نستطيع بعد الاتصال مباشرة بالضفة الغربية أو غزة. لقد آن الأوان للعودة إلى البيت" فقلت له:" أهلا وسهلا" فرد قائلا: أهلا وسهلا، ولربما أنه اراد أن يقول لي بذلك: لستم أنتم الذين تستضيفوننا.

غادرنا واشنطن، ونحن لا ندري أن هذا اللقاء سيكون آخر لقاء لفترة طويلة. فقد قطع عرفات العلاقة معنا لعدة أسابيع، دون أن نتلقى أي مكالمة من أبو علاء. وفجأة وصلتنا مكالمة من أبو كرش- الرجل الثالث لمنظمة التحرير

في أوسلو، وطلب أن يجتمع بي في فرانكفـورت وحـال وصولـي، أعلمنـي رسـميا، أنه تم تعيينه ضابطاً للاتصال للمنظمة مـع إسـرائيل.

أدهشني ذلك، بيد أن هذا التعيين كان بالنسبة لنـا، أحـد أسـاليب عرفـات، فـي الإخلال بتوازن مقربيه لقد قدم عرفات الدعـم لأبـو عـلاء إيـان اتفاقيـات أوسـلو، والان نحاه جانبا بيد أن هذه المرة، كانت آخر مرة أشـاهد فيـها أبـو كـرش. كـانت الاتصالات تجري معي من قبل شـخصيات فلسـطينية مختلفـة، بيـد أن أبـو عـلاء كان يعود للظهور، كلما أصبحت المحادثـات جديـة.

والى جانب الطرفين، كان هناك مجتمع دولي مذهـول مـن رؤيـة المصافحـة، ويتوق إلى رؤية الازدهار الناجم عن التعـاون الجديـد.

اجتمع فـي الأول مـن تشـرين الأول وزراء الخارجيـة والماليـة مـن جميـع أنحاء العالم في واشنطن، بمبادرة من شـمعون بـيرس، بغيـة الاتفـاق علـى صفقـة مساعدات للفلسطينيين، ووافقـت الجـهات المشـاركة، علـى تضميـن هـذه الصفقـة هبات وقروضا بقيمة ٢،٥ مليـار دولار، والتـي ازدادت، فيمـا بعـد، حتـى بلغـت ثلاثة مليارات دولار، من الولايات المتحدة والاتحـاد الأوروبـي واليابـان- أمـا دول الخليج فعادت لتخيب آمال الاخوة الفلسطينيين مـن جديـد.

وتم اختيار النرويج- بطلة المفاوضـات- لـترؤس مبـادرة المسـاعدات تحـت إشراف هولست ولاريسون. وقد سألني لاريسون: هل فكرت، فـي يـوم مـن الأيـام، أن وزراء إسرائيليين يقومـون بجمـع الأمـوال لمنظمـة التحريـر؟؟ وقـد الـتزمت إسرائيل نفسها بتقديم مساعدات للحكـم الذاتـي الفلسـطيني بقيمـة خمسـة وعشـرين مليون دولار على مدى خمس سـنوات.

أذهل الاتفاق العـالم العربـي، وكـان مـن البديـهي أن تصـب دول الرفـض العربية عليه جام غضبها، أما الدول المؤيدة فكـانت تلـك الـدول التـي تـم إشـراكها في سر أوسلو: مصر، والمغـرب وتونـس. وبيـن هذيـن النوعيـن، كـانت هنـاك بعض الدول العربية التي فاجأها اتفـاق أوسـلو ايضـا. وكـانت هـذه الـدول تؤيـد الفلسطينيين أخلاقيا، بيد أنها تتحفظ على تطلعاتـهم السياسـية.

كان الأردنيون يخشون علـــى مصـــالح مملكتـــهم، أمـــا دول الخليـــج، فكـــانت لا تزال تكن الحقد على عرفات، جـــراء تـــأييده لصـــدام حســين إبـــان حــرب الخليـــج. ورغم ذلك، فقد شعر العديد مـــن هـــذه الـــدول أن الاتفـــاق أزاح عـــن ظـــهرها عبئـــا ثقيـــلا.

ولا زلت أذكر، أن أبو علاء قـــال لـــي إبـــان المفاوضـــات فـــي أوســـلو:" أنتـــم ستمنحوننا المفاتيح إلى الولايـــات المتحـــدة ونحـــن ســـنفتح البـــاب لكـــم إلـــى العـــالم العربي" وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأ الباب نحو العـــالم العربـــي فـــي الانفتـــاح. فبعـــد يوم واحد من إجراء مراسيم التوقيع على الاتفاقية فـــي واشـــنطن، تـــم تحديـــد جـــدول أعمال للتفاوض بين ممثلي الأردن وإسرائيل، ذلك الجـــدول الـــذي أسـفر فـــي نهايـــة المطاف عن إبرام اتفاقية السلام المستقبلية بيـــن الدولتيـــن.

وفي طريق العودة من واشنطن، هبطـــت طائرتنـــا فـــي الربـــاط، وقـــام الملـــك الحسن الذي يعتبر أحـــد رواد الســـلام العربـــي-الإســـرائيلي بـــإعداد اســـتقبال ملكـــي لرابين وبـــيرس".

إن التوق الإسرائيلي لوضع حد للاحتلال واعترافنـــا بمنظمـــة التحريـــر، أحلـــت العديد من الدول العربية من تحفظاتـــها مـــن إســـرائيل تلـــك التحفظـــات التـــي كـــانت ناجمة عن تأييدها للقضية الفلســـطينية.

ونظـــرا لأن نزعتـــا نحـــو التـــأثر بـــالعرب الذيـــن يوجـــهون الانتقـــادات إلـــى الفلسطينيين، فقد استحال علينا أن ندرك أنـــه طالمـــا بقـــي اليـــهود يســـيطرون علـــى العرب فإن السلام لن يسود أبدا في الشـــرق الأوســـط.

وخلال مراسيم التوقيع على الاتفاقيـــات فـــي واشـــنطن اتضـــح لـــي، وليوســـي بيلين أننا كنا نجلس إلى جوار الأمير بندر-ســـفير الســـعودية فـــي واشـــنطن- والـــذي يعتبر شخصية بارزة جدا في الولايات المتحـــدة منـــذ الثمانينـــات.

وفي نهاية المراسيم، توجه إلينا قائلا: لقد ســـمعت عنكـــم الكثـــير، وأنـــا أحبيكـــم" وفي أعقاب وجبة العشاء التي أقامـــها وزيـــر الخارجيـــة كريســـتوفر، تحـــدث الأمـــير بندر مع بـــيرس.

وقد أخـــبرني مســئول أمــيركي، فيمــا بعــد، أن الســعوديين ســمحوا لبنــدر بالمشاركة في المراسيم، بيد أنهم اشترطوا عليه أن لا يعـــرب عــن تقديـــره لعرفــات. هذا رغم أنه لولا عرفات، لما كان لقاؤنـــا مــع بنــدر أو مــع أيــة شــخصية عربيــة أخرى لتحــدث.

حطت طائرتنا فـــي إســرائيل، فــي الســاعة الرابعــة فجــر عيــد رأس الســنة العبرية، لقد استغرقتنا مهمتنا منذ بدايتها وحتى نهايتها اثنتـــي وســبعين ســاعة.

كنا شديدي التعب والإرهاق، ورغــم ذلــك، طلــب منــا بــيرس أن نمثــل فــي مكتبه الساعة السابعة من صبيحة الغــد. وعندمــا وصلنــا أنــا وبيليــن وجيــل، كنــا مرهقين تماما، بيد أن بيرس بدا في قمة حيويته ونشاطه. وقـــد جلــس أمامنــا، وقــال بجدية تامة:" هذه هـــي الســاعة المناســبة للــهجوم علــى الأردن . فانفجرنــا نحــن الثلاثة بالضحك، وأخذنا نشرح شكوكنا حول ذلك، بيد أن مبرراتنـــا لــم تغــير رأيــه، وقال:" الملك لن يبقى في الخلف" وطلب من بيلين أن يمـــهد الأرضيـــة للقــاء.

في الأول من تشرين الأول اجتمع بيرس علنـــا ولأول مــرة، مــع ولـــي العــهد الأردني الأمير الحسن تحت رعاية الرئيس الأمـــيركي فـــي واشــنطن.

وبعد أربعة أسابيع اجتاز ثلاثة إســـرائيليين هــم: بــيرس الــذي حــاول إخفــاء شخصيته باعتمار قبعة وشـــارب، وآفـــي جيــل، وافرايــم هيلفــي-رئيــس الموســاد حاليا-جسر الملك الحسين على نهر الأردن، في طريقـــهم إلــى القصــر الملكــي فــي عمان. لقد هاجم بيرس حقا الملك الحســين بتنبؤاتــه حــول الســلام والازدهــار فــي المنطقة كلها، وأسهب في القـــول حــول دور المملكــة الهاشــمية فــي تجســيد هــذه النبــوءة.

وفي نهاية الحوار، توصل الملــك وبــيرس إلــى تفــاهم حــول معــايير اتفاقيــة السلام المستقبلي، ووقعا بالأحرف الأولى على وثيقة مؤلفة مـــن أربــع صفحــات.

ونظراً لأن التطوير الاقتصـــادي، احتــل رأس جــدول اهتمامــات بــيرس، فقــد سارع لتقديم اقتراح للملك، قائلا: مــا رأي جلالتــك، فــي دعــوة أربعــة آلاف رجــل أعمال إلى عمان لمناقشة الاستثمار في الشـــرق الأوســط الجديـــد؟؟

وأسهب بيرس في شـــرح خطتـــه، بمـــا فيـــها عمليـــات نقـــل الضيـــوف مـــن إسرائيل واليها بطائرات الهليوكبتر. وقد أعرب الملـــك عـــن موافقتـــه علـــى الفكـــرة، والتي تم ضمها إلى وثيقة التفاهم التي تم إنجازهـــا بيـــن الصديقيـــن الحميميـــن. كـــان ذلك في الثاني من تشـــرين الثـــاني ١٩٩٣.

عاد بيرس إلى إسرائيل وهو يشعر بالإعجـــاب الشـــديد بنفســـه. ومـــن البديـــهي القول: أن اللقاء جرى بمباركة رابين، رغم أنـــه أعـــرب عـــن شـــكه فـــي أن يســـارع الملك الحسين، إلى دفـــع الحـــوار بيـــن الأردن وإســـرائيل إلـــى الأمـــام فـــي أعقـــاب (الصفقة) التي تم تنفيذها مع الفلسطينيين مـــــن وراء ظـــهره.

والأميركيون أيضا، لم يكونـــــوا يتوقعـــون إحـــراز أي تقـــدم، خصوصـــاً علـــى أرضية معارضة السوريين للصفقـــات المنفـــردة، ومواقفـــها التهديديـــة تجـــاه الأردن. كنت في تلك الآونة في باريس، وخلال تنـــاولي طعـــام العشـــاء مـــع مـــارتن اينـــدك ودنيس روس، قرأت تفاصيل الوثيقـــة التـــي تـــم إنجازهـــا فـــي عمـــان. وبـــدا روس مندهشا، وقال:" لقد توقفت عن الشك في قدرة بيرس علـــى عمـــل المعجـــزات أرجـــو أن تنقل له تهنئتي: لقد لمســـت فـــي هـــذه الأقـــوال تغيـــيرا فـــي لهجـــة الأمـــيركيين وتعاملهم تجاه بيرس، الذي كان من وجهة نظرهم، يشع بالأفكـــار الخلاقـــة، بيـــد أنـــه ليس (أرثوذكسيا جدا) ومنذ تلـــك اللحظـــة، أصبحـــت اتصالاتـــه مـــع طـــاقم الســـلام الأميركي شبه يوميـــة.

في الرابع من تشرين الثاني اجتمع بـــيرس فـــي القـــدس مـــع كـــلاوس شـــفاب، وجريجوري بلات رئيس الهيئة الاقتصادية العالميـــة فـــي "دافـــوس" وأطلعـــهما علـــى المبادرة التي ناقشها مع الملك الحســـين، وأعلمـــهما بموافقـــة الملـــك، وطلـــب منـــهما العمل على تنظيم عقد مؤتمر قمة اقتصادي وقد وافـــق شـــفاب علـــى تحمـــل مســـئولية تنظيم هذا المؤتمـــر.

وقد افترض عليـــه أن يعمـــل بالتعـــاون مـــع (الســـلي جلـــب) رئيـــس مجلـــس العلاقات الخارجية في نيويورك، فـــي الوقـــت الـــذي لـــم يؤمـــن أي مـــن المقربيـــن لبيرس، بإمكانية عقد مؤتمر بالحجم الذي يتحدث عنه بـــيرس فـــي الزمـــن المنظـــور.

لذاء كنا نتحدث من خلف ظهر بيرس، عن مؤتمر الأربعيـــن والذيــن يعنـــي أن عــدد المشاركين فيه لن يتجاوز أربعيــن شـــخصاً.

بيد أنه لم يمض سوى عام حتـــى عقــد فـــي كازابلانكـا المؤتمــر الاقتصـــادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيــــا، بمشـــاركة أربعـــة آلاف ممثــل عــن عـــالم رجـــال الأعمال والماليين، لقد قرر الأردنيـــون عــدم اســتضافة المؤتمـــر الأول، بيــد أنـــهم دعوا المؤتمر الثاني للانعقاد علـــى اراضيـــهم.

ولا شك أن كل هذه الأحـــداث وقعــت بفضــل التوقيـــع علـــى اتفاقيـــة إعـــلان المبادئ مع منظمة التحريـــر.

***   ***   ***

بدت المسيرة وهي تنطلق بعد ذلك مختلفة تماما عمـــا تـــم التخطيـــط لـــه ســابقاً. فالعمل الذي بدا لمنظمة التحريـــر ومؤيـــدي الســـلام كنقطـــة انطـــلاق جديـــدة، أثـــار معارضة شديدة ومتطرفة ومهددة من قبل ائتلاف هـــش مؤلـــف مـــن القـــوى المعنيـــة بتدمير المسيرة الســـلمية.

لقد اعتبر الأصوليون الإسلاميون المسيرة بمثابـــة كارثـــة، نظـــرا لان حركاتـــهم كانت تنمو، فقط، وسط اللااســـتقرار الاجتمـــاعي والاقتصـــادي.

وعارضها كذلك حاملو لـــــواء القوميـــة العربيـــة مـــن خـــلال رؤيتـــهم الضيقـــة لمصالحهم، ومن خلال عدم الثقة المتجذرة في أعماقـــهم تجـــاه إســـرائيل.

وقد سارع هؤلاء وأولئك إلـــى نفـــض غبـــار الصدمـــة الأولـــى عـــن أنفســـهم، وبدأوا يعدون العدة للعمل العنيف ضد"خطـــر الســـلام".

كان هناك، في الجانب الفلسطيني، معـــارضون يحظـــون بتـــأييد ســـوريا، مثـــل جورج حبش،الذي قال: يجـــب الإلقـــاء بعرفـــات إلـــى حاويـــة القمامـــة" أمـــا أحمـــد جبريل، فقد تنبأ لعرفات بمصير مماثل لمصير السادات. وأقســـم نـــايف حواتمـــة بـــأن يدمر اتفاقية السلام بالوسائل العنيفـــة والوحشـــية.

وكان هناك أيضاً في داخل منظمة التحرير من اعتبر الاتفاقية بمثابة خنوع ياسر عرفات، للإملاءات الإسرائيلية، وقد ترأس هذا الجناح رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير فاروق القدومي.

لم تشعر الحكومة السورية بالارتياح من الاتفاقية التي ولدت بعد أيام معدودة من التطورات الحقيقية(والسرية) التي طرأت على المفاوضات بينها وبين إسرائيل وشك الرئيس الأسد، بوجود مؤامرة لمنعه من معارضته إعلان المبادئ. بيد أنه وبتشجيع من الإدارة الأميركية، التي وعدت بمواصلة جهودها الرامية إلى عقد اتفاقية إسرائيلية سورية سمح للناطقين السوريين بتقديم التهاني الفاترة على الاتفاق.

أما الدول المتشددة في العالم العربي: العراق، وليبيا، والسودان-نصيرة وحامية الإرهاب، إيران- فقد شرعت في كيل السباب والشتائم لعرفات على خنوعه المخزي لإسرائيل، وتعهدوا بمواصلة النضال.

وبدأت حركة حماس، حليفة إيران باتخاذ الاستعدادات اللازمة توطئة للقيام بعمليات إرهابية تشد الرأي العام العالمي، وتثير ثائرة الرأي العام الإسرائيلي، ضد الاتفاقية ولهدم أي أمل بالمصالحة ولم تكتف هذه القوى بالصراخ فقط، فقد أعطت لتهديداتها طابعا عمليا.

وعلى طول الهامش الزمني للسنوات الثلاث التالية، قامت كتائب الموت ببناء قنابلها، في الوقت الذي كان فيه الزعماء القوميون يتخذون قرارات صعبة، ويفاوضون، ويواصلون حواراتهم ويوقعون الاتفاقيات.

لقد بدأت ساعتان زمنيتان تدقان على مسرب الصدام:" الأولى هي تلك الساعة التي تعمل على تحريك المسيرة السلمية باتجاه التسوية الدائمة، والثانية هي التي تدق للاقتراب من ساعة الصفر لانفجار القنبلة الموقوتة الرامية لإشاعة الخراب واليأس والخوف، وفي الوقت الذي خرج فيه الدبلوماسيون وهم يحملون حقائبهم التي تغص بالمواد الناسفة.

ولم يقتصر هذا الوضع على الفلسطينيين والعرب فقط، بل كانت هناك في إسرائيل أيضاً أوساط تعمل على إحباط المسيرة السلمية قولاً وعملاً. فقد بلغ الغضب ذروته في نفوس المعارضة اليمينية المتطرفة، وزعامة المستوطنين، الذين اعتبروا اتفاقيات أوسلو بمثابة خطر على أيديولوجيتهم أكثر مما هي خطر على أمنهم الشخصي. وقد وصف حنان بورات -عضو الكنيست عن حزب المفدال- التنازل عن غزة وأريحا كخيانة للوطن. وقد أسهمت مثل هذه التصريحات الهوجاء في زرع بذور الشيطان والشغب. وقد انضم إلى المستوطنين، نصف أعضاء الكنيست تقريباً برئاسة رئيس الليكود، عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وفي اليوم الذي وقف فيه رابين على حشائش البيت الأبيض وقال: يكفينا دماء ودموعاً". أخذ نتنياهو يتحدث عن الخطر الذي لم يسبق له مثيل، والمحدق بإسرائيل، وأن الحكومة تسمح لمنظمة التحرير بتنفيذ خطتها الرامية إلى تخريب إسرائيل. وهكذا، فإن نفس القضية التي اعتبرها بعض الإسرائيليين أملاً للسلام، اعتبرها إسرائيليون آخرون خطراً على وجود إسرائيل.

لقد أرغمت عملية التوقيع على إعلان المبادئ معارضي ومؤيدي أوسلو، على اتخاذ موقف عملي، وذلك نظرا للتحركات التي بدأت في أعقاب التوقيع على الاتفاقية، باتجاه إحداث تغييرات على أرض الواقع. لقد وقفت المنطقة كلها، أمام تغيرات جذرية، مما حدا بكل جهة لتحديد مصالحها الحيوية، وتحديد كيفية الدفاع عنها.

لقد بدأت دوامة المصالح المتعارضة والمتضاربة تعصف بالمكان في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣. فاتفاقيات أوسلو مكنت من دق إسفين بين الإيمان بالواقع الجديد، الآخذ في التطور، وبين الشبهات والشكوك القديمة ذات الجذور الضاربة طولاً وعرضاً، دقت إسفيناً بين المصالح الاقتصادية البراغماتية المشتركة، وبين النظريات التقليدية والدينية والتربوية. بيد أن أصعب الخصومات نشبت بين مؤيدي مسيرة السلام المعقولة، والمبلورة، وبين المعارضين الأيديولوجيين، بين

الشريكين اللذين قررا تقسيم الشراكة كهدف استراتيجي، وبين القوى التي قالت" كلها لي"، بين أولئك الذين تاقوا لرؤية أسوار الكراهية والحقد وهي تنهار، وبين أولئك الذين اعتبروها بمثابة دفاع عن القيم التقليدية.

ومن الجدير بالذكر، أنه ومنذ المصافحة التي جرت في واشنطن بين عرفات ورابين، ومصر والشرق الأوسط، لم يعد رهناً باتفاقيات أوسلو فقط، بل بالنزاع الذي أخذت بوادره تبدو في الأفق بين مؤيديها ومعارضيها.

بعد ثلاثة أشهر من مراسيم التوقيع، دعيت أنا وأبو علاء إلى أوسلو لتلقي شهادة تقدير من هيرالد ملك النرويج. وفي ظل هذا الوضع اجتمعت عائلتانا. فقد جاء أبو علاء وبصحبته زوجته، وابنته منى، وابنه علاء، وعروسة ابنهم دليلة، وحفيدتهم زينة. أما أنا فقد قدمت مع زوجتي عليزة، وابنتي مايه، وصديقتها (أبيطل).

وسرعان ما عثر الجيل الشاب على قواسم مشتركة، وعلى وجه الخصوص مايه ومنى، وقمنا بجولات في الثلج النرويجي، واستمعنا إلى الموسيقى الشرقية، وعندما قمنا بزيارة مكان لقائنا الأول، أدركت أن العدو رقم واحد، أصبح صديقاً.

وعندما استقبلنا الملك وحدنا، قال له أبو علاء: " يا صاحب الجلالة، لقد جئنا هنا كوفد واحد، كي نشكركم على الدور الذي قامت به النرويج في محادثات السلام وعلى العمل الرائع الذي قام به لاريسون ومونه، وبصورة خاصة على الدور الذي قام به وزير الخارجية هولست".

الباب الثاني

تعارضات وتناقضات

الفصل الرابع

الفلسطينيون استقبلوا الاتفاقية بمزيج من الارتياح والشكوك

القادمون من تونس شكلوا مصدر قلق لزعامة الداخل

بعد مائة سنة من الاقتتال الدموي الشرس وجد الفلسطينيون والإسرائيليون أنفسهم يسيرون معا في مسيرة مصالحة طويلة، لقد تمسك ياسر عرفات طيلة ثلاثين عاما، بسياسة الإرهاب، ولا شرعية، وجود إسرائيل.

واتخذ إسحاق رابين وشمعون بيرس، اللذان شغلا منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، إبان العمليات، التي نفذها الفلسطينيون، ردود فعل شديدة جدا، وحاربا الإنتفاضة بمنتهى الشدة والعنف.

وقد اعتاد كل من الطرفين على وصف الطرف الآخر بالبربرية، والتصقت هذه الأوصاف في ذهن الطرفين، ويصعب القول أن هناك عائلة فلسطينية أو يهودية، لم تصب بجرح من جروح الإقتتال الذي بدا أنه بلا نهاية، مما جعل الشعبين يحملان بصمات دامية على الصعيدين المادي والنفسي، والتي بقيت نازفة دائما.

وبصورة فجائية، طلع زعماء الشعبين على أبناء شعبيهما بإتفاق يحول الشعبين المحاربين الى حليفين، يملؤهما الأمل بصورة لم تتح لأي منهما بالشعور أنه مهزوم، وهكذا، إمتزج الماضي والحاضر والمستقبل في خضم نظرية جديدة وأحاسيس جديدة.

لقد صفق الطرفان للاتفاق التاريخي، وكل طرف بدأ يتحدث عن الآمال التي انبعثت في قلوب أبناء شعبه على أرضية الاتفاق بيد أن أيا من الطرفين لم يبد تغييرا في أحاسيسه تجاه عدو الأمس، لقد أدت عملية المراوحة بين العادة المالوفة، منذ زمن طويل، وترقب حدوث التغير، خلق نوعا من أنواع الحركة

الذاتية، ذات الذبذبات العالية، والمراوحة بين العودة إلـــى مــا هــو معـــروف ومنتـــهج تارة، وتفجر المشاعر البناءة، تـــارة أخـــرى.

وفي أعقاب التوقيع علـــى إعـــلان المبـــادئ، كـــان علـــى الطرفيـــن مواجهـــة جهات داخلية لم يتم إشـــراكها فـــي المســـيرة، والتـــي وجـــهت انتقـــادات شـــديدة إلـــى الاتفاقية، ووجد عرفات نفسه يواجه صعوبات لم يســـبق لـــه أن عرفـــها، فـــي محاولتـــه للحصول على موافقة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير علـــى الإتفاقيـــة، فقـــد عمـــد ســـتة أعضاء من بين أعضاء اللجنة الثمانيـــة عشـــر، إلـــى الاســـتقالة، احتجاجـــا علـــى مـــا أسموه بالخنوع بيد أنه تمكـــن مـــن تحييـــد المعارضـــة والتغلـــب عليـــها بالمنـــاورات السياسية الذكية، التي انتهجها وعندما لم تكف هـــذه المنـــاورة لتحقيـــق المطلـــوب، لـــم يتحرج عرفات في اللجوء إلى الضغوط التحذيرية والإشـــارة بحـــدة، إلـــى عـــدم وجـــود أي بديل آخر لزعامتـــه.

قام عرفات بعرض الاتفـــاق علـــى زملائـــه، واصفـــا إياهـــا بصـــورة غـــير صحيحة- بأنها ضمانة لإقامة الدولة الفلسطينية، وفقا لجـــدول زمنـــي ثـــابت، وتجـــاهل عرفات التفاصيل طالما كان ذلك ممكناً، ولم يكـــن فـــي عجلـــة مـــن أمـــره بالشـــروع بمفاوضات حول تطبيق الإتفاقيـــة.

عندما سمع بيرس كيـــف وصـــف عرفـــات إتفاقيـــة إعـــلان المبـــادئ أمـــام وسائل الإعلام، عقب قائلاً : إن عرفات يتعامل مـــع الإعـــلان مثلمـــا يتعـــامل غالبيـــة المسافرين للاتفاقية المعقودة بينهم وبين شركة الطـــيران، والتـــي يتـــم صياغتـــها خلـــف تذكرة السفر، فقـــد قـــال عرفـــات : "الـــهدف المـــهم بالنســـبة لـــي، وليـــس الأحـــرف الصغـــيرة".

في أعقاب التوقيع على الاتفاقية في واشنطن عمـــد عرفـــات إلـــى إبعـــاد كـــل من أبو مازن وأبو علاء عن مراكز اتخـــاذ القـــرار، حيـــث اعتقـــد أن الأثنيـــن حظيـــا باهتمام دولي كبير جداً، وقد رد أبو مازن علـــى ذلـــك، بالإعتكـــاف فـــي بيتـــه لأكـــثر من سنة، أما أبو علاء الذي كـــان مـــهتماً بتعزيـــز العلاقـــات بيـــن منظمـــة التحريـــر والدول العربية المجاورة، فقد كرس جهده في مجـــال التوصـــل إلـــي إتفـــاق اقتصـــادي

مع الأردن ونجح في التوصل إلى وثيقة متفق عليها تضمن للأردن مكانة مفضلة في الاقتصاد الفلسطيني الآخذ في التطور، بما فيها اعتبار الدينار عملة قانونية إلى جانب الشيكل الإسرائيلي، بيد أن عرفات منعه من التوقيع على الإتفاقية رغم أنه طلب من فاروق القدومي- أحد معارضي اتفاقيات السلام، التوصل إلى إتفاق مماثل مع الأردن، فيما بعد.

إستقبل الفلسطينيون الإتفاقية المبرمة مع إسرائيل، بمزيج من الارتياح والشكوك، فرغم أن الوثيقة تجعلهم يحظون، في نهاية المطاف، بحكم ذاتي، فقد كانوا يشكون في حدوث تغيير حقيقي لدى إسرائيل في أعقاب سنوات الاحتلال الست والعشرين. وقد قال معظم الفلسطينيين الذين أجريت معهم مقابلات بهذا الصدد :"أنهم يأملون بأن يطرأ تحسن على حياتهم". أي نفس الجملة الإسرائيلية المستخدمة، والتي تقول "إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام".

ورغم ذلك تغيرت ألوان الشوارع الفلسطينية بصورة مفاجئة، وأخذت الأعلام الفلسطينية تبرز وترفرف في كل مكان وشرفة وسطح. ولم تعد إسرائيل تتخذ سياسة غبية، وتأمر جنودها بإنزال الأعلام، لقد تعلمنا بأسلوب صعب للغاية، استحالة هزيمة علم، وبدأت صورة عرفات تظهر في كل مكان، في المقاهي، وواجهات المحلات والشوارع.

وعندما بات من المتوقع أن يتحول الرمز الوطني إلى قائد على أرض الواقع، أصيبت عدة جهات فلسطينية بحالة فزع، خشية أن تقوم الزعامة القادمة من تونس، بإقصاء الزعامة المحلية، عن مراكز السلطة، ولا نفرد لها زاوية معقولة في قاعة الحكم.

أضف إلى ذلك، أن الطبقات المثقفة بدأت تلمح إلى ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لبناء (مجتمع مدني) في الضفة والقطاع لمواجهة متطلبات الحكم الذاتي.

وتوجه الدكتور حيدر عبد الشافي رئيس وفد المفاوضات في مدريد - إلى تونس في محاولة لأخذ تعهد من الزعامة الفلسطينية لانتهاج نظام التعدد

الحزبي، بيد أنه عاد من هناك خاوي الوفاض، فعرفات لم يكن يعتزم السماح بتشكيل قاعدة لقوة معارضة.

لقد بذل عرفات جهداً كبيراً لتحسين الاتفاق في أعين الجماهير الفلسطينية، آخذاً بعين الاعتبار، مزاج هذه الجماهير، وتحدث عن إعلان المبادئ بفخر، لوصفها الخطوة الأولى على صعيد الانتصار، وأكد أهميتها بالنسبة للفلسطينيين، فقال : "لقد وضعنا هذا الإعلان، على الخارطة السياسية والجغرافية.

أدى التناقض القائم بين العداء العميق الذي يكنه الفلسطينيون لإسرائيل، والتوقيع على إتفاقية المبادئ إلى إحراج الفلسطينيين، وإبطاء استعداداتهم بشأن تنفيذ الإتفاقية.

تمكن الطاقم الإسرائيلي المشكل لخوض المفاوضات على الإعداد له، وقد عين رئيس الأركان أمنون شاحك رئيسا للطاقم، واللواء عوزي ديان رئيس شعبة التخطيط في هيئة الأركان، رئيساً للجنة القضايا الأمنية، وعين اللواء داني روتشيلد منسق الأعمال في المناطق، رئيسا للجان الشؤون المدنية، وعين يوآل زينجر، مشرفاً على الجانب القضائي في المباحثات.

وعلى عكس عرفات تماماً، لم يجد إسحق رابين أي صعوبة في الحصول على موافقة زملائه على إعلان المبادئ، وكانت الحكومة آنذاك مركبة من ممثلي العمل وميرتس فقط، مما جعلها أكثر حكومة تناسقاً في تاريخ إسرائيل، وقد استقبل أعضاء الائتلاف الحكومي إعلان المبادئ بحماس بالغ، واعتبروه بمثابة إنجاز تاريخي، وعليه فقد اتخذت، جميع القرارات في الفترة التي تلت اتفاقيات أوسلو، وفقاً لرأي شخصين فقط، هما رابين وبيرس، بل وقد تم استبعاد يوسي بيلين من هذا الإطار، خصوصاً جراء مواصلة اعتبار نفسه، هو وهيرشفيلد وفوندك العراب الوحيد للمسيرة السلمية، وبالتالي لم يتم ضمه إلى الجهاز السياسي والأمني الذي بناه رابين وبيرس.

استقبلت الجماهير الإسرائيلية الإتفاقية، وفقاً لتقسيماتها السياسية والحزبية، وقد تحدث رابين عن الإتفاقية كتطور إيجابي، إجباري، سيؤدي إلى

تقريب إسرائيل من هدفها المبدئي، وهو الأمن بيد أنه تجاهل ضرورة المصالحة، وتحدث عن الاتفاق علناً، كوسيلة جديدة لإحراز أهداف أخلاقية، بينما لازالت بأيدينا وسائل أخرى لتحقيق هذه الأهداف.

وأضاف.."إذا لم ينجح الفلسطينيون في اختبار تنفيذ ما يتوقع منهم، فإننا قادرون، وفي غضون برهة زمنية قصيرة جداً، في السيطرة على كل ما ينحرف عن الطريق المرسوم.. وإزاء عدو مر، فإن أفضل الطرق تتمثل في العثور على أسلوب للتفاهم".

في الوقت الذي كان فيه كل طرف، يناضل من أجل بلورة نقطة انطلاقه في المفاوضات بدت هناك ضرورة للعمل على بلورة إطار لتنفيذ المبادرة المشتركة. وفي السادس من تشرين الأول – أي بعد ثلاثة أسابيع من التوقيع على إتفاقية إعلان المبادئ في واشنطن، اجتمع رابين وعرفات، في أول لقاء عمل بينهما في القاهرة.

كان اللقاء موضوعيا، وفي إطار موسع، من تلك الأطر الذي لا يسمح بأكثر من تبادل وجهات النظر العامة، وليس إجراء حوار منطقي. وقد برز في الوفد الفلسطيني ثلاث شخصيات محلية هم : فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، وزياد أبو زياد، وهو من القدس، ومعروف بعلاقاته مع اليسار الإسرائيلي.

أما الوفد الإسرائيلي فقد شمل مساعدي رابين الثلاثة المقربين : رئيس مكتبه ايتان هابر، ومدير مكتب رئيس الحكومة شمعون شييس، والمستشار السياسي جاك نيريا.

وتمثل الإنجاز الرئيسي لهذا اللقاء في خلق إطار لإجراء المفاوضات حول الماهية الدقيقة للحكم الذاتي في غزة وأريحا، وهو الإجراء الذي كان يجب أن يخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي في طابا.

رغب الفلسطينيون في أن تستضيف مصر هذه المحادثات، نظرا لأن الرئيس المصري، حسني مبارك كان بين المؤيدين المتحمسين لقضيتهم أضف إلى ذلك، أن إجراء المحادثات في طابا، كان ذا مغزى رمزي بالنسبة لهم، حيث

أنها قطعة من شبه جزيرة سيناء، التي عادت إلى المصريين إثر التحكيم الدولي بينها وبين إسرائيل عام ١٩٨٦، هذا في حين اختارت إسرائيل طابا لقربها المكاني المريح ، ونظرا لإمكانية عودة المفاوضين الإسرائيليين يوميا إلى إسرائيل وإجراء النقاشات اللازمة دون خشية التنصت عليهم، أما المفاوضات حول الوضع الاقتصادي، فقد تم الاتفاق على عقدها في أوروبا (باريس) بإشراف وزير المالية أبراهام شوحط وأبو علاء.

وفي أعقاب الاتفاق على هذه الأمور، ألقى رابين محاضرة على عرافات، حول الأمن الذي تتطلع إليه إسرائيل كاختبار حقيقي يجب على الفلسطينيين أن ينجحوا في اجتيازه، في حين طرح عرفات أمام رابين عدة قضايا، مثل إطلاق سراح المعتقلين الأمنيين، بيد أن رابين، رفض هذا المطلب، وقال : "يجب مناقشة جميع الأمور في الأطر المخصصة لها". بيد أنه استجاب لمطلب رمزي لعرفات ينص على عدم نقل الفلسطينيين في غزة، بعد ذلك، إلى إسرائيل.

وفي الثالث عشر من تشرين الأول عقدت في القاهرة أول جلسة مراسيم خاصة للجنة الارتباط المشتركة العليا بحضور أبو مازن وبيرس وفي نفس الوقت، بدأت الحوارات في طابا حول غزة وأريحا، وقد ترأس الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي، المفاوضان نبيل شعث وأمنون شاحك، ورغم أن شاحك كان شديد الحرص جدا على مصالح إسرائيل، إلا أنه سرعان ما اكتسب ثقة وتقدير الفلسطينيين، ربما أكثر من أي ممثل إسرائيلي آخر، جراء إنسانيته وقدرته على التعامل مع مطالبهم وأحاسيسهم دون تكوين رأي مسبق أو عجرفة.

أما شعث الذي أسر وسائل الإعلام بالإنجليزية القوية، فقد اتضح أنه نوع من أنواع (أبا ايبان) فلسطيني، وسرعان ما تمكن من كسب تقدير محاوريه، بسبب مبرراته القوية وتفهمه الدقيق للمجتمع الإسرائيلي، أكثر بسبب قدرته وحنكته في المفاوضات.

وفي أعقاب الخطابات الافتتاحية، توجـــه رئيــس الوفديــن فــي جولــة علــى طول ساحل البحر الأحمـــر.

بيد أن شهر العسل في طابا، كـــان قصـــيراً جـــداً، فقـــد أدى طـــرح المواقـــف الافتتاحية للوفدين، إلى إدراكهما البون الشاســـع القـــائم بيـــن وجـــهتي نظرهمـــا حـــول إعلان المبـــادئ.

فقد أكدت القراءة الإسرائيلية لإعلان المبـــادئ علـــى الصلاحيـــات العســـكرية والمدنية التي ستبقيها إسرائيل في قبضتها فـــي أعقـــاب انســـحاب الجيـــش الإســـرائيلي من غزة وأريحا، وقد فـــهم مـــن ذلـــك أن إســـرائيل "مصـــدر الصلاحيـــات الرســـمي"، ستمنح للفلسطينيين صلاحيات محـــدودة، والأهـــم مـــن ذلـــك أنـــها ستســـيطر بصـــورة مباشرة، على معابر الحدود بين غزة وإسرائيل ومصـــر، بمـــا فيـــها حقـــها فـــي اتخـــاذ قرار حول من الذي تسمح له بدخول غزة أو الخـــروج منـــها.

واعـــتزمت إســـرائيل، أيضـــا، مواصلـــة الســـيطرة المباشـــرة علـــى ثـــلاث قطاعات من قطاع غزة والتي تتضمـــن المســـتوطنات وأراضيـــها الزراعيـــة، والطـــرق المؤدية إليها، والمسارات الأساسية المؤثرة علـــى أمنـــها.

أما الفلسطينيون، فقد طالبوا بالعكس تمامـــا، حيـــث طـــالبوا بالانســـحاب التـــام من غزة وأريحا، وتسليم السيطرة على المعـــابر الحدوديـــة إليـــهم، وترتيـــب دوريـــات مشتركة بينهم وبين الجيش الإسرائيلي علـــى طـــول الخطـــوط الحدوديـــة الدوليـــة ذات الصلة بهم. وتلبية مطالب الفلسطينيين، كـــانت المســـتوطنات ســـتحظى بالحمايـــة، فقـــط مـــن داخلـــها، وطـــالبوه بعـــدم الانتقـــاص مـــن الحقـــوق الفلســـطينية بدعـــوى أمـــن المســـتوطنات.

وطالب الفلسطينيون أن يتـــم تســـليمهم الصلاحيـــات المدنيـــة بالجملـــة وليـــس بالقطاعي، ونظرا لأن مطالبـــهم كـــانت انعكاســـا إســـتراتيجيا لهدفـــهم الأساســـي، مـــن المسيرة السلمية، فقد جاء في إحدى الوثائق التي قدموهـــا فـــي طابـــا : "هدفنـــا يتمثـــل في إقامة دولة فلسطينية داخـــل حـــدود ١٩٦٧".

كانت تلك المواقف الافتتاحية، والتـي أعيـد طرحـها فـي المحادثـات التـي جرت بعد ذلك، ولـم يجـد زينجـر صعوبـة فـي تقديـم أسـاس قضـائي للموقـف الإسرائيلي، بيد أنه قال في التقرير الذي قدمه لي ولبـيرس فيمـا بعـد : أنـه يعتقـد أن فرص التقدم في طابا ضئيلة، وقال : إن ما جـرى هنـاك لـم يكـن مفاوضـات، بـل استعراضات كلامية لا نهاية لها، وتشـتمل علـى منـح تصريحـات لوسـائل الإعـلام الإسرائيلية، وفي عقد المؤتمـرات الصحفيـة.

بقيت المواقف التي يتخذها، الطرفان كما هي عليـه، بيـد أن الفـوارق بينـها أخذت تتقلص رويداً رويداً، لصالح الجانب الأقـوى، وقـد تمكـن الجيـش الإسـرائيلي عبر الحرص على أولوية الوضع الأمنـي، مـن إمـلاء الموقـف الإسـرائيلي، وهكـذا حدث أن المسيرة السـلمية ومـن أساسـها فرضـت لسـد احتياجـات أمنيـة قصـيرة المدى، وليس أدل على ذلك من النقاش الإسرائيلي الداخلي الـذي عقـد فـي تـل أبيـب في تلك الآونة حول مطلـب الفلسـطينيين الخـاص بإقامـة محطـة تلفزيـون وراديـو رسمية، وقد كان ثمانية من العشرة الذين شاركوا في النقـاش مـن كبـار الشـخصيات في الجيش وجهاز الأمن العام، وقد تمحور النقاش، بغالبيتـه العظمـى، حـول الجـانب الأمني وإمكانيـة اسـتخدام الشـبكتين للتحريـض ضـد إسـرائيل- وليـس بـالجدوى السياسـية التـي سـيجنيها الحكـم الذاتـي الفلسـطيني الجديـد، واحتمـال التعاون مع إسـرائيل.

شعر مسئولو وزارة الخارجية، الذيـن أصبحـوا لأول مـرة، خـارج التـأثير السياسي بصورة مؤقتة – بالقلق الشديد جـراء تصعيـد الـدور العسـكري، بيـد أنـهم امتنعوا عن الإعراب عن هذه المخاوف علنا وقـد بعـث بـيرس إلـى رابيـن تقريـرا وضعته شعبة التخطيط السياسي في الـوزارة وأشـار فيـه إلـى نقـاط الضعـف فـي التوجه نحو المفاوضات، وقد كتب (هاري مـارني طـل) رئيـس الشـعبة يقـول : إن الفلسطينيين يتمتعون بالمسيرة التي يمنحـها لـهم هـدف إسـتراتيجي واضـح، أضـف إلى ذلك، أن الإتمام الإسرائيلي في المفاوضات ينصب علـى معالجـة قضايـا يوميـة.

وأضاف .. إن النهج الإسرائيلي يعمل حقا على الحد من الحركة الفلسطينية بيد أنه يسهم أيضا في إلحاق الأضرار بالمصالح الإسرائيلية التي تقضي بتطوير علاقات مع الفلسطينيين ولا شك أن هذا النموذج من التعامل هو دلالة على العداء ولا شك أنه كان محقاً في ذلك.

لقد أسفرت محادثات طابا عن مفارقة تفاقمت بمرور الزمن، حتى أصبحت مثيرة للقلق.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل، وفي إطار محاولاتها لتقاسم الصلاحيات مع الفلسطينيين، حاولت أن تفرض عليهم نظرية أمنية تنص على أن تبقي إسرائيل بيدها وتحت سيطرتها كل شيء كانت إسرائيل تعزو له أهمية، في الوقت الذي رغب الفلسطينيون فيه بتحقيق المستحيل، والمتمثل في الانفصال الكامل عن إسرائيل ودون أن يأخذوا بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلي الحيوية جداً، مثل النضال ضد معارضي المسيرة السلمية والذين يلجأون إلى العنف، كي يصبح هذا النضال صورة من صور الإستراتيجية المشتركة.

وهكذا وعلى عكس الأسس الموجهة التي تم انتهاجها في أوسلو، فقد حاول كل طرف من الطرفين استخلاص أقصى ما يستطيع استخلاصه من الطرف الآخر بدلا من استغلال المزايا الناجمة عن الشراكة.

وبرزت خلافات عميقة أيضا في الحوار والمفاوضات الاقتصادية الجارية في باريس، فقد وضع وزير المالية أبراهام شوحط نصب عينيه، حقا، العمل من أجل الشراكة الاقتصادية التي ينص عليها إعلان المبادئ، بيد أنه حرص على أن يستفيد الاقتصاد الإسرائيلي أكثر.

وهكذا اقترح شوحط أن تبقى مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني كوحدة جمركية واحدة وحيدة مع إسرائيل، وأن يتم تحديد التجارة التي يقوم بها هذا الحكم مع الدول العربية بقائمة منتجات محددة سابقة، وأن تصبح المعايير والنوعية للمنتجات الزراعية والبيئة في الحكم الذاتي، متناغمة مع ما هو مقبول لدى إسرائيل.

بيد أن شوحط كان يريـــد أن يوضـــح للفلســطينيين أن تحركـــات المواطنيــن الفلســطينيين، وبضائعـــهم ســتكون خاضعـــة للتقديـــرات الأمنيـــة الإســـرائيلية. أي أن الفلســطينيين وتحركاتـــهم وتحركـــات بضائعـــهم، ســتكون متعلقـــة تمامـــا بالاقتصـــاد وبالأمن الإسرائيلي، أو أكثر دقة للإحســـاس الإســـرائيلي بـــالأمن.

بيد أن الفلسطينيين كانوا يتطلعـــون إلـــى حريـــة تجـــارة أوســـع مـــع الأردن ومصر، والى شروط جمركية وضريبة قيمة مضافـــــة، أقـــل مـــن جارتـــها ذات القـــوة الاقتصادية الكبيرة، وكانوا يولون أهمية أكبر لحريـــة حركـــة عمالـــهم وبضائعـــهم مـــن الحكم الذاتي إلى إسرائيل والعكـــس.

إن الشخصية الوحيـــدة الـــذي حـــذر مـــن مغبـــة التـــأثير الســـلبي للسياســـات الإســـرائيلية، كـــان ممثـــل وزارة الخارجيـــة فـــي المحادثـــات الاقتصاديـــة عوديـــد عيران(ســـفير اســـرائيل فـــي الاردن حاليـــا) وعـــيران صـــاحب التفكـــير والشـــخصية المستقلة والذي كان علـــى صلـــة بالمفاوضـــات، أكـــثر مـــن أي شـــخصية إســـرائيلية باستثنائي أنا وزينجر- طالب وبحق وإن لم يحرز نجاحـــا علـــى هـــذا الصعيـــد- منـــح الفلسطينيين قدرا كبيرا من الحرية والاســـتقلال الاقتصـــادي.

وعندما قابلت أبو علاء في باريس، خـــلال فـــترة المحادثـــات السياســـية، قـــال لي : أن شوحط ترك لديه انطباعا، بأنه رجـــل يقـــف علـــى أرض الواقـــع بثبـــات، وأن بالإمكان بناء علاقات ثقة معـــه، وتحـــدث عـــن الجـــهود التـــي بذلـــها بغيـــة لتحســـين شروط الإتفاقية الاقتصادية بصورة تتيح للاقتصـــاد الفلســـطيني الفرصـــة لنيـــل فرصـــة حقيقية لرفع رأسه، بيد أنه كان واقعيا جـــدا، فيمـــا يتعلـــق بفـــرص تعزيـــز قـــوة هـــذا الاقتصاد دون أن تكون إسرائيل – كشريك قـــوي – كريمـــة وذكيـــة، بمـــا يكفـــل لـــها تقدير المزايا الكامنة في منح الاقتصاد الفلســـطيني إمكانيـــة النمـــو.

وأضاف أبو علاء قـــائلا تذكـــر أن الأمـــن لـــن يتحقـــق دون تطـــور ونمـــو إقتصاديين، يجب علينـــا أن نســـير قدمـــا بوتـــيرة أســـرع. ولاشـــك أن شـــاحك هـــو شخصية ممتازة، وسيتوصل إلى إتفاق مع شعث، بيـــد أنـــه يتوجـــب علينـــا أن نفكـــر، بما بعد إتفاقية غزة وأريحـــا.

قلت له متذمرا : "جماعتكم لا يسارعون في ترتيب أمورهم". فقال : "زعامتنا موجودة الآن في الخارج، فأبو مازن في دول الخليج وعرفات في أوروبا، وهم يستقبلون هناك بصورة جيدة، ويحاولون الحصول على أكبر دعم ومساعدات للسلطة الفلسطينية، بيد أن المسألة المهمة، هي السير قدما"، لذاء فإنني أقترح أن نشرع إلى جانب كل هذا بمحادثات سرية، لوضع أسس التسوية المرحلية، التي تعتبر، في حقيقة الأمر، المسألة المهمة. إن الآخرين يرون الأشجار، بيد أنهم لا يرون الغابة : الشراكة التي اتفقنا حولها في أوسلو، وإنني أعتقد أن حسن عصفور وزينجر، هما الوحيدان اللذان يدركان الوضع".

وعدت أبو علاء بمناقشة بيرس حول إمكانية إجراء محادثات سرية موازية للمحادثات الجارية، بيد أنني ذكرت أبو علاء، بأن القضية المهمة تتمثل في التوصل إلى إتفاق حول غزة وأريحا، وإحداث تغيير حاسم على أرض الواقع، فوافق على ما قلته، وقال لي : لقد وافق الطرفان على التوصل إلى إتفاق حتى الثالث عشر من كانون الأول.

وقلت له : إنكم تضيعون الوقت سدى، على التفاصيل، فما الذي فعلتموه حتى الآن، على صعيد إعداد المجتمع الفلسطيني لاستقبال الحكم الذاتي، عبر بناء مؤسسات هذا الحكم، إن هذه الخطوة هي أهم من إثارة الجدل معنا.

فقال أبو علاء : "أنا أوافقك الرأي، لكنني و-ح-د-ي.

ضحكنا، نحن الاثنين، واتفقنا على الحفاظ على اتصال هاتفي أفضل، ولم يكن أي منا يعتقد أن الظروف ستجعلنا نتقابل أكثر.

إضافة إلى العلاقة الخاصة التي تطورت بيني وبين أبو علاء في أوسلو، فقد تطور تفاهم مفاجئ بين شخصيات أمنية إسرائيلية رفيعة والشخصيات الفلسطينية، التي كانت تجري معها لقاءات سرية في جنيف، وقد كشف أمنون شاحك لي هذه الحقيقة عندما توجهت أنا وهو إلى القاهرة منتصف كانون الأول.

ففي غضون الأسابيع التي سبقت هـذه المرحلـة إلـى القـاهرة، اجتمـع هـو ويعقوب بيري رئيس جهاز الأمـن العـام، مـع محمـد دحـلان وجـبريل الرجـوب واللذين تم اختيارهما لترؤس جهاز الأمن الوقائي في غـزة والضفـة الغربيـة.

كان الإسـرائيليان ضـابطين رفيعيـن، بتجربـة واسـعة، فـي حيـن كـان الفلسطينيان مقاتلي شوارع سبق لـهما أن حاربـا، حسـب وسـائلهما الخاصـة، ضـد "جيش الاحتلال" الإسرائيلي، مما جعلهما يقضيان فترة طويلـة جـداً مـن حياتـهما فـي المعتقلات الإسـرائيلية.

وقد حكم على دحلان بالسجن لمدة خمـس سـنوات، وفـي أعقـاب خروجـه من السجن، توجه إلـى تونـس، وعمـل رئيسـاً لإحـدى وحـدات الحمايـة للرئيـس الفلسطيني وتأسيسا على هذا الوضع، أصبح مقربا لعرفـات، وتمكـن مـن بنـاء قـوة مركبة، بصورة رئيسية من الأشخاص المبعديـن عـن المنـاطق.

ويقول شـاحك : إن الشـيء المميـز فـي جـبريل الرجـوب، هـو صوتـه العميق والغامض الذي يشبه مارلين براندو، فـي فيلـم "العـراب".

كان الرجوب ودحلان يتحدثـان اللغـة العبريـة بطلاقـة ولكنـة إسـرائيلية، ويعرفان جميع مناحي المجتمع الإسرائيلي، بدءا من السياسة وحتـى كـرة القـدم. فقـد عمل الإثنان- الرجوب كان محكومـاً لمـدة خمـس عشـرة سـنة- تعلـم ودرس كـل شيء حول العدو الصهيوني. وقـد أعجـب الرجـوب بشـكل خـاص بكتـاب منـاحيم بيغن "التمرد"، وأكثر من القول أن بيغن جعـل مـن هـذا الكتـاب، نموذجـا لنضالـه الصلب، والذي لا يعرف الكلل ضـد الاحتـلال.

كان هؤلاء الأربعة يناقشـون كيفيـة عمـل قـوات الأمـن الفلسـطينية فـي الضفة وغزة، وكيفية تنسـيق الجـهود المشـتركة لكسـر حـدة الإرهـاب ومقاومتـه. وربما أفضل النتائج التي أسفرت عنها هـذه المحادثـات هـو تطويـر لغـة مشـتركة بينهم، لقد كانوا أعداء الأمس من نـوع غريـب. كـانوا مضطـهدين (بكسـر الـدال) ومضطهدين (بفتح الدال) في عين أحد الأطراف، فيمـا كـانوا إرهـابيين وجنـودا فـي أعين الطرف الآخر، بيد أن الفلسطينيين كـانوا قـادرين علـى كبـح جمـاح غضبـهم،

في حين لم يبد الإسرائيليون أي دلالة من دلالات التعاظم، وشاعت المفارقات العجيبة أن يشعر الفلسطينيون بالثقة في إمكانية التأثير على أبناء شعبهم، تأثيرا واسعا، في حين قصر الإسرائيليون أمورهم على القضايا الأمنية.

وعلى أية حال، فإن سيطرتهم المشتركة على لغة القوة الممزوجة بالأحاسيس الإنسانية، هي التي أكسبت العلاقات بينهم تلك الصفات المميزة، ومنحتهم القدرة والكفاءة اللازمتين في اللحظات الحرجة من المسيرة.

كانت العلاقات بينهم حقا مميزة، بيد أن الصورة الأوسع لمفاوضات غزة أريحا كانت تغص بالتناقضات بين الالتزام بالشراكة الجديدة وبين الذهنية التي كانت قائمة لمعادلة نتيجتها صفر.

مثلما هي العادة، في المواقف الافتتاحية، فقد آلت محادثات طابا بسرعة إلى طريق مسدود، وقد بذل زينجر قصارى جهده، من أجل إقناع الطرفين وحثهما على التوقف عن توجيه الإتهامات، والإتهامات المضادة، والانتقال إلى مرحلة إعداد الوثائق كأساس لإعداد المسودات المشتركة، بيد أن الخلافات، كانت واسعة جدا، وبلغت درجة احتاجت فيها إلى تدخل الزعامة العليا لتحريك المسيرة.

اجتمع بيرس وعرفات في الحادي عشر من كانون الأول على هامش، اجتماعات لجنة اليونسكو للعلاقات الثقافية، والتي عقدت في إسبانيا.

وبعد يومين – أي في الثالث عشر من كانون الأول، وهو التاريخ الذي تم تجديده في إعلان المبادئ لاستكمال اتفاقية غزة – أريحا عقد اجتماع رسمي في القاهرة، بمشاركة رابين وعرفات لم تكن هذه اللقاءات لطيفة، بيد أنها كانت ضرورية.

حاول بيرس في إسبانيا، أن يوضح لعرفات إصرار إسرائيل على القضايا الأمنية، وبشكل خاص في كل ما يتعلق بالأمن الخارجي، والمعابر الحدودية، وقال : "سيدي الرئيس، سأطرح أمامك الحقيقة بصورة مباشرة ودون أي زخارف، أنا ورابين ندرك الصعوبات التي تواجهها، ونحن معنيان بنجاحك، بيد أنه يتوجب عليك أن تدرك أي محاولة عنف تقوم بها حماس، ستواجه برد

فعل شديد من جانبا ولن نتهاون في المفاوضات حول المعابر الحدودية على نهر الأردن والحدود المصرية، ونحن نخشى من عمليات تهريب السلاح، فعشرة مسدسات قادرة على إسقاط العديد من الضحايا، وهذه المسألة من وجهة نظرنا، هي مسألة حيوية لأمننا".

وقد فسر عرفات هذه اللهجة على أنها تعني حصار الفلسطينيين من جميع الجهات ووضعهم في قفص، قال : لست على استعداد للنضال من أجل بنتوستان – وهي دولة تابعة وكانت محاطة بجنوب أفريقيا في عهد حكومة التمييز العنصري– من فضلكم، فتشوا عن صيغة أخرى، ألا تعتمدون علي؟؟

وبيرس : "لا نعتمد على حماس".

عرفات: "وأنا آخذ بعين الاعتبار المعارضة تقف أمامي، والانتقادات التي يوجهها زملائي فأنا لا أستطيع الموافقة على ما تقول– هذه مسألة كرامة– ونحن لن نسمح بوقوع عمليات أمنية وسنستخدم القبضة الحديدية بهذا الصدد، أكثر مما كنتم تفعلون، وبمقدورنا تنسيق نشاطاتنا مع نشاطاتكم".

بيد أن بيرس، قال بلهجة أكثر حدة : "لا نستطيع أن نتهاون أو نتوصل إلى تسوية بهذا الصدد".

عرفات : "أنتم حقا الأقوى، لكن لا تدفعوني إلى الزاوية، إنني أقف وظهري إلى الحائط ولا أستطيع أن أقول للفلسطينيين أنكم ستسيطرون على جميع نقاط الدخول الحدودية بالاتجاهين".

بيرس : "إتفاقية التسوية المرحلية تبقي الأمن الخارجي في قبضة إسرائيل".

عرفات : "لكنني لا أحكم اليوم بناءً على حصولي على أغلبية الأصوات في الانتخابات، بل بناءً على تخويلي الشخصي".

بيرس : "ولدينا مصلحة واضحة في الحفاظ على هذا التخويل، وسنعمل الكثير من أجله".

عرفات : "لكنكم تعرضون علي وضعاً مماثلاً لبنتوستان فكيف يمكنني العمل في ظل وضع كهذا".

بيرس : "نحن نتحدث عن بدايـــة مســيرة، وعــن التســوية المرحليــة، وبمقــدورك أن توضح ذلك للفلســطينيين".

إن النقاط آنفة الذكر، والتـــي أكدهـــا بـــيرس خـــلال لقائـــه، والتـــي أصـــرت عليها إسرائيل : الإصرار على السيطرة علـــى حـــدود الحكـــم الذاتـــي، والتـــأكيد علـــى أن إسرائيل ستدعم عرفات، والإشارة إلى أن هـــذه هـــي شـــروط التســوية المرحليـــة، طرحت، المرة تلو الأخـــرى، خـــلال المفاوضـــات وفـــي نهايـــة المطـــاف، انتصـــرت نظرية الأمن التي طرحناهـــا.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هـــو : تـــرى هـــل كـــانت الاســـتجابة لمطـــالب عرفات القائلة بتعزيز صلاحياته ومســـئوليته ســـتؤدي إلـــى تحســـين أمـــن إســـرائيل؟ أعتقد أننا لن نتمكن من الرد على هذا السؤال أبداً. لقد تـــم التـــأكيد علـــى نفـــس هـــذه القضايا خلال الاجتماع الذي عقده رابين وعرفـــات فـــي القـــاهرة بعـــد يوميـــن، ففـــي أعقاب المحادثات التي أجرياها مع الرئيـــس المصـــري حســـني مبـــارك، بقـــي الاثنـــان وحدهما لأول مرة وقد استغرق حوارهما ثلاث ســـاعات، فيمـــا كـــان الرئيـــس مبـــارك ينتظر خارج الغرفـــة.

وفي الوقت الذي قال فيـــه الرئيـــس مبـــارك لأبـــو عـــلاء "الآن ســـنرى مـــن منهما الأقوى"، بدا رابين في الناحية الأخـــرى مـــن البـــاب مذهـــولا لتفســـير عرفـــات لإعلان المبادئ، وخصوصا للمبادئ المتعلقـــة بـــالأمن الخـــارجي.

وكما يبدو، فإن عرفات شعر إثر لقائـــه مـــع بـــيرس، والجلســـة التحضيريـــة التي أجراها مع المستشار السياسي لرئيس الحكومـــة جـــاك نيريـــا، أن هنـــاك ضـــرورة لاتخاذ موقف متشدد تجاه رابين نفسه ولهذا الســـبب قـــال لرابيـــن : إن العلاقـــات بيـــن الفلسطينيين ومصر والأردن بما فيـــها الوضـــع الحـــدودي مـــع الدولتيـــن ليســـت مـــن شئون إســـرائيل.

وأضاف .. من حقكم الدفاع عن أنفســـكم ضـــد الأخطـــار الإســـتراتيجية، بيـــد أن السيطرة على الحدود، ونقـــاط الدخـــول والخـــروج هـــي قضيـــة فلســـطينية بحتـــة، وكما يبدو فإن هذا كان فهمه لإعـــلان المبـــادئ.

وقد عمد رابين- الذي أدرك بأنه لا توجــد لــدى عرفــات أي مفــاهيم حــول معنى الأمن الخارجي بالنسبة لإسرائيل، إلى توضيح معنـــى هــذا المصطلــح، بالنســبة لإسرائيل، والذي تضمن ضرورة وضع المعابر الحدودية فـــي قبضـــة إســـرائيل.

ومن الجدير بالذكر، إن وضـــع المعـــابر الحدوديـــة تحـــت ســـيطرة إســـرائيل كانت له أهمية بالغة جدا على الصعيد الإســـرائيلي مـــن نـــاحيتين :

* إن كل من يدخل إلى الضفة الغربية أو غـــزة مـــن الأردن أو مصـــر، يدخـــل أيضـــا إلى الأراضي الإسرائيلية، نظرا لعدم وجود حدود بيـــن إســـرائيل والضفـــة وغـــزة، أو بمعنى آخر، فإن تسليم المعابر الحدودية إلـــى ياســـر عرفـــات ســـيحرم إســـرائيل مـــن حقها في اتخاذ قرار حول من الذي يدخل أو لا يدخـــل إلـــى أراضيـــها.

* ثانيا : إن الحكم الذاتي كان سيحظى بشرطة قوية "من أجـــل" ضمـــان النظـــام العـــام والأمن الداخلي، أي أن هذه القوة هي أقل كثيرا مـــن جيـــش قـــادر علـــى الدفـــاع عـــن الحدود، وبالتالي فإن المنطق ينـــص علـــى أن تتولـــى إســـرائيل مهمـــة الدفـــاع عـــن الحدود والمعابر الحدودية ضد أي تـــهديد مســـلح.

ولا شك أنه لو أصر عرفات علـــى موقفـــه لكـــانت المســـيرة قـــد آلـــت إلـــى الموت المحتوم، بيد أن رابين كان مصرا على ألا يسمح للأمـــور للوصـــول إلـــى هـــذا الحد، ولهذا السبب، تم إعلام وسائل الإعـــلام أن الزعيميـــن لـــم يتوصـــلا إلـــى إتفـــاق لكسر الجمود، لكنهما سيواصلان الحوار بعد عشـــرة أيـــام.

عاد رابين إلى إســـرائيل ونفســـه تمتلـــئ بالشـــكوك، جـــراء تفســـير عرفـــات لإعلان المبادئ، ولم يكن يرغب في العودة للجدال مـــع عرفـــات حـــول هـــذه النقطـــة، لذا فضل عقد جلسة للجنة الارتباط العليـــا برئاســـة بـــيرس مـــن الجـــانب الإســـرائيلي، من أجل توضيح الخلاف، وهكذا، فـــإن إعـــادة بـــيرس إلـــى الصـــورة كـــان يعنـــي أن مسار أوسلو على وشك العودة إلى الحيـــاة مجـــددا.

اجتمع بعض "منتدى أوسلو"، في تلك الآونـــة فـــي فنـــدق انتركونتيننتـــال فـــي باريس، وقد استهللنا الاجتماع بتناول طعام العشـــاء فـــي مـــنزل لاريســـون، وقـــد قـــدم أبو علاء ويصحبته ابنه عامر وجئت أنا ويصحبتـــي زينجـــر مـــن إســـرائيل مباشـــرة،

وتم توجية دعوة إلى الصحفية البريطانية جين كوربيين التي استكملت لتوها كتابا حول مفاوضات أوسلو للانضمام إلينا.

وتطرقنا خلال الاجتماع، إلى ذكريات من أيام مفاوضات أوسلو، وأعربنا عن تذمرنا من المفاوضات الحالية، لقد انقلبت الأمور رأسا على عقب منذ ذلك الحين، وبقينا نحن خارج الصورة مع قدر ليس قليلا من الإحساس بالإحباط.

كان أبو علاء مشاركاً في المفاوضات الاقتصادية، وأبو عامر متذمراً من عدم رؤيته لأبيه فقال : "أنا أفتقر إلى الأب، وأفتقر إلى المال وأفتقر إلى الوطن".

وفجأة، دق جرس الهاتف، وكانت تلك (مونه) زوجة لاريسون- والتي قالت : إن الجهود التي بذلها النرويجيون أسفرت عن اتخاذ قرار بعقد جلسة للجنة الارتباط العليا المشتركة برئاسة بيرس وأبو مازن، وأن اللقاء سيعقد في غضون ثمان وأربعين ساعة في أوسلو، لذا علينا أن نفتش عن أبو مازن.

نهض أبو علاء، وحاول الاتصال بأبو مازن في تونس، كنت قد عرفت مصادفة أن أبو مازن في المغرب ويحل ضيفا على صديقي، رجل البنوك اليهودي المغربي المعروف أندريه أزولاي، وأحد أخلص مستشاري الملك المغربي الحسن، والذي كان من أصدقاء أبو مازن وبعد عدة محاولات يئس أبو علاء في العثور على أبو مازن في تونس فنهضت أنا وقلت لهَ : دعني أعثر عليه أنا، وبعد عدة دقائق كان أبو مازن على الناحية الأخرى من الخط في فندق "هيات" في الرباط. وبدا من التعابير التي إنعكست على وجه أبو علاء أن تقديره للمخابرات الإسرائيلية، قد ازداد إلى حد كبير جداً ولم أوضح له أنّ عامل الصدفة الذي جعلني أعرف مكان أبو مازن.

تناول لاريسون السماعة مني وطلب من أبو مازن أن يطير إلى أوسلو حالاً، بيد أن أبو مازن رد عليه بالرفض التام، تناول أبو علاء السماعة وتحدث

مع أبو مازن بصوت غاضب، بيد أن جميع الجهود التي بذلها ذهبت أدراج الرياح.



٤- عيد ميلاد أمنون شاحك، مع أوري سبير، ويوئيل زينجر، وجاك نيريه ١٩٩٤/٣/١٨.

بيرس يقترح على الفلسطينيين صفقة"الأمن مقابل التاريخ"
عرفات كاد ينسف اتفاق القاهرة. ومبارك انقذ الموقف

لقد كان أبو مازن مصراً، في تلك الآونة، على عدم تقديم أي مساعدة أو أي خطوة على صعيد المسيرة السلمية، والذي لم يعد اتجاهه يروق له. عدا عن أن علاقاته مع عرفات، لم تكن، آنذاك، على ما يرام.

عدنا إلى مائدة الطعام لمناقشة الطرق التي تسهل العودة إلى المفاوضات، بانتظار أن تتصل بنا(مونه) لإعلامنا بالتطورات. ولم نكن نعلم أن هولست، في تلك الساعات بالضبط، أصيب بسكتة دماغية في مدريد، ونقل بالطائرة إلى أوسلو.

استهل أبو علاء الحديث بالقول:" يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نفصل القضايا الأساسية: المعابر، وحجم مساحة أريحا، ونقل الصلاحيات".

وعقبت أنا قائلاً:" وأقترح أن يتم ترجمة وثيقة إعلان المبادئ إلى اللغة العربية، لأنني أعتقد أن قسما من رجالكم لم يقرأها.

فرد علي قائلا: ومن الجائز أن يكون رجالكم أيضا قد ترجموه إلى اللغة العبرية بتصرف إلى حد ما". هبط وفدنا في الليلة التالية، في مطار عسكري بالقرب من أوسلو، ونقل إلى بيت الضيافة (ساربسبيرج) والذي أجرينا فيه بعض المفاوضات السرية في صيف ١٩٩٣. وقد توارد عشرات الصحفيين إلى المكان على أمل أن يتم تسريب شيء ما، بيد أن مجيئهم كان عبثاً، فقد عدنا إلى المفاوضات السرية.

شارك في هذه المحادثات بيرس، ووزير البيئة يوسي سريد وأمنون شاحك ويوآل زينجر وأنا. أما الوفد الفلسطيني، فقد ترأسه ياسر عبد ربه، وشمل نبيل شعث وأبو علاء وحسن عصفور.

أما القضايا التي تم تناولها، خلال الاجتماع، فتمثلت في الأمن الإسرائيلي الخارجي، بما فيه المعابر الحدودية. ومساحة منطقة أريحا،

والترتيبات الأمنية للمستوطنات، وعملنا بصورة رئيسية على ترجمة الخلافات في وجهات النظر بيننا حول البدائل، بغية العثور على أسس للتسوية.

بدا بيرس، غاضباً جداً، جراء مطالبته بالمشاركة في هذا اللقاء الخاص، وقد عكس غضبه برفض التحفظات الفلسطينية ووصفها بالصغائر، والتأكيد على أن النظرية الإسرائيلية الأمنية، لا تشوبها شائبة. لقد جاء إلى أوسلو لسبب بسيط للغاية، فقد أراد أن يقترح على الفلسطينيين صفقة تنص على: "الأمن مقابل التاريخ".

وعندما أصبحنا في النرويج، أملت أن نعود إلى المسار الصحيح. كانت الجلسة مصبوغة بروحية أوسلو. بيد أن الخلافات العميقة بقيت على ما هي عليه، فالفلسطينيون لم يكونوا على استعداد لإحداث تغيير، ولو قيد أنملة، في مواقفهم بشأن المعابر الحدودية –رغم أنهم كانوا على استعداد لمناقشة احتمال السيطرة المشتركة عليها. أما بالنسبة لمساحة أريحا، فقد واصلوا المطالبة بمساحة من الأرض تعادل عشرة أضعاف ما تبدي إسرائيل استعداداً لمنحه.

أما إسرائيل، وفي إطار الإصرار على نظرية الدفاع الإقليمية، فقد طالبت بالسيطرة على ما نسبته ١٥% من مساحة قطاع غزة بغية التمكن من الدفاع عن المستوطنين الباقين في منطقة يقطنها مليون فلسطيني.

حاول بيرس إقناع الفلسطينيين بأنه لن يكون هناك أي طعم أو جدوى لمعارضتهم الدائمة لكل حاجة من احتياجات إسرائيل الأمنية.

وقد حاول –رجل اليسار– سريد تأييد وجهة نظر بيرس، بكل قوته. أما شاحك، فقد حافظ على أعصابه ورباطة جأشه طيلة النقاش، تاركا حسم الأمر للسياسيين، خصوصا وأنه كان يدرك أن بيرس لم يوافق على جميع مطالب الجيش، فيما يتعلق بالتسوية مع الفلسطينيين، واعتبر أنها مبالغ فيها، رغم أنه لم يستخف بها أبدا.

ورغم أن لجنة الارتباط لم تتمكن من تسوية الخلافات في أوسلو، الا أنها عادت والتقت أربع مرات في باريس والقاهرة، ودافوس، ومرة أخرى في القاهرة.

وقد جاء لقاؤنا التالي، في السادس عشر من كانون الأول، في فندق في (فرساي). وقد قبل الفلسطينيون، خلال هذه اللقاءات، اقتراح بيرس القائل بتقسيم المعابر الدولية إلى جناحين الأول: يخصص لجميع القادمين إلى إسرائيل والضفة الغربية-باستثناء أريحا- ويجب أن يوضع هذا الجناح تحت المسئولية الإسرائيلية الكاملة، والثاني مخصص للقادمين إلى السلطة الفلسطينية-غزة وأريحا- والذي سيوضع تحت إشراف مشترك من رجال الجيش الإسرائيليين والمدنيين الفلسطينيين.

وفي اجتماعات باريس، بدأت العلاقات بين الطرفين تصبح أقل رسمية مما كانت عليه. وفي إحدى الجلسات سأل بيرس أعضاء الوفدين: فيما إذا كان الرئيس السوري حافظ الاسد، سيصنع السلام حقا أم لا؟ وقد أعرب غالبية الفلسطينيين عن شكهم في ذلك ولربما جاء ذلك تعبيراً عن مصلحتهم أو نجم عن الشعور بالعداء تجاه الرئيس السوري- وأكدوا أن الرئيس الأسد، سيحاول كسب الوقت بعدم إبداء المرونة اللازمة. أما عبد ربه، الذي كان يعرف النظام السوري، أكثر من أي جهة أخرى، فقد أعرب عن اعتقاده بأن الأسد سيلجأ إلى مناورات الإرجاء والتعليق حرصا على ثبات نظامه واستقراره.

إن الإصغاء إلى العرب، وهم يتحدثون عن عرب آخرين أعطانا شعوراً قريبا من الجار الذي يشعر بإمكانية التجسس على جاره وأثار لدينا مشاعر مثيرة للاهتمام.

لم تخط المفاوضات ولو خطوة واحدة إلى الأمام، وبقيت تراوح في مكانها، وعندما عدنا واجتمعنا في القاهرة، شعر بيرس بالضجر الشديد، وبأن السيل بلغ الزبى، لذا قرر العمل على تسريع هذه المحادثات عبر شن هجوم على الوفد الفلسطيني، فاستهل الحديث قائلا:" إنني أعتزم منح هذه القضية

فرصة واحدة أخرى، أنا لم آت إلى هنا كي أتسلى". بدا صوت بيرس مرتفعاً وشديداً، وهو الأمر الذي أذهل الفلسطينيين وكذلك الإسرائيليين.

وأضاف بيرس:" أنتم تضيعون وقتاً ثميناً وبمقدوركم عمل ذلك بدوني. ومن ناحيتي بمقدوركم البقاء هنا شهراً، فأنتم تتشاجرون على التفاصيل ولا ترون المهم".

كان صراخ بيرس مسألة تكتيكية، بيد أنه كان أيضاً تعبيراً عن الغضب الحقيقي. فرغم أن بيرس معروف بالصبر والأناة، الاّ أنه كان نافذ الصبر جداً، عندما يتعلق الأمر بما يعتبره صغائر لقد كان يرى في موقف الفلسطينيين مجرد تصلّب من أجل التصلب، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا بمثابة المتنفس الوحيد لغضبه وشعوره بالإحباط.

لقد تعذر عليه إرسال الفلسطينيين للتحاور مع طاقم المفاوضات الإسرائيلي دون أن يحدث مشكلة داخلية.

وعندما بدأنا النقاش حول أريحا، اقترح شاحك بتوسيع رقعتها إلى ٥٥كم مربعا. فقد كانت مسألة المعابر الحدودية، القضية الرئيسية التي تحتاج إلى حل، نظرا لأنها كانت تشكل صورة مصغرة لمصطلح الحكم الذاتي كله.

كان جسر(اللنبي) الملك حسين مفتوحا في وجه الحركة السكانية والبضائع منذ الأشهر الأولى التي تلت حرب عام ١٩٦٧، على الرغم من أن الأردن وإسرائيل كانتا، على الصعيد الرسمي، في حالة حرب. وقد اجتاز الجسر عشرات الاف الفلسطينيين، بيد أن عمليات التفتيش الشخصية وتفتيش الأمتعة كانت مذلة للغاية من قبل اسرائيل. وكان على المسافرين الفلسطينيين أن ينتظروا ساعات. واحيانا يوما كاملا، قبل ان تتم عمليات التفتيش الدقيقة لهم شخصيا ولأمتعتهم. وقد أصبحت ساعات الانتظار تلك، إحدى أكثر مظاهر الاحتلال كراهية لدى الفلسطينيين. لذا، كان مسألة إزالة هذه المظاهر وامتلاك موطئ قدم على الجسر، أهم للفلسطينيين من أي شيء اخر. وقد اكد شركاؤنا

في المحادثات ضرورة وضع حد لعمليات الإذلال، وبـــدت أصواتـــهم شـــديدة التـــأثر ومليئة بالغضب الحقيقـــي.

وأضافوا: هناك ضرورة لأن تشعر الجماهير الفلســطينية بـــأن هنـــاك تغيـــيراً راديكاليا على عملية الدخـــول إلـــى وطنـــهم. ولـــهذا الســـبب، طـــالبوا (بفلســطنة) الجسور عبر وضع رموز فلسطينية، كوجـــود موظـــف فلســطيني، وإعـــادة النظـــر في عمليات التفتيش والإجـــراءات الإداريـــة.

واصلنا الإصرار على موقفنا القـــائل: أن أي فلســطيني يرغـــب فـــي دخـــول مناطق الحكم الذاتي، وبالتالي يجب أن يدخـــل إســـرائيل، يجـــب أن يخضـــع لتفتيـــش إسرائيلي. وقد قال بيرس لهم:" نحن سنضمن أمننا، وســـنحافظ علـــى احـــترامكم".

بيد أن المشـــكلة أن هذيـــن العـــاملين" الأمـــن والاحـــترام" كانـــا يصطدمـــان أحدهما بالآخر بصورة محتومة في جميـــع المعـــابر–مثلمـــا يحـــدث فـــي أي مكـــان آخر. لذا لم نجد مناصاً، سوى البحث عن حـــل خـــلاق ، بيـــد أن هـــامش المنـــاورة لدينا كان ضيقـــاً.

لم يقتنع الضباط الإســـرائيليون بمزاعـــم الفلســطينيين بشـــأن عمليـــات الإذلال على الجسور، وقالوا: أن المنطقة لا زالت تعـــج(بـــالمخربين). لـــذا، لـــم يكـــن مـــن المستهجن أن يتحول لقاؤنا الأول في القاهرة إلى جدل عقيـــم يطـــرح فيـــه الطرفـــان مواقف متشددة وغير قابلة للحـــل.

قال شعث لامنون شاحك:" أنت ترى الأشـــياء فقـــط، فـــي صـــورة احتياجـــات فورية، ولا تولي اهتماما أبدا بمغزاهـــا علـــى المـــدى البعيـــد". فـــرد عليـــه شـــاحك قائلا:" طالما بقي الإرهاب قائما لن يكون هناك مـــدى بعيـــد".

طلب بيرس ورقه وقلما، ووضعـــهما علـــى الأرض، وشـــرح فكرتـــه والحـــل الذي يراه بشأن المعابر، ثم طلب من شعث وشـــاحك ترجمتـــها علـــى أرض الواقـــع العملي. وفجأة، فتح الباب ودخل أبو مـــازن، الـــذي اســـتجاب مؤخـــرا، وعـــاد إلـــى المفاوضـــات.

كان من المفروض-مثلما أوردنا- أن يكون هناك مدخلان لكل معبر، لقد فهم الفلسطينيون أن بمقدور إسرائيل أن تفعل كل ما يحلو لها في النصف الخاص بها من المعبر، وبالتالي بدأ الجدل حول الإجراءات التي يجب أن تنتهج في النصف الفلسطيني.

نشب نزاع حاد في البداية، حول السؤال عما إذا كان سيسمح للفلسطينيين برفع علمهم ووضع شرطي على مدخلهم. والحقيقة هي أن الفلسطينيين أرادوا أن يتم عرض هذين الرمزين على جسر (اللنبي) كدلالة من دلالات السيادة، بيد أننا رفضنا ذلك. ورغم ذلك، نجحنا في بعض القضايا، في خلق نموذج مقبول لدى الطرفين. واتفقنا على وضع شرطيين على جانبي باب التفتيش الإلكتروني، والذي يتوجب على جميع المسافرين اجتيازه، أحدهما إسرائيلي والاخر فلسطيني. فإذا ما أطلق الجهاز صفارة إنذار حال عبور أي مسافر فلسطيني، يتم تفتيشه في غرفة خاصة من قبل شرطي -أو شرطية- فلسطيني، وبحضور نظير إسرائيلي. أما الحقائب، فيتم نقلها إلى مكان مغلق، حيث تقوم إسرائيل بتفتيشها إلكترونيا. أما الحقائب المشبوهة، فيقوم شرطي إسرائيلي بفتحها بحضور صاحبها وحضور شرطي فلسطيني.

في أعقاب التفتيش الأمني، ينتقل المسافرون الفلسطينيون إلى مرحلة فحص الجوازات، ويقدمونها إلى شرطي فلسطيني. بيد أن الاراء اختلفت حول هذه النقطة. فقد طالبنا نحن بأن يقوم المسافر أيضا، بتقديم جواز سفره إلى شرطي إسرائيلي، وإذا كان هناك سبب للاشتباه به، يحق لشرطتنا التحقيق معه دون تواجد شرطي فلسطيني، بيد أن الفلسطينيين احتجوا بشدة على فكرة فحص الجوازات المنفردة، وأكدوا على أن كل فلسطيني يرغب في العودة إلى مناطق الحكم الذاتي، يجب أن يشعر بارتياح إبان هذه العودة. وعارضوا بشدة فكرة التحقيق مع أي فلسطيني دون وجود شرطي فلسطيني، وقالوا: من المفزع حقا أن يتم التحقيق مع فلسطيني عائد إلى وطنه من قبل الغرباء. بيد أننا

أصرينا على موقفنا، وقلنا أن أي فلسطيني يرغب في دخول مناطق الحكم الذاتي يستطيع بعد ذلك الذهاب إلى إسرائيل.

نفذ صبر بيرس، في هذه المرحلة، خصوصا وأنه حضر أيضا جلسة المفاوضات السابقة والتي استغرقت ثماني ساعات متواصلة، لذا قرر العمل على فرض تسوية، فاستدعى يوني بيلد، وهو موظف صغير في وزارة الخارجية، وبدأ يملي عليه الحل الذي يعتقد أننا توصلنا إليه خلال الجلسة بسرعة هائلة. وكي يحول دون تمكين الفلسطينيين من مناقشة ما يقول بصوت مرتفع، بينهم وبين أنفسهم، كان يصرخ فيه قائلا:" اكتب-أسرع وعندما حاول شعث التدخل لتصحيح صيغة في قضية معينة، قال له بيرس بصورة حادة" لا تتدخل". لقد قبل مطالب الفلسطينيين بشأن العلم والشرطي في مجمع المسافرين والبضائع، وليس على الجسر، وأكد على المطالب الإسرائيلية بشأن الرقابة على الجوازات والتفتيش الأمني. وهكذا ولدت وثيقة (يوني) وقد حصل الفلسطينيون على نسخة مصورة من الوثيقة مكتوبة بخط(يوني بيلد) غير الواضح، وسارعوا إلى مطار القاهرة، لاستقبال عرفات الذي عرج على المطار، لإعلامه بالتطورات.

ومرة أخرى، أثبت عرفات لمفاوضيه وأيضا للمفاوضين الإسرائيليين، أنه هو فقط، صاحب القرار، ورفض الوثيقة رفضا تاما.

وعندما عاد الفلسطينيون من المطار، وأعلنوا رفض عرفات للوثيقة، هب بيرس من مقعده وقال: إن الوفد الإسرائيلي سيغادر القاهرة، وليبعث الفلسطينيون. احتجاجاتهم إليه هناك.

وفي الثلاثين من كانون الأول، تلقى بيرس وشاحك رسالة بالفاكس من نبيل شعث تحمل إجمالا-حسب فهم الفلسطينيين- لما تم إنجازه وتسويته في أوسلو وباريس والقاهرة- وثيقة يوني- وفي أعقاب هذا الإجمال، تم إرفاق مجموعة من المطالب التي يريدها عرفات، ومن ضمنها: وضع شرطي

فلسطيني على جسر الفلسطينيين، وتوسيع مساحة أريحا بصورة كبيرة-شرقا حتى نهر الأردن، وجنوبا باتجاه البحر الميت.

ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين لم يكفوا- منذ أيام مفاوضات أوسلو- عن النضال بغية الحصول على موطئ قدم على حدود المملكة الأردنية.

وفي رده الشديد، قال بيرس: أن إسرائيل لن توافق على إجراء أي تغييرات، باستثناء تغييرات الصياغة في التفاهم الذي تم إحرازه في القاهرة.

اقترح شعث استئناف المفاوضات في طابا. وكنت آنذاك أنا وأبو علاء وعائلتانا في أوسلو، وقد حاولنا العثور على تفاهم أقوى وكان أبو علاء مقتنعا بأن الإحراج الذي ساد أوساط الوفد الفلسطيني، بسبب الاحتكاكات بين عبد ربه وشعث وأبو مازن، يتطلب إدخال عرفات في الصورة بشكل مباشر، وهذا ما حدث فعلا، بعد ثلاثة أسابيع.

في العشرين من كانون الثاني تواجد عرفات وبيرس في أوسلو لتشييع جثمان هولست ولربما كان تواجدنا هناك، حيث بدأت المسيرة هو الذي أعادنا أكثر إلى المفاوضات المثمرة. وقد اجتمع بيرس وعرفات مرتين في أوسلو، واتفقا على السماح لزينجر وأبو علاء بالعمل على وضع مسودة قضائية للاتفاقية، وترك القضايا التي لا زالت محل خلاف، دون حسم. والتزم الاثنان بالاجتماع بعد ذلك حتى حل جميع المشاكل، وعملا على تشكيل طواقم جديدة خاضعة لهما.

عقدت الجلسات الحاسمة بشأن المعابر الحدودية يومي ٢٨-٢٩كانون الثاني في دافوس- على هامش اجتماعات مؤتمر الهيئة الاقتصادية العالمية، الذي عقد هناك- وخلال يومي ٧-٩شباط في القاهرة. وقد شمل الوفد الذي ترأسه أبو علاء، أكرم هنية والجنرال عبد الرزاق اليحيى. أما بيرس فشكل طاقما بموافقة رابين وشاحك، مؤلف من عوزي ديان، ويوآل زينجر وأنا-

كرئيس للمجموعة- ومن الجدير بالذكر أن هــذا الطــاقم اصبــح، فيمــا بعــد، نــواة الوفد الإسرائيلي لمحادثات التســوية المرحليــة.

لقد ورث عوزي ديان الكثـــير مــن الجــرأة والذكــاء والســحر عــن عمــه موشيه ديان. وقد اتضح كمحنك في الحوار مع مفاوضيـــه الفلســطينيين. وقــد وجــد الفلسطينيون فيه، بداية، إنسانا متعجرفا ومتشـــددا، بيــد أنــهم تــأقلموا مــع مزايــاه كإنسان متشدد وذكي وحســـاس.

ومن الجدير بالذكر، أننـــي اختلــف اختلافــا بينــا عــن عــوزي فــي نمــط أفكاري، بيد أننا سرعان ما أصبحنـــا صديقيــن. وقــد أدت قدرتنــا علــى أن يكمــل أحدنا الآخر، إلى ولادة نظرية أمنية سياسية قوية. وقد شـــجع رابيــن وبــيرس هــذا التعاون فيما بيننــا.

لقد تفاوضنا أياما وليالي في دافوس ثم فــي القــاهرة، وناقشــنا جوهــر الحكــم الذاتي، وهو المعابر الحدودية مع الأردن ومصر، وفــي أعقــاب كــل هــذه الجــهود التي بذلناها، بقيت هناك أربع قضايا عويصة" فقــد أصــر الفلســطينيون علــى رفــع علمهم ووضع شرطي على الجســور الحدوديــة، وأن يديــروا الأجنحـة الفلســطينية في المجمعات الحدودية، وعـــارضوا بمنتــهى الشــدة، التحقيــق بصــورة منفــردة، ودون وجود شرطي فلسطيني مع أي مواطن فلسطيني، وطـــالبوا بــأن يســمح لــهم بإصدار تصاريح دخــول إلــى منــاطق الحكــم الذاتــي، حتــى تســعة اشــهر دون الحاجة إلى موافقة إســـرائيل. بيــد أننــا عارضنــا مطالبــهم، تقريبــا، فــي جميــع القضايا فرفضنا رفضا باتــا قضيــة الشــرطي الفلســطيني علــى المعــابر أو العلــم الفلسطيني على الجسر، لأننــا كنــا نصــر إصــرارا قاطعــا، علــى الحيلولــة دون وجود أي تواجد فلسطيني على الحــدود مــع الأردن، وشــددنا علــى التحقيــق مــع المشبوهين الفلسطينيين دون تواجد شرطي فلسطيني ووافقنا علـــى تمديــد مــدة نفــاذ مفعول التصاريح الفلسطينية، حتى ســتة أشــهر.

كانت الحوارات وحشية للغايـــة، واصطدمنـــا مــرة أخــرى بالــهوة الواســعة القائمة بين المصالحة، وترتيب الأولويات لـــدى الطرفيــن.

كان الأمن بالنسبة لإسرائيل مسألة حاسمة جداً. في حين كان الفلسطينيون يضعون نصب أعينهم الكرامة الشخصية والوطنية والسياسية. ورغم ذلك تمكنا من إحراز تقدم معين خلال ليالي الحوار الطويلة في دافوس، خصوصاً فيما يتعلق بصياغة التفاصيل.

بلغ الجدل حول (الألغام الرئيسية) في المفاوضات، ذروته في القاهرة، في السابع من شباط. ففي حوالي الواحدة فجراً، جلس عرفات وبيرس للتفاوض في وزارة الخارجية المصرية، في حين انتظر الوفدان في الخارج تساورهما الشكوك في أن يخلد الاثنان في نهاية الحوار إلى النوم، ويأمراننا بمواصلة العمل.

وفي حوالي الساعة الثانية، قدم عرفات وبيرس النبأ وابتسامة على وجهيهما، وأعلن بيرس: اتفقنا الرئيس عرفات وأنا، على أن يعمل الوفدان طيلة الأربع وعشرين ساعة بغية التوصل إلى اتفاق بسرعة. وإذا ما اصطدمتم بمشكلة لا تستطيعون حلها، يسمح لكم بإيقاظنا في كل وقت تشاءون".

تبادلنا نظرات حذرة، فقد كنا قد أقسمنا بيننا، أنه إذا قالا لنا واصلوا العمل، ونحن ذاهبان إلى النوم، أن نرفض ذلك. وقد تجرأ شخص ما، وقال: حسناً سنبدأ العمل غداً بعد أن نكون قد ارتحنا. فنظر إليه بيرس مبتسماً، وقال:" يا صديقي العزيز ستنهون العمل، حتى صباح الغد".

خضعنا لأوامره، وتوجهنا إلى الجناح الفلسطيني في فندق الأندلس، وجلسنا حول الطاولة. وقد استهل أبو علاء الحوار قائلا:" إذا وافقنا على عمل عدد من الأشياء بصورة مشتركة، فسوف نتوصل إلى اتفاق. لقد قال لي الرئيس اليوم: علينا أن نتقدم، على صعيد جميع القضايا الأمنية، وأن نصر على مسألة واحدة. وهي أن نعطي لشعبنا شعوراً بأن الاتفاق غيّر أشياء. ويجب أن يشعروا بالفخر حينما يصلون إلى الوطن دون إذلال إسرائيلي على طول الطريق، فإذا كنتم تشاطروننا هذه الرغبة، فسوف يكون بمقدورنا أن نخلد نحن أيضا إلى النوم، قبل بزوغ الفجر.

عقبت على أقوال أبو علاء قائلا:" أبو علاء أنت تعرف أننا بذلنا قصارى جهودنا من أجل تغيير الوضع، وكرامة المواطن الفلسطيني مهمة بالنسبة لنا أيضا، وإحساسه بأن الاتفاق غير الأشياء، هو مسألة مهمة له، بيد أنني أؤكد لك، أننا لن نتهاون في كل ما يتعلق بالأمن. أنتم تفتقرون حتى الآن إلى التجربة. إن المعابر الحدودية تقود إلى الأراضي الإسرائيلية أيضا وليس إلى الحكم الذاتي فقط. وإذا ما تم تهريب قنبلة عن طريق هذه المعابر، فلن تفيد الكرامة الشخصية والوطنية شيئا في إنقاذ الاتفاقية". ثم اقترحت أن يعرض عوزي ديان مطالبنا، فنغمة صوته كانت ناعمة أكثر مما هو مألوف.

وقد استهل ديان حديثه قائلا:" ليس لنا مصلحة يا أبا علاء في جعل حياة ٩٩،٩% من أبناء شعبك مرة، والذين هم دعاة سلام- وفقا لجميع الآراء- ومن أجلهم وأجلنا، علينا أن نحول دون دخول أسلحة وإرهابيين يرغبون في تدمير اتفاقية السلام التي توصلنا إليها. ولدينا نحن تجربة واسعة على صعيد منع مثل هذه الحالات، لذا، نحن نرغب في فحص الحقائب بأنفسنا، ونحن نصر على تحديد المشبوهين والتحقيق معهم وحدنا، إذا كانت هناك ضرورة لذلك".

ضحك أكرم هنية، وقال بمرارة:" وتجندونه كعميل لجهاز الأمن العام؟".

-عوزي:" أكرم، بمقدورك أن تخرج كما تشاء". بيد أنه لن يكون هناك أي تهاون بهذا الشأن.

-أبو علاء:" أوري، أنت تعرف أننا طلبنا منذ أوسلو، شراكه في المسئولية على المعابر الحدودية، ونحن على استعداد للاقتراب من مواقفكم، وأن نترك لكم السيطرة على الجانب الأمني. بيد أنني لن أوافق على إذلال أبناء شعبي. أنت هنا، وأنا أثق بكم، لكن قد يأتي غدا أو في المستقبل ضابط أو أحد مسئولي حرس الحدود التواقين لإذلال وإهانة الفلسطينيين. ولا شك أن بمقدوركم عمل ذلك دون موافقتنا، بل أنتم تمارسون ذلك الآن، دون موافقتنا، فإذا كان هذا هو ما ترغبون فيه، حسنا، واصلوا عمله.

اقترح زينجر، في محاولـــة لتخفيـف التوتــر أن نســتعرض جميــع مراحــل العبور على الجسور التي لم يتم حتى الان التوصـل إلـى حلـول بالنسـبة لـها، وأن نحاول العثور على حل" وإذا لم ننجح، سنوقظ الزعيمين، همـــا يســتحقان ذلــك".

ضحك الجميع من أقواله الأخـيرة، ويبـدو أن الضحـك نقـى الأجـواء إلـى حد ما، وانتهز أبو علاء هذا النقاء، وقـال: أنـا أوافـق علـى أن تقومـوا بفحـص الحقائب في جانبكم من المجمـع الحـدودي، بيـد أن فتـح الحقـائب يجـب أن يتـم بصورة مشــتركة".

-عوزي:موافــق.

-أبو علاء:" لكن لن أسمح بفحص أي فلسطيني تشـتبهون فيـه وحـده".

-عوزي:" المتهم هو المتـهم، ويجـب عليكـم أن تثبتـوا أنكـم تدركـون مسـتوى الخطر".

-أبو علاء: نحن ندرك ماهية شـعور الفلسـطينيين، وإذا كنتـم لا تدركـون ذلـك، لن يكون هناك سـلام.

-عوزي: أنا على علم بمشاعركم، وأيضـا بالتزامـاتكم لـذا بمقدوركـم اسـتجواب سكان غزة وأريحا في جنــاح فحـص الجـوازات الخـاص بكـم، بيـد أنـه علـى إسرائيل، بعد ذلك، أن نفحص الجوازات وتطــرح الأسـئلة المناسـبة.

-أبو علاء:" إذا لم يكن الإسرائيلي باديا للعيـان، بمقدورنـا الموافقـة؟.

_اوري سبير: بمقدور الإسرائيلي أن يقف خلف مرآة ذات وجـه واحـد، لكـن بعـد أن يفحص الجوازات التـي سيسـلمها لـه الشـرطي الفلسـطيني، يجـب أن يكـون بمقدوره تقديم الاســتجوابات.

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال:" هل تعـرف مـا الـذي يمكـن أن يحـدث لامـرأة عجوز إذا ما بدأت مرآة بـالتحدث معـها؟؟ لا شـك أنـها سـتصاب بسـكتة قلبيـة فورا. وسوف يكون ذلك ذنبكم". ضحكنـا جميعـا.

-عوزي: قد نتمكن من التوصل إلى حـــل يجعــل الإســرائيلي لا يــرى ولا يســمع، على أن لا يحرمه من حقه في فحص الوثائق، واســـتجواب المشــبوهين فــي مكــان مغلق".

-أبو علاء: سمعنا أنكم تســـمون هــذا المكــان المغلــق "منطقــة التطــهير"، إنكــم تتعاملون مع الفلسطينيين كما تتعاملون مـــع الحيوانــات.

-أنا:" رفعت صوتي عالياً، وقلت:" إذا كنتم ترغبــون فــي الجــدل لمجــرد الجــدل، فإن بمقدورنا الانضمام إليكم. أرجو أن تتذكر أننـــا نتحــدث عــن إحبــاط الإرهــاب، ولا ننوي إهانة أبناء شعبك، إننا نعمل مــــن أجــل الحيلولــة دون تدمــير المســيرة. والآن لنعد إلى القضية، ما رأيكم فـــي الموضـــوع؟؟

-أبو علاء: يجـــب أن أتشـــاور مـــع الرئيــس، لقــد بــزغ الفجــر، فلنــأخذ فــترة استراحة، وأتحدث خلالها مع عرفات، ثم نعود إلـــى الحـــوار.

بعد عدة ساعات، وفي قاعة الطعام اصبح بمقدورنا التحـــدث عــن قــدر مــن التقدم، وأجمل زينجر الوضع فـــي مســـودة جديــدة، فامرنـــا بــيرس بـــأن نواصــل الحوار. على أساس حديث الليلـــة الماضيـــة.

واتضح بيرس، من خلال الحديث مع عـــوزي، أن فحـــوى مـــا يــدور ينقــل إلى هيئة الأركان العامة عبر أحد الضباط الذين يســـاعدون عـــوزي، وهنـــاك يقـــوم طـــاقم مـــن شـــــعبه التخطيــط تــم تعيينـــه مـــن قبــل رابيــن وأهــود بـــراك بدراســـــــة كل ما يقـــال.

وقد شعر بيرس، أن رابين لا يمنحــــه الدعــم الكــافي، رغــم أنــه اســتجاب لجميع توجيهاته، ودافع بكل قوته، على الخط الذي حـــدده الجـــهاز الأمنـــي.

تمتم بيرس بغضب...:" المفاوضات لا تـــدار علـــى هـــذا النحـــو"، وغـــادر الطاولة بغضب، وتوجه نحو غرفته مصحوبـــاً بـــآفي جيــل. وبعـــد قليــل ســمعناه يصرخ في الهاتف قائلا:" اسحق، إذا كان هناك فـــي تــل أبيــب مـــن يرغــب فـــي وضع رقابة علي، فإنني على استعداد للعودة فورا، الأمر الوحيـــد الملــزم، هــو مـــا تم الاتفاق عليه بيننا، إننا ندير هنا معركة صعبة، ولن أعمـــل بـــهذه الصـــورة هـــل

الطاقم الموجود في إسرائيل، يدير مفاوضات مـــع نفســه؟؟ لمــاذا لا ترســلونه إلــى هنا؟؟ وسنرى كيف يقنعــون الفلســطينيين؟؟".

وكما يبدو حاول رابين تهدئته، وهكذا توقف الطاقم الموجــود فــي تــل أبيــب عن إرسال ملاحظاته الصغيرة إلى القاهرة. كانت تلـــك الأقــوال، بالنســبة لبــيرس، تعني أن ما تم الاتفاق عليه مع رابين هو الأمر الوحيد الملـــزم للجميــع، وقــد بقــي الغليان في نفسه طيلة صبيحة ذلك اليوم. فقد كـــان يرغــب فــي التقــدم، وشــعر أن هناك زخما، لذا دعا وزير الخارجية عمرو موسى، واشركه فـــي بعــض أفكــاره.

-بيرس: الفلســـطينيون يضجروننـــا بالكلمـــات، أرجــو أن تقــول لـــهم: أن وقتـــي ضيق، قل لهم أنه يتوجب عليهم السير قدمــــا، وعــدم التمســك بمواقــف غــير ذات بال أو قيمة، والا فلا معنى لوجــودي هنــا".

حاول عمرو موسى تهدئـــة غضبــه، ووعــد بــالتحدث مــع عرفــات بــهذا الصدد. وقد اجتمعت أنا بأبو علاء، وقلت لـــه: أن صــبر بــيرس أوشــك أن ينفــذ، فقال أبو علاء:" أنا أتفهمـــه بيــد أن المطــالب التــي يقدمــها غــير معقولـــة، أنتــم ترغبون في مواصلة توجيه الإهانات لنا، مع تغيير اســم هــذه الإهانــة إلــى"الأمــن" إننا على استعداد لتسريع المفاوضات، بيد أننا لا نستطيع القفـــز عــن المشــاكل".

عادت الوفود إلى الاجتماع في ســـاعات الظــهر، وعمــد ديــان إلــى جعــل التسوية الأساسية أكثر وضوحا. وجاء فـــي افــتراض: أن فلســطيني الحكــم الذاتــي سيصطدمون، بداية، بالرقابة على الجـــوازات، ويقــوم موظــف فلســطيني بتوجيــه الأسئلة اللازمة لهم. ومن خلف مرآة ذات وجـــه واحــد يجلــس شــرطي اســرائيلي لا يرى ولا يسمع، ويتم نقل الجوازات إليه في صنــــدوق، وإذا مـــا ثــارت شــبهات، يتم إرسال الفلسطيني المشبوه إلى غرفة لا يوجـــد فيــها ســوى إســرائيلي، ويحــق لإسرائيل اعتقال أي مشبوه بعد إعلام الشـــرطة الفلســطينية.

بدا أن أبو علاء ليس راضيا، وقال:" أنـــا أطــالب بــالتحديد المســبق لمعـــايير اختيار المشبوهين، وتضمينها في الاتفاق، مثل أي إنســـان يحــاول تــهريب أســلحة،

أو يخطط لاعتداء، أو يحمل أوراقـــا مشـبوهة، وبذلـك نضمـن الا تتمكنـوا مــن اعتقال كل من ترغبون في اعتقالـــه".

اقترح زينجر أن تتم صياغة هذا البند بصـــورة مقبولــة لــدى الطرفيــن: ثــم ذهب أبو علاء للتشاور مع عرفـــات، وحــال عودتــه، قــال: الحــل مؤلــم جــدا للفلسطينيين، بيد أنهم يقبلونه. ورغــم ذلــك واصــل الفلســطينيون المطالبــة بإيكــال إدارة الجناح الفلسطيني من المجمع الحـــدودي إلـــى الفلســطينيين، علـــى أن يتواجــد ضابط أمن إسرائيلي هنـــاك.

عارض عوزي ديان هـــذا المطلــب بشــدة، وقــال: المكـــان منطقــة أمنيــة، ويجب على إسرائيل إدارتـــه".

وهكذا، غرقنا في مشكلة جديـــدة، وغادرنـــا المكـــان، للتشـــاور، وقــد اقــترح بيرس أن نحاول، أنا وأبو علاء، حل هذه المشكلة علـــى انفــراد وهــذا مــا فعلنــاه فعلا. واتفقنا على أن يكون مديرو المجمع- في رفـــح وجســر اللنبــي- إســرائيليين وأن يتحملا مســـئولية الجنــاحين، علـــى أن يكــون لكــل مديــر إســرائيلي نــائب فلسطيني يحمل لقب مدير، ويكون مسئولا عـــن الجنـــاح الفلســطيني.

قال أبو علاء، المدير الفلسطيني سيستعين بمســـاعدين فـــي الشـئون الإداريــة والأمنية وهكذا، توصلنا في نهاية المطاف إلى حـــل مـــرض للطرفيـــن.

أصبحت اتفاقية المعابر الحدوديــة جــاهزة، وقــد اســتخدمت كنمــوذج- فــي جانبه المثير للمشاكل، وفي أسلوب حـــل المشـــكلة- لشــبكة العلاقـــات الآخــذة فــي التبلور بشأن الحكم الذاتـــي الفلســطيني بأكملــه. وتمــت صياغــة الاتفاقيــة حــول المعابر الحدودية في (١٨٠) صفحة. وقد مكنـــا إســرائيل مـــن مواصلــة الإشــراف على كل ما يتعلق بأمنها، ومكنا الفلسطينيين مـــن إبـــراز رموزهـــم الوطنيــة ونيــل أكبر قدر من الحافظ على كرامتـــهم.

لقد وضع هذا الاتفاق قواعد العمل العملية، والتـــي تتطلــب التعــاون الوطيــد على أرض الواقـــع.

حال تغلبنا على هذه الصعوبة، انتقلنا للعمل على حل مجموعة من المشاكل الأمنية الأخرى وأهمها السيطرة على محاور الطرق العرضية الثلاثة المؤدية من إسرائيل إلى الكتل الاستيطانية في قطاع غزة. وكان حل هذه المشكلة يتوجب التحاور مع عرفات بصورة مباشرة.

وفي ساعات ما بعد الظهر جرى وضع خارطة أمام مجموعة كبيرة من الفلسطينيين والمصريين، والإسرائيليين، والذين تجمهروا في غرفة الطعام. وكشفنا النقاب، خلال هذا الاجتماع، عن الخطة الإسرائيلية الكاملة لمعالجة الأمن الإسرائيلي في قطاع غزة.

-بيرس: دون سيطرة إسرائيل على المحاور العرضية، لا نستطيع التوصل إلى أي اتفاق فهي شديدة الأهمية لحماية الاستيطان، ولن نترك لكم هذه المهمة. بل لماذا أصلا تريدون تولي مثل هذه المهمة؟؟

وافق عرفات مبدئيا، بيد أنه تحفظ من وضع علامات على المحاور على أنها أراض إسرائيلية لأن ذلك، سيعني كسر سيطرته على غزة. وطرح بديلا لذلك، ينص على أن يبني الفلسطينيون مواقع للدفاع عن وسائل المواصلات الإسرائيلية من وإلى المستوطنات. وقد همس أحد الحاضرين:"هل ما أسمعه صحيح"؟؟.

وفي نهاية الجدل، اقترح زينجر الصيغة التي تم قبولها والتي تنص على :" توكل إلى إسرائيل جميع الصلاحيات والمسئوليات المطلوبة للقيام بنشاطات أمنية مستقلة في محاور الطرق العرضية الثلاثة وعلى الأرصفة المحاذية لها".

طلب بيرس التوقيع بالأحرف الأولى على هذه الاتفاقيات، للتأكيد على حدوث الانفراج ولإتاحة الفرصة للانتقال إلى التفاوض في قضايا أخرى.

أعرب أبو علاء عن تذمره، نظرا لأننا أطلعنا الوفد الفلسطيني على الخرائط في اللحظات الأخيرة، وبالتالي وضعنا أمامهم حقائق جاهزة. وقد جلس إلى جواري في المراسيم التي تم إجراؤها في المساء بينما وقف خلفنا عرفات وبيرس والرئيس المصري حسني مبارك، وحاول الامتناع عن التوقيع بالأحرف الأولى على الخارطة الملحقة بالتفاهم. ولم يصدر عرفات الأمر بالتوقيع الا بعد أن تدخل

الرئيس المصري حسني مبارك في القضية. لقد كانت هذه الحادثة، توطئة لحادثة أكبر ستحدث فيما بعد.

بدا الرئيس مبارك متفائلا خلال مراسيم التوقيع، وقال: أن المفاوضات حول باقي القضايا الخاصة باتفاقية غزة -أريحا، ستستكمل في غضون أسابيع معدودة. وحينما سمع زينجر ذلك، جذب بيرس جانبا، وقال له: لقد توصلنا حقا إلى انفراج، بيد أن غالبية العمل لا زالت أمامنا.

بيرس:" هل تستطيعون إكمال العمل في غضون أسبوعين"؟.

زينجر:" سنحتاج إلى شهرين على الأقل.

بيد أنه ومنذ اللحظة التي عاد منها شاحك لإدارة مجموعة العمل في طابا، أخذت المفاوضات تتقدم بسرعة. وقد نجح زينجر وشعث في كتابة كم هائل من الأوراق، وفي غضون أسبوعين، بدا أن الاتفاقية تلوح في الأفق. وبدأ الجيش الإسرائيلي في وضع مخططات للانسحاب من غزة. وفجأة! وقعت الهزة الأرضية.



٥- خلال مراسيم المصادقة على اتفاقية السلام مع الأردن في بيت جبرائيل على ضفاف بحيرة طبريا، من اليسار الى اليمين : الملك الحسين، اسحق رابين، أوري سبير ١٩٩٤/١١/٢٦.

الفصل الخامس

من تونس إلى غزة

سفاح الخليل أوقف المفاوضات وأحرج الزعامة الإسرائيلية

ذهول فلسطيني لقرار عرفات باستئناف مفاوضات غزة_أريحا

ارتدى الدكتور باروخ جولد شتاين – وهو مستوطن متدين من كريات أربع كان قد ولد وتربى في حي بروكلين الأميركي – في تمام الساعة الخامسة، من يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من شباط – زيه العسكري- فهو ضابط في الاحتياط – وتسلح ببندقيته من طراز عوزي، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي في الخليل، وعندما وصل إلى قاعة صلاة المسلمين، فتح النار على جماهير المصلين، مما أسفر عن مقتل واحد وثلاثين مصليا في هذه المذبحة التي لم تتوقف، إلا عندما قتل جولدشتاين نفسه.

انتشرت أنباء المذبحة انتشار النار في الهشيم في قطاع غزة والضفة الغربية، والعالمين العربي والإسلامي والعالم بأسره. وجاءت ردود الفعل فزعة، غاضبة، وفي أوساط الفلسطينيين، كان هناك شعور رهيب بالرعب.

كان جولدشتاين- الذي وصفه جيرانه بأنه طبيب هادئ وطيب القلب- ناطقا سابقا لحركة (كاخ) التي ترأسها الحاخام مائير كهانا في الولايات المتحدة، ولازال منتميا إلى ممثلي هذه الجماعة في كريات أربع.

ورغم أن الشخصيات السياسية والدينية في إسرائيل شجبت هذه الحادثة المرعبة، إلا أن جولدشتاين سرعان ما وجد معجبين في أوساط المستوطنين، فقد شارك المئات في جنازته، ومدحه الكثيرون منهم، واصفينه (بالبطل، والشهيد)، بل لقد شبهه الحاخام ارئيل -حاخام مستوطنةياميت السابق- بشمشون البطل، ويهودا المكابي.

وقالت وسائل الإعلام أن جميع سكان كريات أربع الذين شجبوا المذبحة، تلقوا تهديدات، والأفظع من كل ذلك، أن قبر جولدشتاين في كريات أربع، أصبح محجا ومكانا مقدسا.

ولا شك أن الأشخاص الذين تحدثوا عن المذبحة بمصطلحات مزدوجة، كانوا إخطر- في الحقيقة- من المتطرفين.وفي تعقيبها على المذبحة قالت يهوديت كتسوفر زوجة رئيس مستوطنة كريات أربع: "أن جولدشتاين قام بعمل ذي مغزى مهم، رغم أنها لا تعتزم تعليم أولادها تفكيره وتتبع خطاه.

أسهمت هذه الأقوال المرائية، في تعزيز الموقف الأخلاقي الذي انبثق جولدشتاين منه، والذي يقول: أن القتل يصبح بناء إذا ما قام الفرد بتنفيذه لصالح الجماعة. ومن الجدير بالذكر، انه لا توجد معطيات إحصائية حول مدى الدعم في أوساط الإسرائيليين بوجهة النظر آنفة الذكر. وحتى لو كان المؤيدون للمذبحة هم قلة قليلة، فان الأيديولوجية التي خلقت الوحي لها استشرت بشكل واسع في قطاعات كبيرة من اليمين المتطرف، والمتدين، بصورة أساسية، في إسرائيل.

لقد تركت الأحداث التي تلت المذبحة انطباعا يفيد بأن إسرائيل ستضطر، منذ الان، لمكافحة الإرهاب على جبهتين، وبدأت المسيرة السلمية تواجه خطر الأصوليين المسلمين والإسرائيليين.

أصيبت الجماهير اليهودية بالذهول، وهي تسمع عن قيام أحد الإسرائيليين بتنفيذ مذبحة من هذا القبيل. وقد سارعت إلى عقد اجتماع لرؤساء الشعب في وزارة الخارجية. وقد أوضح ديفيد افك، مدير مركز الأبحاث والتخطيط السياسي في الوزارة، مدى الخطورة الكامنة في المذبحة، وقال أن من المتوقع أن تفهم العملية على أنها اعتداء على الإسلام، وتسجل في التاريخ الإسلامي. وقال إن عرفات يعيش حاليا أزمة خطيرة، إزاء وقوع المذبحة، في أوج المفاوضات التي تعتبر بعيدة كل البعد، عن إرضاء التطلعات الوطنية الفلسطينية.

أجرى رابين وبيرس مشاورات فيما بينهما، وبعثا بأحر التعازي إلى عرفات. وعندما اندلعت أعمال العنف في الخليل، وقتل الجيش الإسرائيلي خمسة مواطنين فلسطينيين آخرين، قررت القيادة العسكرية إسكات الضجة عبر فرض نظام حظر التجول على المدينة. وقد نظر العالم بخطورة بالغة إلى هذه الخطوة، وفقا لأقوال الفلسطينيين أن إسرائيل تعمد إلى معاقبة الضحايا مرة أخرى.

اعتقلت الحكومة الإسرائيلية متطرفين من اليمين الإسرائيلي، وعملت على اعتبار حركتي كاخ وكهاناحي خارجتين عن القانون.

رد عرفات على هذه المذبحة، بإعلان وقف المفاوضات مع إسرائيل، وقد سارع رابين إلى إرسال مستشاره السياسي، جاك نيريا لمقابلة عرفات في القاهرة، وعندما عاد قال: إن مزاج عرفات متكدر للغاية، ونقل شروطه لاستئناف المفاوضات: إبعاد المستوطنين من الخليل إلى كريات أربع، تشكيل قوة شرطة فلسطينية في المدينة، وإدخال قوة طوارئ دولية إلى المدينة، كي تساهم في تهدئة مخاوف سكانها.

وفي نفس الوقت، طالب عرفات بعقد اجتماع فوري لمجلس الأمن الدولي، كي يشجب إسرائيل، ويتبنى مطالبه لاستئناف المفاوضات مما حدا بجبهات إسرائيلية للاعتقاد، بان عرفات يستغل الأزمة، لتعزيز مصالحه السياسية بيد أن بيرس ورابين شعرا أن أزمته حقيقية، ورغبا في مد يد المساعدة له، في محنته، أمام أبناء شعبه.

أدت الأزمة التي ولدتها المذبحة إلى إدخال دنيس روس، في الصورة، حيث اتصل بعرفات، ولاريسون، وبي، مرات عديدة للتشاور، حول كيفية الخروج من الأزمة.

لم أستطع، في تلك الأيام العصيبة الاتصال بأبو علاء، وتخيلت مدى الإحباط الذي يشعر به، وقد اخبرني لاريسون أن أبو علاء، اعتكف في بيته، فهو يشعر انه مسؤول عن اتفاقيات أوسلو، وان جميع الانتقادات الموجهة

لأوسلو، موجهة له شخصيا، ونصحني بأن لا أتصل به، وقد أدركت انه قال لي ذلك، تلبية لطلب صريح من أبو علاء.

في الرابع عشر من آذار، قرر بيرس ورابين إرسال عوزي ديان وجاك نيريا وأنا إلى تونس في نفس الوقت الذي كان دنيس روس يتجه إلى هناك أيضا، بعد أن سبقه لاريسون. وقبل خروجنا، قال لي رابين: أن علي أن أوضح لعرفات، مدى صعوبة قبول شروطه، وطلب منا أن ندرس بدائل أخرى لإمكانية استئناف مفاوضات غزة – أريحا. كما طلب من بيرس، أن نمهد الطريق لإجراء لقاء بينه وبين عرفات.

أقلعنا عند منتصف الليل، وكرسنا ساعات الرحلة لإعداد العدة لمواجهة عرفات. وعندما أصبحت الطائرة في سماء مالطا، تلقى الطيار أمرا بالهبوط في روما. وفي المطار، وجدنا من ينتظرنا، وتم نقلنا إلى قاعة الاستقبال في المطار، ومن هناك إلى ليل روما البارد.

اتصلت بمكتبي في القدس، فوجدت مديره رافي براك مستيقظا، بانتظار مكالمتي، رغم أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية ليلا.

براك : ماذا تفعلون في روما؟ "يجب أن تكونوا الآن في سيسيليا. التونسيون يرفضون هبوط الطائرة في مطاراتهم نظرا لأنها تحمل علامات إسرائيلية. لذا وافق روس على إرسال طائرة وزارة الخارجية الأميركية إلى إحدى قواعد سلاح الجو الأميركي في سيسيليا لنقلكم".

-أنا: وكيف نصل إلى هناك؟

– براك: هل تعتقد أنني أعرف كيف يجب أن تصل إلى هناك؟؟ سأصلك مع روس في تونس عبر مركزية وزارة الخارجية الأميركية.

بدا روس مرهقا ونافذ الصبر، على عكس عادته، وقال باختصار حاد: " توجهوا إلى سيسيليا، لقد أرسلت لكم الطائرة، ونصف الطاقم المساعد لي، ستجدون بانتظاركم اهارون ميلر، ودان كرتسر، بانتظارنا هنا عمل كبير".

ثم قام روس بايصال طيارنا بضابط أمنه الذي أوضح له كيفية الوصول إلى مطار سيسيليا وفي حوالي الساعة الرابعة فجرا، أقلعت طائرتنا، وبحثت عن المطار حتى عثرت عليه. وعندما هبطنا، وجدنا كرتسر وميلر غاضبين، فهما لم يناما منذ يومين.

أملنا أن نتمكن من الاستراحة في تونس خصوصا وأننا كنا ندرك، أن يوم عرفات يبدأ في ساعة متأخرة من الليل. وفي تونس، قامت سيارة تابعة للسفارة الأميركية بنقلنا إلى فندق هلتون وما كدت اصل حتى توجه إلى شاب ملتح، وقال لي:" انتم من تل أبيب"؟، قلت : "نعم". قال: "أهلا وسهلا، الرئيس عرفات بانتظاركما سجلا نفسيكما في الفندق، وانتظرا في الغرفة، حتى اتصل بكما.

وما كدت اصل إلى غرفتي، والقي بنفسي على السرير معتقدا انه سيكون بمقدوري أن اخلد للراحة بعض الوقت، حتى دق جرس الهاتف وعندما رفعت السماعة، جاءني من الطرف الآخر صوت يقول: سيد سبير، سيارة الرئيس عرفات بانتظارك خارج الفندق.

نقلتنا سيارة عرفات إلى بيت الضيافة، وجلسنا بالانتظار، ونحن في غاية التوتر. وفجأة سمعنا صوتا عاليا لشخص ما – كما يبدو انه كان يقول "انتباه"، ودخل عرفات إلى الغرفة، وعانق جاك نيريا وصافحني أنا وعوزي ودعا إلى الجلوس، ثم بدأت تتوافد إلى الغرفة حاشيته: ياسر عبد ربه، ونبيل شعث، اكرم هنية، وأبو علاء. وقد صافحونا ببرود، في حين امتنع أبو علاء عن التحديق نحونا وجعل أعيننا تلتقي.

ضغط عرفات على زر خاص، فجاء حارس وحيا عرفات، الذي طلب منه أن يقدم واجب الاحترام للضيوف، فخرج وعاد محملا بالبقلاوة والفواكه والكعك والشاي والقهوة، وقد أهاب بنا عرفات، كي نأكل ونشرب. بل وقدم قطعة بقلاوة مغرقة بالعسل إلى ديان الذي رفضها، بيد انه سرعان ما لاحظ الأزمة الدبلوماسية التي قد يحدثها، فقال: "سيدي الرئيس أنا أحترمك جدا، بيد أن خوفي

من زوجتي اكبر". وقد ابتسمنا جميعــا، لأول مــرة، خــلال هــذه الزيــارة، بيــد أنــها كانت آخر ابتسامة أيضـــا.

أعربنا عن تعازينا في مذبحـــة الخليــل، ثــم أضفــت قــائلا: "الوضـــع كــدر للغاية، وإســرائيل أيضــا غارقـــة فـــي صدمـــة عنيفـــة، والطرفـــان يفقــدان إيمانـــهما بالمسيرة السلمية. ومهمتنا سيدي الرئيس تتمثل في العثور علـــى طريقـــة لإعـــادة هــذا الإيمان، لان المســـيرة الســـلمية هـــي الطريـــق الوحيـــد الممكـــن. ورئيـــس الحكومـــة ووزير الخارجية، يريدان منك أن تقول لنا كيف تـــرى الأســـابيع القادمـــة".

وأضفت: "أمس، ولأول مرة في تـــاريخ إســـرائيل، أخرجـــت الحكومـــة عـــن القانون مجموعات متطرفة يهودية تســـعى إلـــى إحبـــاط المســـيرة الســـلمية، بأســـاليب العنف، وقد طلب مني رابين أن أؤكد لـــك، أننـــا ســـنحارب المتطرفيـــن بـــلا هـــوادة. وبيرس ورابين، يرغبان أن تسرع المفاوضات – بعيـــدا عـــن أعيـــن وســـائل الإعـــلام، من اجل إحلال تغيير حاسم علـــى ارض الواقـــع".

استهل عرفات كلمته بالقول: اسمحوا لـــي بـــادئ ذي بـــدء أن ارحـــب بكـــم، لقد اهتممت بكم طيلة الليلة بينما ذهب زملائي للاســـتراحة، والشـــخص الوحيـــد الـــذي بقي ساهرا طيلة الليل، هو رئيس منظمـــة التحريـــر، وعلـــي أن أشـــير هنـــا، إلـــى أن لدينا هرما مقلوبا، أنا اعمل وهم يخلدون إلـــى النـــوم".

توقف عرفات هنيهة، ثم عاد إلـــى صلـــب الموضـــوع فقـــال:"حقـــا الوضـــع خطير للغاية. وعندما اتصل بـــي رابيـــن كـــي يعلمنـــي بقدومكـــم كنـــت أتحـــدث مـــع زملائي على الخط الآخر في الخليل، وقـــد قـــالوا لـــي: أن الجيـــش الإســـرائيلي أطلـــق النار هناك على الجماهير التي ثارت ثورة مـــبررة ومفهومـــة، علـــى أرضيـــة المذبحـــة وقتل عددا من الناس. أنا لا أســـتطيع أن افـــهم منطقكـــم، لقـــد قتلتـــم تســـعة وثلاثيـــن فلسطينيا، منذ الخـــامس والعشـــرين مـــن شـــباط، وأصبتـــم أربعمائـــة شـــخص آخـــر بجراح، وفي نفس الوقت، تعمدون إلـــى فـــرض نظـــام حظـــر التجـــول علـــى الضفـــة الغربية!!؟؟ إنكم تعاقبون الضحايا، هل شاهدتم المظاهرات فـــي الربـــاط، فـــي عمـــان، القاهرة، إندونيسيا، إيران، طشقند، تونس، وفـــي كـــل مكـــان؟؟".

أصبح صوت عرفات حزينا وهو يضيف: " في الأردن ولبنان وسورية يتهمونني بالخيانة، أنا خائن سادتي. أبناء شعبي غارقون في الخوف خشية وقوع مذبحة أخرى. ويجب عليكم أن تتخذوا خطوات لكسب ثقتنا وإلا فإن مسيرة السلام ستموت، بدلا من أن تفعلوا ذلك، يقوم جيشكم بإطلاق النار على شعبي".

قلت بصوت ناعم: "سيدي الرئيس، عامل الزمن يعمل ضدنا جميعا، والوضع لم يتحسن طيلة السبعة عشر يوما الماضية، وقد جئنا نفتش عن أسلوب للخروج من هذا الوضع وليس كي نقترح حلولا جمالية".

وقال ديان: "أنا أسمع نغمة الحزن في صوتك سيدي الرئيس، هذا لقاء حزين، ولديك من الأسباب ما يجعلك تحزن، وأنا نفسي حزين وخجل جراء ارتداء القاتل الملابس العسكرية، وقد تم تشكيل لجنة لفحص الخطوات التي قام بها الجيش، ونحن نتحمل مسئولية ما حدث، فنحن لم نحل دون وقوع المذبحة. وسنبذل قصارى جهدنا، كي لا يتكرر مثل هذا الحادث. بيد أننا سمعنا أن هناك مخططات فلسطينية للانتقام، الفلسطينيون غاضبون وجنودنا شديدو التوتر، ولهذا السبب، قررنا فرض حظر التجول، وسوف نلغيه بصورة تدريجية، ورجالنا على اتصال دائم بالزعماء في الخليل".

سأل عرفات (وهنية) عن أوساط اليمين المتطرف في إسرائيل، وعن المستوطنين العاملين في الاحتياط في الضفة الغربية. وعاد عرفات لتكرار نظريته القائلة بقيام ضباط إسرائيليين بالتآمر ضد قادة الجيش، والتعاون مع متطرفين فلسطينيين.

ولست أدري، فيما إذا كان عرفات قد قال ما قال وهو يؤمن به حقا، نظرا لعيشه في أجواء تآمرية أم أنه قاله لأسباب تكتيكية، بيد أن (عوزي) رد على هذه الأقوال بشدة، فقال: "الجيش الإسرائيلي يعمل وفقا لأوامر الحكومة فقط، والجيش يتحمل مسئولية فرض الأمن، بيد أن القرارات نفسها بأيدي الحكومة. إننا نتحمل مسئولية الفلسطينيين والإسرائيليين، ويجب علينا أن نعمل على إعادة الأمل إلى السكان في المناطق، فهم في أمس الحاجة له الآن". قال عرفات: أنا لا زلت

متمسكا بإعلان المبادئ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكننا أن نعيد الثقة المتبادلة؟؟ وكيف تعود للإحساس بالمشاعر التي كنا نشعر بها معا في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول؟ تخيلوا ما الذي كان سيحدث، لو أنني كنت وقت المذبحة في أريحا؟؟ يجب علينا أن نضمن الأمن الفلسطيني".

كان عرفات يبدو مرهقا، اكثر من أي وقت مضى ومتوترا، وقد واصل طيلة الوقت قرع قدمه بالأرض، ولاحظت أن يديه ترتعدان. وتساءل قائلا: " من الذي يستطيع الآن ضمان أمن المواطنين الفلسطينيين في الخليل؟؟ ربما ستوافقون على وجود قوة دولية؟؟ هل بالإمكان إبعاد المستوطنين من الخليل؟؟ فجميع المستوطنين في الخليل لا يتعدون اثنتين وأربعين عائلة ومائة وأربعين طالبا دينيا لماذا لا تنقلونهم إلى كريات أربع؟؟ وضعهم هناك سيكون أكثر أمنا. إن جماهيرنا في الخليل هي جماهير ذات سمات خاصة، وهي اكثر تدينا. ويوجد في أوساطهم أيضا متطرفون. إن الخليل تثير القلق، ربما نستطيع إرسال قسم من قواتنا إلى هناك، بالتعاون مع جيشكم، أو مع قوة دولية؟؟".

واضاف بصوت ضعيف "يجب عليكم أن تتفهموني أنا شديد الاهتمام بالتقدم، بيد أنني بحاجة إلى ثقة شعبي. لديكم حكومة منتخبة، وبرلمان وقوانين واضحة. والثقة ليست هي الشيء الوحيد بين الإسرائيليين وزعمائهم، بيد أن الثقة هي العامل الوحيد القائم بيني وبين شعبي".

انفجر عبد ربه قائلا: "أنتم تضعفون الرئيس انتم تخدعونه، ولا اعتقد أن شيئا قد تغير".

قررنا عدم تصعيد الجدل، والعودة إلى الفندق. وفي هيلتون، أفاد الصحفيون أن مساعدي عرفات ليسوا معنيين بتطبيق إعلان المبادئ فورا. فالكثيرون منهم لم يرغبوا في التخلي عن الحياة المريحة في تونس، وخوض الصعوبات في الحياة التي سيلاقونها في غزة، وعلى وجه الخصوص في إطار اتفاقية مرحلية.

اجتمعنا بعد الظهر بروس ومستشاريه، كما قمت أنـــا ونيريـــا بـــإعلام رابيـــن بما حدث، وبدا لنا بوضوح أننـــا لا نحـــرر تقدمـــا، وان علينـــا العـــودة إلـــى إســـرائيل للتشاور. وعندما أعلمت عرفات بقرارنا، طلب مني أن نعود لتونـــس بعـــد عـــدة أيـــام، وحينها قد نستطيع مناقشة إمكانية ترتيب لقاء بينـــي وبيـــن بـــيرس.

لاحظت خلال وجودي تغيب أبو عـــلاء، وقـــد فـــهم عرفـــات ذلـــك، فقـــال: "أرسلت أبو علاء إلى الأردن، لإجراء حوار مع رجـــال أعمـــال فلســـطينيين مـــهمين".

قرر دنيس روس ممارســـة ضغـــط علـــى أبـــو عمـــار فـــي المســـاء، عـــبر الإلماح له بان الولايات المتحدة ســـتتخذ حـــق النقـــض الفيتـــو ضـــد أي قـــرار شـــجب يتخذه مجلس الأمن الدولي ضد إسرائيل علـــى خلفيـــة المذبحـــة، إذا لـــم تعـــد منظمـــة التحرير إلى طاولة المفاوضات. وقد أثارت الإلماحة غضـــب عرفـــات. وهكـــذا بـــاءت مهمتنا بالفشـــل.

غادر نيريا تونس بصحبة الوفد الأميركي إلى واشـــنطن التـــي كـــانت تنتظـــر قدوم رابين إليها، فيما عدت أنا وعوزي ديان إلى قـــاعدة ســـلاح الجـــو الأمـــيركي فـــي سيسيليا، ومن هناك إلى تل أبيب، في حين بقي لاريســـون فـــي تونـــس مصـــرا علـــى تقديم يد المساعدة لاستئناف المفاوضات. وأجرى محادثات مع أبـــو مـــازن، كمـــا كـــان يجري اتصالات هاتفية معي بصورة دائمة، وفي النهاية تمكـــن هـــو وأبـــو مـــازن مـــن إعداد ورشة عمل تنص على نقـــل المســـتوطنين إلـــى كريـــات أربـــع مثلمـــا يطـــالب الفلسطينيون، بيد أننـــي أوضحـــت لـــه أن هـــذا المطلـــب مســـتحيل التنفيـــذ، لأســـباب سياسية، وقرأت عليه صيغة الحل التـــي اقترحناهـــا، والتـــي تنـــص علـــى قبـــول قـــوة دولية محدودة في الخليل، إلى جانب شرطة فلســـطينية غـــير مســـلحة. وهكـــذا اصبـــح بحـــوزة لاريســـون وثيقتـــان: الأولـــى لاريســـون -١ وهـــي مطـــالب الفلســـطينيين، ولاريسون -٢ وهي موقفنـــا.

عمد دنيس روس، في تلك الآونـــة، إلـــى تخطيـــط مســـيرة افتتاحيـــة جديـــدة، تضم الرئيس السوري حافظ الأســـد إلـــى المســـيرة السياســـية. وقـــد اتصـــل الرئيـــس الأميركي بالأسد، واتفق معه على عـــودة ســـورية إلـــى طاولـــة المفاوضـــات، مقـــابل

عدم فرض الولايات المتحدة حق النقض الفيتــو علــى قــرار مجلــس الأمــن الدول
وهكذا حصل عرفات على الشجب المطلوب لإســـرائيل، بيــد انــه فقــد القــدرة ع
تجميد المسيرة السلمية، حتى تفي إســـرائيل بمطالبـــه.

قرر رابين في العشرين من آذار إرسال وفد آخـــر إلــى تونــس يضـــم ج
نيريا وأمنون شاحك ويـــوآل زينجـــر وأنـــا. وقبيـــل خروجنـــا، أعلمنـــا رئيـــس شد
الاستخبارات العسكرية اوري ساجي، عن تقديره بأن عرفـــات قــرر إرجـــاء اســـتئ
المحادثات حول اتفاقية غزة وأريحا لمدة ثلاثـــة أســـابيع، حتـــى اســـتكمال المفاوضـ
حول الخليـل.

وقد أعرب نائب وزير الدفـــاع، مردخـــاي جـــور، ورئيـــس الأركـــان أه
براك، عن شكهما في ضرورة سفر الوفد إلـــى تونـــس. بيـــد أن رابيـــن وبـــيرس ك
مصرين على مواصلة إبقاء الصلة مع عرفات، ولم تكن سوى قلـــة قليلـــة علـــى عل
بان رابين وبيرس اتفقا في الليلة الماضية، على إخلاء قســـم مـــن مســـتوطني الخلي
ومن ضمنهم طلبة المدارس الدينيـــة، مـــن اجـــل تخفيـــف حـــدة التوتـــر، وكـــان م
المفروض أن يتم تحديد موعد الإخلاء، بالتشاور مـــع الجـــهات الأمنيـــة.

توجهنا إلى تونس أيضا عبر سيسيليا فـــي طـــائرة تابعـــة لـــوزارة الخارج
الأميركية، وقد توجه روس أيضا إلى هنـــاك. وجـــاء لاريســـون المرهـــق جـــدا إل
غرفتي، فطلبت منه أن يكف عن أي عمل من أعمـــال الوســـاطة. لقـــد عارضنـــا م
اليوم الأول لمحادثات أوسلو، تدخلا من طـــرف ثـــالث فـــي الجـــانب الجوهـــري م
المفاوضات. رغم أننـــا رحبنـــا بـــأي تدخـــلات تـــؤدي إلـــى تهيئـــة أجـــواء صح
للتفاوض، وفي إقناع الأطراف لإبداء المرونة اللازمة. فقـــد كنـــا نعتقـــد انـــه يتوج
على الطرفين التوصل بقوتهما الذاتية إلـــى الصيـــغ الحقيقيـــة للاتفـــاق. وهكـــذا تخل
لاريسون – الذي كـــان دائمـــا يحـــترم إرادة الأطـــراف – عـــن فكـــرة إعـــداد وثي
لاريســـون –٣.

عندما التقينا عرفات بعد الظهر، اســـتهل الحـــوار بلهجـــة عدوانيـــة، وقـــا
"لا نستطيع استئناف المفاوضات قبـــل أن تخلـــوا المســـتوطنين مـــن الخليـــل، وقبـــل

تسمحوا لنا بإرسال رجال شرطة فلسطينية مع القوة الدولية. إن البند الذي يحتل رأس جدول الأعمال الآن، ليس اتفاقية غزة وأريحا، بل قضية الخليل. ولا نستطيع العودة إلى طاولة المفاوضات، قبل معالجة هذا البند. ورئيس الحكومة رابين يفهم ذلك، وقد قال لي بالهاتف، أنكم قدمتم إلى هنا بناء على وثيقة لاريسون، ثم لوح بورقة كانت في يده بتأثر.

تساءلت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان عرفات على علم بردنا على وثيقة لاريسون-٢؟؟.

شعرنا بالضيق جراء سوء التفاهم الذي حدث على أرضية وثيقة لاريسون، وحاولت فورا حل هذه المشكلة، فقلت لعرفات : " عندما تحدث معك رابين حول وثيقة لاريسون، كان بحوزته وثيقة أخرى، وبمقدورك أن تسأل لاريسون فهو غير بعيد عن هنا.

تشاور عرفات بعض الوقت، مع عبد ربه، ثم قال: دعونا نضع الأوراق جانبا، ونرى كيف يمكن حل المشكلة، ما الذي تقترحونه؟؟ وما صلاحياتكم بالضبط؟؟.

إبان تشاور عرفات وعبد ربه سألت شاحك: عن طبيعة التواجد الدولي في الخليل؟؟ فقال لي: يوجد هناك الصليب الأحمر. ووفقا لذلك قلت: بمقدورنا التحدث عن نوع معين من التواجد الدولي في الخليل، ونوع من أنواع تواجد رجال الشرطة الفلسطينية".

* شاحك : بيد أنه يجب عليك أن تتذكر، أن مسئولية الأمن ستبقى في أيدينا.

*عرفات: أنتم تدفعون بي إلى الزاوية، وماذا بشأن المستوطنين في الخليل؟؟

* شاحك: هذا قرار سياسي ، بمقدور رابين وحده اتخاذه، ولا أعتقد أن هناك أي فرصة لنقل المستوطنين من الخليل نتيجة للتفاوض معكم، أنا جنرال ولا أتدخل في مثل هذه الأمور.

*عرفات: ما هو نوع التواجد الدولي الذي تتحدثون عنه؟؟

*أنا: "اعتقد أن رابين قد يوافق علـــى زيـــادة حجـم وحـــدة الصليـــب الإحمـــر". وقـــد اتضح أن ما قلته كان خطأ قد ارتكبتـــــه.

حملق عرفات بي بدهشـــة، ثـم اقـترب مـن الطاولـة بجسـمه، وقـال: أي وحـدات؟

*أنا : الصليب الأحمر، إن وحداته قادرة على التـــأثير وتهدئـــة الأمـــور.

لم نكن على استعداد لمواجهـــة مـــا حـــدث بعـــد ذلـــك، فقـــد ارتفـــع صــوت عرفات حد الصراخ، وهو يوجه الحديث إلى عبد ربه: "هل ســـمعت مـــا قـــال؟؟ ربمـــا لم أسمع ما قال جيدا، سبير يقترح الصليـــب الأحمـــر".

ثم توجه إلـــي، وأعطـــاني محـــاضرة مجانيـــة "الصليـــب الأحمـــر، الصليـــب الأحمر" -قال وهو يرغي ويزبد "ما الـــذي تريـــد أن تفعلـــه؟؟ هـــل تريـــد أن تحضـــر ممرضات لإعطاء حقن مهدئة لسكان الخليل؟؟ لا أســـتطيع القـــول بـــأنني ســـمعت مـــا قلته جيدا، تريد جلب ممرضات إلى الخليـــل مـــن الصليـــب الأحمـــر لإعطـــاء الحقـــن المهدئـــة؟؟ إنـــهم يحرقـــون صـــوري فـــي الخليـــل، والإســـرائيليون يتحدثـــون عـــن ممرضات. لماذا لا نحضر أخي فتحي عرفات ومعـــه الـــهلال الأحمـــر الفلســـطيني. لا اصدق، أنت تمعن في إهـــانتي".

قرر شاحك انه لم يعد هناك معنى لمواصلـــة الحـــوار، لـــذا نـــهضنا وتوجـــهنا نحو فندقنا، ولم نقل للصحفيين المنتظرين شيئا، ممـــا أعطـــاهم انطباعـــا بـــان المســـيرة السلمية أصبحت في حالة النزع الأخيرة، وقد عقـــب أحدهـــم قـــائلا: "عرفـــات ســـيبقى هنـــا".

قابلت في الفندق المبعوث الروسي فيكتور بســـيفاليوك، والـــذي بـــدا متشـــائما بنفس القدر، وقال: "ليـــس بمقـــدور عرفـــات الان اســـتئناف المفاوضـــات،لأن مكانتـــه في الضفة والقطاع باتت متدنية إلى أدنـــى درجـــة. لقـــد رأيتـــه لتـــوي، وأســـتطيع أن أقول لك، انه يشعر بحالة إحباط شديدة وتشـــاؤم بســـبب موقفكـــم".

وفي المساء، تناولنا طعام العشاء مع دنيس روس، والذي بدا، هو الآخر، شديد التشاؤم ولا يرى أي أمل في الأفق. وقد أصر خلال لقائه مع روس على أن يقبل الإسرائيليون شروطه.

اتفقنا، أنا وشاحك، على أن المسيرة السلمية في حالة خطرة جدا، وخصوصا بعد أن علم شاحك بأن رابين لا يعتزم إخلاء المستوطنين، خشية حدوث مالا تحمد عقباه على أرضية الاستعدادات التي بدأ اليمين يعد لها للتظاهر. لذا قررنا أن نقول الحقيقة ببساطة لعرفات: إن رابين غير مؤهل للاستجابة لمطالبه، وانه سيكون قادرا على تخفيف حدة أزمته، بيد أن الامر سيحتاج بعض الوقت. وتمكنا من إعداد صيغة لتواجد دولي في الخليل ولقوة شرطة فلسطينية بلدية. بيد أن المفتاح كان بيد عرفات وقدرته على قيادة أبناء شعبه، وكان عليه اتخاذ قرار صعب. واقترحت على شاحك، أن يتحدث معه على انفراد كجنرال لجنرال – مثلما كان عرفات يحب تقديم نفسه.

في صبيحة اليوم التالي، توجهنا في الساعة العاشرة إلى منزل ضيافة منظمة التحرير، وطلب شاحك الحديث مع عرفات، فتوجها نحو المطبخ، وتحدثا لمدة عشرين دقيقة. ويقول شاحك أنهما جلسا إلى طاولة المطبخ، وحينها قال لعرفات انه لا يجب أن يتوقع المستحيل، فرابين سيتخذ قرارات أخذت بعين الاعتبار مكانته السياسية هو، وهذه القرارات، لن تكون قابلة للتفاوض مع منظمة التحرير، وان من واجب عرفات أن يكون زعيم شعبه، وان يعده لاستئناف المفاوضات.

لقد جلس أمام شاحك، عرفات مختلف عن عرفات الذي تعرفه، كان متكدرا جدا، ومنطويا على نفسه، وسارحا في القرار الصعب، الذي كان عليه اتخاذه، ثم قال : "قل لرابين إنني أتفهم الصعوبات التي يواجهها، وأتوقع منه أن يفعل ما يجب أن يفعله، حينما يصبح الوقت ملائما".

قال شاحك: "بمقدورنا التقدم علـــى صعيـد قضايـا أخـرى، بمقدورنـا تشـكيل لجنـة لمعالجة مشكلة الخليـل، وفـي نفـس الوقـت تواصـل الحـوار حـول اتفاقيـة غـزة وأريحـا".

استمع عرفات لأقوال شاحك، ولـم يعقـب عليـها، وطلـب مـن شـاحك أن يعلم رابين بأنه علم مـن مصـادره، أن رابيـن يتعـرض للخطـر مـن قبـل ضبـاط إسرائيليين رفيعي المستوى، وبمقدورهم تدبـير انقـلاب. ومـن الجديـر بـالذكر، أننـا جميعا، كنا ندرك أن عرفات كان احيانا يجيـد التحليـق بيـن الواقـع (والميلودرامـا). أرجو أن تعود إلى الغرفة للانضمام إلى زملائك، وبعد قليـل سـأعلمكم بقـراري.

عاد شاحك، وجلس إلى جواري متوتـرا، وكـان واضحـا للفلسـطينيين فـي الغرفة، أننا قدمنا اقتراحا مـا لعرفـات. وبعـد لحظـات عـاد عرفـات إلـى الغرفـة وجلس في مقعده، وقال: بعد أن تحدثت مـع الجـنرال شـاحك، قـررت العـودة إلـى المفاوضات. رئيس الحكومة رابين، أيضا، واقـع تحـت الضغـط، وأنـا أثـق باتخـاذه القرار الصحيح بشأن المستوطنين، في الوقـت المناسـب.

أما فيما يتعلق بالتواجد الدولـي والشـرطة الفلسـطينية فـي الخليـل، فسـيتم تعيين لجنة لبحث ذلك، واقترح أن يمثلنا في هـذه اللجنـة نبيـل شـعث، وياسـر عبـد ربه.

وقد أعلن شاحك فورا أنني وزينجر، سنمثل إسرائيل فـي هـذه اللجنـة.

استطرد عرفات قائلا: "يجب على أعضـاء اللجنـة أن يتوصلـوا إلـى قـرار بهذا الشأن الليلة وغدا، وفي نفس الوقت، ستسـتأنف المفاوضـات حـول اتفاقيـة غـزة وأريحا. هذا هو واجبي في هذه اللحظات الصعبـة، وبمقـدور مفاوضينـا العـودة إلـى القاهرة، وأنا آمل وأتوقع أن يجد رابين الأسلوب الذي يجعلـه قـادرا علـى الـرد علـى مطالبنا، وسوف أعلم الأميركيين والمصرييـن والـنرويجيين".

أصيب الفلسطينيون في الغرفة بذهـول تـام، فقـد اتخـذ عرفـات قـرارا لا يحظى بالشعبية أبدا، فالفلسطينيون في الضفـة الغربيـة وأوسـاط مختلفـة فـي العـالم الإسلامي، طالبوا بطرد المسـتوطنين مـن الخليـل كشـرط لا يمكـن التنـازل عنـه

لاستئناف المفاوضات وإذا لم يحدث ذلك، فسوف يبدو أن الفلسطينيين عادوا لممارسة الحياة كالمألوف، رغم المذبحة التي نفذها اليهود في أحد أقدس الأماكن الإسلامية.

كان عرفات يأمل أن يتمكن في نهاية المطاف، من تحقيق هذا الهدف، بيد أن شاحك أوضح له أن إرجاء المفاوضات حول غزة واريحا حتى يتحقق هذا الهدف، لن يكون مجديا.

لقد شهدنا عرفات في غضون اربع وعشرين ساعة وهو يشع ضعفا ويأسا

أصبحت مشكلة الخليل منتهية، وأثبت عرفات في وقت الأزمة، أنه شريك حقيقي لنا في مسيرة السلام، وانه الرجل الوحيد في منظمة التحرير المؤهل لاتخاذ القرارات الصعبة. لقد أدت هذه المزايا إلى تعزيز علاقاته مع الشخصيات الوحيدة في الجانب الإسرائيلي، القادرة على فعل ذلك.

وهكذا، بدا أن بالإمكان تطبيق اتفاقيات المبادئ، رغم المشاكل الجديدة التي كانت لا تزال تقف في الطريق أمامنا.

في تلك الليلة بلورنا الجانب الأكبر من التفاهم الخاص بتواجد دولي في الخليل، واتفقنا على بلورة الوثيقة النهائية في القاهرة، إضافة إلى تواصل المفاوضات حول غزة وأريحا. كما قررنا مطالبة النرويجيين بالمشاركة في القوة الدولية. وقام يوآل زينجر ونبيل شعث، بإعداد مسودة اتفاق.

وهكذا، عندما التقى دنيس روس مع عرفات في نفس الليلة، وجده مصرا على مواصلة التفاوض حول غزة وأريحا.

وعندما عدنا إلى إسرائيل، وقدمت تقريري إلى بيرس ورابين، سألت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اوري ساجي : عن الأسباب التي حدت بعرفات لتغيير رأيه؟ فرد علي ساجي قائلا: " انه يسير باتجاه معاكس لقراره الأول". ومن الجدير بالذكر، أن هذه، ليست هي المرة الأولى التي يجد فيها

رؤساء أذرع استخبارية صعوبة في حـــل ألغــاز ديناميكيــة مســار اتخــاذ القــرارات للزعماء. خلال الفترات الانتقالية بين الحـــرب والســلام.

وفي نفس الأسبوع حصلنا على تذكـــار جديــد لمــدى الصعوبــات المحتملــة التي تواجه الانتقال إلى الســـلام.

ففي الوقت الذي جمعنا فيه العديـــد مــن المعلومــات حــول الخليــل توطئــة لخوض المفاوضات، وفيما قام شـــاحك بإعطـــاء التوجيـــهات الأخــيرة لطاقمـــه بشـــأن المرحلة الأخيرة في محادثات غزة – أريحـــا. علمنـــا أن خمســـة مســـلحين فلســـطينيين قتلوا في غزة في صدام مع جنودنا. وفي صبيحة اليـــوم التـــالي، ونحـــن فـــي طريقنـــا في الطائرة من تل أبيب إلى القاهرة، أوضح لنا شاحك مـــدى خطـــورة الحـــادث. كـــان الخمسة من حركة فتح، وقد اوهم محمد دحـــلان رئيـــس جـــهاز الأمـــن الوقـــائي فـــي القطاع بالعمل على تمهيد الأرضية، توطئة للانســـحاب الإســـرائيلي مـــن غـــزة، وقـــد كانوا عائدين من أحد الأفراح، وأطلقوا النـــار فـــي الـــهواء. ورغـــم أن إطـــلاق النـــار كان دلالة على الفرح، إلا أنه اعتبر بمثابة انتـــهاك للاتفاقيـــات المبرمـــة معنـــا، والتـــي تنص على عدم استخدام البنادق التـــي بحـــوزة الفلســـطينيين فـــي أيـــة مناســـبة. وقـــد خشي شاحك من أن يؤدي هذا الحادث إلى ردود فعل ســـيئة لـــدى الفلســـطينيين.

نقلنا في القاهرة إلى مكان سري، وبعـــد قليـــل وصـــل الفلســـطينيون مقطبـــي الجبيـــن، وفورا طلب شاحك التحدث مع دحلان وشـــعث علـــى انفـــراد، بيـــد أن دحـــلان شـــعر بوعكة، وعاد إلى فندقـــه.

لقد كان من الصعب تخيل حـــدوث تقلبـــات جذريـــة أكـــثر مـــن القفـــز مـــن مرحلة التنازع إلى مرحلة التعـــاون، ثـــم مذبحـــة الخليـــل، وقـــرار عرفـــات اســـتئناف المفاوضات، والصدام القاتل بين رجال دحـــلان والجنـــود الإســـرائيليين، ثـــم اســـتئناف المفاوضات "والتي كان يجب على دحـــلان وشـــاحك أن يناقشـــا قضيـــة التعـــاون فيمـــا بينهما. وأنا اعتقد، أن دحلان، حينما شاهد شاحك، لم يكـــن يعـــرف فيمـــا إذا كـــان قـــد جاء للتحاور مع نظير فـــي المفاوضـــات، أم مـــع عـــدو يعتـــبر مســـئولا عـــن مقتـــل رجاله؟؟ ويخيل إلي انه رأى فيه الأمريـــن معـــا.

أوضح شاحك لنبيل شعث ما حدث ليلة الأمس، ثـــم توجــه الوفــد الفلســطيني إلى الفندق لعيادة زميلهم المريـــض. وفـــي المـــاء تحـــدث شـــاحك ودحـــلان بـــهدوء، وعلى انفراد، وانتهى حوارهما بمصافحة حارة، واســتئناف الحــوار. وقــد تــم الاتفـــاق على أن تكون للنرويج وإيطاليا والسويد تواجد دولي مؤقـــت فـــي الخليـــل، مـــن اجـــل تهدئة الأوضاع في المدينــــة.

قاد شاحك طاقم مفاوضاته بصورة ممتازة، في حيـــن أشــرف عــوزي ديـــان على التفاصيل الأمنية، وفي نهايـــة الحــوار، حصلــت إســـرائيل علـــى مبتغاهـــا فيمـــا يتعلق بالترتيبـــات الأمنيـــة. لقــد بقيــت فـــي أيدينـــا صلاحيـــات ذات أهميـــة كبـــيرة: المسئولية عن الأمن الخارجي، الجـــانب الأمنـــي للمعـــابر مـــن والـــى الحكـــم الذاتـــي، والسيطرة على الطرق العرضية الثلاثة في قطاع غــــزة، وفــــي المنـــاطق التــي تضــم المستوطنات. بيد أن غالبيــــة أراضــــي غـــزة، وضواحيـــها، والمســـئولية عمـــا يحـــدث داخلها، نقلت إلى الفلسطينيين. كما أسهم الاتفاق فـــــي خلـــق إطـــار التعـــاون. فقـــد تـــم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة عليا إسرائيلية فلســطينية للتنســيق الأمنـــي والتعـــاون، وثلاثـــة مكاتب تنسيق إقليمية (DCO) والتي يجب أن تعمـــــل أربعـــا وعشـــرين ســـاعة يوميـــا، ودوريات مشتركة، ووحدات متحركة مشتركة للإشراف علـــى الوضـــع مـــن الحركـــة، والتوجه إلى المناطق اللازمة عنـــد الضـــرورة.

وهكذا، وبعد أقل من سنة من اللقـــاء الرســـمي الأول، بيـــن ممثلـــي إســـرائيل ومنظمة التحرير، تمكن الأعـــداء الســـابقون مـــن إنشـــاء جـــهاز معقـــد للتعـــاون فـــي المجالات الأمنية. ولا شك أن الاتفاق هـــز الإيمـــان الإســـرائيلي المتحـــذر، والقـــائل أن بمقدورنا الاعتماد فقط على أنفسنا. لقد كانت هناك أهميــــة كبـــيرة لتحررنـــا مـــن هـــذا الإيمان، فلو لم نفعل ذلك، فلسوف يكون مـــن الصعـــب التحـــرر مـــن الســـيطرة علـــى الفلســطينيين.

بيد أن استيعاب هـــذا التغيـــير وهضمـــه كانـــا مـــن الصعوبـــة بمكـــان فـــي المجتمع الإسرائيلي، وخصوصا العسكريين، وذلك بعـــد أن كـــان مـــن البديـــهي القـــول أن الاعتماد على أنفسنا هو حجر الأساس في قدرة الدولة علـــى البقـــاء والنجـــاة.

لقد اصبح "إرهابيو الأمس" شركاءنا في محاربة الإرهاب: أعضاء حركة فتح والقوة -١٧ الذين تورطوا في أعمال القتل ضد الإسرائيليين. لقد اعتقد الكثيرون: أن هذا التحول كبير جدا، وقد اتضح حينما آن أوان ذلك أن تجسيد المهمة ليس صعبا.

كانت المشكلة الرئيسية التي يتوجب علينا مواجهتها هي الرموز الوطنية، ورموز السيادة، التي طالب الفلسطينيون بها. وقد اعتقد بيرس انه لم يعد من المجدي، آنذاك شن حرب أو خوض معركة على هذا الصعيد. فقد كان يقدر اكثر من أي شخص آخر معنى منح الشرعية لمنظمة التحرير وللفلسطينيين. واعتقد أيضا، انه إذا كنا نصر على قضايا معينة كالمسئولية الأمنية مثلا، فان علينا أن نكون أسخياء في جوانب أخرى، لان الاتفاق من وجهة نظرنا كان بمثابة وسيلة لتحقيق هدف مشترك، وليس مجرد وثيقة.

طالب الفلسطينيون بجوازات سفر لسكان الحكم الذاتي. وقد أصررنا في البداية، على عدم منحهم جوازات لان صرف الجوازات يعني أن هناك دولة، وأصررنا على أن يكتفوا ببطاقة (Laisses Passes). واقنع بيرس رابين بضرورة أن تتم طباعة هاتين الكلمتين على جواز السفر الفلسطيني، إلى جانب كلمة (جواز). ورغم ذلك، كان هناك من وجد أن من الصعب استيعاب هذا التغير، وطالبوا بان يتم طباعة كلمة (Laisses Passes) بأحرف اكبر من كلمة (جواز). وهكذا لاول مرة اصبح للفلسطينيين جوازات سفر خاصة بهم. ومن الجدير بالذكر، أن الأردن ومصر لم توافق على ذلك، عندما كانتا تسيطران على الضفة وغزة. لكن بيرس اعترف به كحق لبني البشر الذين يستحقون الاعتراف بهويتهم.

لقد مكنتنا اتفاقية غزة – أريحا من الإشراف والرقابة على المداخل إلى إسرائيل لاعتبارات أمنية، وكذلك على مداخل الحكم الذاتي، وهو الامر الذي خلق تناقضا، حسب رأي أولئك الذين كان يفترض أن يحظوا بالحرية، ويعبروا عن

هويتهم الوطنية لكن حركتهم العملية قيــدت وحــددت، لقــد إلتحمــت الحريــة وتقييــد الحركة معا، في إطار هذه البنية المعقدة للحكم الذاتــي الفلســطيني الجديــد.

وقد تم أيضا في هذه المرحلة النهائية إحداث تغيــير شــديد الأهميــة : حيــث تم التأكد على أن تنقل منظمة التحرير ورئيســها مقرهمــا إلــى منطقــة الحكــم الذاتــي كي يتمكنا من قيادة شعبهما عن قرب. كان مــن المفــروض أن ينقــل ياســر عرفــات، الذي يعتبر رمزا لنضال الفلسطينيين ضد إسرائيل، مقــره، إلــى غــزة أو أريحــا، وقــد حرصنا على أن ينتقــل كرئيــس لمنظمــة التحريــر أو الســلطة الفلســطينية، وليــس كرئيس لدولة فلسطين، وقد استجاب الفلســطينيون لــهذا الطلــب.

وتم التأكيد أيضا، على إنشاء مجلس مؤلــف مــن أربعــة وعشــرين عضــوا لمساعدة عرفات في إدارة الأمور حتى يتــم إجــراء انتخابــات حــرة – فــي أعقــاب التوصل إلى اتفاق التسوية المرحلة للضفة الغربية – كما وافقنــا علــى إطــلاق ســراح خمسة آلاف معتقل، شريطة الا يكونوا قد قتلــوا إســرائيليين.

صادقت إسرائيل على دخول زعامة منظمــة التحريــر إلــى الحكــم الذاتــي، بمن فيهم أولئك الذين كانت تعتبرهم مطلوبين – وفقــا للقائمــة التــي ســلمتها الجــهات الأمنية الفلسطينية لإســرائيل.

لقد أسفر هذا الاتفاق في حقيقــة الامــر، علــى الصعيــد العملــي، عــن ولادة حكومة فلسطينية – رغم الاســم المختلــف الــذي أطلــق عليــها – وحصلــت علــى صلاحية إدارة شئون الفلسطينيين ومواصلة المفاوضــات مــع إســرائيل.

ومن الجديــر بــالذكر، أن هــذه الخطــوة، كــانت أحــد أهــم التعــابير ذات المغزى في التغيير الجذري الذي أسفر عنه اتفــاق أوســلو.

وكانت هذه الخطوة تعني أن إســرائيل ســتتفاوض مــع نظــام فلســطيني ذي صلاحيات. ومنذ ذلك الحين، بدأ يقترب ذلك اليوم، الــذي ســتوقع فيــه دولتــان علــى اتفاقية التسوية الدائمة، ولم يبق سوى بناء شروط العلاقــات الجديــدة بيــن الطرفيــن.

هذا ولم يكن الطرفان يدركان كم يخبــئ الغيــب لــهما مــن أعمــال عنــف، ستقع بين التوقيع على الاتفاق المبدئي وبين إنجــاز الاتفــاق النــهائي.

نصت الإتفاقية أيضا، على تاريخ محـــدد لإنجـاز اتفاقيــة التســوية الدائمــة – خمس سنوات منذ التوقيع على اتفاقيــة غــزة وأريحــا. ونظــرا لتوقيــع اتفاقيــة غــزة واريحا في الرابع من أيار ١٩٩٤، فـــان مــن المفــروض ألا يتجــاوز توقيــع اتفاقيــة التسوية النهائية الرابع من أيار ١٩٩٩ لقد بدأ العد العكسي باتجـــاه الســلام الكــامل.

وقبل وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاقية، عقد اجتمـــاع حاســم بيــن القــادة أنفسهم. ففي الثالث من أيار، اجتمع عرفات مـــع رابيــن فــي قصــر الرئيــس مبــارك وبوجوده، وبحضور وارن كريستوفر وبــيرس ودنيــس روس ورؤســاء الوفــود، وقــد كانت الجلسة عاصفة، وتواصل النقاش خلالها خمــــس ســاعات. وقــد أهــاب الرئيــس مبارك بالمجتمعين التوصل إلى اتفاق حول القضايا التــــي لا زالــت عالقــة. وقــد عــاد عرفات إلى طرح ثلاثـــة مطــالب معروفــة : زيــادة مســاحة أريحــا زيــادة كبــيرة، المسئولية المدنية عن القسم الجنوبي من ساحل غزة، وضـــــع شــرطي فلســطيني علــى جسر اللنبي. وطـــالب رابيــن بــالحصول علــى قائمـــة بأســماء الأعضــاء الأربعــة والعشرين في المجلس الذي سيشكله عرفات، والتـــي كــان مــن المفــروض أن تضــم إلى الاتفاقية كملحق. وعندما أعرب عرفات عـــن احتجاجــه نظــرا لانــه يســمع هــذا الطلب لاول مرة – رغم انه طرح أمامه سابقا– ابتســـمت أنــا وشــاحك.

وحينها قال عرفات: أنـــا اعــرف أننــي أبــدو أمــامكم كمــهرج، وإذا كــان الامر كذلك، واصلوا الابتســـام".

–رابين: سيدي الرئيس، نحن نتعامل معك باحترام كبـــير جــدا، بيــد انــه يتوجــب عليك احترام التفاهم الذي نتوصل إليـــــه.

–عرفــات: "لقــد وعدتمونــي بتقديــم رد بشــأن الشــرطي علــى جســر اللنبــي، وعدتموني برد على مســاحة أريحــا، وهــا انتــم تــهينونني بــاقتراح كيلومــتر هنــا وكيلومتر هناك، انتم الأقوى، وانتم الذيـــن تقــررون".

وفي نهايـــة الجلســة، وافــق رابيــن علــى توســيع مســاحة أريحــا بســتة كيلومترات أخرى، ومنح السيطرة المدنية لعرفـــات علــى خمســة كيلومــترات أخــرى من القسم الجنوبي لساحل غزة رغم قرب المنطقة من المســتوطنات بيــد انــه لــم يكــن

على استعداد بأي حال من الأحوال، للموافقة على وضع شرطي على جسر اللنبي، رغم الاتفاق على استئناف المفاوضات بهذا الصدد وهكذا اختتم هذا الاجتماع في حوالي الساعة الثانية ليلا، وقام الطرفان بإعداد الاتفاقية النهائية.

في الرابع من أيار، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا، بدأت مراسيم التوقيع على الاتفاقية في القاهرة. وبعد إلقاء عدة خطابات وقع عرفات ورابين على اتفاقية الحكم الذاتي في غزة واريحا.

وخلال التوقيع لاحظ رابين أن عرفات لم يوقع على الخرائط المرفقة، فنهض من مكانه وتوجه إليه، واشار إلى مكان التوقيع وطلب منه التوقيع فورا، بيد أن عرفات رفض ذلك.

وكما يبدو، فانه اعتقد أن التفاهم الذي تم إنجازه قبل عدة ساعات حول إعادة النظر في قضية الشرطي على جسر اللنبي، ستعكس نفسها في الخرائط، بيد انه اخطأ وقد أدرك ممثلوه في المفاوضات ذلك. سارع شعث وشاحك للوقوف وراء الزعيمين على المنصة، وهناك انطلقت عاصفة عاتية وتم تسجيلها بالكامل بكاميرات الفيديو في نقل حي ومباشر إلى جميع أنحاء العالم.

كان جميع الحاضرين يتوسلون إلى عرفات كي يوقع، بل وكادوا يهاجمونه جسديا لإرغامه على التوقيع، بيد انه أصر على موقفه، وفي النهاية تغلبت عليه ضغوط مبارك الذي طلب منه، بلغة حادة الا يحرج مصر المضيفة. ولم يوقع عرفات على الخرائط، قبل أن يستخلص من رابين وعدا بإرسال رسالة إليه تتضمن المشاكل التي لا زالت تحتاج إلى إجراء مفاوضات حولها، وعلى وجه الخصوص قضية الشرطي على الجسر.

تركت المسرحية التي نفذها عرفات على المنصة في أفواهنا مرارة شديدة. فالأمر يتعلق برجل أحرز لشعبه إنجازا لم يسبق له مثيل. وفي نفس الوقت، تصرف بصورة جعلت الأعراف المعمول بها في العلاقات بين الزعماء الوطنيين والعلاقات الدولية بأكملها – تبدو أضحوكة.

بيد أن تقديرات عرفات كانت مختلفة. فقد شعر انه وقع على اتفاقية ستجعل الكثير من الفلسطينيين ينظرون إليه بعين الاحتقار، نظرا لسماحه لإسرائيل بالإمساك بين يديها بقدرة تأثير حاسمة على شؤون حياتهم. فهذه الوثيقة التي تم التوقيع عليها تؤكد سيطرة إسرائيل على المعابر، وحق الفيتو على التشريع الفلسطيني، وقبول أو رفض اسم أي شرطي من المفروض أن يدخل إلى الحكم الذاتي. وبالتالي اراد عرفات أن يرى أبناء شعبه، انه يناضل من اجل مصالحهم رغم الضغوط الدولية الشديدة، ولهذا السبب كان على استعداد لإحراج شركائه في المسيرة السلمية.



٦- حول طاولة المفاوضات في طابا، أيلول ١٩٩٥ من اليسار الى اليمين : ياسر عرفات، أبو علاء، أوري سبير، أيلان بيران، شمعون بيرس، شمطوف ساميه.

غـزة

اسـرائيـل

خان يونس

معبر كيسوفيم

معبر سوفا

معبر ايرز

كفار دروم

مصر

رفح

معبر كرم شالوم

البحر المتوسط

اسرائيل

العوجا

نعما

جسر اللنبي

أريحا

البحر الميت

0 5

منطقة استيطانية اسرائيلية

منطقة السلطة الفلسطينية

المنطقة الامنية

محور عرضي الى المستوطنات الاسرائيلية

معبر الى اسرائيل

معبر حدود دولي

© חאי סופר

خارطة ٢ : اتفاق غزة ـ أريحا ٤/٥/١٩٩٤

انسحب الجيش الإسرائيلي من غـزة واريحـا فـي الخـامس والعشـرين مـن أيار ١٩٩٤- أي بعد ثلاثة أسابيع من مراسيم التوقيـع علـى المراسـيم العاصفـة فـي القاهرة، وفي الأول من تموز ١٩٩٤ دخل ياسـر عرفـات إلـى قطـاع غـزة بعـد أن استقبله ضابط إسرائيلي في معبر حدود رفح وفي ميـدان غـزة كـان بانتظـاره مائـة ألف فلسطيني وعندما ألقى كلمته فيهم، أصغى إليـه الكثـيرون فـي إسـرائيل والعـالم كلـه.

ولدهشة الجميع فان قلة قليلـة مـن الإسـرائيليين هـي التـي خرجـت عـن طورها بسبب قدومه إلى غزة فقد اسـتقبل خـروج الجيـش الإسـرائيلي مـن القطـاع لدى الإسرائيليين كبركة لدى الجميـع.

وقد استقبل الإسرائيليون بحر الإعـلام الـذي بـدا فـي الميـدان، والخطـاب الهادئ الذي ألقاه عرفات، بتفـهم صـامت ..

لقد أثمرت الفكرة التي طرحها شمعون بـيرس عـام ١٩٩٢، وبـدت ثمارهـا ناضجة عام ١٩٩٤ واصبح عرفـات زعيمـا فـي مكانـه، وعليـه أن يبنـي مجتمعـا واقتصادا، وقد تعهد بزيادة المعايير الأمنية، إضافـة إلـى تعـهده بالتعـاون والتفـاوض مع جارته الجديدة - إسـرائيل.

الصلة الهاتفية مع أبو علاء تواصلت فـي أعقـاب مراسـيم التوقيـع. وكـان قد وقع على الاتفاقية الاقتصادية في باريس في التاسـع والعشـرين مـن نيسـان. وقـد أصبحت هذه الاتفاقية جزءا من اتفاقية غـزة واريحـا علـى أن يتـم إخضاعـه وفقـا للاتفاق بين عرفات ورابيـن- للقسـم الأمنـي مـن الاتفاقيـة، إذا مـا بـرزت هنـاك خلافات بين الجـانبين.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الوضع مـس مساسـا خطـيرا جـدا فيمـا بعـد، بالاقتصاد الفلسطيني إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترات الطويلـة مـن الإغـلاق الـذي فرض على مناطق الحكم الذاتي، في أعقـاب العمليـات الإرهابيـة، التـي وقعـت فـي إسـرائيل.

وبعد عدة اشهر– وفي أوج المفاوضات توفي والد أبـــو عـــلاء فـــاتصلت بـــه وعزيته، وكان آنذاك فـــي بـــاريس، وعرضـــت عليـــه أن يـــأتي لحضـــور الجنـــازة – رغم انه ســـــيضطر للقدوم ســـــــرا – فقال لـــي: انـــه اختـــار أن يفـــي بـــإجراءات الحداد على والده في تونـــــس. فهو لم يكن يرغب في العـــودة إلـــى أبـــو ديـــــس طالما لم يتم توقيع الاتفاقية، وطالما لم يكن قـــادرا علـــى العـــودة، علنـــا، كعضـــو فـــي زعامة منظمة التحريـــر.

وفي منتصف شهر تمـــوز، دق جـــرس الـــهاتف، وكـــان أبـــو عـــلاء علـــى الطرف الآخر من الخط. وقال لي: "أنا اتصل بك من أبـــو ديـــس، لقـــد عـــادت العائلـــة كلها، أم علاء والأولاد إلى منزل والدي، ونحن نرغب باشـــراككم فـــي فرحتنـــا.

قلت له: أهلا وسهلا أبو علاء، نحـــن ســـعداء بعودتكـــم، هـــانحن فـــي نهايـــة المطاف قد أصبحنا جـــيران.

كان صوت الفرح باديا تماما في صوته، ولم اكن أتخيـــل طيلـــة حيـــاتي، بـــل وحتى سنة واحدة مضـــت– أننـــي سأســـعد إذا مـــا علمـــت أن أحـــد زعمـــاء منظمـــة التحرير سيسكن على بعد عدة كيلومترات مـــن بيتـــي.

حددنا فورا موعدا للاجتماع في تـــل أبيـــب لتنـــاول طعـــام الغـــداء، ودعونـــا لاريسون معنا، وقد تحدثنا ساعات طويلة، حول التعاون فيمـــا بيننـــا، وخصوصـــا فـــي الشئون الاقتصادية، ثم سرنا باتجاه يافا القديمة، فقال أبـــو عـــلاء: لا أكـــاد اصـــدق انـــه آن الأوان الذي نستطيع فيه الالتقاء في تل أبيب. ســـنحتاج وقتـــا طويـــلا حتـــى نتمكـــن من عمل ذلك، بيد انه كلي أمل، في حدوث ذلك. وهـــذا هـــو تفســـير الاتفـــاق بالنســـبة لي شخصيا. هناك الكثير من المشاكل التـــي لا زالـــت بانتظارنـــا علـــى الطريـــق، بيـــد أن هناك مسألة واضحة تماما، وهي أننا لن نتجه إلـــى الـــوراء أبـــدا".

الفصل السادس

أوسلو فتحت أبواب الشرق الأوسط أمام إسرائيل

إسرائيل انطلقت عبر أوسلو إلى الأردن

دخل عرفات وزملاؤه إلى غزة من اجل قيـادة شـعبهم، وهـو الامـر الـذي كان بمثابة سابقة في تاريخ الشعب الفلسطيني. وفـي البدايـة ارتكبـوا جميـع الأخطـاء والعثرات جراء الافتقـار إلـى التجربـة والخـبرة لـدى منظمـة التحريـر فـي إدارة المجتمع والاقتصـاد.

كانت إسرائيل قـد احتلـت غـزة قبـل سـبع وعشـرين سـنة مـن أيـدي المصريين خلال حرب ١٩٦٧. وعندمـا حـان الأوان، كـي تغـادر إسـرائيل غـزة، تركت خلفها مستوطنين وتركت جنـودا إسـرائيليين لحمايتـهم، إضافـة إلـى التـأثير الاقتصادي، بيد أن غزة أصبحت الان فلسـطينية، بعـد مئـات السـنوات مـن الحكـم الأجنبـي: العثمـاني، والبريطـاني، والمصـري، الإسـرائيلي، اصبـح الفلسـطينيون أنفسهم مسئولين عن المنطقـة.

كانت غزة – فلسـطين، التـي سـلمت إلـى عرفـات بائسـة للغايـة، رغـم الإصلاحات النسبية التي دخلتـها، مقارنـة بوضعـها عندمـا احتلتـها إسـرائيل عـام ١٩٩٧.

كـانت المدينـة وضواحيـها مصابـة بعـدة أمـراض عضـال: الانفجـار السكاني، البطالة الرهيبة، انعدام البنيـة الاقتصاديـة. أضـف إلـى ذلـك، أن الوضـع الاقتصادي تدهور بصورة أسوأ، قبل قـدوم عرفـات بسـنة، بسـبب الإغـلاق الـذي كانت إسرائيل تفرضه بين الفينـة والأخـرى، علـى المنـاطق. وقـد أدى ذلـك، إلـى خفض الناتج الوطني الخام في غـزة، بنسـبة ٢٥% وازديـاد معـايير البطالـة بنسـبة ٥٠% كانت مخيمات اللاجئين تفيـض بشـرا، ونسـبة الزيـادة الطبيعيـة مـن أعلـى النسب في العالم. وإضافة إلـى كـل هـذه المشـاكل، كـانت غـزة والقـرى والمـدن

الأخرى في القطاع، تفتقر إلـــى شــبكات المجــاري، وشــبكات الكــهرباء، والطــرق، وحتى مياه الشــرب.

وقد أدت المقارنـــة بيـــن هـــذا الوضــع المــزري والازدهـــار الـــذي تعيشـــه إسرائيل، على بعد خطوات معدودة إلى زيـــادة حـــدة اليـــأس فـــي نفـــوس المواطنيـــن هناك. ولا شك أن هذا اليأس، كان الأرض الخصبة التـــي نمـــت فيـــها حركتـــا حمـــاس والجهاد الإسلامي. وقد انضم إلى صفـــوف هـــاتين الحركتيـــن عشـــرات آلاف الشـــبان الفلسطينيين الباحثين عن عالم افضـــل فـــي الإيمـــان الأصولـــي. وقـــد فـــهمت هاتـــان الحركتان اتفاقية أوسلو، ككابوس تســـوية مهنيـــة مـــع عـــدو ابـــدي، وكتـــهديد علـــى الحركات الدينية والاجتماعية التي حاولت التمترس ضـــد أي تـــأثيرات خارجيـــة.

استهل عرفات عمله كرئيس للســـلطة الفلســطينية باســتخدام نفــس الأســاليب التي سبق أن خدمته في الماضي : محاولة تثبـــت قوتـــه عـــبر انتـــهاج أســلوب "فـــرق تسد". وكان أول الأهداف التي سعى إليها، تشكيل جـــهاز شـــرطة فـــي غـــزة واريحـــا، من رجاله المخلصين، وبأعضـــاء جيـــش التحريـــر الفلســـطيني، الذيـــن وصلـــوا مـــن الخارج. وقد تم دمجهم مع مؤيديه المحليين، ونظمهم في عشـــرة أجـــهزة أمنيـــة، منـــها أجهزة لا لزوم لها أصـــلا.

لقد عمل عرفات على إنشاء هـــذه الشـــبكة مـــن الأجـــهزة الأمنيـــة، بصـــورة رئيسية، كركيزة لســـلطته.

كان العالم- الذي واصل العمل علـــى مـــد يـــد المســـاعدة للرئيـــس- مطالبـــا بتزويده بالتمويل من اجل تمكينه مـــن إقامـــة نظامـــه، والمتمثـــل فـــي : قـــوة شـــرطة قوية، ونظام بيروقراطي مدني لتنفيذ الصلاحيات الجديـــدة. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن قضية تخصيص مبالغ ماليـــة لتوظيفـــها فـــي دفـــع إحـــدى الـــدول نفقاتـــها الشـــاملة، تتعارض مع سياســـية المســـاعدات التـــي تنتهجـــها غالبيـــة الدولـــة المانحـــة. بيـــد أن القواعد والأسس آنفة الذكر، لم تتغير نظرا لان تلك الـــدول، كـــانت تعلـــم، أن عرفـــات يعمل على بناء أسس سلطته. فالسلطة الفلسطينية لم تكـــن تمتلـــك ولـــو جـــهازا لجبايـــة الضرائـــب.

اقترح بيرس – الذي كان يدرك حقيقة، ووضع السلطة الفلسطينية – إنشاء صندوق دولي خاص باسم وزير الخارجية النرويجي هولست، على أن تستغل أمواله للإنفاق على المناحي الخاصة بكلفة إنشاء السلطة الفلسطينية. وتولى النرويجيون عملية إقامة الصندوق باسم هولست، في حين عمل البنك الدولي كسكرتير للإشراف على المشروعات المختلفة، وصندوق النقد الدولي قدم التوجيه والرعاية النقدية.

أشرفت الولايات المتحدة على كل هذه الجهود، ذات المؤسسات المتعددة، مستعينة بالخدمات التي قدمها دنيس روس، وتوني فستتدبخ الممثل الأميركي الديناميكي لمؤتمر الدول المانحة. والتي انضمت إلى طاقم السلام، الذي شكلته وزارة الخارجية الأميركية.

وتعهدت الولايات المتحدة، أيضا، بمنح الفلسطينيين خمسمائة مليون دولار– أي اكثر من أي دولة أخرى مانحة–. بيد أن خيبة الأمل الكبيرة تبدت بأجلى معانيها في الدول العربية، والتي رفعت النضال الفلسطيني إبان محاربة منظمة التحرير لإسرائيل، إلى مستوى المعجزة ودعمت الاخوة الفلسطينيين في أوقات الحرب، بيد انهم تجاهلوهم عندما آن الأوان، كي يبنوا وطنهم القومي. وتحت وطأة ضغط الأميركيين أسهمت السعودية بمبلغ مائة مليون دولار سنويا، بيد أن الضغوط الأميركية لم تجد نفعا في دفع دول الخليج الأخرى، لمد يد المساعدة لهم.

لم يستطع عرفات الصمود إزاء "كشوف الحساب" التي بدأت الدول المانحة تعرضها عليه، لان هذه المصطلحات كانت غريبة عليه تماما، فقد تعامل مع التعويضات كأموال مستحقة لشعبه بصورة طبيعية، بسبب الظلم الذي وقع عليه طيلة تاريخه، وخصوصا تحت وطأة نير الاحتلال الإسرائيلي.

اخذ الفلسطينيون، في هذه الآونة، يعملون على تطوير مؤسسات سياسية قوية، وليست مؤسسات اقتصادية. وخلال مؤتمر الدول المانحة الذي عقد في باريس خلال الفترة الواقعة بين ٧–٩ أيلول ١٩٩٤، طالب نبيل شعث بتخصيص

أموال المانحين للمؤسسات الفلسطينية في القدس، بيد أنني قلت للاريسون – رئيس المؤتمر – أن الوفد الإسرائيلي لن يدخل إلى المؤتمر، إذا لم يتراجع الفلسطينيون عن طلبهم انف الذكر، وفي أعقاب النقاش الطويل الذي أجريناه، وافق شعث على إزالة هذا المطلب، عن جدول أعمال المؤتمر، بيد أن عرفات طلب منه الا يفعل ذلك وبناءً عليه، قررت تخريب المؤتمر، فقد شعرت بالغضب الشديد لاستغلال الفلسطينيين للوسيلة التي ساعدناهم نحن، في الحصول عليها، من اجل مصلحتهم.

وهكذا، عدنا جميعا إلى منازلنا، بعد أن طلبنا من النرويجيين أن يستدعوا ممثلي الطرفين إلى أوسلو في الثالث عشر من أيلول من اجل إحياء الذكرى الأولى لتوقيع اتفاقية المبادئ، والعمل للعثور على حل للمشكلة. اتفق بيرس وعرفات، في أوسلو، على استبعاد جميع القضايا موضع الخلاف بينهما من قاعات مؤتمر الدول المانحة. وكي نؤكد ذلك، وقعنا معا على "بيان أوسلو" رسميا، وشاهدنا العرض الذي قدمته جوقات من الأولاد الإسرائيليين والفلسطينيين أمام النرويجيين المصفقين. وهنا، توجه عرفات إلى بيرس بمناداته "بابن عمي". وقد خرج بيرس بانطباع من هذا اللقاء، يفيد أن عرفات معني بتثبيت مكانته السياسية والذاتية، اكثر مما هو معني ببناء اقتصاد أو مؤسسات حيوية أخرى لمجتمع مدني.

لقد اتضح لنا، في غضون الأسابيع الأولى للحكم الذاتي الفلسطيني بغزة –وبصورة لا تقبل الجدل– أن عرفات لا يستغل قوته الجديدة من اجل نزع سلاح حماس ومنظمات المعارضة العنيفة الأخرى بصورة منهجية. وقد طالب رابين، خلال اللقاء الذي عقده مع عرفات، في العاشر من آب، بان تعزز السلطة الفلسطينية جهودها من اجل كبح هذه الجهات والمنظمات، وقال لعرفات بصوت مهدد: "هذا هو اختبارك".

وحال سماع عرفات لهذا المطلب، قال : أن عليه أولا أن يبني دعما فلسطينيا قويا له، قبل أن يشرع في مثل هذه الخطوة بكامل جهده وقد حرص

الكثير من مقربيه، على أن يوضحوا لنا، أن أساليب عرفات، تختلف عن أساليبنا في العمل.

وفي تعقيبه على هذا المطلب، قال لي حسن عصفور، حينما تقابلنا في غزة: "لقد حاربتم الإرهاب بالقوة، وفشلتم، بيد أن عرفات يستخدم استراتيجية مختلفة، وسينجح فيها، اعتمدوا عليه وادعموه، وسترون. إننا نجري حوارا مع حماس، والكثيرون من رجال حماس ينتقلون إلى جانبنا".

كان الجهاز الأمني، يمارس ضغوطا على عرفات لإرسال قواته من بيت إلى بيت لمصادرة أسلحة حماس، بيد أن قادة الجهاز كانوا يدركون أن هذه الحركة تحظى بتأييد شعبي واسع، وانه يتوجب علينا أن نمنح عرفات فرصة معالجتها بالدمج بين القوة والحوار.

وفي منتصف عام ١٩٩٤، قال لي: أن هناك اتفاقا آخذا في التبلور بين حماس وحركة فتح يتضمن حظر استخدام العنف، واعتراف الطرفين بصلاحية مركزية، يمكنها أن تمنح الشرعية للتعددية السياسية.

لقد أمل عرفات، في أن ينجح إنجازه الذي لم يسبق له مثيل في السيطرة على قطاع غزة، في جذب مؤيدي حماس نحوه. وكانت جميع الدلائل تشير إلى انه محق في اعتقاده.

ويقول لاريسون – الذي عين في حزيران ١٩٩٤ نائب سكرتير الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات للفلسطينيين. كما عينت زوجته مونه، نائبا للسفير النرويجي في إسرائيل – إن اكبر تغيير طرأ على مدينة غزة، تمثل في حياة الليل على شاطئ البحر. ففي أعقاب كل ذلك الأمن الطويل من حظر التجول الليلي، تمكن السكان من السهر ليلا أو نهارا، على شاطئ البحر، والاستفادة من شبكة الفنادق التي أقيمت هناك.

وبدأت أيضا تختفي الأغطية عن رؤوس النساء، وقصرت الفساتين من الجزء الأسفل، وهو الامر الذي استقبله لاريسون بالترحاب، معتبرا إياه اتجاها نحو التطبيع مع الغرب.

بيد أن حركة حماس، خشيت من أن تـؤدي هـذه البـادرة الصغـيرة، باتجـاه إسرائيل والغرب، إلى جانب تعـاون ياسـر عرفـات مـع إسـرائيل والغـرب – إلـى تصفية حركة حمـاس.

وهكذا، وبينمـا السـلطة الفلسـطينية تجـري مفاوضاتـها، اسـتكمل رجـال حماس – وبتشجيع من جهات مختلفة فـي إيـران وسـورية والأردن، نشـاطاتهم فـي مخيمات اللاجئين واعدت العدة للشروع بعمليات إرهابيـة، مـن اجـل "كشـف أخطـار السلام المزيـف".

قتل المسلحون الفلسـطينيون فـي غضـون الأشـهر السـتة الأولـى لتولـي السلطة الفلسطينية شئون غزة، خمسة عشـر إسـرائيليا – ثمانيـة منـهم بـالقرب مـن غزة وقد جاء رد رابين شديدا جـدا.

لقد حرص رابين حقا على التفريق بيـن حمـاس وفتـح، واوضـح للجمـاهير الإسرائيلية، إن حركة فتح تعمل ضد الإرهاب، الا انـه اعلـم عرفـات، بـان عليـه أن يعزز جهوده الخاصة بالقضاء على المتطرفين الأصوليـين وقمعـهم. وكـي يزيـل أي شكوك عن مدى الخطـورة التـي ينظـر بـها إلـى هـذه العمليـات، اغلـق الضفـة والقطاع، في تشرين الأول ١٩٩٤، وقطعهما نـهائيا عـن إسـرائيل. وقـال: إذا كـانت السلطة الفلسطينية لا تستطيع منـع الإرهـاب، وطالمـا كـان الجيـش الإسـرائيلي لا يستطيع العمل في المناطق الواقعة تحـت سـيطرة السـلطة الفلسـطينية، فـلا منـاص من منع الفلسطينيين من دخول إسرائيل أو العمـل فيـها.

الخطأ يجر الخطأ. لقد فشـل عرفـات منـذ البدايـة فـي تجذيـر صلاحياتـه بشكل كامل، ولم ينجح في قمع القوى التي تميل إلى اسـتخدام العنـف، ثـم قمنـا نحـن بسياسة الإغلاق ليس بمعاقبـة المسـلحين والقـوى العنيفـة، بـل عاقبنـا الفلسـطينيين كلهم. وقد تعاملت الجماهير الإسرائيلية مـع الإغـلاق كحـاجز فـي وجـه الإرهـاب، في حين لم يكن الجهاز الأمني يعتبر الإغلاق وسيلة فعالـة لـهذا الغـرض. بـل ربمـا كان الامر على العكس تماما، فالإغلاق طويل الأمـد كـان يسـهم فـي تعزيـز قـوى الإرهاب، ليس فقط لانه أتاح لـها الفرصـة لوصـف اتفاقيـة غـزة واريحـا كاتفاقيـة

لاستمرارية الاحتلال بأساليب أخرى. بل لانــه كلمــا تدنـت مسـتويات الحيــاة، كلمــا ازداد الدعم والتأييد للتطرف والعنف وازدهر فـــي أوســاط الفلســطينيين.

وفي خريف عام ١٩٩٤، تلقــت مســيرة الســلام ضربــات موجعــة للغايــة. مما جعل جهات فلسطينية وإسرائيلية تتســاءل: "هــل هــذا هــو الســلام". وبــدأ كــل جانب يكيل التهم للآخر، واخذ الوضع يتدهـــور مــن الوعــود والآمــال الكبــيرة إلــى الصعوبات الاقتصادية، إلى العنــف والإرهــاب، والتصريحــات المعاديــة حتــى آلــت في نهاية المطاف، إلى طريق سياســي مســدود.

ويتذكر الكثــيرون، يــوم الرابــع عشــر مــن تشــرين الأول ١٩٩٤، كيــوم التعارضات الحادة بين الوعود التــي حملــها إعــلان المبــادئ التــاريخي، وبيــن الآلام المرتبطة بتحويله إلى واقــع. فقبــل خمســة أيــام تــم اختطــاف الجنــدي الإســرائيلي (نحشون فاكسمان) من قلب إســرائيل، وكــادت الدولــة كلــها توقــف أنفاســها عندمــا شرع الجيش بالبحث عنه وأجرى رابين اتصالات مكثفة جــدا مــع عرفــات، بوســاطة الدكتور احمد الطيبي، حول هذه القضية بــل وجــرى الحديــث عــن إمكانيــة إطــلاق سراح الشيخ احمد ياسين، زعيــم حركــة حمــاس مــن المعتقــل الإســرائيلي، مقــابل إطلاق سراح فاكســمان.

وفيما كان أعضاء كنيست عرب يقومـــون بأعمــال الوســاطة بيــن عرفــات والحركات الإسلامية، اتضح للجيــش الإســرائيلي، أن فاكســمان ليــس محتجــزا فــي غزة – مثلما اعتقد اسحق رابين في البداية- بل في (بــير نبــال) القريبــة مــن رام الله والواقعة تحت السيطرة الإســرائيلية.

وإضافة إلى الاتصالات المكثفة مع عرفات في غـــزة، بــدأ رابيــن ومســئولو قوات الأمن بدراسة إمكانية القيــام بعمليــة إنقــاذ ســريعة لفاكســمان، واعلــم رابيــن بيرس بما يحدث، بيد أن جميع هــــذه الاتصــالات دارت مــن وراء الكواليــس. وبعــد أسبوع من انتظار تطورات جديدة، ساد إســرائيل توتــر لا يطــاق.

وشاعت المفاوضات، أن تعلن لجنة جائزة نوبــل للســلام، فــي الرابــع عشــر من تشرين الأول – أي في نفس الفترة- عن قرارهــا منــح الجــائزة لرابيــن وبــيرس

وعرفات. ولم يعرف بيرس بهذا القرار، الا قبل ساعة واحدة من إعلانه، لقد كنت طيلة النهار معه، وحينما علم بالقرار بدا أن تقاطيع وجهه لم تتغير، بيد أنني تعلمت خلال سني العمل مع هذا الرجل، الذي لا يترك لمشاعره فرصة للإفصاح عن نفسها، أن المح بما يشعر به. وقد أدركت أن القرار اثر فيه إلى ابعد الحدود.

تواصلت الجهود الرامية لتحرير فاكسمان طيلة ساعات ما بعد الظهر. وعندما بدا فشل فرص نجاح أعمال الوساطة، قرر رابين القيام بعملية إنقاذ عسكرية لفاكسمان.

في ساعات المساء المبكرة، اتصل بي رئيس شعبة العمليات في وزارة الخارجية (رون بروشاور) وقال لي: "قتل فاكسمان إبان محاولة قوة إسرائيلية اقتحام المنزل الذي كان محتجزا فيه، كما قتل ضابط إسرائيلي يدعى "نير بوراز".

باتت الدولة كلها، تلك الليلة، تحت وطأة الصدمة، لقد نجح إرهاب حماس في تحقيق هدفه، ولا شك أن المناظر التي تبدت حينما تم إعلام عائلة فاكسمان بمقتله، ونداءات الغضب التي أطلقت في أعقاب ذلك، تغلبت على إدراك حقيقة أن المسيرة السلمية جاءت لتخليص الأجيال القادمة من حالات الرعب والموت، التي كنا نشهدها انذاك.

كانت تلك الليلة، بمثابة ليلة اختبار لزعامة رابين. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، بدا عابسا، مقطب الجبين، وشرح بشجاعة بالغة، الجهود التي بذلت من اجل إنقاذ فاكسمان، وأكد انه يفرق بين (القتلة) من رجال حماس، وبين شركائه الفلسطينيين، في محاربة الإرهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، قلت لبيرس: إذا ما وصفنا الإرهاب بأنه المشكلة الرئيسية التي نواجهها، فسوف نسهم في تعزيز قوة القتلة ومعارضي السلام من الداخل والخارج، لانهم سيدركون مدى حجم القوة الهائلة الموجودة بين أيديهم لمحاربة المسيرة السلمية. لذا، علينا أن نحاربهم، في نفس الوقت الذي يجب أن نكون اكثر برودا من (البريطانيين)، وان نعض على نواجذنا، ونقول

للجماهير الحقيقة البسيطة: "الإرهاب سيتواصل حتى ننجز السلام الكامل، ولا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نخضع أو نستكين له".

ورغم أن بيرس وافق على ما قلته، الا انه بدا متشككا بالصورة التي اقترحتها عليه، وهو يرى المنافسة والتحدي القائمين بين الخوف والأمل.

كان بيرس محقا في اعتقاده فبعد خمسة أيام من إطلاق أعضاء حماس النار على فاكسمان، قام انتحاري بتفجير نفسه في الحافلة (رقم -٥) إبان سيرها في شارع ديزنجوف في تل أبيب، مما أسفر عن مقتل واحد وعشرين شخصا.

هز الإرهاب إسرائيل، وافقدها صوابها، وانطلقت جماهير المعارضة في مظاهرات صاخبة ضد سياسة (أوسلو) واتهمت الحكومة علنا بالإسهام في مقتل الإسرائيليين.

وفي المظاهرة التي نظمت في الثاني والعشرين من تشرين الثاني - والتي شارك فيها بنيامين نتنياهو ورفائيل ايتان وزبولون هامر، أطلقت شعارات مثل : "هذا السلام يقتلنا" ، "رابين قاتل".

ورغم هذه المظاهرات والنداءات، فان ياسر عرفات لم ينجح في إدراك عمق الخطر الناجم عن الإرهاب، ولم يجند جميع الوسائل التي يمتلكها كي يبدو كشريك حقيقي في وقف أعمال العنف ضدنا. لقد اخذ تخطيطه الاستراتيجي بعين الاعتبار وضع المجتمع الفلسطيني، وقام على أساس الافتراض القائل: أن بالإمكان هزيمة الأصولية، بعمل تدريجي اقل عدوانية، انه لم ير التعارض القائم بين هذه الاستراتيجية وبين التزامه بالعمل مع إسرائيل.

وهكذا، شاءت الأقدار أن تتحمل المسيرة السلمية مصاعب جمة، ورغم ذلك بدا واضحا إن المسيرة ستواصل انطلاقتها إلى الأمام استنادا إلى الإصرار وتفهم إمكانية القضاء على الإرهاب، عبر الحل السياسي بصورة أساسية، إلى جانب النشاطات الشديدة، على ارض الواقع، والضغط على عرفات لدفعه للعمل بصورة اكثر حزما وحدة.

واجه النصف الثاني من عام ١٩٩٤ مفارقة أخرى كان المسار الفلسطيني الإسرائيلي في أمس الحاجة حقا إلى تعديل، بيد أن إسرائيل كانت قد بدأت تتمتع بثمار السلام التي نمت بصورة مباشرة على أغصان الانفراج الحادث مع الفلسطينيين. لقد بدأت اتفاقيات أوسلو تفضي إلى التطورات الإقليمية التي أملنا فيها. ففي تشرين الأول والثاني، فتحت أبواب أمامنا في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

ففي أعقاب شهور طويلة من التفاوض السري مع المملكة الهاشمية – والتي اشرف عليها بصورة أساسية، مساعدو رابين إليكيم روبنشتاين ورجل الموساد افرايم هليفي وايتان هابر– وقعت إسرائيل والأردن في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٩٤ على اتفاقية سلام رسمية بينهما.

لعبت الولايات المتحدة دورا مهما في ضمان هذا السلام، وتحقيقه. وقد تمكن رابين وبيرس من إقناع الرئيس الأميركي بمحو ديون أردنية لأميركا بقيمة ستة مليارات دولار، والتعاون مع الدولتين في مجال إنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة. ترأست أنا وروبنشتاين الوفد الإسرائيلي للمحادثات الثلاثية التي بادر إلى طرحها بيرس، والتي أسفرت عن مخططات ومشروعات واعدة بشكل خاص لغور الأردن على جانبي النهر. وهكذا، حظي الأردن بخطوط حدودية ثانية، بعد أن حظي بخطوط حدودية أولى مع مصر وتعهدنا للأردن، بحل مشكلة المياه التي يواجهها. ورغم استياء الفلسطينيين الكبير، فقد حظي الأردن بمكانة خاصة في الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس. وتطورت علاقات وطيدة بين رئيس الحكومة رابين والملك الحسين والتي انبثقت من خلال التفاهم الشخصي، والتطلعات الاستراتيجية المشتركة بشأن ضرورة ضمان استقرار النظام الهاشمي– والتعاون عند اللزوم ضد التهديدات الخارجية–.

ضمن السلام مع الأردن، السلام، دون مشكلة (التدريج)، فقد ولد مباشرة من قلبي زعيمي الدولتين، واللذين أعربا عن ذلك بصورة دائمة وواسعة.

كان الحسين، الزعيم العربي الذي احب الإسرائيليون أن يحبوه، فهو سيد دولة منظمة تميل إلى الغرب، وبالإمكان الوصول إليها، أضف إلى ذلك أن إسرائيل التي كانت تتوق إلى القفز من العداء إلى المحبة، عثرت في الأردن على الشريك النموذجي. ولا شك أن مراسيم التوقيع على الاتفاقية في السابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤، في المعبر الحدودي الجديد بين العقبة وايلات، ابرز هذه المشاعر. فالجنرالات الذين قاتل، أحدهم ضد الآخر، تصافحوا، وتبادلوا الهدايا. وقدم الرئيس كلينتون، ووزير الخارجية الروسي كوزيريف للمشاركة في المراسيم، بل إن أوساط اليمين الإسرائيلي تبنت الاتفاقية مع الأردن بحماس، تلك الاتفاقية التي لم تكن تهدد أهدافهم الأيدلوجية الإقليمية.

أثنى رابين والحسين أحدهما على الآخر، بمحبة متبادلة وحقيقية. وتحدث الحسين بحرارة عن السلام الصادق، وليس الاتفاق القائم فقط كحبر على ورق. ولم توجه الدعوة إلى عرفات للمشاركة في هذه المراسيم، بسبب تحفظ الحسين منه، ذلك التحفظ الذي لم يكن في تلك الأيام غريبا أيضا على رابين، على الرغم من انه كان واضحا، أن السلام مع الأردن، ما كان لينجز لولا انفراج أوسلو، ولولا هذا الانفراج أيضا، ما انفتحت أمام إسرائيل قنوات أخرى إلى العالم العربي.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٤- أي بعد سنة من طرح شمعون بيرس فكرة المؤتمر الدولي الاقتصادي، وقع حدث تاريخي آخر في كازبلانكا. فقد تدافع زعماء العالم، وبصحبتهم الالاف من رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم نحو المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولأول مرة، منذ قيام إسرائيل، اصبح بمقدور إسرائيليين وعرب، الاجتماع في حدث دولي مفتوح ومناقشة صفقات تجارية، بل والاتفاق على صفقات أولية. لقد انهارت جدران الكراهية، وأصبحت المقاطعة العربية مجرد تاريخ قديم.

وفي الخيمة الخاصة التي وضعها الملك الحسن الثاني ملك المغرب، تحت تصرفنا، اجتمع شمعون بيرس مع زعماء ووزراء خارجية خمس عشرة

دولة عربية، وامتزجت الكوفيات والجلابيات والأزياء والملابس والبذلات في منظر سريالي، نظرا لإغراق إسرائيل في إطار، بدا حتى ذلك الحين، انه عربي خالص.

وفي أعقاب استقبال الملك الحسن لنا، بدأنا بيرس وأنا حوارا مع ياسر عرفات، تحت أسماع وأبصار الكثيرين المندهشين، كانت الصورة مذهلة حقا، لقد أتاح التعاون الإسرائيلي الفلسطيني، إمكانية مزاوجات جديدة في المنطقة.

وفي الوقت الذي جلس فيه الزعماء واصغوا إلى عدة خطابات قصيرة، جلست أنا في الصف الثاني مع دنيس روس. وفي حقيقة الامر، فان مؤتمر كازابلانكا جذب قوى كبيرة وقوية على الصعيد الاقتصادي في المنطقة، بدءا بالإصلاحات على صعيد الاقتصاد العربي، ونمو نخبة اقتصادية جديدة ومثقفة، وتعاون بين رجال أعمال إسرائيليين وعرب، والعمل على إنشاء مؤسسات إقليمية، وانتهاء بإنشاء بنك تطوير إقليمي.

لقد عملت بالتنسيق مع شخصيات فلسطينية – أبو علاء – ومصرية وأردنية، من اجل إقامة مؤسسة إقليمية كهذه.

وبعد بضعة أسابيع، من مؤتمر كازابلانكا مثلنا –نحن ممثلي الأطراف الأربعة– أمام مسئولي وزارتي المالية والخارجية، الأميركيتين –كوفد شرق أوسطي، وطالبنا باسم المنطقة، بإنشاء جهاز مالي لتمويل المشروعات. وبعد أن تمكن بيرس من إقناع الرئيس كلينتون بمدى أهمية البنك الإقليمي، بدأت مراسيم إنشائه. وانطلق الشرق الأوسط الجديد في طريقه.

اقتصرت مشاركة رابين في المؤتمر على عدة ساعات فقط. وقد تطرقت كلمته –تماما ككلمة عرفات– إلى قضية القدس. وقبل عودتنا، عقد اجتماع بين رابين وبيرس وأعضاء وفدنا المفاوض، وبين عرفات ووفده المفاوض في إحدى الفيلل الفاخرة في كازابلانكا. وقد استهل رابين الحديث بلهجة شديدة قائلا: "سيدي الرئيس: يجب علينا مواصلة محاربة الإرهاب، لانه لا

توجد قضايا ذات أبعاد وانعكاسات اخطر من الأبعاد التي يمكن للإرهاب أن يعكسها على الطرفين".

وقد رد عرفات على ذلك قائلا: "نعم، علينا أن نحارب المتعصبين الذين يملكون كما هائلا من المال، لكن وبدلا من أن تعاقبوهم، فإنكم تعاقبوننا بصورة غير مباشرة. ففي غزة يوزعون منشورا ضد كلينتون، بيد ان مصدر هذا المنشور هو دمشق. أرجوك كفوا عن العقوبات الجماعية. أنا أدرك انه لم يكن من السهل عليك أن تعلن في أعقاب المأساة التي وقعت في تل أبيب التزامك بالمسيرة السلمية. وأنا أشكرك على ذلك، بيد أنني اعتقد أن إطلاق سراح الشيخ ياسين سيكون مجديا، فهو سيؤثر على المتطرفين، أنا اعرفه، وسيدعو لوضع حد لأعمال العنف".

فقال رابين: "لقد فحصنا هذه النقطة، وهو ليس على استعداد لعمل ذلك. وعلى أية حال، فان من الحيوي أن تواصل أنت محاربة الإرهاب، هذا هو أهم نضال، إن الرأي العام الإسرائيلي تأثر، وهناك نداءات في إسرائيل لقتلي".

عرفات : "وأيضا أنا، في الرأي العام الفلسطيني".

رابين : "إذا كان الامرعلى هذا النحو، فنحن في نفس القارب".

لقد كان هذا اللقاء، هو الوحيد الذي حضرته لرابين، وسمعته يتطرق فيه ليس فقط إلى مشاعر الجماهير الإسرائيلية الغاضبة، بل أيضا إلى الدعوة لقتله. لقد قال ذلك بالضبط قبل سنة ويومين من قيام شاب متعصب بإخراج هذه النداءات إلى حيز التنفيذ.

وتواصلت موجة الإرهاب، ووقعت عمليتان في تشرين الثاني بالقرب من المستوطنات في قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل عشرة إسرائيليين منهم سبعة جنود.

وجد رابين وبيرس نفسيهما أمام مازق، فهما لم يكونا ليشكا للحظة في مصداقية طريقهما أو إيمانهما بان المسيرة السلمية ستعزز، على المدى البعيد، أمننا الوطني: كما انهما كانا يعتقدان اعتقادا جازما، بان ايقافهما لمسيرة أوسلو،

سيؤدي إلى تعزيز قوة حركـــة حمـاس، وسـيقوض جميـع المزايـا التـي كسـبتهما إسرائيل من الاتفاقية. هذا من ناحية، أما مـــن الناحيـة الأخـرى، فقـد بـدأت شـكوك الجماهير الإسرائيلية- وليست فقط أوساط اليمين- تـــتزايد تجـاه قـدرة عرفـات، بـل ومدى رغبته في السيطرة على (المخربين)، وهكذا بدا هـــامش المنــاورة يتضــاءل.

وعلى أرضية هذا الوضع، طرح بـــيرس فكـرة جديـدة. فقـد اقـترح علـى عرفات خلال لقائهما في غزة، فـــي الثـامن والعشـرين مـن تشـرين الثـاني تغيـير جـدول العمـل المحـدد فـي إعـلان المبـادئ بحيـث تجـري الانتخابـات للسـلطة الفلسطينية، قبل إعادة الانتشار الإسرائيلي فـــي الضفـة الغربيـة مـع الحـرص علـى تقليص تواجد الجيش الإسرائيلي – يوم إجراء الانتخابات- إلــى حـد كبـير جـدا، فـي المناطق الفلسطينية، وقال بيرس: فـي أعقـاب الانتخابـات سـتقوم إسـرائيل بتوسـيع الحكم الذاتي تدريجيا، وستبدأ من جنين. وقد تحدث بـيرس مـع عرفـات عـن خطتـه تلك، على أن لا يتم الإفصاح عنها ونشرها. ولم يرفـــض عرفـات الفكـرة بـل طلـب منحه مهلة زمنية للتفكير والتشاور مـع مقربيـه.

أمل بيرس فـــي قبـول عرفـات للفكـرة فـي نهايـة المطـاف، نظـرا لان الانتخابات كانت ذات أهمية كبيرة جـدا، لـدى عرفـات، كوسـيلة لاضفـاء الشـرعية على حكمـه.

اعترضت على هذا التوجه، وقلـــت لبـيرس لا اعتقـد أن هنـاك أي فرصـة لموافقة عرفات على إحداث أي تغيير في اتفاقية إعـلان المبـادئ، أضـف إلـى ذلـك، انه لا يستطيع إجراء الانتخابـات فـي ظـل الاحتـلال. وأضفـت : لقـد أتيحـت لنـا الفرصة، في نهاية المطاف، للتخلص من السيطرة على شـعب آخـر. وطالمـا لـم يتـم وضع حد للاحتلال، فسوف تكون هزيمة الإرهـــاب مسـتحيلة. فالإرهـاب سـينهار إذا ما دمرت القاعدة الشعبية التي يتغذى منها. ولا شك أن هـذه العمليـة طويلـة بيـد انـه لا بديل لـها.

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال العنف الأصوليـــة لـم تكـن نتاجـا لسـيطرتنا على المناطق فقط، بل كانت أيضـا نتاجـا للصـراع العنيـف الدائـر بيـن المنظمـات

الأصولية، وبينها وبين عرفات، ولا شك أن الإرهاب حظي بتأييد واسع في أوساط الجماهير الفلسطينية نظرا لان تلك الجماهير كانت مسلوبة الحرية.

وافق بيرس على الأهداف التي أشرت إليها، بيد انه لم يكن مقتنعا بإمكانية إنجازها. إزاء التأثير الكبير للعمليات الإرهابية على الرأي العام في إسرائيل.

طلبت من بيرس بان يسمح لي بمواصلة الحوار مع الفلسطينيين، حول اتفاقية التسوية المرحلية، شريطة أن يعملوا معنا لتعزيز حربهم ضد الإرهاب. وبعد نقاش مطول، قرر رابين وبيرس دراسة هذه الإمكانية مع الفلسطينيين والشروع بمحادثات التسوية المرحلية.

شارك في هذه المحادثات التي عقدت في القاهرة عوزي ديان - والعميد جادي زوهر رئيس الإدارة المدنية في الضفة الغربية، ويوآل زينجر، وأنا. وقد طلب منا رابين أن نعمل أولا على تحديد القضايا بالتعاون مع الفلسطينيين، وكان علينا أن نطالب بمواصلة السلطة الفلسطينية العمل بحزم ضد الإرهاب. وعندما جمعنا أوراقنا استعدادا للتوجه إلى المطار، سأل عوزي ديان :"من الذي يترأس الوفد؟؟ "فأجاب رابين :"اوري سبير".

كنت اعلم أن بيرس أوصى بان يتم تعييني رئيسا لوفد مفاوضات التسوية المرحلية، بيد أن رابين تردد في ذلك. وقد اخبرني امنون شاحك- الذي كان انذاك قد حل محل أهود براك، في رئاسة الأركان انه أيضا أوصى بتعييني رئيسا للوفد، وأكد أهمية تعيين مدني رئيسا، بيد أنني لم اكن اعرف ذلك، لذا فوجئنا، خصوصا وأنني لم اكن اعلم، بمدى ثقة رابين بي في المفاوضات، بسبب قربي من بيرس.

كانت المفاوضات في القاهرة مع نبيل شعث ووفده متواصلة وطويلة ومضنية، وتبادلنا الاتهامات حول الجهة المسئولة عن الإرهاب.

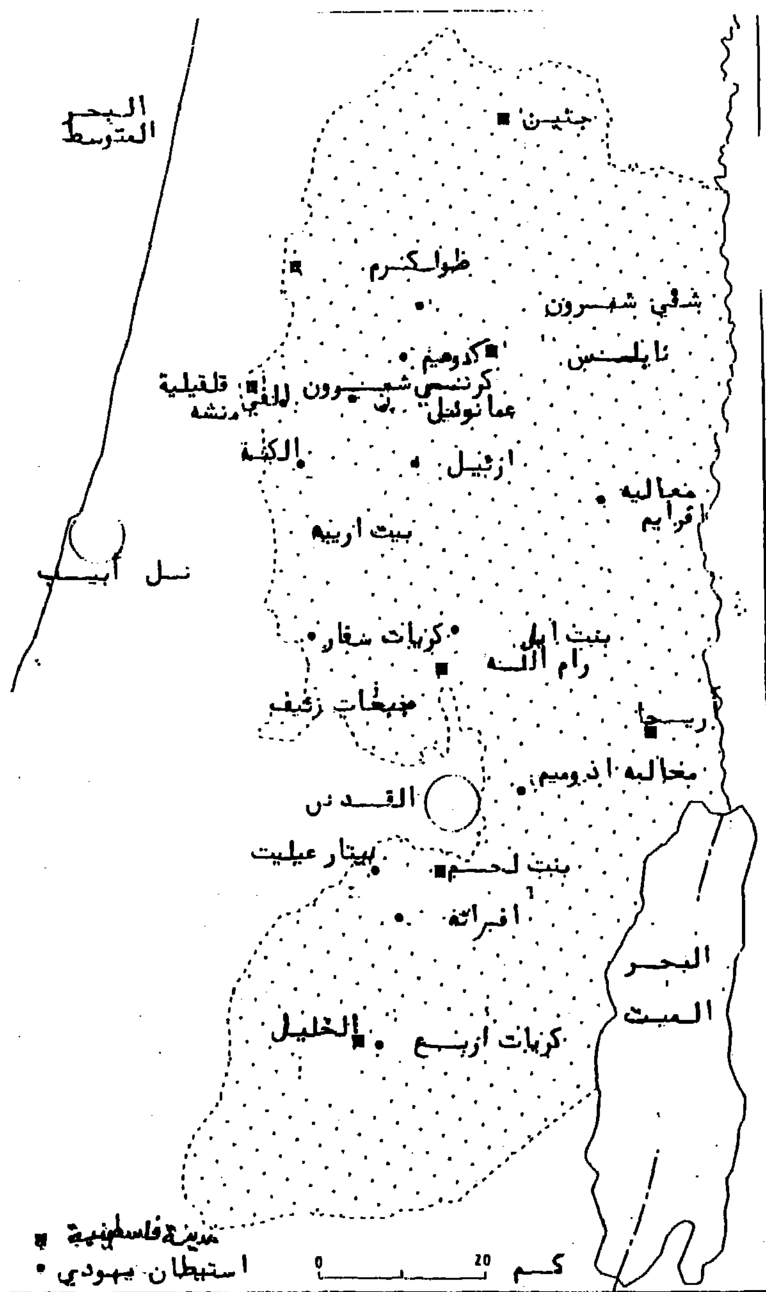
وحال عودتنا من القاهرة، إنضممت إلى الحاشية المصاحبة لبيرس، التي توجهت لحضور حفل تسليمه ورابين وعرفات جائزة نوبل للسلام، في أوسلو.

وعندما اجتمع الوفدان في أوسلو، إثـر تسـلم الجوائـز لإجـراء مفاوضـات بحضـور المضيفيـن النرويجيين، ألقـى رابيـن محـاضرة علـى عرفـات بشـأن الإرهـاب، وعرض عليه أحد احتمالين : "لا اعـتزم تغيـير الـتزامي الخـاص باتفاقيـة المبـادئ. ونحن على استعداد - إذا رغبتم في ذلك- لإجراء مفاوضـات حـول جميـع مركبـات الخارطة الأمنية في الضفة الغربية فـي أعقـاب الانتشـار الإسـرائيلي، وتنفيذهـا فيـا بعد. بيد أنني أخشى أن مثل هذا الاجـراء، سـيتطلب زمنـا طويـلا جـدا، هـذا فـي الوقت الذي يواصل فيه معارضو السلام، تنفيـذ أعمـال عنـف".

أما الاحتمال الثـاني، فيتمثـل فـي التقـدم تدريجيـا، مثلمـا عـرض عليـك بيرس، أي أن تجـري الانتخابـات للسـلطة الفلسـطينية، وتـترك للمجلـس المنتخـب إمكانية إجراء المفاوضات حول إعـادة الانتشـار".



٧- التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية التسوية المرحلية في طابا ١٩٩٥/٩/٢٣.



الخارطة الثالثة - الضفة الغربية

لم يتح بيرس ورابين الفرصة لعرفات للتفكير وحاول الاثنان إقناعه بجدوى الخيار الثاني. وفي النهاية، قال عرفات انه سيفكر في القضية ، واقترح أن نواصل التفاوض.

عمل النرويجيون الذين شاركوا في الحوار إلى دفع الطرفين إلى عدم الانشغال فقط بالمشاكل، بل العمل على دفع المسيرة إلى الأمام.

وحال عودتنا من أوسلو، عرفت انه قد ألقيت على عاتقي مهمة جسيمة، ومنحت فرصة كبيرة للمساعدة في تجسيد السياسة التي كنت أؤمن بها. لقد كنت أؤمن بان حل النزاع يكمن في تخلينا عن السيطرة على الفلسطينيين. وإن بالإمكان التغلب على الإرهاب وأخطار الحرب عبر المشاركة في ائتلاف إقليمي يتناسب مع احتياجات الأمن الإسرائيلية، الناجمة عن الخطر الحقيقي الكامن في الأصولية. وكان مفتاح كل ذلك، حسب اعتقادي، يكمن في احترام الطرفين لاتفاقيات أوسلو.

بيد أنني لم اكن لأجد في تلك الأونة شريكا لي في إيماني بإمكانية إجراء مفاوضات وتجسيد اتفاقية التسوية المرحلية في الضفة الغربية. فيوسي بيلين مثلا، كان يعتقد أن هذه التوقعات لم يعد لها وجود. على ارض الواقع، لذا، فان من الأفضل لنا أن نواصل المفاوضات مباشرة، باتجاه التسوية الدائمة وكان يجري هو هيرشفيلد وفوندك محادثات سرية حول ذلك، مع أبو مازن ووفد مرافق له في ستوكهولم. ورغم انه تم إحراز تقدم مثير الا أن هذا التقدم لم يصل إلى مرحلة الاتفاق.

وعندما اعلم بيلين بيرس بتلك المفاوضات طلب منه بيرس أن يوقفها فورا، واعلم عرفات بان المحادثات لم تجر تلبية لرغبته.

وإزاء الهوة الواسعة جدا والقائمة في مواقف الطرفين، لم اصدق أنا وبيرس احتمالات وجود طرق قصيرة ولا شك أن عمليات جس النبض، ستمكن الفلسطينيين من دراسة مدى المرونة الإسرائيلية، وكان الفلسطينيون سيعمدون إلى

فرض جمود سياسي دائم، دون أن يكون هناك مقابل عميق ومرغوب في الضفة الغربية.

شرعت وسائل الإعلام في تلك الآونة برثاء اتفاقيات أوسلو، والاستعداد لتشييع جثمانها، واعتقد الكثير من الفلسطينيين أنها كانت بمثابة خطأ جسيم ومأساوي. وان إسرائيل لن تتقدم بعد ذلك إلى الأمام أبدا، لانها حققت مبتغاها، ودفعت بعرفات إلى ما كانوا يسمونه "معتقل غزة".

كان أبو علاء يشاطرني الرأي في أن التمسك بقوة بالاتفاقيات، هو وحده الكفيل بإتاحة الفرصة للطرفين للازدهار من جديد. وحال عودتنا من مراسيم تسلم جائزة نوبل، اجتمعت به في فندق الملك داوود بالقدس للتحاور. وقد استهل حديثه بالقول :"أوري، يجب علينا العمل بغية إنقاذ المسيرة وجل ما أخشاه هو أن ينجح أعداء السلام في تحقيق أهدافهم، واشعر بالقلق الشديد جراء احتمال انهيار الشراكة بين شعبينا، والتي هي مفتاح النجاح. لقد كان مؤتمر كازابلانكا حدثا تاريخيا، بيد انه ما كان ليعقد لولا اتفاقيات أوسلو".

ثم قال لي: في أعقاب لقائي بعرفات في تونس ونحن في طريق العودة من أوسلو، اقترح أبو مازن أن أدير أنا المفاوضات في المستقبل.

واضاف: عرفات يشك في أنكم لا ترغبون في استئناف المسيرة السلمية، ونخشى من أن تتجول "غزة أولا"، إلى غزة أولا وأخيرا. واسمح لي أن أقول لك: إن فكرة بيرس واقتراح رابين القائل بان يختار عرفات بين التجسيد الكامل الذي يحتاج إلى وقت أو خوض الانتخابات فورا، تعزز هذه الشكوك لديه".

وتحدث أبو علاء عن ضرورة استخلاص العبر المناسبة من الخبرة التي تم اكتسابها في غزة، وحول بذل جهد فعال واكثر منهجية ضد الإرهاب، كمصلحة فلسطينية وليس كخدمة نؤديها من اجل إسرائيل.

وأكد ضرورة الحفاظ على التقدم، وتوفير الأمل لشعبه في مستقبل اقتصادي وسياسي افضل. ثم طرح نظرية جديدة، لبلورة اتفاقية التسوية المرحلية، حيث تحدث عن إنشاء ثلاث مناطق أمنية في الضفة الغربية : الأولى

تحت السيطرة الفلسطينية والثاني تحت السيطرة الإسرائيلية، والثالثة يديرها الطرفان بالتعاون.

واضاف أبو علاء: "إسرائيل ستعد خارطتها الأمنية وفقا لاحتياجاتها، ومع التمسك الكامل بإعلان المبادئ، وعلى أن يتم تجسيد هذه الخارطة على مراحل داخل المناطق الثلاث آنفة الذكر وعبد الرزاق اليحيى يؤيد هذا الفهم، وقد ناقشه مع عرفات".

اقترح أبو علاء، أن نعود لفتح مسار سري لمناقشة القضايا شديدة الحساسية، وبصورة خاصة القضايا ذات العلاقة بالأمن، لا يمكننا أن نجري مفاوضات، وكأنها مؤتمر صحفي.



٨- رؤساء اللجنة الثلاثية الإسرائيلية الأمريكية الفلسطينية، من اليسار الى اليمين : أوري سبير، دنيس روس، أبو علاء خلال لقاء في فندق (لاروم) في القدس.

مسار سري جديد

أبو عمار مع متطلبات إسرائيل الأمنية مقابل
إعادة انتشار تدريجية

وعدت أبو عـــلاء أن اعـرض اقتراحاتـه علــى المسـئولين عنــي وان أرد عليه بشأن قضية فتح مسار سري جديـــد. وعندمـــا أعلمــت بــيرس بفحــوى مـــا دار بيني وبين أبو علاء، وافق على إحياء مسار على غـــرار مســار أوسـلو، إلــى جــانب المحادثـــات العلنيـــة فـــي القـــاهرة، بيـــن يـــوآل زينجـــر وصـــائب عريقـــات، بشـــأن الانتخابات الفلســطينية.

وقام بيرس بمناقشة هذه القضيـــة مـــع رابيـــن والـــذي أعـــرب عـــن تـــأييده، واقترح على بيرس أن يستغل مقابلته القادمة مع عرفـــات، للاتفـــاق معـــه علـــى مســـار سـري.

قام لاريسون – الذي كان يتمتع بثقة الطرفيـــن بـــالإعداد للقـــاء بيـــن بـــيرس وعرفات في غزة في الحادي والعشرين مـــن كـــانون الأول. وقـــد دار معظـــم الحـــوار بينهما، على انفراد، ثم انضم إلى مساعدوهما في الغرفـــة التـــي.جعـــل عرفـــات منـــها مكتبه، وأعلـــن بـــيرس، انـــه اتفـــق مـــع عرفـــات علـــى مواصلـــة التفـــاوض حـــول الانتخابات ببنيتها القائمـــة وعلـــى أن يتـــم إجـــراء لقـــاءات دوليـــة مســـتقبلا لتســـوية القضايا التي لا زالت محل خـــلاف.

غمزت بعيني لأبو علاء، لكن بيرس لاحظ ذلـــك بوضـــوح، فتنـــاول ورقـــة (مروســـة) بشعار النسر الفلسطيني وبالكلمـــات "منظمـــة التحريـــر الفلســـطينية" الســـلطة الوطنيـــة الفلسطينية-مكتب الرئيس"، وكتب عليـــها عـــدة كلمـــات وناولـــها لـــي، فوجـــدت انـــه كتب: "مثلما ترى اتفقنا على مسار سري، والكادر الرفيـــع هـــو للتغطيـــة".

PALESTINE LIBERATION ORGANIZATION
Palestinian National Authority
Office of the President



منظمة التحرير الفلسطينية
السلطة الوطنية الفلسطينية
مكتب الرئيس

الرقم ــــــــ
التاريخ ــــــــ

٣

مثلما ترى وافقنا على مسار مصري والكادر الرفيع هو مجرد تغطية

كانت تلك استهلالة اكثر المراحل تعقيدا في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين. فقد كنا نرمي للتوصل إلى اتفاق لتطبيق اتفاقية المبادئ في أوسلو على الضفة الغربية. وكان مغزى هذه الاتفاقية المرحلية واضحا لنا جميعا ، والذي يعني: تحديد مصير اكثر المناطق موضع الخلاف بين إسرائيل والفلسطينيين، أضف إلى ذلك أننا كنا سنخوض اكثر مشاحنات الجدل مرارة في تاريخ الحركة الصهيونية، ذلك الجدل الدائر بين الصهيونية الإصلاحية، وحزب العمل. ففي حين أصرت الأولى على التمسك الكامل بأرض آبائنا التاريخية على أسس أيديولوجية دينية وطنية، فان الحركة الثانية عارضت السيطرة على مليوني فلسطيني بما تعكسه هذه السيطرة من آثار مدمرة على المجتمع الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن كل حركة من الحركتين كانت تشعر أن الحركة الأخرى تعرض وجود إسرائيل وحياة سكانها للخطر.

كان يجب على المفاوضات أن تقدم ردودا شافية للقضايا التالية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني:

* مدى المسئولية الفلسطينية عن الأمن – على أرضية تجربة غزة واريحا–.

*المدن والمناطق التي ستنفذ فيها إسرائيل إعادة الانتشار في المرحلة الأولى من اجل إتاحة فرصة إجراء الانتخابات الحرة والديموقراطية لمجلس السلطة الفلسطينية.

*الإجراءات الخاصة بانتخابات المجلس الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة، والصلاحيات ومجالات المسؤولين لهذا المجلس.

*نقل الصلاحيات المدينة إلى المجلس الفلسطيني،مع إبقاء صلاحيات جزئية معينة بأيدي إسرائيل، كالصلاحيات الخاصة بالبنى التحتية ذات الاستخدام المشترك – المياه– الطرق، الكهرباء وغير ذلك.

*الوضع القضائي للسلطة الفلسطينية وعلاقتها مع إسرائيل.

*إعادة الانتشار، والعمل بصورة تدريجية في المستقبل، والتي ستتيح الفرصة لانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى أماكن أمنية محددة، المستوطنات- والتي ستبقى على ما هي عليه الان".

* العلامات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، والتعاون في المجالات الأخرى.

وبناء على إعلان المبادئ، فقد تم التأكيد على الشروع في مفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٦ حول التسوية الدائمة، والتي ستسلط الأضواء على قضايا كالقدس والمستوطنات واللاجئين والحدود والمناطق الأمنية، وهذا القسم من المفاوضات سيقود إلى اتفاقية ومصالحة تاريخية بين الشعبين حتى الرابع من أيار ١٩٩٩.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، حجم التحديات على ارض الواقع، فان مفاوضات التسوية المرحلية قد تستمر سنوات. ومن الجدير بالذكر، أن الكثيرين أعربوا عن اعتقادهم انه حتى لو تم ذلك، فلن يكون بالإمكان التوصل إلى اتفاق. فقد زعم نقيض البديهيات (ميرون بنبنستي)، أن المستوطنات في الضفة الغربية خلقت وضعا سياسيا غير قابل للتغيير. واقترحت جهات أخرى حلولا سريعة والتي تراوحت بين (الفصل) الفوري- وفقا لاقتراح وزير الشرطة موشيه شاحل- وبين القفز عن التسوية المرحلية، والشروع فورا بالتفاوض حول التسوية الدائمة- مثلما اقترح يوسي بيلين .

اعتقد أبو علاء وأنا، أن المحادثات المبكرة بيننا ستكون حرجة، وان اتفاقنا على العبر التي يجب استقاؤها من اتفاقية غزة واريحا وعلى اتجاه مناسب بشأن الضفة الغربية، هو وحده الكفيل بخلق الفرصة للتوصل إلى اتفاقية تسوية مرحلية في غضون هامش زمني معقول.

وعلى غرار ما كان الوضع في أوسلو، مكنا لأنفسنا، هذه المرة أيضا البداية: أن الالتزام بالشراكة الحقيقية هو الذي سيمكننا من العمل بفعالية وجدوى.

وأدركنا أيضا، أن أي محاولة للقيام منـــذ البدايـــة بمعالجـــة قضايـــا شـــديدة الحساســـية مثل إعادة الانتشار والسيطرة على المياه، ستوصلنا إلى طريـــق مغلـــق خطـــر.

واتفقنا علـــى أن أي نقـــاش فـــي القضايـــا ذات العلاقـــة بالتســـوية الدائمـــة، كالقدس والمستوطنات وما شابه ذلك هو دلالـــة علـــى الكارثـــة المؤكـــدة القادمـــة. لقـــد كنا ندرك بوضوح تام حجم التحديات التي وجدنا أنفســـنا فـــي خضمـــها.

وإذا ما نجحنا في مهمتنا، فســـوف تبـــدأ مســـيرة تتســـم بـــالتحرير التدريجـــي للجماهير الفلسطينية من السيطرة الإســـرائيلية، ويتـــم إنجـــاز الفرصـــة الحقيقيـــة لامـــن إسرائيل، وسيتم دفع المسيرة السلمية في المنطقة كلـــها إلـــى الأمـــام.

أما إذا فشلنا، فان مســـيرة الســـلام بيـــن إســـرائيل والفلســـطينيين- وإمكانيـــة توسيعها بحيث تشـــمل المنطقـــة كلـــها- ســـتنهار. لقـــد منحتنـــا المصلحـــة المشـــتركة العميقة، والتجربة المتراكمة لدينا، أملا بان بالإمكان حقا الوصـــول إلـــى اتفـــاق.

كانت السرية التامة هي أحد الشروط الأساســـية للنجـــاح وكـــان طـــاقم أوســـلو يجيد الحفاظ عليها. وكنا في حاجة إلى مسار علني كـــي نبعـــد الأنظـــار عـــن مســـارنا السري، والدفاع عن مسارنا الســـري.

وقررنا أن يكون المسار العلني فـــي القـــاهرة بيـــن يـــوآل زينجـــر وصـــائب عريقات حول الانتخابات وبين العميد جـــادي زوهـــر – وبعـــده اللـــواء اورن شـــاحور منسق أعمال الحكومة في الضفة والقطاع، والذي حل محـــل اللـــواء دانـــي رونتشـــيلد- وجميل الطريفي بشأن نقل الصلاحيـــات المدنيـــة.

كان يجب أن تتمحـــور المحادثـــات الســـرية حـــول القضايـــا الأمنيـــة. ومنـــذ اللحظة التي سنتوصل فيها إلى اتفاقيات على هـــذا الصعيـــد ســـيصبح بمقدورنـــا الســـير باتجاه مفاوضات مفتوحة وتتناول قضايـــا اكـــثر.

كان الحفاظ على السرية اصعـــب بكثـــير ممـــا كـــان عليـــه إبـــان محادثـــات أوسلو، فقد كانت وسائل الإعـــلام تـــدري أن المســـيرة بـــدأت، وبذلـــت محـــاولات لا تكل، لمعرفة ما إذا كانت المحادثـــات العلنيـــة فـــي القـــاهرة تخفـــي خلفـــها محادثـــات

سرية في مكان ما؟؟ أضف إلى ذلك أن عـدد المشـاركين هـذه المـرة، فـي الإعـداد والتحضير والتفاوض كان اكبر بكثير مما كان عليه في عـهد اتفاقيـات أوسـلو.

عثر موظفو مكتبي، وسـكرتيرتي النشـطة سـتيلا شـو سـتك علـى مكـان مناسب لحوارنا، في فندق (يميت) الواقع علـى (كورنيـش) تـل أبيـب - رغـم أننـا تنقلنا بين العديد من الفنادق الأخـرى - كفنـدق الملـك داود، وهيـات، وموريـه فـي القدس.

أعلمت ستيلا مسئولي الفندق، أنها ستسـتضيف بيـن الفينـة والأخـرى فـي الفنـدق، رجال أعمال من البحرين، وان عليهم الحفاظ على ذلـك سـرا. وكـانت سـتيلا تـأتي قبل أي لقاء بساعتين إلى الفندق، وتعمل بالتعاون مـع الرائـد عـبري رئيـس مكتـب عوزي ديان، على تحويل الغرفة إلـى غرفـة جلسـات. وحـال اقـتراب الفلسـطينيين من الفندق، كانوا يعمدون إلى اسـتدعاء سـائقي عوديـد عنـابيم، كـي يقودهـم إلـى الباب الخلفي والذي كان بالإمكـان الوصـول منـه مباشـرة إلـى الغـرف المناسـبة، حيث نكون بانتظارهم في أعقاب اللقاءات التحضيرية التـي كنـا نجريـها مسـبقا مـع رئيس الحكومة رابين ووزير الخارجية بيرس. ثم كنـا ننتقـل إلـى غرفـة الجلسـات: أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى وحسـن عصفـور، وحسـن أبـو لبـدة - وهـو شـاب لامع، كان يترأس مكتب الإحصـاءات الفلسـطيني، واللـواء عـوزي ديـان والعميـد جادي زوهر، ويؤآل زينجر وأنا. وكانت جلساتنا تطـول حتـى تغطـي احيانـا نهايـة الأسبوع كلـه.

بدأ المسار السري بالعمل في الرابع مـن كـانون الثـاني ١٩٩٥، ولـم تعلـم وسائل الصحف أي شيء عنه طيلة اشهر. وفي نهاية كـل جولـة حـوار، كنـت اسـلم بيرس ورابين تقريرا مكتوبا، حيث استخدماه كأساس للتشـاور التـالي مـع المجموعـة المؤلفة من رئيس الأركان امنون شاحك ورئيـس شـعبة الاسـتخبارات اوري سـاجي، ورئيس جهاز الأمن العام كرمي جيلـون، وسـكرتير رابيـن العسـكري اللـواء دانـي يتوم، وطاقم المفاوضات. ومن الجديـر بـالذكر أن رابيـن كـان يسـمي هـذا الطـاقم

باسم (طاقم سبير) وقد انضم إليه فيما بعد، مستشاره رئيس الحكومة للشئون القضائية، عليزة جورن.

وفي نفس الوقت كان اللواء عوزي ديان يستخدم طاقما أمنيا كبيرا، ويوآل زينجر عمل مع مستشارين قضائيين للعديد من الوزارات الحكومية، وقام زوهر - وبعده شاحور - بعقد جلسات لإعداد عمل الطاقم توطئة لنقل الصلاحيات المدنية إلى الفلسطينيين وكانت لجنة التوجيه تلتقي مرتين أسبوعيا في وزارة الخارجية أو في مكتب عوزي ديان. بيد أن الشخصين الوحيدين اللذين كانا يتخذان القرارات الحاسمة، هما رابين وبيرس، وتمكنا بمرور الزمن، من تطوير شراكة رائعة ومفاجئة.

وكانت هناك لجنة وزارية أيضا ذات علاقة بالمفاوضات، مؤلفة من موشيه شاحك ويوسي سريد - وفيما بعد،اهود براك، حينما تم ضمه إلى الحكومة. كان نظراؤنا الفلسطينيون يكتفون بالتشاور مع أنفسهم، ومع ياسر عرفات، وكان أبو علاء يتوجه إلى تونس، كل عدة أسابيع، لإعلام أبو مازن بما يجري.

<u>العبر الأمنية لاتفاقية غزة - أريحا:</u>

خصصت الجلسات الأولى في فندق (يميت) لاستعراض العبر الأمنية التي تم استقاؤها من تجربة غزة - أريحا. وقد طرح عوزي ديان النتائج التي خلصت إليها بوضوح وحده على النحو التالي: "انتم تفتقرون إلى سياسة أمن منطقية ومترابطة، انتم تعالجون قضايا محاربة الإرهاب على أسس فردية، ولا توجد لديكم بهذا الصدد سياسة شاملة، مثلما ينص عليه لاتفاق. وإذا لم يطرأ تغيير فوري على الوضع الساري في غزة، فإنني- وبوصفي مسئولا عن معالجة القضايا الأمنية- لا أستطيع أن انصح رابين بالشروع في مفاوضات مفصلة حول التسوية المرحلية، أو ببساطة يستحيل أن نسمح بان يكون الأمن في الضفة الغربية مهلهلا.

ويجب عليكم أن تثبتوا تحسنا كبيرا جدا على صعيد السياسة والإصرار والفعالية، فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب، أنا لست سياسيا، لذا، فإنني أتحدث إليكم من وجهة نظر عسكرية بحتة، بيد أنني أؤكد لكم أن الكادر السياسي لدينا، يأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العسكرية ويولي توصياتنا أهمية كبيرة جدا.

واضاف عوزي ديان: كما يجب أن نتطرق إلى الجماهير الإسرائيلية التي ستطرح على رئيس الأركان سؤالا بسيطا: "هل ستوفر لنا التسوية الجديدة الأمن أم لا؟؟".

رد أبو علاء على إجمال ديان بالقول: "أوافقك الرأي فيما يتعلق بأهمية القضية الأمنية، وهي شديدة الأهمية، أيضا بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهودا كبيرة على صعيدها ونحرز نجاحات لا تستطيعون إحراز اكثر منها. وأنا اعتقد أن علينا أن نطور سياسات اكثر شمولية، بيد انه يجب عليكم أن تدركوا، أنكم حولتم الحكم الذاتي إلى معتقل، وتحولتم من محتلين إلى حراس سجون تراقبون تحركاتنا. وهذا الوضع يضعف السلطة الفلسطينية وقدرتها على معالجة الفلسطينيين الذين يحرزون فوائد من الأزمتين الشخصية والاقتصادية للجماهير. هناك خيبة أمل كبيرة في جانبنا أيضا من الاتفاقية، ويجب أن نرى لجماهيرنا بصيصا من الأمل. ولسنا هنا بصدد التحدث عن أسلوب (خذ وهات)، بل عن ميزان علاقات جديدة انتم فيه الأقوى".

رد عوزي ديان على ذلك بالقول: "لا توجد لدينا أي نية في تنغيص حياتكم، بيد انه إذا ما رغبتم في إحداث تغيير في طبيعة علاقتنا معكم، يجب عليكم اتخاذ خطوات حاسمة: أولا يجب أن توضحوا أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الوحيدة التي تتمتع بالصلاحيات العسكرية، وثانيا يجب أن تصادروا جميع الأسلحة غير المرخصة وثالثا: من واجبكم وقف عمليات التحريض على العنف وهناك أهمية أيضا للعامل النفسي والإعلامي، كما يجب عليكم أن تستنكروا تماما لعمليات قتل الإسرائيليين".

قال أبو علاء محتجا: "نحن نفعل ذلك، فغالبية الجماهير الفلسطينية – وليس حسب رأيي، بل أيضا حسبما تفيد استطلاعات الرأي العام – تعارض العنف، ولا شك أن هذا التغيير هو كبير جدا. لقد كانت أعمال قتل الإسرائيليين – بسبب الاحتلال– أعمال بطولية مشروعه، بيد انه يجب على الجماهير، أن تؤمن بمصداقية نواياكم وإذا ما رأوا المسيرة السلمية وقد آلت إلى طريق مسدود، ورأوا أنفسهم يعانون من البطالة فمما لا شك فيه أن هذا الوضع سيسهم في قتل حوافزهم، لان هذين العاملين يسيران جنبا إلى جنب. وانتم لم تحترموا الكثير من البنود في اتفاقية غزة واريحا مثل فتح ممر آمن بين غزة واريحا".

وهكذا، تواصل الجدل، لقد كان لدى الطرفين مصالح مشتركة ومتناقضة أيضا وقد آن الأوان لتشريح أخطائنا وهي المهمة التي يبدو أنها لم تكن سهلة. بيد أن حقيقة التطرق إلى هذه الأخطاء بصورة مشتركة، إعادتنا إلى روحية أوسلو، والى الشراكة في حل المشاكل.

وفي إحدى اللقاءات السرية، فتح عوزي ديان خارطة رام الله، محاولا أن يؤكد مدى تعقيد الوضع الأمني في الضفة الغربية، وقد أكدت رام الله ما اراد التأكيد عليه، واستهل حديثه قائلا:

دعونا نطبق الوضع السائد في غزة حاليا على رام الله بصورة نظرية في أعقاب الانسحاب. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الخطوات التي تتخذونها حاليا ضد الإرهاب واذا ما انسحبنا من رام الله والواقعة على بعد عدة دقائق سفر من القدس، فلا اعتقد أن هناك أي فرص في صد تيار الإرهاب، الذي سيتدفق من هذه المدينة. فغزة محاطة بسياج، وليس كالضفة الغربية، إن انطلاق إرهاب مجنون من مكان مثل رام الله سيؤدي إلى تدمير الاتفاق فورا. واشار عوزي بعد ذلك، إلى المستوطنات، والتي تطل إحداها على المدينة مباشرة، وتحدث عن الاحتكاكات المعقدة، التي تندلع عندما يسكن شعبان مختلفان بصورة متقاربة إلى هذا الحد في منطقة واحدة: كانت فكرة إخراج جنودنا من رام الله بالنسبة لإسرائيل تبدو مستحيلة.

بدأ أبو علاء من جانبه يرسم على ظهر ورقة من أوراق وزارة الخارجية الإسرائيلية، خارطة تقسيم المسئوليات في المنطقة، في محاولة لإثبات أن بالإمكان السيطرة على الوضع على ارض الواقع.

وفي إحدى الجلسات أوضح عبد الرازق اليحيى النظرية الأمنية الفلسطينية، فقال: "لقد أثبتت نظريتكم الأمنية فشلا وليس نظريتنا نحن، وانتم ترغبون في فرض نظريتكم الأمنية علينا من خلال رؤية ضيقة لمغزى الأمن، بيد انه يتوجب عليكم أن تدركوا أن الحل يكمن في تغيير الأجواء النفسية، وإذا ما أرغمتمونا على عمل شيء ما، فان عرفات لن يكون قادرا على الصمود فيه طويلا. وإذا ما عينتم أنفسكم قضاة لتحديد ما هو صحيح أو غير صحيح ستدمرون النوايا الحسنة القائمة بيننا وبين شعبنا ان الطريق المؤدي إلى إحداث تغيير راديكالي في الأجواء بصورة تخدم في نهاية المطاف، الطرفين، يتمثل في خلق شراكة أمنية".



٩- مايا سبير ومنى قريع – ابنة أبو علاء – في حفل زفاف مايا / كانون الثاني ١٩٩٨.

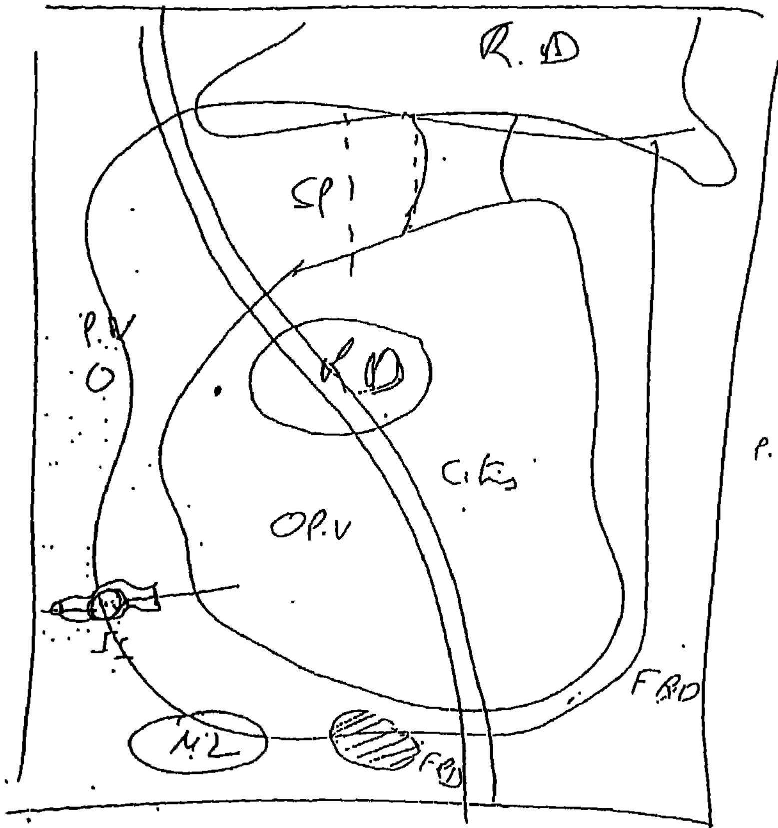


CONFERENCE OF HEADS OF MINISTRIES FOR FOREIGN AFFAIRS

DIPLOMACY IN TRANSITION

Jerusalem, Israel, 29-31 March 1995

Notes



رسم كاريكاتوري لتوزيع الصلاحيات الأمنية، رسمه أبو علاء على ورقة

وزارة الخارجية الاسرائيلية خلال مفاوضات ياميت/شباط ١٩٩٥

وفاجأنا هذا الجنرال المحنك بالقول : أننا نقترح تشكيل قوة شرطة إسرائيلية – فلسطينية مشتركة للقيام بأعمال الدورية في الضفة الغربية، ولا شك أن جهدا مشتركا من هذا القبيل، سيسهم في إحداث تحول كبير في المفاهيم وسيؤدي إلى هدوء في المنطقة".

عقب أبو علاء قائلا :"نعم، التعاون هو مفتاح النجاح. بيد أنكم لا زلتم تتصرفون وكأنكم أسيادنا، ويخيل الي أن كثيرا من جنودكم لا يدركون طبيعة الشراكة المنبثقة من الاتفاقية ففي كل مرة، يجب أن نجتاز أحد حواجز جيشكم وهي كثيرة فان جنودكم هنا يمسون بكرامتنا مسا خطيرا، عندما يضطروننا للانتظار ساعات طويلة، أو بإلقاء بطاقات هوياتنا على الأرض، كي نركع أمامهم علنا. وأنا لا ابدي تذمرا تجاهكم انتم، فنحن نجلس هنا متساويين، بيد أن جنودكم يتعاملون خارج هذه الغرفة وكأن شيئا لم يتغير. إن غالبيتنا يصلون إلى هذه المقابلات بعد أن يكون الجنود الإسرائيليون قد أهانوهم بصورة أو أخرى، نحن أناس ذوو مكانة في مجتمعنا، وحتى نحن نحمل بطاقات "شخصية مهمة"، يقوم جنودكم بإهانتنا أمام العديد من الفلسطينيين الآخرين، فكيف سيكون الامر حينما يتعلق بفلسطيني عادي؟؟".

رددت على ذلك قائلا : أوافقك الرأي على ضرورة أن نأمر جنودنا بالتعامل بصورة مناسبة، بيد أن علي أن أؤكد أن هذا الوضع ناجم عن أسباب أمنية، فجنودنا شديدو التوتر دائما خشية أن يمر أمامهم فلسطيني يحمل قنبلة".

– أبو علاء: "أنا أدرك أن التغيير يتطلب زمنا، ولربما نستطيع الصبر على الإهانات، لكن كيف يمكن أن نفسر الطريق المسدود الذي آلت إليه المفاوضات السلمية؟؟".

–عوزي ديان: "كي يمكن فتح هذا الطريق عليكم أن تبرهنوا لنا أنكم غيرتم توجهاتكم على الصعيد الأمني في غزة".

إضافة إلى الحوارات التي كنا نجريها في فندق يميت، كنت أنا وأبو علاء نعقد العديد من الجلسات المنفردة في محاولة لإعداد النظرية الأساسية

للتسوية المرحلية. وقد تمحورت النقاشات التي جرت في واشنطن والقدس وتل أبيب، حول الأمور التي يجب أن ننجزها معا، وبالتالي، كانت كلمة السر هي "التعاون". وقد أكد أبو علاء، أن هذا العامل الحيوي للغاية، والذي برز بصورة واضحة جدا في إعلان المبادئ، ثم تمييعه في اتفاقية غزة أريحا. وهكذا حاولنا بناء منظومة اكثر شمولية من التعاون في إطار العلاقات الأمنية والاقتصادية، والمدنية المستقبلية، واتفقنا على أن تكون هذه المنظومة بمثابة البنية التحتية لجوهر الاتفاقية المرحلية ولتجسيدها.

قال لي أبو علاء في إحدى اللقاءات الليلية التي عقدناها في واشنطن في تلك المرحلة: "سنوافق على التأقلم مع مطالبكم الأمنية، بيد انه سيتوجب عليكم إقناعنا بان قضيتكم هي حقا قضية أمنية، إن ما يهمنا هو أن تتركوا بين أيدينا غالبية السيطرة، مثلما هو وارد في إعلان المبادئ مما يعني أن تسلمونا غالبية الصلاحيات في الضفة الغربية. وإذا ما جرى الامر على هذا النحو، فلن نعارض التسويات الأمنية. فالأرض هي القضية المهمة بالنسبة لنا، وانتشار المستوطنات يرمي لسد الخيارات في وجوهنا نحو المستقبل، وهو ما لن نوافق عليه بأي حال من الأحوال. لقد قامت مفاوضات أوسلو على قرار حكومتكم بتجميد المستوطنات، وإذا لم تحترموا هذا الجانب، ولم تتفهموه فلن يكون هناك أي اتفاق في المستقبل".

قلت له: إذا أردت أن تعرف ما يحدث في المستوطنات، فيكفي أن تصغي لتصريحات المستوطنين، الذين وصفوا -ولهم الحق من وجهة نظرهم- كأعدائهم الأيديولوجيين، أما فيما يتعلق بالتعاون بين السيطرة والأمن، فان الامر مفتوح للنقاش.

وقد انتهزت هذه الفرصة كي أوضح لأبو علاء أنني وعوزي ديان وبيرس ورابين متفقون في الرأي تماما على الصعيد الأمني.

ومن الجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا يعتقدون أن الكلمة الأخيرة في المفاوضات معهم هي للجيش. والحقيقة هي أننا لم نكن لنتقدم دون تدخل الجيش

وباقي الأجهزة الأمنية، والتـي كـانت ذات تـأثير كبـير جـدا. بيـد أن الضبـاط لـم يتدخلوا ولو مرة واحدة طيلة المسيرة، في اتخـاذ القـرارات السياسـية.

كانت اللقاءات بين يوآل زينجر وصـائب عريقـات فـي القـاهرة، والمتعلقـة بالإجراءات الانتخابية تدور على نار هادئة. وقد أوصـى زينجـر فـي مرحلـة معينـة بان يتم إجراء هذه المحادثات أيضـا فـي مكـان قريـب كتـل أبيـب مثـلا. وكـان عريقات نفسه يستعين خلال هذه المفاوضـات بموظفيـن تـابعين للاتحـاد الأوروبـي، والذين وافقوا على مد يد المساعدة فـي إعـداد الفلسـطينيين للانتخابـات. وفـي نهايـة آذار تمكن عريقات وزينجر من صياغة مسودة رائعـة، تقلصـت الخلافـات فيـها بيـن الطرفين إلى الدرجة التي اقتصـرت فيـها فقـط علـى إدارة عمليـة التصويـت فـي القدس الشـرقية.

كـان الكثـير مـن الإسـرائيليين يتعـاملون باسـتخفاف مـع الانتخابـات الفلسطينية، وقد تبدى هذا الوضع حتـى خـلال النقاشـات التـي جـرت فـي مكتـب رابين، والذي أعرب عن اعتقاده بان ليس مـن مـهمتنا أن نفـرض علـى الفلسـطينيين صورة ديموقراطية كصيغة (جفرسون). بيـد أن يـوآل زينجـر، والـذي قـدم تقـارير حول الخلافات القائمة فـي أوسـاط الزعامـة الفلسـطينية حـول التعدديـة السياسـية، أقنعنا بالتعامل مع الانتخابات بجديـة.

وفي الوقـت الـذي كـان فيـه الكثـير مـن الفلسـطينيين يتـابعون النمـط الإسرائيلي، رغب البعض الآخر في الإبقاء علـى الصيغـة المركزيـة.

إن لقاءات القمة التي جرت منـذ هـذا الوقـت ومـا تـلاه بوتـيرة سـريعة ومكثفة، أصبحت إحدى أهم فصـول المحادثـات، فقـد اجتمـع رابيـن وبـيرس مـع عرفات على انفراد، مرات عديدة، خـلال شـتاء ٩٤-١٩٩٥، وكـانت هـذه اللقـاءات ترمي لإقناع عرفات باستحالة التوصل إلى اتفاقيـة التسـوية المرحليـة، إذا لـم تحسـن السلطة الفلسطينية أداءها وأداء قوات أمنها، على صعيـد مكافحـة الإرهـاب".

وفي إطار هذه اللقاءات العلنيـة، انضـم إلـى المفاوضـات مبعـوث سـري، كان يتنقل بين عرفات ورابين، وكان رابين قـد طلـب مـن يوسـي جينوسـار – أحـد

كبار مسئولي جهاز الأمن العام، في مطلـــع عـــام ١٩٩٤، أن يعمـــل كمبعـــوث ســـري بينه وبين عرفات، وكانت الرســـائل التـــي يحملـــها جينوســـار، تتعلـــق بقضايـــا أمنيـــة محددة : تحذيرات، مطالب واقتراحات تعاون بيـــن الأطـــراف. وكـــان جينوســـار علـــى اتصال مع الأجهزة الأمنية، عبر السكرتير العسكري لرئيـــس الحكومـــة، اللـــواء دانـــي يتوم، وقد ضم إليه في بعض الاحيان بعض مســـئولي هـــذه الأجـــهزة.

أدت مكوكيـــة جينوســـار آنفـــة الذكـــر، إلـــى ولادة عـــامل مفيـــد للغايـــــة. فالاستلطاف بين عرفات ورابيـــن لـــم يكـــن كبـــيرا، بيـــد أن جينوســـار قـــام بترجمـــة شخصية كل واحد منهما للآخر، مما أدى إلى نمو تفـــاهم افضـــل بينـــهما.

ونجح جينوسار في بناء صـــورة واضحـــة للمشـــاكل الداخليـــة التـــي تواجـــه كلا من الطرفين، وساعد بذلك في بنـــاء نـــوع معيـــن مـــن الثقـــة التدريجيـــة بينـــهما. وهكذا بدأ عرفات في اتخاذ خطوات تؤدي إلى تعزيـــز الثقـــة بيـــن الطرفيـــن، وعلـــى رأسها اعتقال المشـــبوهين.

لم تكن لقاءات بيرس مع عرفات لطيفـــة، بيـــد أن بـــيرس كـــان قـــادرا علـــى موازنة نضاله مـــن اجـــل المواقـــف الإســـرائيلية مـــع التقديـــر العميـــق للاحتياجـــات الفلســـطينية.

وتعتبر أهم القرارات التـــي اتخذهـــا بـــيرس وعرفـــات هـــي تلـــك القـــرارات التي تم اتخاذها في تلك الأشهر . فمنذ اللحظة التـــي اقتنـــع فيـــها بـــيرس أن بالإمكـــان إنجاز تسوية مرحلية كاملة، تحول إلى القـــوة المحركـــة والدافعـــة للمســـيرة السياســـية. لقد كان مطلعا علـــى أدق تفـــاصيل مفاوضـــات "يميـــت"، وقضـــى وقتـــا طويـــلا فـــي التحاور والتنسيق مع رابين على انفراد، واجتمـــع فـــي بعـــض الاحيـــان مـــع عرفـــات بغية اتخاذ القرارات التي أصبحت بمثابة نقطة تحـــول فـــي المســـيرة السياســـية. وقـــد تم دق أحد الحجارة الأساسية في التاســـع مـــن آذار ١٩٩٥، أي بعـــد أســـبوع ونصـــف الأسبوع. من انتهاء لقـــاءات جـــس النبـــض فـــي فنـــدق يُميـــت. لقـــد أجملـــت تلـــك المحادثات في رسالة شخصية لبيرس، وضمنـــت تلـــك الرســـالة اقتراحـــا لعقـــد صفقـــة شاملة تنص على : انه إذا ما انتهج الفلسطينيون حقـــا سياســـة أمنيـــة شـــاملة، وابـــدوا

إصرارهم على محاربة الإرهاب، فسوف نكــون علــى اســتعداد لتشــريع المفاوضـــات بغية استكمالها حتى الأول من تمــوز ١٩٩٥. والاتفــاق ســيتطلب تعاونـــا فـــي جميــع المجالات – على أن يتصدر الأمن هذه المجالات- ويتـــم تطبيقـــه تدريجيـــا.

وتحدثت في اقـــتراحي أيضـــا، عـــن إعـــادة الانتشـــار للقـــوات الإســـرائيلية خارج مدن الضفة الغربيـــة – المنـــاطق المكتظـــة بالســكان- وعـــن تســـويات أمنيـــة خاصة يتم تجسيدها في الخليل كمرحلة أولـــى علـــى صعيـــد تســـليم المنـــاطق للســـلطة الفلسطينية. وأضفت إلى اقتراحي استمرارا لـــــهذا المســـار: يـــأتي دور إعـــادة انتشـــار آخر إضافي في المناطق غير المأهولـــــة. والتـــي ســـتنفذ علـــى مراحـــل علـــى مـــدى سنتين – نصف مرحلة التسوية المرحلية، بما يتـــلاءم واحتياجـــات إســـرائيل الأمنيـــة.

كان اللقاء الذي أجراه بيرس مع عرفات فـــي التاســـع مـــن آذار جيـــدا، وقـــام على أساس نتائج جميع مناحي محادثات يميت. وفـــي أعقـــاب انتـــهاء هـــذه المحادثـــات أعلن عرفات عن سياســـة الســـلطة الفلســـطينية الأمنيـــة الشـــاملة. وقـــد تضمـــن هـــذا الإعلان: أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الأمنيـــة الوحيـــدة ذات الصلاحيـــات للعمـــل فـــي المنـــاطق، ولتحديـــد السياســـات المنهجيـــة لإحبـــاط الإرهـــاب وصـــور العنـــف الأخرى. ويحظر علـــى المواطنيـــن الفلســـطينيين حمـــل الأســـلحة دون تصريـــح مـــن السلطة الفلسطينية، و الالتزام بتعزيز التعـــاون الأمنـــي مـــع إســـرائيل. أعلـــن بـــيرس بهذه المناسبة عن أن الطرفين سيبذلان قصـــارى جـــهدهما مـــن اجـــل التوصـــل إلـــى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية فـــي الأول مـــن تمـــوز ١٩٩٥.

ومن الجدير بالذكر، أن اسحق رابين صادق علـــى هـــذا التـــاريخ، بعـــد تـــردد لبعض الوقت على الرغم من انه لم يكف عن تـــرداد مقولتـــه بأنـــه لا توجـــد تواريـــخ مقدسـة.

وأنا في حقيقة الامر أؤيد تحديـــد تـــاريخ هـــدف، لان تحديـــد التـــاريخ يجعـــل الطرفين يتجاوزان الجدل الذي لا ضرورة له، ويتجـــهان مباشـــرة إلـــى الـــهدف، علـــى أمل إنجاز الاتفاق في التاريخ المحـــــدد.

لقد دفع اللقاء- في التاسع من آذار- المفاوضات من مرحلة الحوارات المبدئية إلى المرحلة البراغماتية، وفي نهاية هذا اللقاء، طرح عرفات مطالبه الثلاثة التي تظهر في كل لقاء، دون أن تحظى برد يريح باله: إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، إزالة الإغلاق عن غزة والضفة الغربية، والتجميد التام للبناء في المستوطنات.

كانت كل نقطة من هذه النقاط شديدة الأهمية للجماهير الفلسطينية، بيد أننا لم نتعامل معها بجدية، نظرا لأننا اعتبرنا توقيع اتفاقية التسوية المرحلية، بمثابة انفراج تاريخي، ولهذا السبب ركزنا جهودنا على المفاوضات في الكثير من الاحيان اكثر مما ركزنا هذه الجهود في معالجة قضايا الواقع. بل لقد أبدينا إستخفافا، إلى حد ما، بمطالب الفلسطينيين على هذا الصعيد. وحينما انظر إلى الوراء الان، أدرك أننا أخطأنا، لان حلنا لهذه المشاكل، في حينه، كان سيؤدي إلى خلق نوايا حسنة بصورة افضل، مما سيساعدنا في مناقشة جوانب أخرى، وفي شبكة العلاقات مع الفلسطينيين بصورة عامة.

__تقسيم الضفة الغربية إلى مناطق:__

تمحورت لقاءاتنا في الأشهر التالية حول قضيتين رئيسيتين :

* المتابعة الشاملة لتنفيذ السياسات الأمنية التي أعلنها عرفات في التاسع من آذار.

*دراسة المبادئ القائمة خلف التسوية الأمنية، والتي سيتم تطبيقها في الضفة الغربية مستقبليا.

وفي السادس عشر من نيسان – وعندما تأكدنا من أن هناك تقدما على صعيد تنفيذ السلطة الفلسطينية لالتزاماتها الأمنية- طرح عوزي ديان موقفنا الأمني الأساسي وفقا للفروق القائمة بين الضفة الغربية وقطاع غزة سواء ما كان منها على ارض الواقع، أو في اتفاقية إعلان المبادئ.

وقد تمت الإشارة، في هذه النظرة، إلى النقل التدريجي للصلاحيات في مجال الأمن الداخلي للسلطة الفلسطينية، ومواصلة سيطرة إسرائيل على المناحي التالية:

* الأمن الخارجي – بما فيه نهر الأردن.

*المستوطنات ، والمستوطنات المحيطة بها، والطرقات التي تستخدمها لحركة الإسرائيليين، بما فيها الطرق الالتفافية التي تم شقها لاستخدام المستوطنين.

* الدفاع عن إسرائيل على طول الخط الأخضر.

كان يفترض أن ينتشر الجيش الإسرائيلي على مراحل خارج جميع المناطق المحتلة باستثناء مناطق ذات أهمية أمنية، وإسرائيل هي التي ستقرر مساحة هذه المناطق.

وكان يفترض، أن يتم تنفيذ المرحلة الأولى من الانسحاب –الانسحاب خارج المناطق المأهولة بالسكان – عشية الانتخابات الفلسطينية وكان من المتوقع أن تتم انسحابات أخرى فيما بعد.

طرح الفلسطينيون نظرية أمنية مختلفة تماما. وقام عبد الرزاق اليحيى بوصفها في التاسع عشر من أيار في نقاش آخر جرى في تل أبيب. وقد استهل طرحه بالقول: "اسمحوا لي أن أقول: إن نظريتكم الأمنية تفتقر إلى المعيار السياسي. فالأمن سيتحقق مع التحسن الذي سيطرأ في العلاقات بين الطرفين. والنظرية التي طرحتموها، توفر لكم حقا بسيطرة اكبر على المناطق، بيد أنها ستؤدي إلى هز العلاقات، مما سيؤدي بالنتيجة النهائية إلى الانتقاص من الأمن.

"ونحن نقترح تقسيم المناطق إلى ثلاثة أنواع من المناطق: إحداها تقع تحت سيطرتنا، والثانية تقع تحت سيطرتكم – مثلما جاء في اتفاقية إعلان المبادئ–، والثالثة– واسعة–والتي ستوضع تحت إدارة قوة أمنية مشتركة .

ونحن نصر على حرية الحركة للفلسطينيين على الطرقات وإذا كان عليهم التنقل بين حاجز لآخر، فسوف تقومون بإهانتهم وإذلالهم، وتسميم الأجواء".

ويجب عليكم أن تتذكروا، أن نوعية الحياة اليومية للمواطنين هي التي ستحدد كل شيء؟؟

بدا عوزي ديان شديد الضيق من التهمة التي وجهت إلى إسرائيل بأنها تسمم الأجواء، لذا رد قائلا: "نحن لا نبدأ من الصفر، إن طبيعة مسلكيتكم في غزة واريحا، غير مريحة أو مرضية، ولم يطرأ تحسين على هذه المسلكية والتنفيذ الا في الآونة الأخيرة، ونحن تحت وطأة الضغوط التي مارسناها عليكم".

-أبو علاء: "لقد ارتكبنا جميعنا أخطاء، بيد انه يتوجب علينا أن نستقي العبر اللازمة من اجل الاتفاق القادم. وإذا ما قطعتم الضفة الغربية طولا وعرضا، لن يكون هناك أي أمن".

-سبير : "نحن نتحدث عن مسار تدريجي، مثلما أكدنا على ذلك في أوسلو. لقد احتجتم إلى تسعة اشهر من اجل معالجة المشاكل الأمنية في غزة، أما في الضفة الغربية، فسوف يتوجب عليكم السيطرة على الوضع الأمني منذ اليوم الأول. وإذا لم تفعلوا ذلك، فان الاتفاقية ستنهار. لذا، فان الأهمية لا تعزى فقط إلى الاتفاق، بل أيضا لنظرية التنفيذ للاتفاق من وجهة نظر الأطراف".

" وما دمنا قد وصلنا إلى مرحلة إعادة الانتشار وتطبيقه، ربما يكون قد آن الأوان لإجراء نقاش هادئ بعيدا عن هنا".

-أبو علاء: "نحن نؤيد هذا الاقتراح، وسوف نناقش هذه القضية الليلة مع الرئيس عرفات".

كانت هذه النقاشات هي أول النقاشات التي عرفت، فيما بعد، في مجموعتنا باسم " عملية طورينو" : جولتان من المحادثات السرية الشاملة في إيطاليا حول نظرية إعادة الانتشار وحول الملحق الأمني للتسوية المرحلية.

قام الطاقم في باقي الأيام من شهر أيار وحزيران بالتشاور مع رابين وبيرس وكبار رجال الجهاز الأمني، حول تفاصيل موقفنا الأمني، وحول إعادة الانتشار. لقد افتتحت هذه النقاشات -بصورة عامة- باستعراضي العام لوضع

المفاوضـــات، واســتعراض عــوزي ديــان ويــوآل زينجــر واورن شــاحور، حـــول مجالات أعمالـــهم.

هناك احتكاك في كل مفاوضات بيـــن هيئـــة الإشـــراف والطـــاقم المعـــالج للمفاوضـــات على ارض الواقع، والـــــذي يتوجـــب عليـــه أن يتحمـــل صعوبـــات المفاوضـــات مـــع الطرف الآخر. لـــذا، لـــم يكـــن مـــن العجيـــب أن تتســـم النقاشـــات بحـــالات غضـــب وانفعال. ولهذا السبب طورت لدى الطاقم فهما عميقـــا، بـــأن يتفـــاوض حـــول القضايـــا المصيرية للأمن القومي دون خوف من مواجهة المسئولين عنـــــهم، فـــي الوقـــت الـــذي أتاح لنا رابين وبيرس وشاحك فرصة التعبير عن مواقفنـــا وآرائنـــا المختلفـــة.

كان هناك خيط رفيع يفصل بين القضايـــا السياســـية والعســـكرية خـــلال تلـــك الجلسات. لقد كانت أوسلو أساســـا، قـــرارا سياســـيا، بيـــد أن تطبيقـــها تطلـــب حلـــولا أمنية، ووفقا لذلك شجع اسحق رابيـــن -بوجـــود رجـــال الأمـــن – التفكـــير العســـكري حول المصالح الأمنية الإسرائيلية بعيدة المدى، في إطار التقـــدم باتجـــاه حـــل سياســـي.

وفي نهاية كل لقاء، اعتاد بيرس وضعنا واطلاعنـــا علـــى الصـــورة الأوســـع للقضايا المطروحة، ثم كان رابين يقوم بإجمال النقاش بكاملـــه وكثـــيرا ماكـــان الاثنـــان يتطلعان إلى الصورة من نفس الزاوية، ويريـــان نفـــس الأشـــياء، كمـــا أصـــر الاثنـــان على حماية المصالح الإسرائيلية الأساسية، مثلما تراها الجـــهات الأمنيـــة، رغـــم انـــهما كانا يدركان مدى ضرورة تطوير علاقات سياســـية مـــع شـــركائنا الفلســـطينيين. وكانـــا يدركان أيضا، أن الاتفاق الذي سيميل إلى جانب أحـــد الأطـــراف اكـــثر ممـــا ينبغـــي، محكوم عليه بالفشـــل.

واعتاد بيرس أن يدعو لإضافة زائدة وســـخية علـــى الصعيـــد القيمـــي، مثـــل حرية الحركة للفلسطينيين مثلا، أما رابين، فكان يميـــل إلـــى الخـــط البراغمـــاتي، مـــع تقدير قدرة عرفـــات، والقـــوة المطلوبـــة منـــه لقبـــول مطالبنـــا ورغـــم ذلـــك، كـــانت استنتاجاتهم التي يخلصون إليها متماثلة بصورة تامـــــة تقريبـــا.

وفي أوقات الأزمات، كان بيرس هـــو الـــذي يشـــجعنا، ويعـــرب عـــن ثقتـــه التامة في أننا نسير بالاتجاه الصحيح. وكـــان يصـــل إلـــى القـــرارات بســـرعة كبـــيرة

نظرا لانه يرى المفاوضات كمعالجة لمشاكل الماضي، في حين يرى أن التحدي الحقيقي يتمثل في بناء ائتلاف إقليمي لمواجهة أخطار المستقبل وفرصه.

أما رابين، فتمثلت قوته في التفاصيل، وبرؤية التقدم التدريجي، وبعملية القرارات.

إن الشراكة بين الرجلين اللذين يستطيع أولهما رؤية الغابة كلها، في حين يرى الآخر الأشجار، كانت المصدر الأساسي لقوة اتخاذ القرارات المتميزة. وبدا أن هذه الشراكة تتطور تطورا متميزا جدا، إبان الجدل حول التسوية المرحلية. فبينما كان رابين ينحو في بداية المفاوضات، نحو تجاوز بيرس، بل والعمل على إبعاده من الصورة، كلما كان ذلك ممكنا. فقد عمد الاثنان – خلال المفاوضات– إلى إبداء التقدير والاحترام العميق أحدهما للآخر. وكانا يتبادلان المذكرات بينهما، ويلتقيان على انفراد قبل وبعد الجلسات التي نعقدها.

طلبنا – كطاقم – أن يوضح الكادر السياسي الأهداف التي يسعى إليها، وقلت لرابين : "ستجد الأسلوب الذي يوصلنا إلى أهدافنا، بيد أن من الأفضل إعلامنا بطبيعة ونوع التسوية التي تسعى إليها". وقد علمنا شيئا ما عن هذه التسوية خلال الجلسة التي عقدت في حزيران، عندما وضع عوزي ديان على طاولة النقاش الخارطة الأمينة التي أعدها الجيش للتسوية المرحلية. فقد تم تكوين اربع مدن من المدن الفلسطينية السبع في الضفة الغربية، باللون البني، وهي: جنين ونابلس وطولكرم وقلقيلية. كمناطق سيتم تسليمها للسلطة الفلسطينية تسليما كاملا قبل الانتخابات الفلسطينية.

ولونت مدينتا رام الله وبيت لحم أيضا باللون البني على أن يتم إخلاؤها من الجيش فيما بعد، عندما يتم شق الطرق الالتفافية التي ستمكن المستوطنين من التحرك داخلها أو الالتفاف حولها بأمان.

أما مدينة الخليل والتي لونت باللون الأبيض، فقد كانت حالة خاصة، وتم اتخاذ قرار بإبقائها تحت السيطرة الإسرائيلية العسكرية الكاملة.

لقد كانت المدن الست الملونة باللون البني بمثابة جزر صغيرة وسط بحر من المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل. وكان يفترض أن يتم تغيير هذا المنظر بصورة تدريجية، مع بدء إعادة الانتشار القادم، ومع توسع مجال الصلاحيات الفلسطينية.

وفي أعقاب هذا العرض، تطور نقاش جدي شاركت فيه جميع الأطراف. وعندما سأل رابين شاحك عن رأيه، قال : إن الخارطة تعكس الأسلوب الذي سيمكن الجيش الإسرائيلي من طرح افضل الحلول الأمنية مع الأخذ بعين الاعتبار، بقاء جميع المستوطنات في مكانها. الجيش الإسرائيلي يتحمل مسئولية أمن المستوطنين، وعليه أن يقول لهم بثقة الآن:

"إن أمنكم سيبقى في أيدينا، ونحن المسئولون عنه".



١٠- الملك الحسين والملكة نور وأوري سبير إبان مفاوضات الاتفاقية الأردنية - الإسرائيلية.

"بريستيج فلسطيني ومكاسب إسرائيلية"

رابين حرص على عدم الحديث عن حجم الانتشار الإضافي

المستوطنات فرضت إيقاع التسويات الأمنية وعرفات وافق

لقد تطرق قسم كبير من التسويات الأمنية التي تـــم التخطيــط لــها ومناقشــتها في المفاوضات إلى المستوطنات، وكانت ذات علاقة بــها وغالبيــة المــوارد التــي تــم استثمارها في الأمن كانت هي الأخرى ذات علاقـــة بــأمن المســتوطنين.

وعندما جاء دوري للحديث، قلــت أننــي اقبــل النظريــة الأمنيــة الأساســية، بيد أنني أخشى ألا يكون مكان للحديث عن التميــيز بيــن المــدن الفلســطينية وحــذرت من أن عرفات لا يستطيع التوجـــه لخــوض الانتخابــات إذا لــم تحــظ جميــع المــدن الفلسطينية بتعامل متشابه. وتطرقت بصورة رئيسية إلى إرجــــاء إعــادة الانتشــار فــي رام الله وبيت لحم، بيد أنني تطرقت أيضا إلــى مكانـــة الخليــل.

هب رابين قائلا: "إذا خرجنا مـــن الخليــل ســيحدث هنــاك انفجــار، فــهناك يعيش أسوأ المتطرفين من الطرفيـــن".

وبدا بيرس أيضا. متشددا، حيث انطلق قــائلا: "مــا الــذي يُريــده عرفــات؟؟ هل يريد تفجير كل شيء؟؟ إن ما يأخذه منا لم يسبق لأي جهـــة أن أعطتــه لــه".

قلت في تعقيبي: إنني اعتقد أن عرفات سيســـتجيب لمطالبنــا الأمنيــة، وانــه يجــب أن تركز الأمور حول هذه النقطة. بيد انـــه لــن يســتطيع إقنـــاع مؤيديــه بقبــول التميــيز القائم بين المدن الفلسطينية. إن إجراء الانتخابات فـــي ثــلاث مــدن مــن بيــن المــدن الفلسطينية هو غير مقبول وليس عمليــا. أن الانطلاقـــة المتطرفــة فــي المفاوضــات، لا تؤدي دائما إلى إحراز المبتغـــى".

• طلبت أيضا مناقشة المطلــب الفلســطيني المفــاجئ والخــاص بتشــكيل قــوة مشتركة، بيد أن هذه المسألة لاقت معارضة شديدة لـــدى الحــاضرين، وقيــل لــي: "إن المسئولية الأمنية غير قابلة للتقاســم. وأعــرب اللــواء ايــلان بــيران – قــائد القطــاع

الأوسط عن تحفظه من إعادة انتشار آخر في رام الله وبيت لحم، في المرحلة الأولى.

وقال: "ستكون السلطة الفلسطينية، على بعد خمس دقائق سفر من القدس، لذا فإنني أوافق على الاكتفاء بإعادة، انتشار في أربع مدن فلسطينية قبل الانتخابات".

وفجأة اخذ رابين زمام الأمور بصورة مفاجئة وقال: "على أية حال، يجب علينا أن نبدأ التفكير بإعادة، انتشار الجيش الإسرائيلي خارج قواعده الثابتة في شوارع القرى بالضفة الغربية والتي تشكل ٦٥% من مجموع الجماهير الفلسطينية. وإذا كان بالإمكان التوصل إلى نظرية ثالثة، تسمح بتسليم الفلسطينيين الصلاحيات المدنية في المناطق القروية، وعلى أن نتسلم نحن المسئولية الأمنية، فلا شك في أن اقتراحنا سيكون اكثر معقولية، وسيتساوق مع إعلان المبادئ".

طلب رابين من ديان وزينجر أن يدرسا قضية المنطقة الثالثة. أما فيما يتعلق ببيت لحم ورام الله، فقد طلب من نائب رئيس الأركان متان فلنائي أن يدرس كم من الوقت نحتاج لشق الطرق الالتفافية بالقرب من هذه المدن. وفيما يتعلق بالخليل، قال رابين: سنصر على تنفيذ إعادة الانتشار التي اقترحتها وزارة الدفاع الإسرائيلية، والتي تنص على إبقاء الجيش الإسرائيلي في مكانه بيد أننا سنوافق على اتخاذ إجراءات معينة يوم إجراء الانتخابات.

وأعرب رابين عن تحفظه من تشكيل قوة مشتركة، لكنه أيد فكرة إنشاء أطر مقلصة للتعاون الأمني.

اجمل زينجر قرار رئيس الحكومة في وثيقة خاصة، أعلن فيها عن وجود منطقة ثالثة وهكذا، تضمنت خارطتنا المقترحة منطقة بنية اللون هي المنطقة (A) وتقع تحت السيطرة الفلسطينية على الصعيدين العسكري والمدني، ومنطقة ذات لون اصفر (B) وتقع تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية والسيطرة المدنية الفلسطينية، ومنطقة ذات لون ابيض، وهي المنطقة (c) وتقع تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة على الصعيدين العسكري والمدني.

وعندما شاهد رابين الوثيقة والخارطة المرافقــة لــها، طلــب أن نعمــل علـــى توســيع المنـــاطق ذات اللـــون الأصفـــر علـــى أن نـــأخذ بعيـــن الاعتبـــار الأراضـــي المملوكة للفلسطينيين، والعديد من المناحي المتعلقة بالصلـــة بيـــن القـــرى، وفـــي نفـــس الوقت، طلب أن نخرج مـــن هـــذه المنطقـــة، الطـــرق التـــي تخـــدم الإســـرائيليين فـــي تحركاتهم. وإزاء الحديث عن الانسحاب الأول جـــرى الحديـــث عـــن انســـحاب بنســـبة ٢،٥% من الضفة الغربية على اعتبار أن هـــذه النســـبة، هـــي المنطقـــة (A)، و٢٥% على اعتبارها المنطقة (B) مع بقـــاء ٧٢،٥% مـــن المنطقـــة ضمـــن إطـــار (c) – أي أنها ستبقى كلها في أيدينـــا.

أصبحنا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة حـــول إعـــادة الانتشـــار. وكـــان قد تم الاتفاق سابقا، على إجراء المفاوضـــات فـــي إيطاليـــا. ولـــهذا الســـبب، اســـتدعي بيرس سفيرنا في روما (آفـــي برنـــر)، وطلـــب منـــه أن يعـــثر علـــى مكـــان مناســـب لإجراء المفاوضات، وكان عليه أن يعمل بسرية بالغـــة، وان يكـــون علـــى صلـــة بـــهذا الصدد مع وزيرة الخارجية الإيطالية سوزانه انيلي، التي كـــانت علاقاتـــها مـــع بـــيرس وطيـدة.

سافرنا والوفد الفلسطيني فـــي طـــائرة تابعـــة لشـــركة فيـــات حتـــى رومـــا، وهناك تم نقلنا إلى مركز النـــدوات التـــابع للشـــركة فـــي ســـيارات منفـــردة. والمبنـــى المذكور هو مبنى كبير من أربعـــة طوابـــق.

وفي ساعات ما بعد الظهر، تجمعنـــا فـــي إحـــدى غـــرف المحـــاضرات فـــي الطابق الأرضـــي، وفـــورا قدمنـــا إلـــى الفلســـطينيين نســـخا مـــن اقتراحنـــا للملحـــق العسكري لاتفاقية التسوية المرحليـــة.

عمد الفلسطينيون إلى مراجعـــة المســـودة، والخارطـــة، وتســـجيل ملاحظاتـــهم على هامش الصفحات. كان الملحق الذي يتضمن تســـع فقـــرات، يؤكـــد علـــى سياســـة محاربة الإرهاب التي ستنتهجها السلطة الفلســـطينية. كمـــا تطـــرق إلـــى قيـــام الســـلطة الفلسطينية بمصادرة الأسلحة غير المشـــروعة، فـــي كـــل مدينـــة يتـــم تســـليمها لـــها. وتقديم الإرهابيين إلى المحاكمات، واتخاذ أســـاليب منهجيـــة أخـــرى، لمنـــع الإرهـــاب

والتحريض على العنف. وتضمن الملحق أيضا تفصيلا واضحا لمسئولية إسرائيل عن ضمان الأمن في الضفة الغربية كلها، باستثناء المدن التي كانت ستسلم للفلسطينيين. وتطرق الملحق إلى اقتراح إقامة منطقة ثالثة -المنقطة القروية- والتي ستتحمل فيها إسرائيل المسئولية الأمنية، ويتحمل الفلسطينيون المسئولية المدنية ونص الملحق أيضا، على تنفيذ عمليات إعادة الانتشار الرامية إلى توسيع المنطقة الخاضعة للسيطرة الفلسطينية الكاملة، بصورة تدريجية، وبالتناسب مع الوضع الأمني.

وفي صبيحة اليوم التالي رد أبو علاء على وثيقتنا باعتدال -كأسلوبه دائماً في المرحلة الأولى، كي يرينا أنه يتطرق إلى مواقفنا بجدية- وطلب بعض التوضيحات. وقد دار الجدل حول مساحة المنطقة (B) بيد أننا رفضنا مناقشة مسألة المساحة، وقلنا أننا سنقدم إليهم خارطة مفصلة بعد أن يتم الاتفاق على مبادئ النظرية الأمنية.

وخلال التشاورات التي أجريناها فيما بيننا، اقترحت ألا يتم كشف الخارطة للفلسطينيين حتى نهاية المفاوضات كي لا نطرح قضية تؤدي إلى تدني مستوى التفاهم، فقد كنت أدرك أن التطلعات الفلسطينية، أكبر بكثير مما قررنا اقتراحه عليهم.

ثم انتقلنا إلى غرفة مجاورة، وأخذنا نجمل النظريات الأساسية للمناطق، على ورقة بيضاء دون أن نكشف مساحتها، مما أثار ثائرة الفلسطينيين، وخصوصاً حسن عصفور، الذي استهل حديثه قائلا:" وفقا لاتفاقيات أوسلو يجب أن نتسلم جميع الصلاحيات الأمنية والمدنية عشية الانتخابات.كفوا عن مضايقتنا بهذه المصطلحات القضائية، يجب عليكم أن تسلمونا غالبية الضفة الغربية".

رد عليه يوآل زينجر بإسهاب، حول نظرية تسليم الصلاحيات الأمنية بالتدريج، بيد أن رأي الفلسطينيين بقي على ما هو عليه. لذا، اقترحنا عليهم أن يعودوا إلينا وهم يحملون ردا لملاحظاتنا على الملحق الأمني، واتفقنا خلال محادثات (تورينو) على مزج اتفاقية غزة أريحا في اتفاقية التسوية المرحلية.

وفي ساعة متأخرة، طلبت، أنا وزينجـر، مـن أبـو عـلاء أن يقـوم بجولـة معنا في الحديقة. وأوضحنا لـه خـلال النزهـة، استحالة أن نحصـل علـى موافقة رابين على المنطقة (B)، الا إذا تحملت إسـرائيل المسـئولية الأمنيـة.

قال أبو علاء:" أنا أتفهم ضرورة الأمـن، بيـد أن مـن المسـتحيل أن نوافـق على أن تعيش غالبيـة جمـاهير الضفـة الغربيـة تحـت نـير السـيطرة الإسـرائيلية الكاملة" وعاد أبو علاء لطرح فكرة التعاون الشـامل فـي هـذا المجـال، واشـار إلـى أن إعلان المبادئ وعد الفلسطينيين بالسيطرة الكاملة علـى مصـير شـعبهم.

طرحنا، أنا وزينجر، فكـرة إمكانيـة انـدلاع مواجـهات بيـن المسـتوطنين والفلسطينيين وقلنا له: إذا حدث ذلـك، فـإن الجيـش الإسـرائيلي وحـده هـو الـذي سيكون قادرا على معالجة هذا الوضـع.

وأضفت:"بمرور الزمن سيعتاد الطرفان هـذا الوضـع، وحينـها_مثلمـا جـاء في صيغتنا- سنستطيع توسيع مسـئوليتكم الأمنيـة".

-أبو علاء:" سأتحدث مع زملائي ومع الرئيـس أبـو عمـار، حينمـا أعـود، وعندمـا تصل الأمور إلى الشئون الأمنية، فإننا علـى اسـتعداد للاستجابة لاحتياجـاتكم. لكـن لا تنسوا أن كل ذلك سيكون رهنا بـأن نقتنـع بـأن هدفكـم هـو حقـاً الحفـاظ علـى الأمن، وليس أن تسرقوا منا أرضنـا".

أدركنا في أعقاب هذا الحديث، أن المفاوضـات سـتكون شـديدة جـدا، بيـد أننـا كنـا نتمتع على الأقل، بميزة أننا قدمنا وثيقة إسـرائيلية مفصلـة وحددنـا معـايير التسـوية المرحلية بوجود السيطرة العسكرية الإسـرائيلية فـي المرحلـة الأولـى علـى غالبيـة الضفة الغربية دون الانتقاص من قدرة الفلسـطينيين علـى توسـيع المنـاطق الواقعـة تحت سيطرتهم تدريجيا.

كانت نواة التسوية المرحلية علـى النحـو التـالي: كـان الفلسـطينيون علـى استعداد للتنازل عن صلاحيات أمنية بصـورة اسـهل مـن التنـازل عـن منـاطق، أو بمعنى آخر كان أمن المستوطنات مسألة مقبولة لديـهم، كمصلحـة يجـب أن يأخذوهـا بعين الاعتبار لكنهم ليسوا على استعداد للقبـول بتوسـيعها.

كانت صيغة الحل، تقوم على خلق منطقة سيطرة مشتركة خلال مرحلة التسوية المرحلية، والنقل التدريجي لمناطق أخرى إليهم. ولم يبق الان سوى التفاوض حول مركبات هذه الصيغة.

حدد رابين الأول من حزيران، كبداية لإجراء المشاورات. كان راضيا عن محادثات تورينو ووقف بحزم خلف التكتيك الذي اتبعه الوفد الإسرائيلي. واتخذ قرارا بضم اورن شاحور إلى طاقم المفاوضات، وأمر بطرح مسألة نقل الصلاحيات على جدول الأعمال.

عدنا في نفس اليوم إلى تورينو وقدم الفلسطينيون، وهم يحملون ملاحظات مكتوبة، حول صيغة الملحق الأمني، كانت الخلافات بين الطرفين عميقة للغاية فقد أصر الفلسطينيون على المسئولية الأمنية المشتركة في المنطقة(B)، وطالبوا بأن تشمل المنطقة(A) المدن الفلسطينية كلها، وجميع القرى البلدية في الضفة الغربية. كما طالب الفلسطينيون بأن يتم وصف إعادة الانتشار كإجراء غير قابل للتغيير.

وقدم الفلسطينيون لنا مدخلا جديدا للملحق الأمني. وأكد أبو علاء أنه إذا ما قبلنا هذه الصيغة فسوف يبدي الفلسطينيون مرونة في كل ما يتعلق بباقي الصيغة.

أكد المدخل المذكور على حرية الحركة للفلسطينيين داخل الضفة الغربية"والمعبر الآمن" بين الضفة الغربية وغزة.

وقال أبو علاء:" لن نسمح لكم بالسيطرة على حرية حركتنا، ولن نوافق على وجود أي حواجز عسكرية للجيش الإسرائيلي داخل الضفة الغربية".

كان الفلسطينيون يرغبون أيضا، في ضمان تسليمهم الصلاحيات المدنية بوتيرة سريعة في غالبية مناطق الضفة الغربية. وقد حاول أبو علاء القيام بمناورة ذكية، حيث اكتفى برد شفهي على وثيقتنا المفصلة دون الالتزام بموقف دقيق، وفي بلورة غالبية المصالح الفلسطينية في مدخل الملحق الأمني.

حاولنا، أنا وزينجر خلق مزاوجة بين صيغتي الطرفين، وقد تم استخدام هذه الصيغة كأساس للمفاوضات المستقبلية، هو المبادئ الأمنية. وقد تم الإشارة إلى الملاحظات والتعليقات العامة الفلسطينية في صيغة الملحق الأمني. ولم تتقدم الا بعد أن وافق الفلسطينيون على المناطق الثلاث في الضفة الغربية ومنطقة فلسطينية(A) ومنطقة إسرائيلية (c)، ومنطقة تحت السيطرة المشتركة (B) على أن يتم تحديد ذلك خلال المفاوضات. وهكذا، اصبح بأيدينا بداية وثيقة مشتركة.

عدنا إلى إسرائيل، ونحن نشعر أننا أحرزنا تقدما حقيقيا. وفي الطرق سلينا أنفسنا أنا وأبو علاء، بتقليد حوار بيرس وعرفات لقد كنا بحاجة إلى قسط من الراحة، بعد كل هذا التوتر الكبير.

وحال عودتنا اتفق رابين وبيرس، على أنه آن الأوان كي نكشف للفلسطينيين النقاب عن المدن التي نعتزم الانسحاب منها، وأن يكشفوا لهم أيضا المطلب الإسرائيلي القائل، بضم جميع المناطق القروية الفلسطينية، في المنطقة (B) وليس (A) مثلما أراد الفلسطينيون.

تمحورت الخلافات، حتى تلك اللحظة، في مواقفنا، حول مسئولية كل طرف في كل منطقة من المناطق الثلاث في الضفة الغربية، وهكذا بدأ النزاع يدور حول مساحة كل منطقة.

قدمت مونه لنقلنا -ديان وزينجر والعميد شلومو بروم نائب ديان-وأنا- إلى منزل الملحق النرويجي، حيث كان الفلسطينيون بانتظارنا هناك. واتفقنا على أن يبيت الفلسطينيون هناك، على أن نعود نحن إلى منازلنا.

بدأت الحوار بالقول: أن الجيش الإسرائيلي سيعيد انتشاره الأول، عشية الانتخابات الفلسطينية، خارج الحدود القضائية للمدن: جنين وطولكرم وقلقيلية ونابلس، والتي سيطلق عليها المنطقة(A). على أن يتم فيما بعد -وفي أعقاب استكمال شق الطرق الالتفافية لتحركات الإسرائيليين- تنفيذ إعادة انتشار جديد في منطقتي بيت لحم ورام الله. أما الخليل فسوف تعتبر حالة خاصة، نظرا لوجود مستوطنين داخلها، واقترحت أن يتم تشكيل لجنة توكل إليها مهمة إعداد ترتيبات

خاصة للانتخابات الحرة في هذه المدينة. أمـــا المنـــاطق القرويـــة ٠(B)، فتتـــم إدارتـــها بالتعاون بين الجهتين، على أن تتحمل إســـرائيل المســـئولية الأمنيـــة، وتتحمـــل الســـلطة الفلسطينية مسئولية الشئون الإدارية. أما المنـــــاطق غـــير المأهولـــة، وكذلـــك المنـــاطق التي توجد فيها المســـــتوطنات، فســـوف تبقـــى تحـــت الســـيطرة الإســـرائيلية الكاملـــة، بوصفها المنطقـــة(C).

وفي أعقاب إجراء الانتخابات، تقـــوم إســـرائيل بتســـليم الســـلطة الفلســـطينية- وفقا لتقديرات إسرائيل- صلاحيات أمنيـــة فـــي المنطقـــة (B)، وفـــي المنـــاطق غـــير المأهولة من المنطقة (C). والتي لا أهمية أمنيـــة لـــها. ولا ينطبـــق ذلـــك بحـــال علـــى أي منطقة من مناطق المســـــتوطنات.

سجل الفلسطينيون ملاحظات علـــى أقوالـــي، ثـــم طلبـــوا وقـــف المفاوضـــات لبعـــض الوقـــت. وســـمعنا أصـــوات نقاشـــهم الغـــاضب وهـــو ينبعـــث مـــن غرفـــة المفاوضـــات.

أدركنا هذه المرة، أن الأزمة قادمة لا محالة، ولـــم نعـــرف مـــدى تـــأثير هـــذه الأزمة علـــى الطرفيـــن بيـــد أننـــا اعتقدنـــا أن التـــاريخ الـــهدف-الأول مـــن تمـــوز- سيضغط على الفلسطينيين لدفعهم إلـــى التقـــدم.

عدنا إلى طاولة المفاوضات، وقال الفلســـــطينيون أنـــهم علـــى اســـتعداد للـــرد على اقتراحاتنا، واستهل أبو علاء الحديث بلهجـــة شـــديدة قـــائلا:

"نحن على اســـــتعداد لتطبيـــق اتفاقيـــة إعـــلان المبـــادئ معكـــم، بيـــد أن مـــا تطرحونه بعيد كل البعد عما وقعنا عليه. فـــأنتم تريـــدون تقريبـــا ٩٠% مـــن المنـــاطق، و١٠٠% من المسئولية الأمنية ولا تبدون أي التزام، فيمـــا يتعلـــق بمـــا ســـتفعلونه فـــي المستقبل، إضافة إلى أنكم تحدون من حركتنا وهـــــذا مـــا لا نقبلـــه، وبصـــورة خاصـــة محاولتكم إضفاء الشرعية على الوضـــع الراهـــن، مـــع تغييـــرات طفيفـــة علـــى أرض الواقع. الان أنتم تسيطرون كمحتلين، وبمقدورنا مقاومتكم تحـــت هـــذا الوصـــف، ولـــن تحصلوا أبدا على موافقتنا لتخليد الوضع على مـــا هـــو عليـــه بوســـائل أخـــرى ونحـــن نطالب بإحداث تغيير حقيقي، مثلما هو وارد في اتفاقيـــة إعـــلان المبـــادئ.

وأضاف ··· نحن على استعداد للتعاون في مجال محاربة الإرهاب، بيد أنه يجب توسيع مساحة المدن، بحيث تشمل سلسلة من القرى، ولن نوافق بأي حال على التمييز بين مدينة وأخرى. وبمقدوركم الحفاظ على مسئولية إسرائيل الأمنية، في جميع المناطق المأهولة الأخرى(B) بيد أنه يجب أن نتسلم صلاحيات كاملة، بما فيها الصلاحيات الأمنية على الفلسطينيين، ونحن على استعداد لوضع شرطة فلسطينية هناك، على أن تقدم لكم تقارير حول نشاطاتها، بيد أنها لن تكون خاضعة لكم، ولن نوافق على إهانة رجال شرطتنا بوضعهم تحت سيطرتكم.

وأضاف ··· وفيما يتعلق بالمستقبل، فإننا نطالب بجدول زمني دقيق، وخارطة مفصلة على مواصلة تسليمنا المناطق في أعقاب الانتخابات الفلسطينية. ولا نعتزم أبدا، إرجاء نقل أي قضايا تتعلق بالتسوية المرحلية، حتى بدء مفاوضات التسوية الدائمة.

واضاف ··· إذا ما قبلنا توجهكم القاضي بإبقاء غالبية المناطق والصلاحيات الأمنية في أيديكم، فسوف تتحول الضفة الغربية إلى منطقة خصومات وعداء، وليس هذا هو هدفنا، يجب أن تصبح فترة التسوية المرحلية جسرا للتعاون نحو التسوية الدائمة.

أدركت بعد أن أنهى أبو علاء أقواله أن علينا أن نعلن عن رفضنا القاطع لمطالبهم. بيد أنني اكتفيت بالقول: أننا سمعنا أقوال أبو علاء وعرفنا ماهية التطلعات الفلسطينية، وسنقدم تقريرا عن ذلك لرابين وبيرس.

وجدنا أنفسنا وقد وصلنا إلى طريق مسدود، لأن الخلافات القائمة كانت هائلة إلى الدرجة التي لا نستطيع معها أن نبدأ المفاوضات طلبت أن أتحدث مع أبو علاء على حدة، وتوجهنا سويا إلى غرفة جانبية، وجلسنا، أحدنا في مواجهة الآخر. وقلت له:" اقتراحاتكم لن تكون معقولة، لن نمنحكم مسئولية إلى هذا الحد الكبير على الصعيد الأمني فنحن ببساطة، لا زلنا لا نثق بكم. إن اقتراحاتكم ستخرب المفاوضات، وإذا ما قبلناها، ستنفجر الضفة الغربية كلها".

وقد رد أبو علاء على أقوالي بعدوانيــة غــير مألوفــة:" أنتــم ترغبــون فــي ضمان الأمن، وأنا أتفهم ذلك، بيد أننا لن نقبل سيطرتكم علـــى أراضينـــا تحــت شــعار الأمن، وعلى وجه الخصوص فــي ظــل غيــاب عــدم الــتزام باســتمرارية المســيرة. وعدم الثقة هي مسألة متبادلة وبمقدوركـــم أن تحــاولوا فــرض وجهـــة نظركــم علـــى عرفات. وإذا ما مارستم اشد الضغوط مـــن أجـل دفعـــه إلـــى الزاويـــة، فقــد لا يجـد أمامه خيارا سوء قبول وجهة نظركم. لكن يجب عليكم أن تتذكـــروا أنـــه إذا مـــا فعلتـــم ذلك، فسوف تعزلونه، فالاتفاق من جانب واحد لن يصمـــد لـــذا يجـــب عليكـــم التفتيـــش عن وسائل لضمان أمنكم وفي نفس الوقـــت يـــوازن الاتفاقيـــة. وإذا كـــان الأمـــن هـــو حقا، مصلحتكم الوحيدة، فنحن لن نتنازل عـــن أي أراضـــي".

رددت على أبو علاء بغضـــب:" إذا كنــت تتــهمني بمحاولــة الوصــول إلـــى اتفاق من جانب واحد، يجـــب عليـــك البحـــث لـــك عـــن شـــريك جديـــد. إن مطـــالبك ستقودنا إلى طريق دون مخرج، وأنتـــم ســـتكونون الخاســـرين والعـــبء ملقـــى عليـــك أنت، لذا اقترح عليك أن تعود لي وأنت تحمـــل أفكـــارا أخـــرى".

نهض أبو علاء دون أن ينبـــس ببنـــت شـــفة، واســـتدعى ســـائقه، وتصافحنـــا ببرود، وانطلقنا كل واحد وجهتـــه.

وفي تقريرنـــا لرابيـــن وبـــيرس نصحنـــا بـــأن يتـــم الانتظـــار حتـــى يقـــوم الفلسطينيون بخطوة من جانبـــهم، فقـــد كـــان مســـتقبل النظريـــة الأمنيـــة فـــي الضفـــة الغربية معلقا في كفة المـــيزان.

في الثامن والعشرين من حزيـــران، اجتمعـــت أنـــا وأبـــو عـــلاء فـــي فنـــدق (دان) في تل أبيب. كان غضبنا قد انطفـــأ واقـــترح أبـــو عـــلاء أن نرجـــئ المحادثـــات حول معايير كل منطقة من المناطق الثـــلاث فـــي الضفـــة الغربيـــة. وكـــان يجـــب أن نحدد مزايا المنطقة(B) وإمكانية مواصلة إعادة الانتشار وقلـــت لـــه: أنـــه وفـــي ضـــوء توقع الجماهير توقيع الاتفاقية فـــي الأول مـــن تمـــوز، فـــإن مـــن الأفضـــل أن يلتقـــي بيرس وعرفات ويعلنا أنه تم التوصل إلى اتفاق. ومن الجديـــر بـــالذكر، أنـــه لـــم يكـــن قد تم الإعلان حتى ذلك الحين، عن وجود حـــوار حـــول هـــذه القضايـــا- لـــم يتســـرب

أي نبأ حول المفاوضات التي استغرقت شهورا في فندق يميت ومحادثات(تورينو). وعلى أية حال، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نتفق حول خطوط الاتفاق، بيد أن الأمر لن يكون ممكنا الا إذا توصلنا إلى تفاهم حول طبيعة المنطقة(B).

قبل أبو علاء بفكرة عقد اللقاء بين بيرس وعرفات، ثم اقترح أن تكون السلطة الفلسطينية مسؤولة عن النظام العام في المنطقة(B)، في حين تكون إسرائيل مسئولة عن مكافحة الإرهاب وأمن الإسرائيليين الذين يعبرون هذه المنطقة.

سألته: ما الذي سيحدث إذا ما اصطدمت عملياتنا مع الفلسطينيين ؟ فقال: بالإمكان تنسيق هذه العمليات عبر مكتب ارتباط في كل منطقة.

قلت:" نحن نعتقد أن بالإمكان تقسيم العمل بين قواتي الأمن، لكن ليس لتقسيم المسئولية. يجب على إسرائيل أن تمسك بين أيديها بزمام المسئولية الأمنية بصورة حاسمة- كان هذا هو الموقف الذي بلورته وزارة الدفاع- وإذا ما استطعنا الاتفاق حول هذا الشرط، وعلى هذا المبدأ، يمكننا مواصلة نقاش جميع التفاصيل". بيد أن أبو علاء رفض الرد على اقتراحي وفضل ترك القرار لبيرس وعرفات.

اتصل بي رابين في أعقاب اللقاء. وقد كان يخشى من أنه إذا لم نتوصل إلى قرار حتى الأول من تموز، أن نضطر لمواجهة مظاهرات وغليان في الضفة الغربية. فقلت له: إن الأمور لا زالت تراوح مكانها دون تقدم. وهكذا القي على عاتق بيرس، كسر الجمود من جديد.

اجتمع بيرس وعرفات مساء السبت الموافق الأول من تموز، على الجانب الإسرائيلي من حاجز ايرز. كانت وسائل الإعلام احتشدت وجاء عرفات محاطا بعدد من حراسه الشخصيين. وقد جرت المقابلة في غرفة صغيرة في مبنى الإدارة المدنية ولم يشارك في الجلسة الافتتاحية مع بيرس وعرفات، سوى أنا وأبو علاء، في حين انتظر أعضاء الحاشيتين الآخرون في غرفة مجاورة.

وفي أعقاب مراسيم الاستقبال والمجاملات، ومنـــح وســائل الإعــلام فرصــة تصوير اللقاء، أعرب بيرس عــن تقديـره للعمــل الســري للجنــة الأمنيــة وللشــراكة الخاصة بين (يوآل زينجــر) وصــائب عريقــات، بشــأن الانتخابــات وقــال: بمقــدور أورن شاحور وجميل الطريفي مواصلـــة نقــاش عمليــة نقــل الصلاحيــات. وقــد رد عرفات بنفس الأسلوب الذي يرد فيــه، كــل مــرة تطــرح فيــه، قضيــة الصلاحيــات المدنية على جدول الأعمال- رد بــأقوال تتعلــق بالمــال، فقــال:" عليكــم أن تمنحونــا أيضا صلاحية جبي الضرائب غــير المباشــرة، نحــن بحاجــة إلــى المــال، والمبــالغ الممنوحة لنا من الدول المانحة غير كافية، ورجـــال الشــرطة الفلســطينية لا يتسـلمون رواتبــهم".

وفي الحقيقة، كنا قد قررنــا تســليم الفلســطينيين صلاحيــة جبــي الضرائــب غير المباشرة في نهايـــة المســيرة، وذلــك مــن أجــل اســتخدامها كمحفــز لتســريع المفاوضات. وقد حدا ذلــك ببــيرس لتغيــير موضــوع الحديــث، فوصــف لعرفــات الضيق الشديد الذي يعم أوساط الجمــاهير الإســرائيلية، جــراء عــدم توقــف الأعمــال الإرهابية، وقال:" حقــا، إن أداءكــم تحســن كثــيرا علــى الصعيــد الأمنــي، بيــد أن العمليات لا زالت متواصلة، إننا نقترب لتجســيد خطــوة شــديدة الأهميــة، وأنــا أؤيــد هذا التجسيد. وأنت تعلم، ســيدي الرئيــس أننــي أعــارض أن يســيطر اليــهود علــى مصير شعب آخر، بيد أنه علينــا أن نقنــع شــعبنا بذلــك، وأن نتقــدم علــى الطريــق بحذر. ولا يجب بأي حــال مــن الأحــوال، أن نخلــف احتكاكــات بيــن شــعبين، لان هناك متطرفين في الجانبين، كما عليكم أن تفكــروا فــي الانتخابــات التــي ســتجرونها لاول مرة، في تاريخ الشــعب الفلســطيني، وتذكــر أن أي أمــة أخــرى لــم تعــرض عليكم ما نعرضه عليكم نحن. لقد قلــت لــي قبــل عــدة اشــهر، أنــهم أنزلــوك إلــى مستوى رئيس بلدية غزة، وهانحن الآن نتقدم باتجـــاه التفــاوض حــول المــدن الســت الكبرى في الضفة الغربية. ولا شك أن هــذا تطــور تــاريخي، لكــن يجــب عليكــم أن تأخذوا بعين الاعتبار، اعتباراتنــا الأمنيــة.

سجل أبو علاء أقوالي، وأرسل باتجاهي ضحكـــة صفــراء، وبــدا أنـــه يعتقــد أن بيرس يقود عرفات خلال النقاشات بالاتجـــاه المرغــوب لإســرائيل. وفـــي الوقــت الذي واصل فيه بيرس إيضاح مطالبنا. بالمســئولية الأمنيـــة الحاســمة فـــي منطقـــة(B) بيد أن عرفات حاول التهرب مـــن النقـــاش، حينمـــا ذكــر بـــيرس مصطلـــح الســيطرة باللغة الإنجليزيـــة (overiding) وقـــال:" إذا كـــان الأمـــر يتعلـــق بمصطلـــح إنجلـــيزي فإنني سأتركه لأبو عـــلاء".

رسم بيرس ابتسامة واسعة، وقال:" أبو عـــلاء:" متشـــدد جـــدا، افصلـــه مـــن المفاوضات؛ إنه وسبير يتمتعـــان بـــإدارة مفاوضـــات دون التوصـــل إلـــى أي نتـــائج، إفصله وسأفصل أنـــا أوري.

ضحك عرفات، بيد أنه امتنع عن التطرق إلـــى المســئولية الأمنيـــة الحاســمة في المنطقـــة(B).

طلب بيرس مـــن ديـــان أن يشـــارك فـــي الجلســـة، وأن يســتعرض الوضـــع الأمني، وقد خرجت من الغرفة، فيما بقـــي ديـــان حوالـــي ســـاعتين وعندمـــا خـــرج، قال أنه مارس هو وبيرس ضغوطا شديدة على عرفـــات، بيـــد أن عرفـــات لـــم يتنـــازل أبـدا.

تم استدعاء زينجر لدراسة الحلول التي بدأ أبـــو عـــلاء يقترحـــها. وقـــد قـــال للفلسطينيين أن هناك العديد مـــن المصطلحـــات فـــي إطـــار الممكـــن، أمـــا مصطلـــح المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة(B)، فيجب أن يظـــهر فـــي الوثيقـــة.

وعندما استدعيت بعد ست ساعات للعودة إلـــى غرفـــة الحـــوار بيـــن بـــيرس وعرفات سمعت بيرس يقول بلهجة غاضبة:" لن نصل إلـــى أي اتفاقيـــات إذا لـــم يعلـــم جنودنا أنهم المسؤولون عن المنطقة(B) وإذا لـــم تســر الأمـــور علـــى هـــذا النحـــو، ستحدث صدامات في المنطقة، هل توافق؟؟ هل توافـــق؟؟ إذا لـــم توافـــق، فـــإن رابيـــن وأنا لن نستطيع التقدم نحو الاتفـــاق أبـــدا".

كان عرفات يحملق في فضاء الغرفة تـــارة، ثـــم تعـــود عينـــاه للحملقـــة فـــي الورقة الموضوعة أمامه على الطاولة، والتي كتـــب فيـــها بـــيرس بخـــط يـــده مســـألة

"المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقــة(B). وبــدا بوضــوح أنــه يعــاني مــن أزمــة حقيقية فقد أدرك أن بيرس لن يستجيب له. ورغم ذلـــك يبــدو أنــه شــعر أن إســرائيل تعتزم إحداث تغيير واسع في الضفة الغربية من خـــلال صلاحياتــها الأمنيــة.

لقد جلس عرفات حوالي ساعة في الغرفـــة دون أن يتفــوه بكلمـــة، فيمـــا كـــان بـــيرس يقوم، بين الفينة والأخرى ليقطع الغرفة جيئة وذهابا وهـــو نـــافذ الصـــبر.

Israel will have the overriding responsibility for internal security in order to protect Israelis and fight against terrorism.

Consequently movement ~~at~~ on the roads of Palestinians armed police or its activities in villages that don't have permanent stations, will ~~[illegible]~~ be confirmed ~~through~~ by the DCO

وثيقة بخط يد بيرس قدمها إلى الرئيس الفلسطيني عرفات إبان المفاوضات حول تحديد المسئوليات الأمنية الاسرائيلية في المنطقة (بي) ١-٧-١٩٩٥

في نهاية المطاف، قال عرفات: أنه يحتاج للتشاور مع مقربيه، واقترح أن نحدد موعدا لمواصلة الحوار، بدا بيرس غير راض، بيد أنه قبل بذلك، وتم الاتفاق على إعلام وسائل الإعلام بأنه تم إحراز تقدم عام. وأن الاتصالات ستتواصل بين الزعماء في غضون الأيام القليلة القادمة.

استؤنف الاجتماع بعد ثلاثة أيام. وكان أبو علاء يرسل لي فاكسات تحمل حلولا تتضمن مصطلح"المسئولية الحاسمة" لقد أدرك الفلسطينيون، أنه لم يبق أمامهم سوى محاولة الحصول على أكبر ثمن ممكن مقابل موافقتهم على ما تريده إسرائيل.

وفي رسالة الفاكس، التي بعث بها أبو علاء إلي ليلة الثاني/ الثالث من أيلول، والتي كتبها على ورق مروس بشعار مكتب الرئيس، وصل إلى حالة توازن في اقتراحاته حيث قال: تحصل إسرائيل على مسئولية حاسمة على المنطقة (B)، في حين تخول السلطة الفلسطينية مسئولية الحفاظ على النظام العام من خلال سلسلة من مراكز الشرطة. كما أكد على ضرورة نقل مناطق أخرى إلى السلطة الفلسطينية، مع تحديد جدول زمني محدد وملزم، ونقل أراض دولة إلى الفلسطينيين.

تلبية لطلب من رئيس الأركان، قمت أنا وزينجر ويتوم، بإعداد ردودنا. وفي اليوم التالي الموافق الرابع من تموز، التقينا رابين قبل التوجه إلى حاجز ايرز، بيد أن اقتراحات أبو علاء أثارت ثائرته، وقال:" هل يود أن نبدأ تسليمه الضفة الغربية بصورة تدريجية؟؟ فلننس هذه القضية".

ومن الجدير بالذكر، أن رابين كان يعمد في كل مرة يغضبه فيها الموقف الفلسطيني، إلى التحذير من التنازل بشأن القضية المطروحة.

اقترحت أن نتوصل مع الفلسطينيين إلى اتفاق ينص على أن يكون منتصف عام ١٩٩٧ هو التاريخ الذي سننقل إليهم مسئولية المناطق التي لا نعزو إليها أهمية أمنية -الانسحاب الإضافي- فقال رابين إن منتصف عام ١٩٩٧، هو

تاريخ مقبول لديه، بيد أنه لا يجب أن نفصح للفلسطينيين عن مساحة الأراضي التي سنسلمها إليهم. ولا شك أننا سنضطر في يوم من الأيام لفتح خارطة إعادة الانتشار الإضافي، لكن بالتأكيد ليس الآن".

بدا أن بيرس غير مرتاح للهجة رابين، ويعتقد أنه لم يقدر بصورة جيدة الجهد الذي بذله والصلابة التي أبداها في الحوار مع عرفات. وخيل اليّ أن رابين كان يريد أن يقول للمحيطين به أنه حقا لا يدير المفاوضات، بيد انه يسيطر على الوضع.

وعلى أية حال، فإن توجيهات رابين ورسالة أبو علاء، كانت كافية لتحويل لقاء الرابع من تموز إلى قاعدة مريحة للاتفاق. وقد بدأ اللقاء بجلسة بين عرفات وبيرس على انفراد، ثم استدعيت أنا وأبو علاء للانضمام إليهما. وقد جاء في صيغة الاتفاق:

١. في المنطقة(A)-المدن- تحتفظ السلطة الفلسطينية بجميع الصلاحيات الأمنية والمدنية.
٢. في المنطقة(B)-القرى الفلسطينية- تكون لإسرائيل مسئولية حاسمة للأمن، من أجل الدفاع عن الإسرائيليين ومحاربة الإرهاب، في حين ستتسلم السلطة الفلسطينية الصلاحيات المدنية، وتكون مسئولة عن النظام العام-للفلسطينيين-.
٣. يكون لإسرائيل في المنطقة(c) مسئولية أمنية ومدنية كاملتان.

اقترح بيرس، أن يتم حل القضايا العالقة الأخرى- كيف ستعمل الشرطة الفلسطينية في المنطقة(B) من أجل الحفاظ على النظام العام، وقضية الخليل بواسطة لجان خاصة تعمل في إطار مفاوضات واسعة. واقترح استكمال الانسحاب الإضافي حتى منتصف عام ١٩٩٧- طالب الفلسطينيون باستكمالها حتى شباط ١٩٩٧. وأن يبدأ رجال الشرطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي بتنسيق إعادة الانتشار.

وفي حديثهما إلى الصحفيين، لـم يتطـرق بـيرس وعرفـات إلـى التفـاصيل بيد أنهما أشارا إلى توجيههما أمرا لـي ولأبـو عـلاء لاسـتكمال المفاوضـات حتـى الخامس والعشرين من تمـوز.



١١- أوري سبير ووزير الخارجية الأردني جواد العنـاني إبـان الاتفاقيـة الأردنيـة - الإسرائيلية.

الفصل السابع

تفكيك الاحتلال

انسحابات دون تحديد مساحات

نقل الصلاحيات من "السادة" للعبيد خلق أزمة حسية لدى الإسرائيليين

أبو علاء اقترح: ٧٥٪ و٢٥٪ لكم فرفضنا

تفكيك الاحتـلال

بدأت المفاوضات- في أعقاب الموافقة المبدئية- لبلورة الاتفاق، وتحدثنا حول نقل الصلاحيات الأمنية والمدنية في الضفة الغربية إلى أيدي السلطة الفلسطينية، وتحديد أسس العمل للانتخابات الفلسطينية. لقد كان زينجر على حق، لقد بدأت الآن المرحلة الصعبة، وفتحت الطريق نحو المرحلة المعقدة والصعبة وشديدة التوتر في المفاوضات.

قررنا أن تعمل جميع اللجان في آن واحد. وتم تقسيمها إلى لجان تعمل في المجال الأمني -بما فيها لجنة فرعية لشئون الخليل- ولجان لنقل الصلاحيات، والانتخابات والملحق القضائي، وملحق التعاون، والاتفاقية نفسها.

لقد عكفنا خلال الفترة الواقعة بين لقاء الرابع من تموز في حاجز ايرز وبين بدء المفاوضات بصورة عملية على تشكيل اللجان، والبحث عن مكان للقاء.

ومرة أخرى، قررنا عقد اللقاءات في إيطاليا، حيث عرضت علينا الحكومة الإيطالية منشأة عسكرية وقام طاقم خاص بإجراء جميع الترتيبات الضرورية لكن عرفات غير رأيه، فقد أراد أن يبقى طاقم مفاوضاته قريبا منه- لذا وافقنا على عقد الاجتماعات في فندق (جني موريه) في (زخرون يعقوب).

إعادة الانتشار الإضافي(النبضـــات):

بدأنا المفاوضات في زخـــرون يعقـوب، فـي الســادس عشــر مــن تمــوز، وتواصلت المحادثات أسبوعا بيـد أن التقـدم الـذي تـم إحـرازه كـان طفيفـا. ومـن الجدير بالذكر، أننا وجدنا صعوبة بالغة في تعود مثل هذا العــدد الكبـير مـن اللجـان، والتي تضم كل واحدة منها حوالـي مائـة عضـو، مثلمـا يتطلـب الأمـر للاسـتعانة بالخبراء والجهات الضروريــة. وقـد اسـتغل أبـو عــلاء هـذا الوضـع لتقديـم أول عرض لصيغة بنية الاتفاقية، والتي أكـد فيـها علـى صلاحيـات السـيطرة والقضـاء الفلسطيني على غالبية منـاطق الضفـة الغربيـة فـي أعقـاب الانسـحابات الإضافيـة الإسرائيلية ومن الجدير بـالذكر أن هـذه التغطيـة أصبحـت بمثابـة حجـر الأسـاس الرئيسي في المفاوضـات.

لقد نصت اتفاقية إعلان المبـادئ علـى نقـل الصلاحيـات الأمنيـة بصـورة تدريجية إلى أيدي الفلسطينيين في إعادة الانســحاب(النبضــات) فـي الضفـة الغربيـة، باستثناء المناطق الأمنية والمستوطنات. بيد أن هـذه الاتفاقيـة لـم تتطـرق بـالتفصيل، إلى معايير المناطق الأمنية آنفة الذكر. وقـد أكدنـا أن علـى إسـرائيل وحدهـا تحديـد هذه المناطق، وفقا لتقديراتها ولا يجب تحديدهـا مسـبقا.

تحدثنا مع رابين بهذا الصدد، نهاية الأسبوع، بيـد أنـه أعـرب عـن خشـيته من أن يؤدي اطلاع الفلسطينيين على خارطة المنـاطق الأمنيـة المحـددة. إلـى خلـق أزمة، وذلك نظرا لانهم توقعوا أن يحصلـوا علـى منـاطق أوسـع مـن تلـك التـي اعتزمنا نحن منحها لهم- جرى الحديـث فـي النقاشـات الداخليـة عـن حوالـي ٥٠% من مساحة الضفـة الغربيـة- فـي أعقـاب جميـع الانسـحابات، ووفقـا للتقديـرات العسكرية على ما هو مطلوب للمناطق الأمنيـة الحيويـة، ومـن أجـل ضمـان أمـن المستوطنات- لذا قرر رابيـن تـأجيل المواجهـة حـول نسـبة المنطقـة التـي سـيتم تسليمها إلى الفلسطينيين. بل وكان هناك في أوسـاطنا مـن يخشـى مـن أن تحرمنـا إعادة الانتشار الإضافية من أحد المؤثرات المهمـة جـدا التـي سـنحتاج إليـها خـلال فاوضات التسوية الدائمـة.

وقد أوضح طاقم المفاوضات أن الانسحاب الإضافي هو بمثابة تحسين لاتفاقيات كامب ديفيد والتي التزمنا خلالها، بإعادة الانتشار إلى مناطق أمنية محددة في مرحلة واحدة، في حين عملنا في أوسلو على تقسيم هذه المرحلة الواحدة إلى عدة مراحل. على أية حال، كان علينا أن نبدأ بمفاوضات جدية حول التسوية الدائمة في الرابع من ايار ١٩٩٦-أي قبل آخر نشر للقوات بأربعة عشر شهرا.

أسهمت خارطة التسوية الدائمة-والتي كنا على استعداد لإبداء قدر كبير جدا من المرونة بالنسبة لها، مقارنة بإعادة الانتشار الإضافي- في تحييد أهمية الانسحاب الأخير، ومثلما قلت في نقاشات داخلية، اشك في تنفيذها أصلا. ولهذا السبب، ولاسباب تكتيكية قررنا إبطاء النزاع على إعادة الانتشار الإضافية ومحاولة إحراز تقدم في مناخ أخرى.

كانت المشكلة المركزية تتمثل في إقناع أبو علاء- هو تكتيكي متميز، فطن، ويجيد الدفاع عن مصالح أولئك الذين كلفوه. وحال عودتنا إلى زخرون يعقوب، وجدنا الفلسطينيين وقد شددوا مواقفهم في جميع القضايا المدنية التي كانت على جدول الأعمال. وكانت الرسالة واضحة تمام الوضوح:" قولوا لنا ما الذي يمكن أن نتوقعه من إعادة الانتشار الإضافي في المستقبل، ومقابل ذلك، ستكون على استعداد للتقدم في الحاضر". وهكذا آلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

ضايقنا المستوطنون، وحلفاؤهم من اليمين إبان تواجدنا في زخرون يعقوب، بالمظاهرات والصراخ. ولم تكن صرخاتهم وشعاراتهم، فقط، تضايقنا، بل لقد حاولوا عرقلة دخولنا إلى الفندق والخروج منه. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم جراء السباب الذي يلاقونه من المستوطنين واليمين، الذين أخذوا يدقون بقبضاتهم على سياراتهم. بل لقد كانت هناك ضرورة لتهريبي، ذات مرة، في حوالي الساعة الواحدة ليلا، من الفندق، في سيارة مصفحة فيما كان سائقي يشق طريقه وسط الجماهير الغاضبة، التي أمطرته بسيل من السباب واللعنات. ورغم

ذلك، لم نصطدم بمظاهرة واحدة مؤيدة للسلام، وهـو الأمـر الـذي حـز فـي نفوسـنا إلى حد كبير، لقد كان على دعاة السلام، أن يخرجـوا إلـى الشـوارع، للإعـراب عـن آرائهم في هذا المنعطف التاريخي الكبير، بيد أن هـذه المظـاهرات لـم تجـر، إلا فـي المرحلة الأخيرة من نفس العـام.

وفي إحدى وجبات العشـاء، فـي غرفـة الطعـام بـالفندق جلسـت بصحبـة عوزي ديان، وعبد الرزاق اليحي، والـذي كـان يحـدق فـي الشـمس، وهـي تغـرق خلف قرمزية الشمس الغاربة، واشـار بإصبعـه قـائلات :" هـل تـرون. تلـك هـي "الطنطورة" حيث ولـدت".

قلت بعدم ارتياح"صحيح" ؟؟ كـان الحديـث عـن مسـاقط الـرأس يذكرنـي دائما إلى أي حد يضرب هذا النزاع جـذوره فـي التـاريخ القديـم علـى نفـس هـذه البلاد، والى أي حد، من المهم العودة لتقسيمها مـرة والـى الأبـد.

ارتسمت ابتسامة غريبة على شفتي عبد الـرزاق اليحـي، وقـال:" انظـروا كـم كنـت غبيا، من الطنطورة انتقلت الى الأردن، ومـن الأردن إلـى سـورية ثـم إلـى جيـش التحرير الفلسطيني، إلى الخليج، إلى مصر، بيروت، تونـس، عمـان، ثـم إلـى الضفـة الغربية وهاأنا الان، اجلس فوق قمة هـذا الجبـل.

أكثر من خمس وأربعيـن سـنة مـن التجـوال والغربـة، فـي حيـن كـان بمقدوري، ببساطة، أن أذهب من الطنطـورة إلـى هنـا، كـي أجلـس معكـم لتنـاول وجبة عشـاء.

عقبت على حديثه بالقول:" نحن جميعا قطعنـا طريقـا طويـلا حتـى وصلنـا إلى هنـا".

في الحادي والعشـرين مـن الشـهر، عقـد بـيرس إجتماعـا مـع الرئيـس المصري تلبية لطلب مبارك، لإطلاعه على المستجدات، وقـد طلـب منـا- أنـا وأبـو علاء- الانضمام إليـهم.

جلسنا في غرفة كبيرة حول طاولة مستطيلة، كان الرئيس مبارك يجلس على رأسها، بينما جلس عرفات وبيرس على جانبيها، وقد كان إلى جوار الرئيس المصري مساعداه الرئيسان : وزير الخارجية عمرو موسى وأسامة الباز.

كان الباز من وجهة نظرنا مؤيدا للمسيرة الحالية، في حين كان عمرو موسى الدبلوماسي المحنك يتطلع إلى مسيرة سلمية تلعب فيها إسرائيل دورا هامشيا بالنسبة للزعامة الحقيقية للمنطقة التي تسعى إليها مصر.

كان الانسحاب الإضافي يحتل رأس جدول أعمال اللقاء، وطرح أبو علاء القضية أمام الرئيس مبارك، وقال : "مسألتا الانسحاب الإضافي والأمن هما جوهر القضية، وأساس أي تسوية ولا شك أن الخليل تعتبر مشكلة، نظرا لأن سكانها وأقاربهم موزعون في جميع أنحاء الضفة الغربية،)والإتفاقيات بشأن المنطقة ((B) تسير بصورة معقولة، بيد أن ما آمل في التوصل إليه هو الإتفاق حول إعادة الإنتشار الإضافي في المنطقة (C) .

استهل بيرس تعليقه موجها كلامه إلى عرفات : "أنظروا إلى أين وصلتم : قلقيلية على بعد تسعة كيلو مترات من البحر، ونصف كيلو متر من كفار سابا، وبيت لحم ورام الله على بعد بضعة كيلو مترات من القدس، لا أعتقد أن هناك دولة في العالم على إستعداد لعمل ما فعلناه، سيدي الرئيس.

ثم توجه بيرس إلى مبارك قائلا : "هل كنت ستوافق على أن تحكم سلطة أخرى على بعد بضعة كيلومترات من القاهرة؟؟ بالتأكيد أنك لن توافق، لقد اعتقد الفلسطينيون وغيرهم أن مصطلح غزة أولا، سيكون "غزة أخيرا"، لقد ظنوا أننا نحاول خداعهم، وها أنا ورابين نقول : اعتمدوا علينا أيضا في الانسحاب الإضافي، لا تجروا الآن أي مفاوضات حوله، لقد التزمنا باستكمال إعادة الانتشار حتى منتصف ١٩٩٧، وسنفي بهذا الالتزام، فعندما نعطي كلمتنا، فإننا نلتزم بذلك.

عرفات : "وما الذي سيحدث إذا ما حدث انقلاب في السلطة؟؟ ومن يضمن لنا أنه لن يقع مثل هذا الانقلاب".

بيرس " "سنفوز في الانتخابات القادمة رغم كل ما تسمعه سيدي الرئيس، هل ترى ما الذي نقترحه عليكم؟ : أي دولة كانت ستقبل بعمل ذلك؟؟. الليبيون؟؟ الصرب؟؟ الفرنسيون؟؟ العراقيون؟؟.

تدخل وزير الخارجية المصري عمرو موسى في محاولة لامتصاص التوتر القائم قائلاً : "أقترح أن تترك للطواقم التي تعكف على التفاوض حول الانسحاب الثاني والخليل، أن تواصل عملها لقد فهمت من سبير أن هناك اقتراحات مختلفة بهذا الصدد".

بيد أن بيرس واصل حديثه، لإطلاع الجميع على حجم التضحية الإسرائيلية، فقال : "نحن ننفق مليار شيكل على قواعد الجيش الجديدة، وعلى الطرق الإلتفافية للمستوطنين، نحن أناس جادون". وعندما شعر أنه استنفذ كل ما أراد قوله، إنتقل إلى مرحلة تأييده إقتراح عمرو موسى بشأن استمرارية عمل طواقم المفاوضات.

تمكنا في اجتماع الإسكندرية من إحراز تقدم معين في قضية مهمة، فقد اقترح المصريون – وكما يبدو بمبادرة من أبو علاء، أن تعقد الإنتخابات في القدس الشرقية في مكتب البريد.

كانت إسرائيل قد طالبت بأن يتم إرسال بطاقات الإنتخاب في البريد، في حين أراد الفلسطينيون وضع الصناديق الانتخابية في أماكن مقدسة، أو في مكاتب الأمم المتحدة، بيد أن بيرس رفض هذا المطلب رفضاً تاماً لذا، فإن إجراء الانتخاب في مكتب البريد كان سيتيح الفرصة لكل طرف كي يزعم من جانبه أنه انتصر.

وحينما انتقل النقاش إلى المعتقلات الفلسطينيات التسع والثلاثين في المعتقلات الإسرائيلية، قال بيرس للرئيس مبارك : إن قسما منهن أدين بالقتل، وبالتالي لا يمكن إطلاق سراحهن، ألا إذا قبل رئيس الدولة منحهن العفو، وحالاً

تناول الرئيس مبارك سماعة الهاتف، وطلب من مســـاعده أن يتصــل بصديقــه عــيزر وايزمن رئيس الدولـــة.

صاح الرئيس المصـــري فـــي الســماعة : "عــيزر كيــف حــالك؟؟ عرفــات وبيرس لدي الآن، وهما يرسلان إليك تحياتهما، والحقيقة أنننـــي أريــد أن أتوجــه إليــك برجاء : نحن نريد موافقتك على إطلاق ســـراح المعتقـــلات الفلســطينيات".

لم نسمع ما قاله وايزمن من الطرف الآخر، بيـــد أن الرئيـــس مبـــارك انفجـــر في ضحكة صاخبة، وأغلق السماعة، ثم قال لنـــا : "حســنا لقــد وافــق علــى مــد يــد المسـاعدة.

أدت هذه المحادثة إلى إدراج أسماء جميع المعتقـــلات الفلســطينيات فــي بنــد تحرير الأسرى التابع للاتفاقية، بيـــد أن بــيرس طلــب مــن الرئيــس مبــارك عــدم الإعلان عن ذلــك الآن.

عندما عدنا في نفس الليلة، للالتقاء بطاقم أبــو عــلاء فــي زخــرون يعقــوب، قلت : "لقد كان لقاء الإسكندرية مجديا، بيد أن أبــو عــلاء كــان يحمــل رأيــا مخالفــا، وقال : لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن مهمة إعـــادة الانتشـــار الإضـــافي، ســيتوجب علينـــا العمل على هذا الصعيـــد".

أعرب الفلسطينيون عن عـــدم رغبتـــهم فـــي البقـــاء فـــي زخـــرون يعقـــوب، واتفقنا على الانتقال إلى ايلات، وفـــي الطريـــق توقفنـــا فـــي البحـــر الميـــت، بيـــد أن المحادثات هناك لم تكن مجدية، وإبان تواجدنا هنـــاك علمنـــا بوقـــوع عمليـــة انتحاريـــة في حافلة رمات جان، مما أسفر عن مقتل ســـتة أشـــخاص.

ورغم أن أجهزتنا الأمنية تؤكـــد أن الســلطة الفلســطينية تحــارب الإرهـــاب، بصورة جدية، بيد أنه لم يتم العثور علـــى أســـلوب للقضـــاء علـــى الإرهـــاب بصـــورة قاطعة. وخلال اللقاءات التي جرت بيـــن الجـــهات الأمنيـــة مـــن الجـــانبين، تـــم اتخـــاذ قرار بتوطيد التعاون أولا ضد الإرهاب، وتصعيـــد العمـــل ضـــده.

وصلنا إلـــــى إيـــلات فـــي الأول مـــن آب لإجـــراء المرحلـــة الأخـــيرة مـــن المحادثات، وكانت الحماية الخارجية قـــد أوكلـــت إلـــى شـــرطة إســـرائيل، أمـــا علـــى

الصعيد الداخلي فـأوكلت مناصفـة بيـن قـوات الأمـن الإسـرائيلية وجـهاز الأمـن الفلسطيني، حيث قام كل طـرف بـاحتلال أحـد مدخلـي فنـدق (بـاطيو) الـذي كنـا سنجري المفاوضات فيـه.

وقد وجدنا حفنة من الصحفييـن بانتظارنـا فـي الخـارج أمـا المتظـاهرون فكما يبدو أن الحر الشديد في إيلات حال دون لحاقهم بنا مـن زخـرون يعقـوب. الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي لم يكونا هذه المـرة، علـى غـرار وفـدي أوسـلو فقـد عكس الوفدان- حوالـي مـائتي شـخص- قطاعـات واسـعة وشـرائح مختلفـة مـن المجتمعين، وكان بالإمكان العثـور فـي الوفديـن، علـى جميـع التطلعـات السياسـية المختلفـة.

عقـدت يـوم الإثنيـن، إجتماعـا لأعضـاء الوفـد الإسـرائيلي لمناقشـة الإستراتيجية، وتحليل القضايا التـي سـيتم طرحـها للنقـاش، وقـد أعـرب أعضـاء طاقمنا، مرة أخرى، عن غضبهم تجاه الوفد الفلسطيني، وقـالوا : "لقـد غـيروا رأيـهم من جديد، ويقولون أنهم لا يملكون صلاحيـات، وهـم يتمسـكون بمواقـف متطرفـة، ويحاولون كسب الوقت"، لقد كان الفلسطينيون لا يزالـون فـي أعيـن الوفـد "الأعـداء" ولا شك أن أي مفاوضات تتسم بقدر من التوتر، بيـد أن هـذا التوتـر بـرز بصـورة أكبر الآن، نظرا لاضطرار أعضاء الوفد الإسـرائيلي للتعـامل مـع الوفـد الفلسـطيني انطلاقا من مبدأ المساواة، لقد وجد بعض أعضـاء وفدنـا، صعوبـة فـي ذلـك، بعـد سبع وعشرين سنة من الاحتلال، والكراهية الشديدة تجاه منظمـة التحريـر لقـد إعتـاد أبو علاء أن يقول لي خلال الليالي التي قضيناهـا فـي النقـاش سـوية، : إن أعضـاء الوفد الفلسطيني تعاملوا بنفـس المشـاعر مـع الوفـد الإسـرائيلي، وكـانوا يقولـون : "الإسرائيليون غير معنيين بالتوصل إلى إتفاق، وكل مـا يرغبـون فيـه، هـو مواصلـة الاحتلال". وكان يؤكد لـي، أن اتخـاذ المواقـف المتشـددة، هـو جـزء مـن طبيعـة المفاوضات، وليس من طبيعـة المفـاوضين.

إعتاد أعضاء الوفدين، خلال الأسبوع الأول، أن يأكلوا كل على انفراد، بعكس رؤساء الوفدين، ومسئولي الجهاز الأمني، الذين تعرفوا على بعضهم البعض في السابق.

كانت اللجان المختلفة تستعين بمستشارين قضائيين، وقد أشرف زينجر على لجاننا بكفاءة عالية جدا، وكانت اللجان المختلفة تجتمع في غرف مخصصة لها، حيث تجد على أحد الأبواب يافطة كتب عليها مثلا "الأراضي"، وأخرى كتب عليها "الأمن"، وثالثة كتب عليها "اللجان الفرعية للخليل"، ولا شك أن كل من كان يسير في ممرات الفندق، كان يرى أمام ناظريه المسيرة السلمية، موزعة هنا وهناك.

اعتاد طاقم التوجيه الاجتماع، خلال الليل، في مجموعات صغيرة، وفي ساعات الفجر، كنا نعقد أنا وأبو علاء اجتماعا ثنائيا، وكانت أفكار أبو علاء مركزة في المرحلة الأولى، على إعادة الانتشار الإضافي بيد أنني قلت له، ذات مرة : حتى لو تفاوضنا ألف سنة، فإن إسرائيل لن تكشف خارطة المرحلة الأخيرة لإعادة الانتشار الإضافي.

فرد أبو علاء : "هل تعتقد أننا سنؤيد الاتفاق دون أن نعرف ما الذي سيسفر عنه". هل تعتقد أننا سنقبل بترك جميع القرارات المستقبلية بين "أيديكم" إذا كان الأمر كذلك، وكانت الأمور رهنا بي أنا فلن يكون هناك أي اتفاق".

وهكذا توجهت إلى بيرس مجددا، وقلت له، إن عليه أن يحل المشكلة مع عرفات، فوافق على الإتصال به، وأن يعرب له عن تذمره من عدم إحراز أي تقدم في المفاوضات، وقال له : إن الأمريكيين يشاطرونه الرأي في نفاذ صبره وصبرهم.

إتصل بيرس بعرفات خلال تناول الوفدين طعام العشاء بدعوة من مارتن ايندك، ولارسون، اللذين كانا معنيين بترتيب لقاء قمة بين عرفات وبيرس في طابا، وقد استجاب عرفات لهذه الفكرة، رغم معارضة ونصائح كبار مسئولي الوفد الفلسطيني، ووافق على اللقاء في العاشر من آب.

ثارت ثائرة أبو علاء عندما علم بموافقة عرفات على اللقاء وقال لي :
"أنتم تعملون هنا مع وفد يمثل الشعب الفلسطيني، وإذا ما توصلتم معنا إلى اتفاق كمفاوضين متساويين فإن الاتفاقية ستصمد يجب أن ننقل إلى صانعي القرارات، فقط، الأسئلة والمشاكل التي لا ننجح معا في حلها، ويجب أن نفعل ذلك في النهاية".

تفهمت أسباب غضب أبو علاء، بيد أنني أدركت أيضا، أنه إذا لم تحل الآن قضية الانسحابات الإضافية، فسوف يكون من الصعب جدا إحراز أي تقدم في أي مجال آخر، ورغم الثقة السائدة بيني وبين أبو علاء، إلا أنه كان يشك في أن إسرائيل ترغب في دفع ثمن زهيد جدا، مقابل قبولها في المنطقة، مع استمرارها في إدارة حياة الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وإن كان بصورة أكثر اعتدالا وهكذا وقبل أن يصل عرفات إلى طابا، اقترح أبو علاء على صفقة :
"أنتم تبقون في ٢٥% من الضفة الغربية، وهي مساحة المستوطنات والمناطق الأمنية المحددة وتسلموننا في الانسحاب الأخير ٧٥% فأنا أود أن آخذ بعين الاعتبار مصلحتكم الأمنية".؟ قلت له إننا لا نستطيع الموافقة على ذلك، لأننا لا نعرف ما الذي سيكون عليه الوضع الأمني في منتصف عام ١٩٩٧.

اجتمع بيرس وعرفات في طابا في العاشر من آب، بحضور عبد الرزاق اليحيى وياسر عبد ربه، وأبو علاء، وعوزي ديان وزينجر وأنا، قدم بيرس إلى الاجتماع بروحية عسكرية، فقد شعر أن أبو علاء بالغ، حينما طالب بأن تنسحب إسرائيل من غالبية الضفة الغربية، حتى منتصف عام ١٩٩٧، وشعر أن هذا المطلب سيصعب إمكانية تنفيذ الصفقة كلها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجهة نظر الجماهير الإسرائيلية، لقد اعتقد أبو علاء أنه يجب عليه في هذه القضية المركزية، أن يتجاهل تقديرات مناورتنا بغية الدفاع عن مصالح شعبه في المستقبل.

بلورت أنا وزينجر قبل اجتماع القمة موقفنا بشأن الانسحاب الإضافي بحيث يتم الانسحاب مرة كل ستة أشهر، على مدى ثمانية عشر شهرا، ودون

تحديد مساحة كل انسحاب وقمنا خلال اجتماعات طابا بطرح هذا الموقف على عرفات الذي قبله أمام دهشة أعضاء الوفد الفلسطيني. وربما كان عرفات يفهم أكثر من أي شخص آخر ضرورة إستئناف الاتجاه نحو الحكم الذاتي الفلسطيني الكامل بسرعة، وبالتالي منطقة التسوية الدائمة، ولهذا السبب كان عرفات يعزو أهمية أقل للضمانات المتعلقة بالمستقبل، مما يعزوه لما يمكن إحرازه في الحاضر.

كان مصدر الاهتمام والقلق الوحيد لدى عرفات هو الرأي العام الفلسطيني، لذا قرر أن يخوض النزاع مع إسرائيل حول الخليل، بدلا من إثارته حول الانسحاب الإضافي.

طالب عرفات بأن نوافق على إقامة مركز شرطة فلسطيني في الخليل، وألمح إلى أنه إذا ما تنازل بيرس في هذا المطلب، فسوف يصبح بالإمكان معالجة جميع جوانب الاتفاق الأخرى بسرعة.

قرر بيرس الموافقة على الصفقة، وأن يتوجه إلى إسرائيل لمناقشة رابين ومسئولي جهاز الأمن الإسرائيلي حولها.

طلب رابين عقد اجتماع في مكتبه الساعة الحادية عشرة ليلا، فتوجهنا إلى هناك في طائرة عسكرية إسرائيلية، بيرس وديان، وزينجر وأنا وأورن شاحور، وحضر الاجتماع ضباط كبار من الجيش، وبعض مسئولي جهاز الأمن العام. والوزراء موشيه شاحل ويوسي سريد، وأهود براك، الذي عين قبل فترة وجيزة وزيرا للداخلية.

شرح بيرس التفاهم الذي تم التوصل إليه بشأن الانسحاب الإضافي، وأعرب رابين حال سماعه عن ارتياحه لذلك، ثم طلب من بيرس قصر النقاش على إمكانية إقامة الفلسطينيين مركزا للشرطة في الخليل نظرا لأنه كان يرغب في العودة إلى طابا، في نفس الليلة، ونقل رده إلى عرفات، وإنهاء الصفقة، ووصف بيرس كيف هاجم أعضاء الوفد الفلسطيني عرفات بسبب تنازله بشأن الانسحاب الإضافي، وقال لقد كان من المناسب التنازل لعرفات في قضية مهمة

بالنسبة للرأي العام الفلسطيني قضية إقامة مركز الشرطة الفلسطيني في الخليل مقابل مسألة أهم بكثير على الصعيد الإستراتيجي الانسحاب الإضافي.

عارض العسكريون إقامة مركز الشرطة في الخليل، وبرروا ذلك بأن وجود وجهتين أمنيتين في المنطقة سيحدث حالة فوضى، وأعربوا عن قلقهم من ردود فعل المستوطنين على وجود مركز شرطة فلسطيني في الخليل، ومن الجدير بالذكر، أن بيرس بدا مصرا على اتخاذ قرار إيجابي، في هذه القضية، مخالفا بذلك آراء العسكريين.

صرخ بيرس قائلا : "لقد ضجرت من خوفكم مما سيقوله المستوطنون، أية صلافة هذه، هل تريدون أن يبقى مائة وخمسون ألف مواطن فلسطيني في الخليل رهائن في أيدي أربعمائة يهودي؟؟ هناك حدود للمبالغة وهناك حدود للجبن، وأنا أقول لكم : إن بمقدورنا كسر عرفات، إذا كان هذا ما تريدونه، بيد أننا سنبقى، في هذه الحالة، مع حماس، والانتفاضة والإرهاب، نحن ملزمون باتخاذ قرار حول من الذي يحكم هذه الدولة؟ هل هي الحكومة أم حفنة من المستوطنين؟؟ وأن أقول لكم أنتم الجنرالات : يجب عليكم أن تدرسوا القضية برمتها من الزاوية الأمنية،وأن تكفوا عن مواصلة التهديد القائل : ما الذي ستكون عليه ردود فعل المستوطنين؟؟".

عندما أنهى بيرس حديثه ساد الصمت في المكتب، وكان وجهه شديد الاحمرار من الغضب، وتجاهل جميع التقديرات الخاصة بشعبيته، وكان واضحا تماما، وأن شخصا ما سيسرب نبأ قبل إنبلاج الفجر، "يفيد أن بيرس باع الخليل".

أدرك رابين أن النقاش سيتجه نحو قضايا سياسية، فطلب من جميع الحاضرين باستثناء الوزراء الخروج من الغرفة.

وقفنا في الخارج وسط توتر شديد، وبعد عشر دقائق خرج الوزراء، وخرج بيرس بسرعة، وقال : "نحن عائدون إلى طابا، لقد تم قبول اقتراحه بالإجماع".

وصلنا إلى طابا في حوالي الساعة الثانية ظهراً، وقد تحدث بيرس في البداية مع عرفات، حول القرار الوزاري فشكره عرفات، واقترح أن يتم الالتقاء صبيحة اليوم التالي، بيد أن الفلسطينيين أرجأوا المحادثات إلى ما بعد الظهر، وبدا لي بوضوح، أن أبو علاء يتهرب مني.

وعندما اجتمع عرفات ببيرس، قال له : عندما تم الإعلان في صوت إسرائيل أمس عن التوصل إلى إتفاق بشأن الخليل، قدم جماعة من وجهاء المدينة إلى طابا، وطلبوا الالتقاء به، وهددوه بمقاطعة الانتخابات، إذا لم ينسحب الإسرائيليون من الخليل مثل باقي المدن الفلسطينية وأن أهل الخليل هم جماعة خاصة، صعبة وعنيدة.

اقترح بيرس أن يقوم نفسه بشرح مزايا. الاتفاق لوجهاء الخليل، وعندما بدأ بيرس ذلك تجاهلوه تماماً، وتجاهلوا حديثه حول المصالح الأمنية الإسرائيلية، وحول ضرورة التعايش المستقر.

تلقينا في تلك الآونة تقارير تفيد بأن هناك توتراً حقيقياً في الخليل، وأنه لا يجب أن نعتبره مناورة من عرفات، بقصد خدمة المفاوضات، لذا قرر بيرس إرجاء اتخاذ قرار بشأن هذه المدينة، وقد اكتفى البيان الذي تم إصداره في نفس اليوم بالقول، إن الطرفين ناقشا القضية.

واتفقنا في أعقاب الاتصالات مع دنيس روس، على تشكيل لجنة ثلاثية، إسرائيلية فلسطينية أمريكية لمناقشة القضايا الاقتصادية والرأي العام والسياسات.. أما باقي الصفقة بما فيها التفاهم حول إعادة الانتشار الإضافي على مراحل، والتي ستنفذ على مدى ثمانية عشر شهرا، وتقسيم الصلاحيات في المنطقة (B). مثلما تم الاتفاق عليه في الرابع مع تموز، فقد تم الاتفاق عليها في وثيقة مكتوبة.. وقد اقترح بيرس التوقيع على هذه الوثيقة، في مراسيم رسمية، نظراً لأنه سيطرحها أمام الحكومة فوافق عرفات على ذلك، فعقب أبو علاء على ذلك متذمرا وقال : إن هذه الوثيقة ليست اتفاقا، بل هي جزء من إتفاق، فلماذا يجب التوقيع عليها؟ بيد أن عرفات أمره بالتوقيع، فقال أبو علاء : حسنا، لكن ليست أمام كاميرات

التصوير، وهكذا وللمرة الثالثة في أعقاب أوسلو والقاهرة، جلسنا أنا وأبو علاء للتوقيع على وثيقة بالأحرف الأولى.

وفي الثانية ليلاً عقد بيرس وعرفات مؤتمرا صحفيا تليا فيه التفاهم الذي تطرق بصورة رئيسية إلى الانسحابات الثلاثة دون اتخاذ قرار حول مساحة الانسحاب.

قدم بيرس الاتفاق إلى الحكومة، وقمت أنا وزينجر بتوضيحه، وقد احتج أهود براك على وتيرة الانسحابات الإضافية، وقال : "إذا لم نحافظ على وسائل الضغط التي بحوزتنا إلى موعد متأخر، فكيف يمكننا التأكد من أننا لن نضطر للانسحاب إلى مناطق مقلصة نسبيا من الضفة الغربية، في منتصف عام ١٩٩٧، وقبل أن يتم اتخاذ القرارات المصيرية حول التسوية الدائمة.

أوضحت له، أنا ويان وزينجر : أنه عندما حصلنا على ثلاثة إنسحابات، فإننا حصلنا على وسيلة ضغط جديدة عدا عن أننا لم نحدد مساحة كل انسحاب.

وقد حاول رابين إقناع براك بالقول :" إننا نتحدث عن إنجاز حقيقي، فلا تر فيه تنازلا" قرر براك الامتناع عن التصويت، بيد أن الحكومة صادقت على الاتفاق.

أدركنا أننا حققنا الفوز في هذه الجولة من المفاوضات، نظرا لأن تفاهم طابا ترك المستقبل مفتوحا أمام اختيارات الواقع، وأمام ديناميكية التعاون في مجال تطبيق اتفاقية التسوية المرحلية، عدنا إلى إيلات، ونحن ندرك أن قدرا كبيرا من العمل الصعب لا زال أمامنا وكنا ندرك كذلك أن أعضاء الوفد غاضبون بسبب توجهنا المباشر إلى عرفات.

عملت طيلة المفاوضات على إطلاع روس بصورة دائمة على ما يجري، الذي عمل على تشجيع الوفدين، وأعرب عن تقديره العميق نظرا لأننا نحل مشاكلنا بأنفسنا، دون تدخل الولايات المتحدة.

شعرت، في منتصف آب، أن هناك ضرورة لإشراك الأمريكيين في المفاوضات، وكنا آنذاك أنا وأبو علاء نجري اتصالات دائمة مع دنيس روس، بل كنا أحيانا نتحدث معه واحدا وراء الآخر من نفس الهاتف المتحرك.

واصل الأمريكيون، في تلك الآونة، حث الدول المانحة على الوفاء بالتزاماتها بالتنسيق مع النرويج والاتحاد الأوروبي، وحرص ممثلو الحكومة الأمريكية على تجنيد تأييد الكونغرس فيما كان الليكود في تلك الآونة يدير معركة شديدة في أوساط الكونغرس، ضد المساعدات المقدمة إلى السلطة الفلسطينية، وذلك عبر ممارسة ضغوط على الحزب الجمهوري واللوبي اليهودي.

وخيل إلينا أن سفارتنا في واشنطن لا تعمل بالشكل المطلوب لمواجهة حملة الليكود، مما حدا برابين إرسال رسالة يحثها فيها على بذل قصارى جهودها بهذا الصدد، ويقول : إن تقديم المساعدات للسلطة الفلسطيبية هو جزء لا يتجزأ من محاربة الإرهاب.

<u>نقل الصلاحيات المدنية وحل الإدارة المدنية :</u>

إنشغلت وسائل الإعلام التي غطت المحادثات بصورة أساسية بالأمن الإسرائيلي، وبالرموز الخارجية للحكم الذاتي الفلسطيني، بيد أن نواة التسوية المرحلية، تمثلت في نقل الصلاحيات المدنية، وقد ألقيت هذه المهمة على عاتق اللواء أورن شاحور والذي تم تعيينه في شباط، منسقا لأعمال الحكومة في المناطق المحتلة، وذلك على عكس توصيات أعضاء وفد المفاوضات، الذي خشي من افتقار شاحور إلى التجربة، في كل ما يتعلق بالمناطق وسرعان ما اتضح، أن هذا الافتقار إلى التجربة هو أهم مزايا شاحور، فقد سهل عليه ذلك إجراء محادثات مثمرة، حول حل الإدارة المدنية في المناطق وخلق واقع جديد، أضف إلى ذلك أنه لم يكن لدى شاحور أي ميل للبيروقراطية التي سيطرت على حياة الفلسطينيين، وكان متحررا من تقاليد السيطرة التي ميزت غالبية الأشخاص الذين ترعرعوا في الحكم الذاتي، كما أنه كان يتحدث بحدة مع الفلسطينيين

والإسرائيليين على حد سواء ورغم أنه ضم إلــى هيئــة الأركــان ، إلا أنــه لــم يكــن متساوقا مع ضباطــها.

إن نظير شاحور في هذه المفاوضات جميــل الطريفــي، وهــو رجــل أعمــال من البيرة، ثري، وهو أيضا شخصية متمــيزة فــي طبيعتــها وغريــب عــن الزعامــة الفلســطينية، بيــد أنــه كــان يحظــى بثقــة عرفــات، نظــرا للنشــاطات والعلاقــات الاقتصادية المتشعبة التي طورها. وفــي البدايــة، شــكل شــاحور والطريفــي منتــدى خاصا بهما، بيد أنهما سرعان ما اندمجا في أعضــاء طــاقم المفاوضــات.

طلبــت مــن رابيــن أن يشــجع شــاحور علــى التقــدم فــي مجــال نقــل الصلاحيات، لأنني اعتقدت أن غالبيــة العمــل فــي إيــلات، ســيكرس لــهذا الغــرض وضمنت أن رجال شاحور سيســاومون بمنتــهى الشــدة، علــى كــل ذرة صلاحيــات ترغب إسرائيل في الاحتفاظ بها وقد كنت محقــا فيمــا يتعلــق بحــرص شــاحور، بيــد أنه تقدم بسرعة كبيرة ومنذ اللحظة التي بدأت فيــها مفاوضــات إيــلات، أكــثرت أنــا وهو من الالتقاء مع رؤســاء مجموعــات العمــل، لســماع تقــاريرهم والإهابــة بــهم للتركيز فقط، على الشئون ذات الأهميــة لإســرائيل، علــى المــدى البعيــد، والتحــرر من مسألة السيطرة على حيــاة الفلســطينيين.

فتحت الحوارات حــول الصلاحيــات التــي اســتخدمتها إســرائيل منــذ عــام ١٩٦٧، أمامي عالما جديدا لقد طور العديد مــن الإســرائيليين بمــرور الســنين مفــهوم أن الاحتلال الإسرائيلي حضاري ومتنور بيــد أننــي عرفــت خــلال الحــوارات التــي دارت أن هذين المصطلحين هما الشــيء ونقيضــه، ولــم أكــن أعــرف إلــى أي حــد تعمقنا في حياة الفلسطينيين، لقد عملنا على تمييع هــذه الحقيقــة، لأننــا ربمــا كنــا أول محتلين في التاريخ، يشعرون أن الاحتلال واقــع عليــهم هــم، إن تفكيرنــا فــي ذاتنــا كمجتمع إنساني وكضحية أبدية للتــاريخ، إضافــة إلــى النفــور الشــديد مــن العــرب، أعمى أبصارنا عن رؤية ما يحدث في الضفــة الغربيــة.

لقد علمت خلال محادثــات إيــلات أن الفلســطينيين فــي الضفــة الغربيــة لا يستطيعون العمل أو البناء، أو الدراسة، أو شــراء أرض، أو العمــل فــي الزراعــة أو

فتح محل عمل، أو الخروج في نزهـــة ليليـــة، أو الدخـــول لإســـرائيل، أو الســـفر إلـــى الخارج، أو زيارة عائلته في الأردن أو في غزة دون تصريـــح منـــا، لقـــد كـــان جـــهاز الإدارة هائلا حقـــا.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض هذه القيود كان لـــــه مـــا يـــبرره حقـــا، بيـــد أن القسم الأعظم منها، كان نتاجا لنمط بيروقراطي فظيـــع يتنـــامى شـــيئا فشـــيئا، ويتغـــذى من ميزانية لا تنتـــهي.

وخلال سني الاحتلال السبع والعشرين، قضى واحـــد مـــن ثلاثـــة فلســـطينيين وقتا من حياته في السجن أو التوقيف، كما أن الجمـــاهير الفلســـطينية كلـــها عـــانت مـــن إهانات وإذلال، بل ربما كان بعض جـــروح هـــذه المرحلـــة، لنـــا قـــابلا للشـــفاء إلـــى الأبد.

والآن أصبح علـــى المحتليـــن أن ينقلـــوا صلاحياتـــهم إلـــى (عبيدهـــم) وهـــو الأمر الذي تسبب لهم في أزمة حســـية وعمليـــة.

لقد تمكنا في إيلات من تفكيك الاحتلال مسمار إثـــر الآخـــر، بيـــد أنـــه كـــان من بين رجالنا، من صعب عليه جـــدا أن يتغـــير.

لقـــد وجـــد بعـــض أعضـــاء الإدارة المدنيـــة أن الجلـــوس مـــع (مواطنيـــهم) السابقين في إيلات أكثر بكثير مما يســـتطيعون تحملـــه.

أرسلت لشمعون بيرس رسالة شخصية، خـــلال فـــترة المفاوضـــات، لوصـــف المناظر الكامنة، خلف طـــاولات المفاوضـــات، فـــي معـــرض تطرقـــي إلـــى الشـــئون المدنية، قلت له فيها:" يخيل الي أن طواقـــم المفاوضـــات المدنيـــة مركبـــة مـــن أنـــاس يسكنون في المستوطنات، ومن محـــامين، وأن الكثـــيرين منـــهم لا يرغبـــون فـــي حـــل الإدارة المدنيـــة.

سمعت من الفلســـطينيين أن أحـــد أكـــثر المتســـلطين الذيـــن يتحكمـــون فـــي حياتـــهم، هـــو ضـــابط فـــي الإدارة المدنيـــة، يدعـــى موســـكوفيتش، فـــإذا صـــادق موسكوفيتش سيصبح بالإمكان البناء، وإذا لـــم يوافـــق فلـــن يصبـــح بالإمكـــان البنـــاء، وقد يضطرون للانتظـــار ســـنوات طويلـــة حتـــى يوافـــق، لقـــد أصبـــح موســـكوفيتش

مؤسسة كاملة، وعندما قـــابلت موســـكوفيتش فـــي نهايــــة المطـــاف، وجدتـــه شـــخصا ضعيف الجسم متدينا ولطيف، ولم يثر في نفسي أي انطبـــاع بأنـــه طاغيـــة، وقـــد قـــال أحد المسئولين عنه : موسكوفيتش شخص جيد، وهذا هـــو انطبـــاعي أنـــا أيضـــا وهـــذه هي المشكلة، شخص طيب فـــي وضـــع مســـتحيل لأنـــه وفـــي ظـــل ظـــروف كـــالتي يعيشها، لا مكان لعمل النوايا الحســـنة، والاســـتقامة.

تدخلت كثيرا في مراحل معينة مـــن المفاوضـــات، أولا كـــي أثبـــت وجـــودي، وثانيا كي أتعرف على الأوضاع عن كثب، كـــي يصبـــح بمقـــدوري تقديـــم توصيـــاتي لرابين وبيرس، حول ما يمكن وما لا يمكن التساهل حيالـــه، وقـــد اتفقـــت مـــع شـــاحور حول عدم إمكانية التساهل بشأن المصـــالح ذات العلاقـــة بـــالأمن أو التســـوية الدائمـــة. مثلا، في كل ما يتعلق بشئون المياه، والكهرباء، بيد أنه لـــم يكـــن لـــدي أي شـــك فـــي ضرورة تصفية سيطرتنا على الصلاحيات الكثيرة المطلوبة لنا فقـــط بحكـــم العـــادة.

وفي مفاوضاتنا مـــع جميـــل الطريفـــي، والتـــي مثلنـــا فيـــها بدايـــة، اللـــواء روتشيلد، ثم شاحور، تم الاتفاق على نقل إحـــدى عشـــرة صلاحيـــة إلـــى الفلســـطينيين وطرح تسع وعشرين صلاحية أخرى على طاولة المفاوضـــات فـــي إيـــلات للنقـــاش.

وفي إحدى ليـــالي المفاوضـــات الأولـــى حـــول نقـــل الصلاحيـــات، قـــررت الانضمام إلى المفاوضين للتفاوض حول المحميـــات الموجـــودة فـــي المنطقتيـــن (A) و (B) والتي تقوم إسرائيل بتطويرهـــا منـــذ عـــام ١٩٦٧، ووجـــدت نفســـي فـــي خضـــم جدل عاصف جدا، وصراخ، وقد سارع نظرائـــي لإيضـــاح ســـبب الصـــراخ، طـــالب الإسرائيليون أن يحافظ الفلســـطينيون علـــى المحميـــات مثلمـــا هـــي الآن، فـــي حيـــن رفض الفلسطينيون منح أي الـــتزام حـــول المحميـــات باعتبارهـــا، أصبحـــت منـــذ الآن من صلاحياتهم هـــم ووجـــدت عـــددا مـــن شـــعبة المحميـــات الطبيعيـــة الإســـرائيلية مذهولين تماما، من توجـــهات الفلســـطينيين.

تسلمت مكـــان رئيـــس اللجنـــة وبـــدأت التفـــاوض مـــع الفلســـطينيين حـــول القضيـــة:

أنا : هل تودون تدمير المحميـــة الطبيعيـــة؟؟

رئيس الوفد الفلسطيني : هذا ليس مـــن شـــأنكم عليكـــم أن تسـلمونا المنطقـــة، ونحـــن سنفعل بها ما يحلو لنا، لا نفكر للحظة أن الطبيعـــة ليســت مهمـــة بالنســـبة لنـــا، لكننـــا لن نخضع لكم في هذا الصـــــدد.

وفجأة قدم أبو علاء، الذي تم استدعاؤه كي يكـــون ثقـــلا موازيـــا لـــي، وبعـــد أن سمع تقريرا قصيرا بالعربية من رئيس الوفد الفلســـطيني، إلتفـت إلـــي فقلـــت لـــه : أبو علاء، من حقكم عمل ما يحلو لكم في المحميات، بيد أننـــــا معنيـــون بـــأن تحـــافظوا عليها. ولربما أنكم تعتقدون أنه ما كان علينـــا ومنـــذ البدايـــة أن نطورهـــا، بيـــد أننـــي أختلف معك في ذلك، وأقول : إننا سنعيد لكم شيئا قيمـــا ومثلمـــا يحظـــر عليكـــم تدمـــير المواقع الأثرية يحظر عليكم أيضا تدمير الطبيعـــة أو المســـاس بالحيوانـــات النـــادرة".

أبو علاء : لا شك أنكم تجيدون التعامل مـــع الحيوانـــات، وحقيقـــة، فإننـــا كفلســـطينيين معنيون بالحفاظ على البيئة، بيد أننا سنفعل ذلـــك بأســـلوبنا، أضـــف إلـــى ذلـــك، فـــإنني أكره الأرانب، وسأحرص على أن يتم القضـــاء عليـــها حتـــى آخـــر أرنـــب فيـــها" بـــدا وجهه وهو يتحدث، جديا للغايـــة.

لم يدرك مسئول المحميات الطبيعية الذي وقـــف إلـــى جـــانبي أن أبـــو عـــلاء يمزح، فقال بغضب : "إذا كان الأمر على هذا النحو فلـــن تـــأخذوا المحميـــات."

ضحك أبو علاء، وقال : يا صديقـــي لا داعـــي لأن تخـــاف علـــى الأرانـــب، ولا حتى على الأرانب الفلسطينية ثم اقـــترح أن تتـــم حمايـــة المحميـــات بســـن قـــانون فلســـطيني.

قلت : أنا مسرور لأن مثل هذا القـــانون موجـــود علـــى رأس ســـلم أولويـــاتك بيد أنني أعرف أنه لا وجود لمثل هـــذا القـــانون.

أبو علاء : لن تحددوا لنا أي معايير، هذه مســـألة مبدئيـــة.

أنا : "جميل دعنا نوزع بيانا على الصحفيين نقول فيـــه أنكـــم ترفضـــون الدفـــاع عـــن المحميات الطبيعيـــة، ولا شـــك أن مثـــل هـــذا البيـــان، ســـيمس بكـــم علـــى الصعيـــد الإعلامي في الخـــارج.

وما كدت أنهي كلمتي، حتى سمعت أصوات التأييد عن اليمين وعن اليسار إذا ما خضعنا لهم في هذه القضية سيفعلون كل ما يحلو لهم في مناح أخرى.

شعرت أنه آن الأوان للتوصل إلى تسوية فقلت : لماذا لا نتفق على أن تحافظوا على المحميات الطبيعية وفقا للمواثيق الدولية.

أبو علاء : "هل هناك مواثيق من هذا القبيل؟ "

التفت نحو خبرائنا، بيد أن أيا منهم لم يتذكر أي مواثيق من هذا القبيل.

وفجأة قالت إحدى المحاميات المرافقة لأبو علاء، لماذا لا نكتب : "أننا سنحتفظ بالمحميات الطبيعية وفقا لمعايير علمية مدروسة"؟؟ وافقت، وأضفت أن من المهم التعاون في المجالات التي لا تعرف حدودا سياسية، وقد وافق أبو علاء على ذلك، وقال : يجب أن ينطبق هذا على محمياتنا ومحمياتكم فأعربت عن موافقتي. لقد دارت نقاشات مماثلة في جميع القضايا الأخرى ذات العلاقة بنقل الصلاحيات إلى الفلسطينيين بغية الدفاع عن مصالحنا بعيدة المدى، وقد ارتبطت المشاكل العويصة بالبنية التحتية.

وخلال المفاوضات حول الوضع الصحي، طلبنا من السلطة الفلسطينية أن تلتزم بإجراء سلسلة من المطاعيم، وتتحمل تكاليف المعالجات الطارئة للفلسطينيين في المستشفيات الإسرائيلية، وبعد جدل طويل، توصلنا إلى تسوية تنص على أن يدفع الفلسطينيون مقابلا كالذي يدفعه الإسرائيليون خلال تلقي العلاج في مستشفياتنا، أما المطاعيم فتعطى طبقا لتوصيات منظمة الصحة العالمية.

وافق رابين على تسليم الفلسطينيين أراضي دولة في المنطقتين (A) و (B) شريطة أن لا يتم المساس بحقوق اليهود أصحاب الأراضي في مناطق السلطة، بيد أن الفلسطينيين عارضوا ذلك بشدة، وقالوا أنهم يعتزمون تقديم استئناف إلى المحاكم بشأن مصادرات أراضيهم بصورة غير قانونية، وقد رد

مفاوضونا بالقول : انهم لا يستطيعون الوثوق بالمحــــاكم الفلســطينية، وأنــهم يفضلـــون على أية حال، أن تترك هذه القضية حتى التســـوية النهائيـــة.

حاولت التحدث مع أبو علاء على انفــراد بــهذا الخصــوص، بيــد أنــه كــان متصلبا جدا وذكرني بالأرض التي سلبتها إسرائيل مـــن والـــده، وكيـــف تعــاملت معـــه المحكمة باحتقار، عندما حاول تقديم الأوراق التي تثبـــت ملكيتـــه لـــلأرض.

لقد ثارت عاصفة شديدة عندما قـــال الفلســطينيون أنـــه إذا مـــا ادعينـــا أننـــا نملك أرضا في الضفة الغربيـــة فســوف يــردون لنـــا الصـــاع صـــاعين، وســيقدمون مطالبات لملكيتهم أراضي داخل إســـرائيل الســيادية، وقـــد اتســمت النقاشـــات بـــالحدة الشديدة والصراخ، وفي نهاية المطاف توصلنا إلـــى حـــل ينـــص علـــى تشـــكيل لجنـــة قضائية مشتركة بالمساواة مـــن ممثلـــي الطرفيـــن كـــي تتخـــذ قـــرارات فـــي قضايـــا الاستئناف الخاصة بمصادرة الأراضي أو نقلها أو بيعـــها، لقـــد أدى هـــذا الاتفـــاق إلـــى الحيلولة دون فتح مشاكل لا حصر لــــــها.

جاءت النقاشات حول صلاحيات التخطيط والبناء مـــبررا كافيـــا جـــدا لتبـــادل الاتهامات الشديدة جدا فقد وضعنا قيودا على حق البنــــاء والتخطيــط فـــي اتفاقيـــة غـــزة – أريحا في أماكن السكن القائمة بالتـــأكيد علـــى أن أي عمليـــة توســـيع للبنـــاء تحتـــاج إلى موافقة لجنة مشتركة، ولا شك أننا نـــدرك أن مـــن الصعـــب تطبيـــق هـــذا البنـــد، أما في محادثات ايلات، فقد حاولنـــا أن نكـــون أكـــثر واقعيـــة وحددنـــا معـــايير أكـــثر تحديدا في مجال لبناء، وبشكل خاص فيما يتعلق بالقضايـــا الأمنيـــة مثـــل حظـــر البنـــاء بالقرب من القواعد العسكرية– وأضفنا بندا يقـــول : أنـــه لا يجـــب أن يمـــس التخطيـــط أو البناء بالمستوطنات أو ببناها التحتيـــة. كـــانت هـــذه خطـــوة إيجابيـــة تعكـــس فـــهم شاحور، وموافقة رابين وبيرس على ضرورة عـــدم مواصلتنـــا قمـــع عمليـــة التطويـــر الإقتصادي الفلسطيني من خلال القيود التي نفرضـــها علـــى البنـــاء.

وفي معـــرض تطـــرق الفلســطينيين إلـــى الصلاحيـــات الخاصـــة للأراضـــي الواقعة في المنطقة (C) –الخاضعة لإســـرائيل خضوعـــا تامـــا طـــالبوا بالحفـــاظ علـــى الوضع الراهن فـــي جميـــع المنـــاحى والنشـــاطات غـــير الأمنيـــة، فقـــد تـــم تجميـــد

الاستيطان، بقرار من حكومتكم أضف إلى ذلـــك أن غالبيـــة المنطقـــة (C) مؤلفـــة مـــن مناطق أمنية، فلماذا تواصلون تطويـــر مصـــانع وغابـــات وغـــير ذلـــك؟ وقـــد اعتقـــد رابين أن هذه الأقوال منطقية، لذا تم الاتفـــاق علـــى أن تمســـك إســـرائيل بالصلاحيـــات ذات العلاقة بالمناطق الصناعية والغابات المحميات الطبيعيـــة فـــي المنطقـــة (C) بيـــد أن عملية تطويرهـــا يجـــب أن تتـــم بالتنســـيق مـــع الســـلطة الفلســـطينية، أمـــا بـــاقي الأراضي في المنطقة (C) وحق البناء فيـــها فقـــد بقيـــت تحـــت الســـيطرة الإســـرائيلية وكان من المفروض أن يبقى في هذه المنطقـــة أربعـــون ألـــف فلســـطيني وقـــد نقلـــت الصلاحيات الخاصة بالتعليم والصحة ومـــا شـــابه ذلـــك إليـــهم لـــذا تـــم التـــأكيد فـــي الاتفاقية على أن السلطة الفلســـطينية ســـتكون مســـئولة عـــن جميـــع الفلســـطينيين فـــي الضفة الغربية وغـــزة.

تواصل النضال والنزاع حول ما يجب أن يتـــم نقلـــه إلـــى الفلســـطينيين مـــن الصلاحيات ليلا ونهارا كانت النقاشـــات تبـــدو فـــي صـــورة تعـــارض بيـــن وجـــهتي نظر، فالفلسطينيون يقولون إن ما هـــو مـــن حقـــهم يجـــب أن يكـــون مـــن حقـــهم، ولا يجب أن نقاسمهم فيه، باستثناء التعاون القـــائم علـــى التبادليـــة، فـــي حيـــن أن وجهـــة النظر الإسرائيلية كانت تقول : إن مـــن حقنـــا اتخـــاذ القـــرار حـــول أي الصلاحيـــات سنتنازل عنها- وفي الحقيقة عن أية أجزاء مـــن الصلاحيـــات- وشـــريطة أن لا يمـــس هذا التنازل بالمصالح الإسرائيلية بعيدة المدى، لقـــد تـــم العثـــور دائمـــا علـــى الحلـــول عبر التسويات، بيد أن الواقع كان أقـــوى مـــن النظريـــة، وتقســـيم الصلاحيـــات جـــرى بصورة عامة، وفقا لمصلحة الطرف الذي كان يســـيطر علـــى المنطقـــة.

كانت هناك قضيتان نـــدرك أنـــه لا منـــاص مـــن التعـــاون فـــي مجاليـــهما، وهما:

شبكة الكهرباء : رغم أن الاتفاق حولها هو الاتفـــاق الوحيـــد الـــذي تـــم إرجـــاؤه فـــي نهاية المطاف، لأننا أصرينا على وضع جميع خطوط الضغـــط العـــالي تحـــت ســـيطرة إسرائيل بغية الدفاع عن مصالحنا في المســـتوطنات ومعســـكرات الجيـــش وفـــي نفـــس الوقت كنا على استعداد للتعاون في خطـــوط الضغـــط المنخفـــض.

المياه : والذي نشب حولها نزاع شديد جداء، وشارك في مفاوضاتنا حولها (نوح كنرتي) صديق رابين ومستشاره لشئون الاستيطان، ونبيل الشريف وهو خبير فلسطيني في شؤون المياه ، كان كنرتي مفاوضا متشددا جدا وقد بدا متشككا تجاهي وتجاه بيرس ولم يتشاور الا مع رابين في البداية وعندما بدأت المفاوضات أهان الوفد الفلسطيني كله عندما قال : إن المواطن الفلسطيني المتوسط، يحتاج إلى ربع كمية المياه التي يحتاجها الإسرائيلي المتوسط- مما يعني أن الإسرائيلي أنظف من الفلسطيني، وقد حاول أبو علاء الا يمس كنرتي بأقواله، وكان في كل جلسة يسأله، فيما إذا كان يسمح له بشرب الماء؟؟ وكان كنرتي يرد عليه قائلا: فقط بضع قطرات.

وعندما اقترحت على كنرتي أن يختار أسلوبا أقل حدة خلال المفاوضات رد علي قائلا : دعني أفعل ذلك بأسلوبي وفي نهاية المطاف سنصل إلى تفاهم، فبدون اتفاقية حول المياه لن يكون هناك أي اتفاقية تسوية مرحلية.

وردا على هذا الأسلوب المتشدد قرر أبو علاء أن يعامله بالمثل، وطالب بأن تعترف إسرائيل بالحقوق المائية الفلسطينية، ويتضح من هذا المصطلح القضائي أن من حق الفلسطينيين الحصول على قسم هائل من المياة الجوفية ومياه نهر الأردن، بيد أن كنرتي كان يتحدث عن الكمية التي خصصت للفلسطينيين على الصعيد العملي وإمكانية البحث عن مصادر مياه جديدة، وإبرام اتفاقية تحول دون حفر آبار مياه جديدة بصورة غير منظمة.

وقد طرح بيرس هذه القضية خلال لقائه بالرئيس المصري حسني مبارك وعرفات في الإسكندرية حينما قال : "عندما وصلت الأمور إلى مناقشة قضية المياه، اختار مفاوضوك سيدي الرئيس، أن يعودوا إلى التاريخ القديم وأن يتحدثوا عن الحقوق المائية.

فرد عليه عرفات قائلا : "النبي موسى أهم من النبي إبراهيم، فموسى لم يشرب الماء من نهر النيل فقط، بل نجا بفضله.

فقال بيرس:" ما دمت تتحدث عن موسى فلربما انك تستطيع أن تخرج الماء بضربة من نبوت في الصخر، أرجو أن لا تتردد في عمل ذلك."

انفجر الرئيس مبارك بالضحك، وقال:" فقط شمعون يستطيع أن يستخرج الماء من الصخر.

بيرس:" سنكون واقعين ولن نسلبكم أي قطرة ماء، وأنا أقترح أن تبقى المياه التي تملكونها حاليا ضمن صلاحياتكم وسنعمل نحن على مساعدتكم في العثور على مصادر مياه جديدة، هناك خطر تلوث المياه الجوفية من المجاري وخصوصا في قطاع غزة. واصل بيرس حديثه، واقترح أن تتم تحلية مياه البحر في غزة بمساعدة الدول المانحة وبمقدورنا تشكيل لجنة مشتركة لشئون تطهير المياه ونحاول زيادة كمية المياه في المخازن الجوفية الشرقية لنهر الأردن ونحن لن نخاطر بأي حال من الأحوال بالمياه الموجودة تحت أيدينا".

انضم إلى (كنرتي) في المرحلة الأخيرة من الحوار حول المياه، وزير الزراعة يعقوب تسور، واورن شاحور وقد تمكن أبو علاء من إقامة اتصال جيد معهما، في حين بدا كنرتي يقيم علاقات عمل جيدة مع نبيل الشريف لقد أدى سجننا في فندق (باطيو) إلى خلق شبكة علاقات مفاجئة جدا.

تم التوصل إلى حل مشكلة المياه بالتباحث بين بيرس وعرفات على جميع تفاصيل القضية : الكمية، والعثور على مصادر مياه جديدة، وتشكيل لجنة مياه مشتركة واعترفنا بأن قضية الحقوق الفلسطينية في المياه هي إحدى القضايا التي تطرح للنقاش خلال التسوية النهائية.

لقد خلصت من محادثات المياه إلى أن الآراء في هذه القضايا تتراوح بين الكيمائيين الذين يتنبؤون بمستقبل خطير لإسرائيل و بين العلماء الذين يؤمنون بأن التكنولوجيا ستجلب لنا حلولا وأن الحل يجب أن يكون إقليميا وعليه فان السلام هو أفضل مصادر المياه.

تغيير صفة الاحتلال٠٠٠٠ ومراحل طابا

أدركنا إلحاحية قضيتين٠٠ تحرير الإسرائيليين من فكرة المحتل والعمل بندية مع الفلسطينيين

بيرس تصرف كدب هائج لدفع المفاوضات٠٠ كال المديح لعرفات وأهان مساعديه

نص إعلان المبادئ على حل الإدارة المدنية الإسرائيلية، ونقل الصلاحيات إلى أيدي الفلسطينيين، وقد أشار رابين إلى أن تقديم الخدمات للفلسطينيين في أعقاب التسوية المرحلية، يتطلب تحويل الإدارة المدنية إلى مركز ارتباط وتنسيق، يشرف على التعاون المذكور في الاتفاقية، بيد أنني خشيت من أن نجد في الارتباط والتنسيق إدارة مدنية جديدة، وإن كل ما في الأمر هو أننا غيرنا العنوان الذي تعمل تحته.

لذا فضلت أن يتم استيعاب غالبية العاملين وعمليات الإدارة المدنية القديمة في الوزارات الحكومية المختلفة، على أن يتعاونوا مع مؤسسات السلطة الفلسطينية، في حين تلعب وزارة الخارجية الإسرائيلية، دورا بارزاً في أعمال التنسيق مع الفلسطينيين، وقد أصبحت هذه الأفكار جزءا من الملحق الخاص للاتفاق الذي خصص للتعاون.

وخشيت أيضا من أن يؤدي تحويل مركز الإرتباط والتنسيق إلى الجهاز الأساسي للعلاقات مع السلطة إلى عدم الحصول على التعايش المطلوب لخلق نوع من العلاقات الثنائية التي لا يقوم أي سلام مستقر دونها.

إن الانتقال من مرحلة الاعتماد والاتكال الفلسطيني الكامل علينا، إلى مرحلة الاعتماد المتبادل، كان صعبا للغاية على المؤسسة الإسرائيلية، فقد أدركت أن تحرير إسرائيل من نير الإحتلال شيء، وتحرير الإسرائيليين من كماشة تفكير المحتل هو شيء مختلف تماما، ولم يكن الأمر يقتصر على الإسرائيليين فقط، بل كان من الصعب أيضا على الفلسطينيين أن يبدأوا التعاون معنا وفقا للأسس الجديدة بعد كل هذه السنوات الطويلة من الاحتلال.

كتبت لبيرس بهذا الصدد قائلا : "التسوية المرحلية لن تنجح إلا إذا غيرنا توجهنا تجاه الفلسطينيين في جميع مناحي العمل، بما فيها الجيش والإدارة المدنية والوزارات الحكومية". وقلت له : كيف تحولت سكرتيرتي (ستيلا) إلى ملجأ دائم لهم، يتوجهون إليها كلما أعاقهم الجيش على الحواجز لعدة ساعات وهم في طريقهم إلى المفاوضات، ورويت له كيف اتصل بها أبو علاء الغاضب، وروى لها أن الضابط المناوب على حاجز ايرز، لا يسمح له بالدخول إلى إسرائيل في طريقه إلى المفاوضات، رغم أنه أطلعه على هوية "شخصية مهمة" التي يحملها، نظرا لأن سائقه غير مزود بالأوراق اللازمة.

وقد حاولت أنا وستيلا تسوية الأمر مع الضابط المناوب، إلا أنه أصر على موقفه قائلا : "لا يهمني سواء كان هذا الشخص الماثل أمامي أبو علاء أو غيره، هذه هي الأوامر".

اختطف أبو علاء سماعة الهاتف من يد الضابط، وقال لي غاضبا : "عشرات الفلسطينيين يعبرون من هنا ويروننا في هذا الوضع، أنتم معنيون بإهانتنا أمامهم، سوف أصاب في أحد الأيام بسكتة قلبية بسببكم".

لم أنجح في تهدئته، وفي نفس الوقت، تمكنت ستيلا من الاتصال بمكتب رئيس الأركان وبعد حوالي ساعة، تمكن أبو علاء من العبور، بيد أنني كنت محرجا جدا منه، وأكثر إحراجا بسبب تصرفنا.

لا شك أن بالإمكان دائما تبرير المسلكيات المخزية ضد الفلسطينيين بالخوف من الإرهاب ، ولا شك أن لهذا الخوف ما يبرره، بيد أن بعض المسلكيات آنفة الذكر ينبع من التداعي العميق لأنماط السلوك الإنساني، لقد أدركت قلة قليلة فقط ، أنه إذا لم نتعامل مع الفلسطينيين بتقدير، ومثلما نتعامل مع أنداد لنا في جميع مناحي العلاقات، فإن الأمور ستنقلب علينا في جميع المجالات التي سيكون التعامل فيها بيننا وبينهم يسير وفق أسس متبادلة، وبصورة خاصة في مجال الأمن، والذي سيتوسع رويدا رويدا بمرور السنين.

وذات ليلة، ذهبت للسباحة في بركة الفندق، وهناك وجدت جبريل الرجوب ومحمد دحلان، وسفيان أبو زايدة وهشام عبد الرازق اللذين كانا يترأسان نادي الأسير السابق- مجموعة من الفلسطينيين الذين اجتازوا السجون الإسرائيلية-. وقد سبحنا بعض الوقت، ثم جلسنا نحن الخمسة على حافة البركة، كان الأربعة يتحدثون العبرية بصورة جيدة جدا، وبلهجة اليهود، من أبناء البلاد. وبعد حساب سريع، اتضح أن هؤلاء الأربعة – وهم جميعا في العقد الرابع، قضوا ستين سنة في سجوننا، وقد تحدثوا المرة تلو الأخرى عن زملائهم الذين نفذوا عمليات ضد إسرائيل بأوامر أولئك الذين نتفاوض معهم الآن، بمن فيهم ياسر عرفات، وقد حذروني من أنه طالما لم تعمد إسرائيل إلى إطلاق سراح المعتقلين بصورة جماعية- حتى ولو كان ذلك تدريجيا، فإنهم هم أنفسهم، لا يستطيعون تأييد الاتفاقية، ووعدوا بأن يعملوا على تجنيد معتقلي حركة فتح، إلى نادي الأسير السابق، ودفعهم باتجاه العمل من أجل السلام.

قلت لهم : إن مسألة إطلاق سراح المعتقلين تحتاج إلى قرار من الكادر السياسي. نظرا للمغزى الخاص لهذه القضية. وقد واصلنا حديثنا حتى ساعات الفجر.

وبعد وقت قصير، تحدثت مع ذوي ضحايا إرهاب كانوا قد قدموا إلى ايلات، وقد تحدثوا بمرارة شديدة، وطلبوا منا ألا نطلق سراح المعتقلين الذين قتلوا أبناءهم. وطلبوا أيضا، أن نشترط تنفيذ الاتفاقية، بقيام السلطة الفلسطينية بتسليم الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين، وقد هب وزير العدل (ديفيد ليبائي) لمد يد المساعدة لهم وتوجه إلى ايلات للتحدث مع أبو علاء في قضية تسليم الفلسطينيين إلى إسرائيل، وقد جاء رد أبو علاء قاطعا : "هذه المسألة غير واردة في الحسبان أبدا، وأنتم أيضا، لن توافقوا على تسليم القتلة الإسرائيليين لنا، وإذا وافقتم على التبادلية في هذا الصدد سنقبله، وأنا على استعداد للتعهد بأن نعمل من أجل إلقاء القبض على القتلة وتقديمهم للمحاكمات".

وفي نهاية المطاف، تم الأخذ برأي رابين الواقعي في الاتفاق، والذي ينص على أنه يتوجب على السلطة الفلسطينية أن تلقي القبض على القتلة، وتقدمهم للمحاكمة وإذا لم تفعل ذلك، يجب عليها تسليمهم إلى إسرائيل.

لم يستطع الفلسطينيون التأقلم بسهولة مع عادة إضفاء الشرعية على أعمال القتل التي تجري ضد إسرائيليين، فيما يسمونه الكفاح المسلح، ضد الاحتلال. لقد بدا واضحاً، أن الإرهاب هو أخطر العوامل التي تهدد المسيرة السلمية، وكان الإرهابيون يدركون ذلك.

اتصلت بي سكرتيرتي ستيلا في الحادي والعشرين من آب، وفي أوج المفاوضات في ايلات، وقالت لي : "وقعت عملية في القدس، شاهد التلفزيون الإسرائيلي". لقد وقع انفجار في حافلة إسرائيلية مما أسفر عن خمسة قتلى، وقد جاء زينجر وديان إلى الغرفة، فقلت لهم اطلبا من الجميع أن يوقفوا المحادثات.

اتصلت بمكتب رابين، فرد علي بيرس الذي كان موجوداً هناك، وقال لي : إنهما طلبا من السلطة الفلسطينية أن تبذل كل ما في وسعها ضد الإرهاب، وبدا أن الاثنين مصران على التمييز بين حماس والسلطة الفلسطينية، وعدم منح حماس فرصة استخدام حق "الفيتو" ضد المسيرة السلمية.

ثم قال لي بيرس : "علق المفاوضات إلى ما بعد الجنازة، كعلامة حداد، ولن نجعل الإرهابيين يحققون إنجاز وقف المسيرة". طلبت إذناً بإبقاء الوفد الإسرائيلي في الفندق، فوافق رابين.

بقي الفلسطينيون أيضاً معتكفين في غرفهم، ووجدنا أن من الصعب علينا التحدث معهم، وكأن شيئاً لم يحدث، ولم يكن أي منا يشك للحظة، في أن هؤلاء الأشخاص الذين نتحاور معهم يعارضون الإرهاب، ويدركون مدى الأضرار التي يلحقها بمصلحتهم، ذلك أن الإرهاب موجه أيضاً ضدهم. وعلى أية حال، لم نستطع أن نتجاهل أن الفلسطينيين قتلوا في نفس اليوم إسرائيليين وقد أدى الشعور بالغضب والحداد من جانبنا، إلى إحراجهم وخلق جو خانق للغاية.

قدم بعد الظهر، أبو علاء وكبـــار أعضـــاء الوفـد الفلســطيني إلــى غرفتــي للإعراب عن أسفهم وعزائهم، وجلس أبو عـــلاء وعبـد الــرزاق اليحيــى، وعصفــور والطريفي مع ديان وزينجر وشاحور وأنا، وأعربوا عن أســفهم وقدمـوا بيانــا رســميا بذلك، وقد وصفنا لهم العملية وتفاصيلها، ثم عــادوا إلــى غرفــهم.

وفي ساعات المساء، جلسنا لمشاهدة الأخبــار وطلبـت مــن ســتيلا أن تســأل أبو علاء وزملاءه فيما إذا كــانوا يحبــون الانضمــام إلينــا؟؟ وقــد جــاءوا، وشــاهدنا سوية العملية، دون أن يتفوه أي منا بكلمة، ثــم غــادروا المكــان.

استؤنفت المحادثات بعد ظهر اليوم التالي، في أعقـــاب انتــهاء مراســيم دفــن القتلى، وبعد يومين اتصل أبو علاء بي هاتفيا، وطلـــب منـــي أن آتـــي لمشـــاهدة نشـــرة الأخبار معه، وعلى شاشة التلفاز شـــاهدت جنـــازة طفلـــة فـــي الســـابعة مـــن عمرهـــا قتلت برصاص الجنود الإسرائيليين، وقــد ســلط المصــور العربــي، جــهاز التصويــر على التابوت الصغير ثم سلط علـــى أهــل الصغــيرة، ثــم علــى الجمــاهير الغاضبــة والحزينة، لقد كان الحزن لديهم عنيفا وغاضبا، تمامــا مثلمــا كــان لدينــا، لقــد اعتــاد شركاؤنا الفلسطينيون التأكيد على أن الألم والعـــذاب لا يمكــن أن يكــون حكــرا علــى طرف واحد، وسألت نفسي : ترى هل ســيكون إدراكنــا المــتزايد للمأســاة المشــتركة التي نعيشها بمثابة الخطوة الأولى على صعيــد المصالحـــة؟؟ لقــد كنــا نــدرك أنــه لا يكفي إدخال الكادر السياسي والعسكري في المســيرة مــن أجــل إحــلال التغيــير، بــل يجب إدخال الشعوب واشـــراكها.

كانت المفاوضات تجـــري تقريبــا، طيلــة الأربــع وعشــرين ســاعة، وفــي الغالب كنا نبدأها في العاشـــرة صباحــا، ونتوقــف لتنــاول الغــذاء، ونواصــل حتــى الساعة السادسة مساء، فنتوقف لمدة ساعة، لتناول العشــاء، ثــم تبــدأ الجلســات الليليــة والتي كانت تمتد حتى بزوغ الفجـــر.

الانتخابات، تركيب وصلاحيات المجلـــس الفلســطيني :

واصـــل زينجـــر وعريقـــات إجـــراء مفاوضـــات مفصلـــة حـــول انتخابـــات المجلس الفلسطيني ومعاييره وتركيبته، لقـــد انضمـــت عمليـــة تشـــكيل هيئـــة تشـــريعية

جديدة وتحديد صلاحياتها، وصياغة إجراءات الانتخابات لهذه الهيئة، إلى المهمة التي راقت جدا للفلسطينيين.

قررنا منذ البداية، أن نقصر مهمتنا على ضمان المعايير الانتخابية للمجلس كي لا تشذ أو تنحرف على إعلان المبادئ، بيد أن العلاقات الوطيدة جدا التي تطورت بين صائب عريقات وزينجر، جعلت تدخلنا في الانتخابات أوسع. بل لقد سافر الاثنان إلى أسكتلندة لمتابعة الانتخابات المحلية التي عقدت هناك، واستقاء ما يمكن استقاؤه من عبرها.

أوصينا، أنا وزينجر، بأن يوافق الكادر السياسي الإسرائيلي على مجلس تشريعي مؤلف من مائتي وخمسين عضوا، أي أكثر بكثير من المائة عضو الذين طالب بهم الفلسطينيون وكان هدفنا من ذلك، تعزيز ودعم مؤيدي السلام، وتشجيع التعددية بيد أن توصيتنا رفضت، وقرر رابين وبيرس أن يكون عدد أعضاء المجلس ثلاثة وثمانين شخصا ثم توسيعه فيما بعد إلى ثمانية وثمانين عضوا.

تطلع الفلسطينيون إلى الفصل بين صلاحيات المجلسين التنفيذي والتشريعي، وكانت توجهاتنا مرنة نسبيا، فقد رغبنا بادئ ذي بدء، في تشجيع الانفتاح والتعددية في مجتمع شديد التوتر بين مؤيدي النظام المركزي، وبين أولئك الذين رغبوا في تقليد النمط الإسرائيلي، وقد اتفقنا على ثلاثة أمور :

- تشكيل مجلس تنفيذي – حكومة من جميع الجوانب العملية.
- تشكيل مجلس أكبر، وذي صلاحيات تشريعية.
- إطلاق لقب (الرئيس) على عرفات، بصورة تمنح لكل طرف أن يفسره بالصورة التي يرتئيها.

طلب عريقات أن تتم الموافقة على وجود رئيس للمجلس التشريعي، وهذا أمر مخالف لما جاء في اتفاقية المبادئ، بيد أن بيرس وافق، ونجح في إقناع رابين بالموافقة على الوظيفة الجديدة، بغية تعزيز التعددية في أوساط الفلسطينيين.

دار الخلاف الأساسي في إطار المحادثات حول قضية إجراء الإنتخابات في القدس الشرقية، بيد أن صائب عريقات وزينجر تعاملا مع هذه القضية

الحساسة بذكاء وحكمة، وقد جاءت الحلـول التـي طرحاهـا فنيـة وبراغماتيـة. ومـن الجدير بالذكر، أن الإتفاقيات كانت تنص مثلمـا أوردنـا آنفـا علـى أن القـدس خـارج إطار الحكم الذاتي، بيد أن إتفاقية المبادئ، نصـت علـى أن الإنتخابـات لـن تتجـاوز سكان القدس الشـرقية.

وافق الطرفان على أن يصوت الفلسطينيون مـن سـكان القـدس فـي مكـاتب البريد، وأن يستخدموا نوعا معينـا مـن الصنـاديق الإنتخابيـة التـي تشـبه صندوقـا بريديا وآخر إنتخابيا، وتكون الشرطة الإسرائيلية مسـئولة عـن ضمـان الأمـن العـام، ويقوم مراقبون دوليون بنقل الصناديق إلى منطقة الحكـم الذاتـي لعـد الأصـوات، ولا يستطيع أي شخص من سكان القدس ترشـيح نفسـه للمجلـس التشـريعي إلا إذا كـان لديه عنوان آخر خارج القدس في الضفة الغربية مما يسـمح لإسـرائيل بالإدعـاء بـأن أيا من سكان المدينة لم يرشح نفسه، وبقي سـؤال واحـد : هـل يجـب وضـع طـابع بريد على المظروف مثلما طالبنا؟؟ ثم جاء الحـل لـهذه المشـكلة أيضـا فـي صـورة وضع خاتم البريد على المظـروف.

تم نقل المراقبيـن الدولييـن الذيـن قـام الاتحـاد الأوروبـي بتجنيدهـم إلـى ايلات لتلقي التوجيهات حول دورهـم.

لقد كان حل هذه القضية بمثابة إنجـاز كبـير لعريقـات وزينجـر، حيـث لـم يكن أسهل من تحويل كل ملابسة من ملابسات هذه القضية إلـى عقبـة تتحطـم عليـها المسيرة بأكملها، بيد أن الرغبة المشتركة والخـبرة الكبـيرة، والثقـة المتبادلـة، حـالت دون حدوث ذلـك.

<u>المكانة القضائية الجديدة للسـلطة الفلسـطينية :</u>

قـام قضـائيون مـن مكتـب الإدعـاء العسـكري الإسـرائيلي، والسـلطة الفلسطينية بدراسة وبحـث قضيـة المكانـة القضائيـة للسـلطة الفلسـطينية، وتمكـن الطرفان من بلـورة صيغـة متشـابكة ضمنـت صلاحيـة القضـاء الإسـرائيلي فـي الشئون الجنائية في المنطقة (B) ومكنتنا مـن اتخـاذ الخطـوات الضروريـة لنشـاطاتنا الأمنية في هذه المنطقة، بيد أنـها وضعـت فـي أيـدي الفلسـطينيين المسـئولية عـن

النظام العام، ولأول مرة، تم إخضاع الإسرائيليين لقوانين الضرائب الفلسطينية إذا ما قاموا بأعمال المتاجرة في المنطقة (A و B).

العلاقات الاقتصادية :

واصلت وزارة المالية، التي مثلها في المفاوضات (ديفيد برودت) – وهو شخص شديد ومحنك، الدفاع عن مصالح إسرائيل الإقتصادية، ومن الجدير بالذكر، أنه كان يؤمن بضرورة تطوير الإقتصاد الفلسطيني، لذا بذل جهودا كبيرة في إقناع الدول المانحة لزيادة المبالغ المقدمة إلى السلطة الفلسطينية هذا وكنت أنا (وبرودت) نترأس وفدنا في مؤتمر الدول المانحة.

كما قام مسئولو الوزارة بنقل جميع المبالغ الضريبية التي جبتها إسرائيل، باسم السلطة الفلسطينية بأمانة.

بيد أنه سرعان ما اتضح، أنه كلما تعلق الأمر بقضية تخطيط العلاقات الإقتصادية الرامية إلى زيادة الإزدهار الفلسطيني، والتعاون الإقتصادي المستقبلي بين إسرائيل والفلسطينيين والأردن، فإن سياسة وزارة المالية لا تفي بالاحتياجات المطلوبة، لقد أثرت على قراراتنا مصالح إقتصادية داخلية قصيرة الأمد، ويرجع ذلك أيضا، إلى أن صانعي القرارات لم يكونوا يعلمون بالتفاصيل الإقتصادية الفنية، أضف إلى ذلك، بروز مشكلة أخرى، تتعلق بقرارنا المبدئي القائل بإخضاع عبور البضائع والأشخاص للقيود الأمنية.

ولم نعمد إلى التركيز على التفاهم الاقتصادي، لأننا اعتقدنا أن المشاكل الاقتصادية للسلطة الفلسطينية يمكن أن تحل، عبر زيادة حجم استثمارات الدول المانحة ولا شك أن هذا التفكير كان خاطئا فنحن لم نر حقيقة إن عدم توفر إجراءات ونظم ثابتة لحركة البضائع والحيلولة دون حدوث تشويش وعرقلة في هذه الحركة، جراء فرض الإغلاق سيجعل القطاع الخاص يحجم عن الإستثمار، في مناطق الحكم الذاتي ودون هذه الاستثمارات والضرائب الناجمة عنها فلن يكون هناك مناص من أن تعمل الدول المانحة على حماية السلطة الفلسطينية من الغرق.

وقد حذر من هـذا الوضـع (عوديـد عـيران) و(يوسـي عمرانـي) موظفـا وزارة الخارجية، وقد أعـد عمرانـي مسـتندا فـذا، حـول أخطـار اسـتبدال الحكـم العسكري بالسيطرة الاقتصادية، ونادى بأن تظـهر إسـرائيل كرمـا كبـيرا جـدا تجـاه السلطة الفلسطينية، وقد وافقنا على وجهة نظره، بيد أننـا لـم نفعـل شـيئا أكـثر مـن ذلك، لأن الآراء التي كانت سائدة آنذاك نـادت بالحفـاظ علـى المصـالح الاقتصاديـة الإسرائيلية بدلا من الأخذ بعين الاعتبار مزايـا الاسـتقرار والتعـاون الاقتصـادي مـن ناحيتنا وناحية الفلسطينيين في آن واحد، وقـد دفـع الطرفـان فيمـا بعـد ثمنـا باهظـا جراء قصر النظر آنف الذكـر.

وتفاقمت حـدة المشـكلة إزاء نـزوع الزعامـة الفلسـطينية نحـو مركزيـة الاقتصاد، وتجاهلـها لضـرورة بنـاء مؤسسـات إقتصاديـة عصريـة، إضافـة إلـى ارتباط هذا الوضع بأعمال فساد في أوسـاط السـلطة.

وعلى غرار ما حدث في المجال السياسي، فقـد انقسـم المجتمـع الفلسـطيني أيضا على الصعيد الاقتصادي إلـى قطبيـن متنـافرين : أولئـك الذيـن عملـوا علـى استنساخ نماذج وأنماط إقتصاديـة إقليميـة، والذيـن تطلعـوا إلـى تطويـر منظومـة إقتصادية غربية، تقـوم علـى اقتصـاد السـوق، بيـن الذيـن عملـوا علـى تطويـر احتكارات في قطاعات مختلفة، وبين الذين أيـدوا نظريـات المنافسـة.

وهكذا تطور الحكم الذاتي، وأصبح خليطا متفـردا مـن الأنمـاط التـي يسـود مستقبلها الضباب، وبدا أن هنـاك صـورة كئيبـة تنتظـر السـلطة الفلسـطينية علـى المدى القصـير.

أدرك لاريسـون الوضـع الاقتصـادي الخطـر الـذي تعيشـه السـلطة الفلسطينية، فقد عمل ثـلاث سـنوات كنـائب للسـكرتير الاقتصـادي للأمـم المتحـدة لشئون المناطق المحتلة، لذا حاول إقناع الدول المانحـة باسـتثمار الأمـوال فـي مجـال البنـى التحتيـة، والخدمـات الاجتماعيـة والراميـة إلـى دعـم المحتـاجين وتعزيـز الاستقرار السياسي، وحاول كذلك إقناعنـا بمـدى خطـورة سياسـة الإغـلاق، وقـال المرة تلو الأخرى : أنتم تسهمون في خلق ضغـط شـديد وغليـان فـي قطـاع غـزة،

وحاول تقديم يد المساعدة إلى الزعامة الفلسطينية في خلق وتأسيس مؤسسات إقتصادية، بيد أنها تجاهلته رغم العلاقات الوطيدة القائمة معه.

ومن الجائز أن السبب الرئيسي في تقديراتنا الخاطئة يرجع لاعتقادنا بأن المسيرة السياسية نفسها ستؤدي بصورة محتومة، في نهاية المطاف، إلى علاقات اقتصادية صحية لقد اعتقدنا جميعا بأنه إذا ما سارت التحليلات الأساسية بالصورة المطلوبة، فإن الشئون الإقتصادية ستتطور بصورة بديهية وتلقائية.

وهكذا، فإن الملحق الاقتصادي لم يشتمل بصورة أساسية سوى على توسيع (اتفاقية باريس) الموجودة، والتي كانت جزءا من اتفاقية غزة وأريحا.

وفي نفس الوقت الذي انشغلت فيه اللجنة الأمنية، برئاسة ديان وعبد الرزاق اليحيى، واللجان الفرعية الخاضعة لها، بدون كلل و ملل في قضايا مثل : كمية الأسلحة التي ستمنح للسلطة الفلسطينية، ودخول رجال الشرطة الفلسطينية إلى المنطقة، والاجراءات التي سيتم اتخاذها خلال فترة التماس، والمشكلة العويصة التي ولدت من رحم المطلب الإسرائيلي بحقها في (المطاردة الساخنة) داخل المنطقة (A).

كانت توجيهات رابين وبيرس لأعضاء هذه اللجنة واضحة تماما : محاربة الإرهاب هي قضية لا يمكن تجاوزها أو التهاون فيها، إضافة إلى ضرورة خلق إطار تعاون في مجالها، وعدم التجادل حول كل طريق وكل قمة جبل. في ضوء حقيقة قبول الفلسطينيين للنظرية الأمنية الإسرائيلية الأساسية.

أتاح لنا التقدم الثابت على جميع الأصعدة الأساسية للإتفاقية، إمكانية الوصول في نهاية آب، إلى المعركة الحاسمة التي دار رحاها في معظمه في طابا

وفي الأول من أيلول أعددت تقريرا مسهبا لرابين وبيرس، تطرقت فيه بالتفصيل إلى المشاكل التي لا زالت عالقة بيننا.

وعندما هبطنا في نفس اليوم في مطار تل أبيب، اعتبر التقرير آنف الذكر بمثابة ورقة العمل للنقاش الذي جرى في مكتب رئيس الأركان وخلال

اللقاء المذكور قدم قائد القطاع الأوسط (ايـلان بـيران) الخارطـة العسـكرية لاتفاقيـة التسوية المرحلية بيد أننا قررنا تركها حتى نهايـة المفاوضـات وفيمـا كـان (بـيران) يعرض الخيارات المختلفة للمرونة فـي المرحلـة النهائيـة، دخلـت سـكرتيرة رئيـس الأركان شاحك، وقدمت له ورقـة صغـيرة، كتـب عليـها : الدكتـورة هـورن تريـد التحدث معك هاتفيا، فخرجت وأنا أعتقد أن هنـاك نبـأ سيئا، وعندمـا تحدثـت معـها قالت لي : "أسفة للنبأ لكن أمك توفيت الليلـة"، فـاعتذرت (لشـاحك) وغـادرت المكـان إلى مـنزلي.

وفي نهاية الأسبوع، قدم أبـو عـلاء بعـد أن هـاتفني فـي مـنزلي معزيـا، وقبل أن يغادر البيت، تناولت نسخة من القرآن كـان والـدي يسـتخدمه إبـان دراسـته للغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٧- وقدمتـه إليـه.

قبل عودتي إلى ايـلات فـي العاشـر مـن أيلـول ، قيـل لـي أن الحراسـة عززت على منزلي، وإنني بعد الآن، لن انتقـل دون حراسـة، لان اسـمي ظـهر فـي القائمة السوداء التي أعدها المستوطنون المتطرفـون. صـاغ يـوآل زينجـر وصـائب عريقات، وثيقة بشأن الجدول الزمني لمواصلـة المباحثـات و أوصـي بتـاريخ هـدف، للانتهاء منها بين ١٧-١٨ أيلول كـي نسـتطيع التوقيـع علـى الاتفاقيـة قبـل عشـية راس السنة العبرية، الذي صادف الرابع والعشـرين مـن أيلـول.

تم تكليف الاثنين الإشـراف علـى صياغـة الاتفاقيـة كلـها، وقـامت جميـع اللجان بنقل المسودات التي تم الاتفاق عليها إليـهما، كمـا قـام الاثنـان بحـل سلسـلة طويلة من المشاكل وقضايا المصالح المتعارضـة والمتبادلـة للطرفيـن، وتمـيزا بدمـج موضوعات في أماكن مختلفة مـن الاتفاقيـة.

إضافة إلى ذلك اشرف زينجر علـى مجموعـة قضـائيين إسـرائيليين عملـت طيلة الأربع والعشرين سـاعة لفحـص كـل كلمـة، وجملـة، وأداة تشـكيل، وترقيـم المرة تلو الأخرى، والمسـودات المعدلـة.

ترك أبو علاء لدينا انطباعا، بأنه على استعداد لجر المفاوضات إلى الأبد، ووجدنا أنفسنا نخوض حرب أعصاب، فقد كان هو وزملاؤه غاضبين لأننا لوينا ذراع عرفات في اللقاء الذي تم في الحادي والعشرين من آب، بشأن الانسحاب الإضافي، وقد حاول أبو علاء مواجهة هذه القضية من خلال مطالبته بأن لا يتم توسيع أي مستوطنة لأكثر من خمسين مترا من أقصى منزل فيها.

ولجأ إلى ما سبق وأن قاله رابين لعرفات، في أحد لقاءاتهما قبل سنة تقريبا، حول بناء أسيجة حول المستوطنات، رغم أن رابين كان آنذاك، يتطرق إلى الضرورات الأمنية وليس إلى توسيع المستوطنات.

وصلنا خلال مفاوضات الخليل، إلى طريق مسدود، فقد واصل الفلسطينيون إصرارهم على مواقفهم بدءا من فتح مركز شرطة فلسطينية في المدينة، وحتى إبعاد المستوطنين منها، بل لقد حاول أبو علاء تقويض اتفاقية الصلاحيات الأمنية في المنطقة (B) عبر المطالبة بتوسيع صلاحيات الشرطة الفلسطينية في إطار الحفاظ على النظام العام، بيد أننا لم نتنازل بهذا الصدد أبدا، وفي نهاية الأسبوع الثاني من أيلول، أعدنا النظر في الستين سؤالا التي كانت بحاجة إلى إجابة، وقد طلب زينجر الذي كان يبدي دائما صبرا عجيبا فيما يتعلق بزمن المفاوضات – أن أعمل على تحديد موعد نهائي مع أبو علاء للتوقيع، لأنه إذا لم يحدث ذلك فقد نجد أنفسنا نحاور في ايلات إلى الأبد.

كنا في الحقيقة قد استنفذنا كل قدرتنا على المساومة والتفاوض، ولم يبق أمامنا سوى اتخاذ قرار بشأن بعض الموضوعات بغية إنجازها في إطار مساومة صفقة تبادل، ونقل قضايا أخرى إلى عرفات وبيرس لاتخاذ قرار بشأنها.

وفي نهاية الأسبوع، وصلتنا توجيهات فيما يتعلق بتوزيع القضايا بين المجموعتين آنفتي الذكر، فتم اتخاذ قرار بنقل كل ما يتعلق بالخليل وقبر راحيل إلى

بيرس وعرفات لحسمها، وبعد أن عرفت ذلك دعوت أبو علاء وقلت له :" إن الوقت يمضي، واقترحت عليه أن نعلم (دنيس روس) بأننا سنوقع على اتفاقية التسوية المرحلية في الثاني والعشرين من أيلول في واشنطن".

اتصل أبو علاء بعرفات، وحصل على موافقته على عقد المراسيم في واشنطن، ثم قمنا بإعلام دنيس روس بالاتفاق، واقترح أبو علاء أن نجتمع في غرفته مساء الغد، في محاولة لحل غالبية القضايا المتنازع عليها.

كان أبو علاء قد نجح، خلال فترة العمل من توحيد جميع أعضاء طاقم المفاوضات الفلسطيني خلفه، ودفعهم للاعتراف بزعامته أما بالنسبة لي فقد كان الوضع سهلا أيضا، فقد كان كل زميل من زملائي يدير المفاوضات التي يترأسها بيد أننا كنا نعمل بتنسيق كامل وعلى أساس تكتيك موحد.

جلست في غرفة الجلسات التي اعتدنا عقد اجتماعاتنا فيها، حتى جاء أبو علاء وقد ارتسمت على وجهه نظرة جادة وحال جلوسه قال : "لقد" آن الأوان لأن ننهي الأمر". وقد استغرقت المفاوضات بيني وبينه طيلة الليلة، في حين اجتمع عوزي ديان على انفراد مع مسئولي جهاز الأمن الفلسطيني، واجتمع شاحور مع الطريفي وزينجر مع صائب عريقات.

وفي صبيحة اليوم الثاني، اتضح أننا تمكنا من حل نصف القضايا التي كانت مطروحة على جدول الأعمال ومن ضمنها اتخاذ قرار بأن ينتهي الانسحاب الإضافي في غضون ثمانية عشر شهرا منذ تاريخ إجتماع المجلس الفلسطيني، وأن يتم إقامة خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا في المنطقة (B).

وقد أصر أبو علاء على وصف إعادة الانتشار، والاتفاق نفسه بأنه "يستحيل تغييره" وقد وافقته الرأي، فنحن لم نكن نرغب في الخروج من المدن الفلسطينية كي نعود لنحتلها من جديد، لذا تم الاتفاق على أن نكتب في مدخل الاتفاق أن العلاقات الجديدة التي سيجري تجذيرها بين الطرفين، ستكون "غير قابلة للتغيير".

عملنا خلال الأسبوع التالي. زينجـر وعريقـات وديـان واليحيـى وشـاحور والطريفي وأبو علاء وأنا بجدية وفي نهاية الأسـبوع، أصبـح بأيدينـا صيغـة مؤلفـة من ٤١٠ صفحـات لاتفاقيـة التسـوية المرحليـة، ورغـم ذلـك كـان علـى بـيرس وعرفات أن يستكملا عملا صعبا للغاية، كان عليهما ليس فقـط حـل القضايـا الثـلاث الأكثر صعوبة في الاتفاق : الخليل، وقـبر راحيـل، وخارطـة إعـادة الانتشـار، بـل كان عليهما أيضا، حل سلسلة طويلة من المشاكل شـديدة الحساسـية، والتـي تراكمـت إبان إعداد الصيغة النهائيـة.

وقد كتبت فـي الوثيقـة التـي بعثـت بـها إلـى بـيرس، والتـي ضمنتـها توصياتي توطئة للقائة بعرفات في طابا، أن هنـاك خمسـا وعشـرين قضيـة لا زالـت بحاجة إلى حل لذا من المتوقع أن تخوض مفاوضـات صعبـة للغايـة، خصوصـا وأن عرفات، سيحاول أن يبدو بصورة الرجل الذي ناضل بكل قوتـه، مـن أجـل مصلحـة شعبه حتى اللحظات الأخـيرة.

تمكن بيرس إبان الإعداد للاجتماع، مـن إقنـاع كبـار ضبـاط الجيـش بـأن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، تتطلب العثور على تسـوية معقولـة فـي الخليـل، وبنـاء على ذلك، قام بيران وشاحك بإعداد خطـة لتقسـيم الصلاحيـات الأمنيـة فـي الخليـل بين الفلسطينيين – الذين كـان مـن المفـروض أن يتسـلموا السـيطرة علـى غالبيـة أجزاء المدينة والجيش الإسرائيلي الـذي كـان سـيتولى مسـئولية الأمـن فـي الحـي اليهودي، والمناطق المتاخمة له، وكان من المفروض أن يتـم تنفيـذ هـذه الخطـة فـي غضون تسعة أشهر، بصورة تتناسب مع خطة شـق الطريـق الالتفـافي حـول الخليـل وحلحول، وقد وافق رابين على هذه الخطة، في الخامس عشـر مـن أيلـول.

وتنص الخطة المذكورة علـى سـيطرة الجيـش الإسـرائيلي علـى الطريـق الالتفافي ، وكريات أربع، والحي اليهودي فـي الخليـل وضواحيـه القريبـة، والحـرم الإبراهيمي، والطريق الذي يربط بين الحي اليـهودي وكريـات أربـع، بطريـق تصـل إلى القسم الجنوبي من الطريـق الالتفـافي.

طلب رابين أن يجتمع بيرس وبيران مع عرفات في طابا، في بداية المفاوضات إضافة إلى عدة عناصر من الجهاز الأمني، وكانت مهمتهم تتمثل في التأكيد على العمل المكثف ضد الإرهاب كشرط لتنفيذ الاتفاقية.

بدأ أطول أسبوع في المفاوضات في السابع عشر من أيلول في فندق هلتون في طابا، وقد سكن وفدنا في الطابق الثامن، والفلسطينيون في الطابق التاسع، وكانت قاعة الاجتماعات في الطابق العاشر.

وفي أعقاب المحادثات الأولية، والتي جرى خلالها الحديث عن نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب، طلب بيرس من (بيران) أن يطرح الاقتراح الإسرائيلي الجديد حول الترتيبات الأمنية في الخليل، والتي وصفها هو نفسه كتسوية جيدة جدا.

استهل عرفات حديثه بالقول : لماذا يجب على العشرين ألف فلسطيني الذين يعيشون قريبا من الحي اليهودي في الخليل، أن يخضعوا للسيطرة العسكرية الإسرائيلية؟؟ فتوجه إليه بيران بكل الاحترام، وشرح له المبررات الإسرائيلية.

وعندما طلب الفلسطينيون تغيير خط الفصل المقترح في"المدينة، رفض بيرس هذا المطلب فورا.

قال عرفات : " لا نستطيع أن نسلم بالوضع الراهن المعمول به في الحرم الإبراهيمي- والذي تنص الخطة على إبقائه تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية فتقدم بيرس باقتراح عدة بدائل وصيغ تنتهي كلها بإبقاء السيطرة الإسرائيلية على الحرم، لكن عرفات رفضها جميعا، وفي نهاية المطاف أتخذ قرار بأن نعمل أنا وأبو علاء، على إعداد الصيغة المقبولة لهذه المشكلة، فانتقلنا أنا وهو إلى إحدى الزوايا وبدأنا نتناقش:

أنا : أنت تعرف بأننا لا نستطيع إبداء أي مرونة في هذه القضية.

أبو علاء : ربما تكون قد نسيت أن هذا المكان هو مكان مقدس للمسلمين، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن يهوديا قام بتنفيذ مذبحة في أوساط المسلمين هناك، فإننا نصر على تواجد أمني معين لنا على الأقل.

أنا : قلت "هذا مستحيل"، لقـــد كنـت أدرك أن حساســية المكــان الشــديدة تحــول دون إمكانية توزيع المسئوليات الأمنيــة عليــه .

أبو علاء : "ونحن لن نوافق على الوضــــع الراهــن".

وفي نهاية المطاف ، اتفقنــــا علـــى ألا نتفــق، وأن نقــول ذلــك فــي اتفاقيــة التسوية المرحلية، وعلى أن يتم تشـــكيل لجنــة لدراســة الترتيبــات الأمنيــة علـــى أن تقدم توصياتها المشتركة في غضون ثلاثة أشـــهر مـــن إعـــادة الانتشـــار فـــي الخليــل، وهكذا بقي الوضع الراهن على مـــا هـــو عليـــه : دون أن يوافــق الفلســطينيون علـــى ذلك.

وافق عرفات على الصيغة آنفة الذكر بيد أنه أعطـــاني ورقـــة صغـــيرة رســـم عليها صورة لسيارتين، ثم طلب إيقاف النقاش لبرهـــة مـــن الزمـــن.

ولم يكن لدي أي فكرة عما سأفعله بالورقـــة التـــي أعطـــاني إياهـــا عرفـــات، لذا طويتها ووضعتها في جيبـــي.

نزلنا إلى (بار) الفندق وبعد حوالـــي ســـاعة عدنـــا إلـــى غرفـــة الاجتماعـــات وقد توقع بيرس أن يستهل عرفـــات المفاوضـــات بقـــول شـــيء مـــا بوصفـــه الطـــرف الذي طلب وقف الحوار للاســـتراحة، بيـــد أن عرفـــات لـــم يتفـــوه بكلمـــة لفـــترة مـــا، وحينها تناول بيرس ورقة وبدأ يكتب عليـــها، فـــي حيـــن أخـــذ عرفـــات يحملـــق فـــي الورقة وهو شديد التوتـــر.

ونظرا لأنني أجلس إلى جوار بيرس، فقـــد وجـــدا أنـــه يكتـــب قصيـــدة شـــعر مخصصة (لافي جيل) وجنونه (بـــالانترنيت) وقـــد شـــاهد آفـــي جيـــل مـــن الطـــرف الآخر ما يكتبه بيرس، ونجح بشكل ما في الحفاظ على تقـــاطيع وجهـــه جـــامدة.

وبعد حوالي نصف ساعة من الصمت، توجه بـــيرس إلـــى عرفـــات وســـأله : "سيدي الرئيس ما الذي تنتظـــره"؟؟

عرفات : أريد أن أعرف فيما إذا كنت قد فكرت في الاقتراح الـــذي قدمتـــه لســـبير؟

شعرت بالدهشة الشديدة، بيـــد أننـــي ســـحبت الورقـــة المطويـــة مـــن جيبـــي وفتحتها، فرمقها بيرس بنظرة، وبدا بوضوح أنه لا يـــدرك مـــاذا يعنـــي عرفـــات بـــها،

فسارع عرفات للقول أن الرسم هو بمثابة دورية مشــتركة وأنــه يقــترح تفعيلــها فــي منطقة الدخـــول إلــى الحــرم الإبراهيمــي، فــأوضح لــه بـيرس أن قضيــة الحــرم الإبراهيمي قد أجملت، بيد أن عرفات كان يريــد العــودة لمناقشــتها.

انفجر بيرس قائلا: قدمت إليك أفضل اقــتراح يمكننــا تقديمــه، وكمــا يبــدو، أنه أفضل مما كنت أنــت تتوقــع، وإذا كنــت معنيــا بــالحصول علــى المزيــد، فلــن تحصل على ذلك مني، أنا ساغادر هــذا المكــان.

بدأ بيرس ينهض مـــن مقعــده لمغــادرة المكــان، وحينــها حــاول عرفــات تهدئته، مقترحا أن يعمل زينجر وعريقات على إعداد صيغة كاملــة للتفــاهم الــذي تــم إنجازه بشأن الحرم الإبراهيمي، لقد تــم حــل مشــكلة الخليــل، ولا شــك أنــه إذا لــم يتوفر حسن النوايا بين المفاوضين، فإن أي خلافات قــد تتفجــر وتتحــول إلــى قضيــة تثير أصداء واسعة، وهذه القضايا كان يمكنها أن تتحــول بســهولة إلــى معركــة بيــن إسرائيل والفلسطينيين بين العالمين اليهودي والإســلامي، والــى أزمــة دوليــة يســتحيل حلها، لقد أدى الالتزام بالشراكة إلى العثــور علــى حــل، وتــم نقــل تفــاصيل تجســيد التسوية في الخليل إلى اللجنة الفرعية للشــئون الأمنيــة.

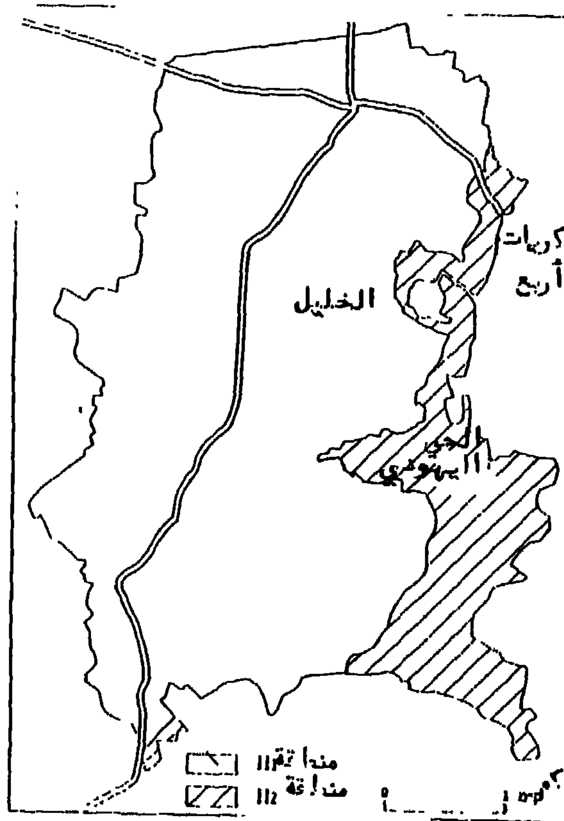
وطيلة الأيام والليالي التالية، طرحت القضايــا الباقيــة علــى بســاط البحــث، وطرح الفلسطينيون قضية المعتقلين الفلســطينيين بوجــود ســفيان أبــو زايــدة وهشــام عبد الرزاق وقد تم الاتفاق على إطــلاق ســراح جميــع المعتقليــن، وكذلــك المعتقليــن الذين ينضوون تحت معايير محددة مثل المعتقلين الذيــن قضــوا ثلثــي محكومياتــهم أو الذين حكموا بالسجن لأقل من عشــر ســنوات.

اعتاد بيرس تــأنيب مســاعدي عرفــات بوجــوده، وكــان يتعــامل بجلافــة خاصة مع صائب عريقات، فكلمــا حــاول عريقــات التدخــل فــي النقــاش، أو طــرح مبرر قضائي أو غيره، يسارع بيرس للقول له : دعك مـــن هــذا صــائب، فــهو ليــس مسألة مهمــة.

صائب:" أنتم لستم في حاجة إلى هـــذا".

وفي الوقت ذاته لم يتوان بـيرس عـن كيـل المديـح لعرفـات، حيـث كـان يقول لأعضاء الوفد الفلسطيني : "مـن حسـن حظكـم أن لديكـم مثـل هـذا الزعيـم، انظروا ما الذي حققه لكم المفتي الحسيني بتوجهاتـه المتطرفـة عـام ١٩٤٨ "إنـه لـم يحقق شـيئا".

تصرف بيرس طيلة الأيام الثلاثة كدب غـاضب، فكـان يقـاتل ويتمتـم، لـذا لم يحظ بشعبية في أوساط أعضاء الوفد الفلسـطيني، كـان يـهدد ويضـرب المنضـدة بقبضته، وفي إحدى المرات خرج من الغرفـة هائجـا، وطـرق البـاب خلفـه، وسـط ذهولنا جميعا، لقد وصل إلى قناعة تامة، بأنـه لـن يسـتطيع دفـع المفاوضـات إلـى خط النهاية إلا بهذا الأسـلوب.



في الليلة الثالثة عرض زينجر وصائب عريقات القائمة الطويلة للقضايا الفرعية نسبيا، التي لا زالت بانتظار الحل، وكانت الساعة قد شارفت على الرابعة صباحا

اقترح عرفات مواصلة النقاش حتى الصباح، بيد أن بيرس لم يكن على استعداد لقبول ذلك أبدا، فأخذ يقرأ القضايا واحدة وراء الأخرى، ويعد صيغة الحل بنفسه، بينما عرفات يجلس أمامه مرهقا وغير قادر على التركيز.

وفي صبيحة اليوم التالي، أعلم مروان كنفاني الناطق باسم عرفات الصحفيين : "أنه أقنع الرئيس الفلسطيني بالذهاب للنوم عدة ساعات كي لا يقع مغشيا عليه على طاولة المفاوضات.

حلت الساعة التي يثبت فيها عرفات قدرته كمفاوض من الدرجة الأولى، في المرحلة الأخيرة، كانت القضايا الباقية دون حل هي : قبر راحيل وعبور رجال الشرطة الفلسطينية من المنطقة (A) إلى المنطقة (B) وخارطة التسوية المرحلية. وقام بيران بشرح الاقتراح الإسرائيلي للترتيبات الأمنية في قبر راحيل، والذي جاء فيه : أن الجيش الإسرائيلي سيتحمل المسئولية الأمنية عن القبر نفسه، والطريق المؤدي إليه من حي جيلة في جنوبي القدس، ولأسطح بعض المنازل التي تطل عليه، ولموقف السيارات المتاخم للقبر وعلى أن تقوم دوريات مشتركة بالعمل خارج الإطار الذي تمت الإشارة إليه.

صرخ عرفات قائلا : سكان بيت لحم لن يوافقوا على ذلك بأي حال من الأحوال، وأنا لن أوافق على ذلك، فإلى جوار القبر توجد مقبرة إسلامية والمكان كله موجود في المنطقة (A) وأنا نفسي مثلما هو معروف لكم، من نسل راحيل.

ثم حاول عرفات أن يفتح النقاش مجددا حول الحرم الإبراهيمي، واصبح النقاش عاصفا مما جعلنا نفضل أرجاء النقاش حول قبر راحيل إلى اليوم التالي عدنا إلى الطابق العاشر، في أعقاب تناول طعام العشاء كي نكشف أمام الفلسطينيين– قبل الموعد المقترح لإنهاء النقاش.

خارطة التسوية المرحليـــة.

قدم بيران خارطة المنطقتيـــن (A و B) واللتيـــن تشـــكلان مـــا نســـبته ٢٢% من الضفة الغربية وقد احتلت المدن الفلســـطينية التـــي شـــكلت المنطقـــة (A) ٣% مـــن الضفة الغربية، حملق عرفات في الخارطة للخطة ثم قفز مـــن مقعـــده، وقـــال إن هـــذه الإهانة أكبر بكثير مما يستطيع أن يحتمل، هذه هي كانتونـــات هـــل تريـــدون أن اســـلم بكانتونات أنتم تريدون تدميري وغادر عرفـــات الغرفـــة.

وبعد عـــدة دقـــائق مـــن وصولنـــا إلـــى الطـــابق الثـــامن، قـــدم صحفيـــون إسرائيليون، وقالوا إن مروان كنفـــاني أعلـــن عـــن انـــهيار المفاوضـــات وأن عرفـــات سيغادر طابا، اقترح بيرس أن أحاول الوصول إلى عرفات قبـــل مغادرتـــه، فـــي حيـــن اتصل آفي جيل هاتفيا بدنيس روس لإعلامه بالأزمـــة الناشـــبة وقبـــل أن أصعـــد إلـــى الطابق التاسع، تحدثت مع أسامة الباز فـــي القـــاهرة، وطلبـــت منـــه أن يتحـــدث مـــع عرفات، كما تحدثت مع يوسي جينوسار في الشـــأن ذاتـــه.

لقد أردنا أن نحـــول دون انـــهيار المفاوضـــات بســـبب الخارطـــة، لأن هـــذا الانهيار سيستمر أسابيع ولن يكون مجديا للمفاوضات، صعـــدت إلـــى غرفـــة عرفـــات، فطلب من جميـــع الموجوديـــن الخـــروج، فجلســـت قبالتـــه وقلـــت لـــه : إن خارطتنـــا ملائمة تماما لإعلان المبادئ فقال : إنـــه لا يســـتطيع الموافقـــة علـــى الكانتونـــات، وأن هذا الوضع مستحيل، فـــاقترحت عليـــه أن يقـــوم هـــو ومســـاعدوه بـــإعداد التواصـــل الجغرافي الذي يعتقدون أنه ضروري ونحن علـــى اســـتعداد لمناقشـــته.

انضم إلينا ايلان بيران، وتحدث مع عرفات بروحيـــة مماثلـــة لمـــا قلتـــه أنـــا فوافـــق عرفـــات علـــى أن يعـــود الوفـــدان إلـــى غرفـــة الاجتماعـــات لمناقشـــــــة التعديلات المطلوبـــة.

عاد عرفات إلـــى الطـــابق العاشـــر وأحضـــر معـــه الخارطـــة التـــي أعدهـــا الفلسطينيون في فندق باطيو والتي تشير إلـــى أن ٤٠% مـــن مســـاحة الضفـــة الغربيـــة هي مناطق الحكم الذاتي، مع ضمان وصول إسرائيل إلـــى جميـــع المســـتوطنات.

نظر بيرس إلى الخارطـــة، ورفـض مجـرد مناقشـتها وطلـب مـن اللـواء (بيران) والعميد (يوم طوف ساميه) أن يفردا على الطاولـــة الخريطـة الإســرائيلية.

سأل بيرس عرفـــات : فـي أيـة منـاطق تريـد أن يكـون هنـاك تواصل جغرافي. فأشار عرفات إلى عدة أماكن على الخارطـــة فبـذل بـيران قصـارى جـهده لإرضاء عرفات، وعمل على توسيع المناطق الفلســطينية فـي عشـرة أمـاكن تقريبـا من أجل خلق معابر بيـن المنطقتيـن (A و B).

قـال بـيرس : (هـذا هـو) لا أسـتطيع بعـد الآن إضافـة أي شـيء إلـى الخارطة، وأرسلها لإعادة رسمها بالتعديلات الجديدة ولم يعـارض عرفـات ذلـك.

لاشك أن موافقتنا على انسحاب الجيـش الإسـرائيلي مـن ٢٧% مـن الضفـة الغربية في البداية كان يعتبر بالنسبة لنا موقفا منطقيا، إضافـة إلـى أننـا حافظنـا علـى مصالحنا الأمنية مثلما حدد الجيش الإسرائيلي، وقـد اسـتغرقت الجلسـة كلـها ثلاثيـن دقيقـة.

في نهاية الجلسة، قال أبو علاء، أنه خـارج إلـى غرفـة الـهاتف، وتذكـرت أنه لم يتفوه بحرف طيلة النقاش، وقد بـدا الآن شـاحب الوجـه.

لقد بدا شديد الغضـب جـراء الضغـوط التـي مارسـناها علـى عرفـات، وتفرق الجميع للإعداد لليوم الأخير من المحادثـات يـوم الجمعـة وللتوقيـع بـالأحرف الأولى على الاتفاق، وعكـف زينجـر وعريقـات علـى صياغـة التنـازلات الأخـيرة بسرعة كبـيرة.

قدمت ستيلا فجأة وقالت : عرفات يطلب أن تذهـب إلـى غرفـة أبـو عـلاء فورا، لقد أغمي عليه، ركضت إلى غرفة أبـو عـلاء فوجدتـه أصفـر الوجـه شـاحبا كالأموات، ويرتعد ويفقد بيـن الفينـة والأخـرى وعيـه، فـي حيـن جلـس عرفـات مذهولا إلى جانب السرير، وهو يمسك بيد أبو عـلاء همسـت فـي أذنـه: أبـو عـلاء كل شيء على ما يرام، وستكون على مـا يـرام.

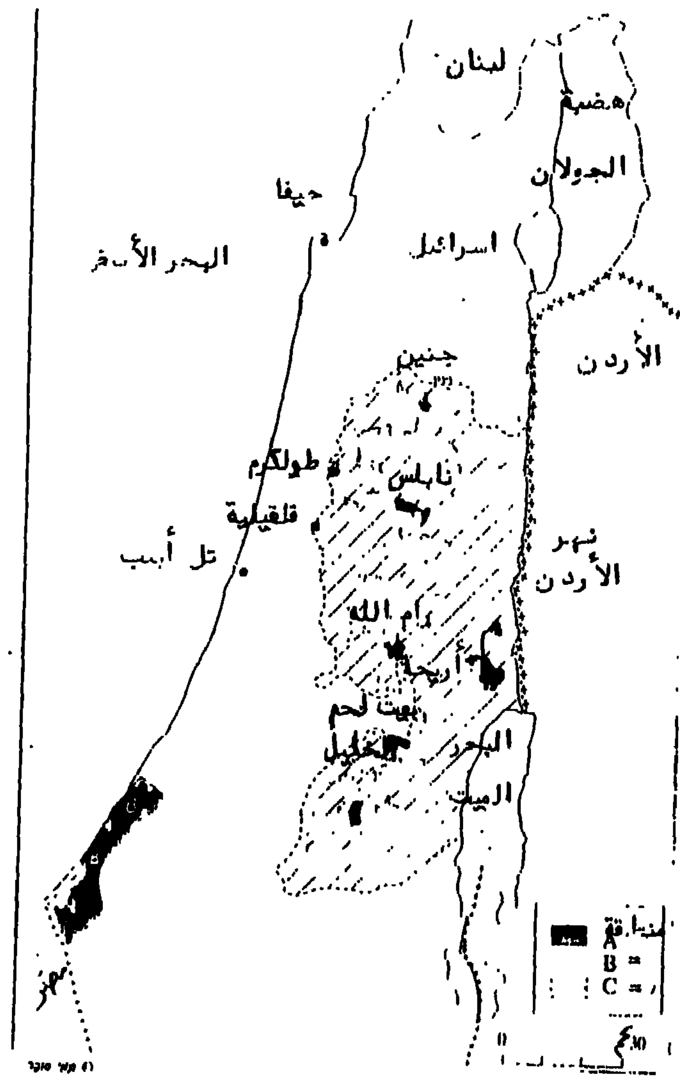
وقدم بيرس وجيل إلى الغرفة، في الوقـــت الـــذي كـــان فيـــه الطبيـــب يقيـــس نبض أبو علاء، فوجده غير مســـتقر، كنـــا واثقيـــن مـــن أنـــه أصيـــب بنوبـــة قلبيـــة، واستدعينا سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى فـــي ايـــلات.

عدت إلى الغرفة كي أرتاح قليلا عندما قدمت ستيلا وقـــالت لـــي لقـــد اتصـــل جيل من المستشفى وأفادت أن سقوط أبو علاء جـــاء جـــراء الإرهـــاق وليـــس بســـبب الإصابة بنوبة قلبية، وأن وضعه بـــات مســـتقرا.

Paragraph 11: Each side explained its position regarding the Tomb of the Patriarchs. Since they were unable to reach an agreement about it, they have agreed to keep the present situation as is. Will Continue

Paragraph 12: Six months after the redeployment, the high level committee on Hebron will begin to discuss the above mentioned arrangements in order to seek an agreement.

مسودة المفاوضات حول الحرم الابراهيمي مع ملاحظات
ابو علاء - طابا - ايلول / ١٩٩٥ .



الخارطة الخامسة : خارطة التسوية المرحلية

أبو علاء.. منطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية

اليسار الإسرائيلي قرأ الاتفاقية ولم يفهم مغزاها التاريخي

واليمين فسرها بفلسطنة الضفة

استأنفنا المحادثات في نفس الليلــة، كــي نســتطيع التوقيــع علــى الاتفاقيــات في اليوم التالي. واقترحت على بيرس أن يوقع زينجــر وعريقــات هــذه المــرة علــى الاتفاق، لأنني لم أتخيل أن بمقدوري التوقيع علــى الاتفــاق الــذي عمــل أبــو عــلاء أكثر من أي إنسان آخر، من أجــل إنجــازه -ذلــك الاتفــاق- الــذي بــدا فــي نظــر الكثيرين مســتحيلا.

لقد قاد أبو علاء الجانب الخاص به فــي كــل مرحلــة مــن مراحــل الاتفــاق بدقة وبكامل طاقته، بيد أنه فعل ذلك دائما بمنطقية وتفــهم لاحتياجاتنــا الأمنيــة.

استهل عرفات المفاوضات بالمطالبة بتجميد الاســتيطان، وفقــا للوعــد الــذي قطعه له على نفسه -رابين-حســب قولــه.

فقال له بيرس:" لن نجري معكــم أي مفاوضــات حــول تجميــد الاســتيطان، هذا القرار هو قرار إسرائيلي، وقد اتخذته حكومتنا قبل إعــلان المبــادئ، بيــد أنني على استعداد لإرسال نسخة من القرار إليك كرســالة مرفقــة.

وأقنع بيرس عرفات بألا يتم تحديد مســاحة كــل مســتوطنة علــى الخارطــة للحيلولة دون نشوب جدل عديم الجدوى حول ما يمكــن اعتبــاره اســتيطانا أم لا.

واصلت الطواقم العمل، واصبح الطابقــان الثــامن والتاســع، بمثابــة مصنــع للوثائق، وقام عشرات الأشخاص بحملها جيئة وذهابا مــن غرفــة إلــى أخــرى، فــي حين عكفت الطواقم في إحدى الغرف على إحــداث التغييــرات فــي خرائــط الضفــة الغربية، واستكملت اللمسات الأخيرة المتعلقة بالتســويات الخاصــة بــالخليل.

بقيت صبيحة الجمعــة، ثــلاث قضايــا، تحتــاج لتدخــل بــيرس وعرفــات: العبور من المنطقة (A) إلى المنطقة(B) من قبــل الشــرطة الفلســطينية تغييــر مكانــة مناطق من (B) إلى (A) والترتيبــات الأمنيــة فــي قــبر راحيــل، إضافــة إلــى عدة

قضايا مدنية وقضائية فرعية تتطلب مفاوضات إضافيـــة، وتعديـل الخرائــط بصـــورة نهائيـة.

وأعرب زينجر وعريقات عن اعتقادهمـــا بأنـــه لا توجـد أي وسـيلة، تمكــن من إتمام ما هو مطلوب حتى مساء الجمعة، وبالتـــالي، كــان يتوجـب علينــا العمــل مساء السبت كي نصل إلى مرحلة التوقيـــع بـــالأحرف الأولـــى يـوم الأحـد، عشـية رأس السـنة.

قمنا، عريقات وزينجر وأنـــا، بـإعداد صيغـة مرضيـة لتحويـل قسـم مـن المنطقة(B) إلى المنطقة(A) إلـــى جـانب الانســحاب الإضـــافي- باسـتثناء المنـــاطق ذات العلاقة بالقضايا التي سيتم تحديدها خلال مفاوضـــات التسـوية الدائمـــة.

أعطينا هــذه الصيغـــة أهميـــة كبـيرة، لأننـــا كنــا قـادرين بفضلــها، علــى الاحتفاظ بالســـيطرة الأمنيـــة فـــي قـــرى معينـــة قــرب الخــط الأخضــر أو قــرب المستوطنات حتى التســـوية النهائيـــة، بيــد أننـــا لــم نكــن نرغــب فــي أن يـدرك الفلسطينيون هذه الحقيقة، ولم نكن واثقين من ســــرية الــهواتف وأمانتــها فــي طابــا. لذا بدت المحادثة التي أجراها بيرس مع رابين لاطلاعــــه علـــى التغيــيرات التـــي تــم إجراؤها، والصيغة التي تم إنجازها غريبة إلى حـــد مـــا، وقــد جــاء الاتصـــال علـــى النحو التـــالي:

-بيرس:" اسحق، أنـــا بـيرس، لقــد توصلنـــا إلـــى اتفـــاق حــول نقــل أقســام مــن المنطقة(B) إلى (A)" وتطرق بالتفصيل إلى الصيغة، ثـــم قـــال:" الطـــاقم يقــول أنـــها ليست صيغة جيدة إلى حد كبير، بيد أننا نوصــــي بقبولـــها".

-رابين:" لا أفهم، إذا لم تكن جيدة إلى حد كبــير، فلمـــاذا نقبلـــها؟"

-بيرس:" اسحق أنا أتحدث من طابــــا".

-رابين:"أنا اعــرف"

-بيرس:" اسحق تذكر أنني أتحدث مـــن طابـــا"

-رابين: لقد قلت لي ذلك للتو، وأنا أعــرف ذلــك".

-بيرس:" لذا أوصي بقبول الصيغــــة"

-رابين:" آه"... ويبدو أنه أدرك لتـوه سـبب هـذه التوصيـة الغريبـة مـن بـيرس، وأعطى موافقتــه.

عدنا للاجتماع، عشية رأس السـنة العبريـة، فـي غرفـة الاجتماعـات فـي الطابق العاشر، وقام بيران بإيضاح إجراءات تنقـل رجـال الشـرطة الفلسـطينية مـن المنطقة(A) إلى (B)- من المدن إلى القرى- وذكر بأنـهم سـيحتاجون إلـى إذن منـا، مثلما هو معمول به بين مراكـز الشـرطة.

-عرفات:" نعم، بالتأكيد، سوف ينسـقون معكـم".

-بيران:" لا، سيدي الرئيس، أنت تعرف الفارق، سـيكونون بحاجـة إلـى طلـب الإذن عبر مكتب التنسيق الإقليمي، وإلا فإنه سيحدث ارتبـاك مطلـق بشـأن حركـة رجـال الشرطة الفلسطينية وجنودنـا".

-عرفات:" لذا، هناك حاجة للتنسيق بيـن الطرفيـن"

-بيرس:" التنسيق سيتم من خلال تصريـح فـي مكتـب التنسـيق الإقليمـي" مـا هـي المشـكلة.؟"

قفز عرفات من مقعده وقال:" ماذا تفكـرون؟" هـل سـيكون رجـال الشـرطة الفلسطينيون خاضعين لكم؟؟ هل يجب أن نطلـب منكـم تصريحـا كـي ندخـل قريـة فلسطينية في المنطقة(B) من أجل التحقيق في عمليـة سـطو أو نـزاع عـائلي؟؟ هـذا ليس اتفاقا، لن أوافق على أن تخجلوني، لست عبدا لكـم، لسـت عبـدا لكـم". وخـرج من الغرفة هائجـا.

قال بعض رجالنا:" هـذا يحـدث دائمـا قبـل نهايـة المفاوضـات" بيـد أننـا شاهدنا حقائب الفلسطينيين محمولة على درجـات الفنـدق، ممـا جعلنـا نتسـاءل عمـا إذا كنا قد وصلنا إلى أزمة حقيقية؟؟ توجـه إلـي كنفـاني، وقـال لـي:" هـذه المـرة سيغادر المكان حقيقة" فقلت:" وبيرس أيضا سيغادر المكـان، لقـد ضجرنـا مـن هـذه الأزمات" فقال "دعنا الان مـن كـل هـذه الألاعيـب، وتعـال نلحقـه علـك تسـتطيع إقناعه".

سرت في أثر كنفاني إلى غرفة عرفات، ودخلت إليها. كان غضبه شديدا بل اشد من الغضب الذي أبداه بشأن الخارطة قبل ثلاثة أيام. وقال:" لم أفكر أنكم ستسيرون في هذا الطريق، أنتم حقا تريدون إذلالي، وما دام الامر على هذا النحو، فإنني أفضل الا يكون اتفاق".

قلت:" أبو عمار، لقد اجتزت طريقا طويلا جدا، ومن المؤسف حقا أن تحطم كل شيء الان، وأنا أؤكد لك، أنه لو تواصلت المفاوضات مائة سنة أخرى، فإن بيرس ورابين لن يغيرا موقفهما بهذا الصدد. إن ما ترغب فيه سيؤدي إلى هدم التوازن القائم في المنطقة.

بقي عرفات عدة دقائق دون أن يتفوه بكلمة، ثم نادى ياسر عبد ربه، وتحدثا باللغة العربية ورغم أن عبد ربه لم يكن معروفا باعتداله، الا أنه بدا بوضوح، وهو يحاول إقناع عرفات، بإبداء قدر أكبر من المرونة.

قلت:" سيدي الرئيس، من خلال إدراكي لمدى صلاحياتي في التوصل إلى تسوية، أنا واثق أننا نستطيع التوصل إلى أساليب اقل عدوانية لقول الأشياء التي نود قولها في مراسيم الاتفاق. وبعد ثلاثة اشهر، قد نستطيع إعادة النظر في إماكنية إجراء تغيير في وضع حركة رجال شرطتكم".

عثر زينجر في هذه الاثناء على صيغة إنجليزية أليـن لأخذ تصريح للتنقل" Confirmation" بدلا من "Approved" ووافق بيران، أنه وفي نهاية الأشهر الثلاثة الأولى للسيطرة المشتركة على المنطقة(B)، ستكون هناك حاجة لأخطار مسبق حول تحركات الشرطة في المناطق التي سيتم الاتفاق عليها بين الطرفين. وقد وافق عرفات على ذلك. لم يبق سوى مشكلة قبر راحيل. وعندما عدنا وتقابلنا في الطابق العاشر، قال (بيران) لبيرس باللغة العبرية وبحماس بالغ، أنه يصر على وضع جنود إسرائيليين على أسطح المنازل القريبة من قبر راحيل:" فقال له بيرس:" تحدث بالإنجليزية".

توجه بيران إلى عرفات، وقال:" إذا ما نفذنا الأمور بأسلوبكم، فلن أكون مؤهلا لضمان الأمن، لقد وافقتم، لقد بذلنا جهدا كبيرا من أجل إرضائكم بشأن

إعادة الانتشار حول جميع المدن، وأيضا بشأن الخليل وأنا مضطر لاشتراط شرط يعتبر الحد الأدنى في هذا المكان المقدس".

كان بيران يغلي، ومرة أخرى فاجأنا عرفات، وكما يبدو، أنه تأثر بحماس بيران، لذا توجه عرفات إلى بيران وصافحه، وقال:" أنا موافق"، ثم عانق اللواء المندهش.

أصبح اتفاق التسوية المرحلية جاهزا ومستكملا للتوقيع وبعد أن اتصل بيرس وعرفات بكريستوفر وروس لاطلاعهم على الوضع، تم التقاط صور للوفدين معا للذكرى.

عاد أبو علاء قبل يوم من الاتفاق، وقد استقبلناه بالترحاب فتوجه إلى بيرس وقال له:" أشكرك من أعماق قلبي على مرافقتك لي إلى المستشفى". فقال له بيرس:" الامر المهم هو أنك معافى".

همس أبو علاء قائلا:" لقد أنقذ بيرس حياتي. لقد جلس إلى جواري في سيارة الإسعاف، وقال لي: احمد- أبو علاء- نحن جميعا نريدك" وأنا لن أنسى ذلك ما حييت".

جلسنا يوم الأحد، أنا وأبو علاء، أمام كاميرات التليفزيون، ووقعنا على اتفاقية التسوية المرحلية بالأحرف الأولى -والذي اسماه الجميع اتفاقية أوسلو الثانية"- ثم ألقى بيرس وعرفات كلمتين قصيرتين هنأ خلالها عرفات الشعب اليهودي بالعبرية بعيد راس السنة.

وقد أثنى بيران على الاتفاقية أمام الصحفيين بالقول:" لم تكن هناك أي إمكانية لإنجاز اتفاق افضل، ولم نستطع التعايش مع اقل من ذلك".

وقعت الاتفاقية في (٤١٠) صفحات، وثماني خرائط وكانت لغتها شديدة التعقيد، تماما مثل خطوطها الهيكلية ، ومثل الواقع الذي من المحتمل أن يتغير، بيد أن المبادئ التي وضعت كأساس لهذه الاتفاقية، كانت واضحة وهي على النحو التالي:

في المرحلة الأولى (تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٥)-

١. الجيش الإسرائيلي سينسحب من ست مدن فلسطينية في الضفة الغربية، باستثناء الخليل وجميع الصلاحيات فيها مدنية وعسكرية، ستنتقل إلى الفلسطينيين.

٢. يقوم الجيش الإسرائيلي في نفس الوقت بالانسحاب من جميع قواعده في المنطقة القروية بيد أنه سيواصل تحمل المسئولية الأمنية الشاملة لمحاربة الإرهاب والدفاع عن الإسرائيليين في المنطقة التي تشمل تلك القرى.

٣. ستأخذ السلطة الفلسطينية على عاتقها في أعقاب إعادة الانتشار العسكري الإسرائيلي، المسئولية الأمنية، والمسئولية المدنية للمدن الفلسطينية -٣% من مساحة الضفة الغربية- وكذلك المسئولية المدنية ومسئولية النظام العام في القرى الفلسطينية -٢٤% من مساحة الضفة الغربية- ويجري تجسيد مسئولية النظام العام من خلال خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا مثلما هو وارد في الخرائط.

٤. تتحمل إسرائيل المسئولية المدنية والمسئولية الأمنية لـ٧٣% من مساحة الضفة الغربية-المناطق غير المأهولة- و١٠% تقريبا من مساحة قطاع غزة بصورة خاصة في مناطق الاستيطان مثلما تم تحديده قبلا، في اتفاقية غزة أريحا.

٥. تتحمل إسرائيل جميع المسئوليات الأمنية لتنقل الأشخاص والبضائع إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ومنهما إلى الخارج.

في المرحلة الثانية (كانون الثاني -نيسان ١٩٩٦):-

١. تجرى انتخابات ديموقراطية وحرة لمجلس فلسطيني مؤلف من ثمانية وثمانين عضوا، وكذلك لمنصب رئيس السلطة الفلسطينية بمشاركة جميع أصحاب حق الانتخاب في الضفة الغربية وغزة.

٢. بعد شهرين من الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني، يتخذ المجلس الوطني الفلسطيني- وهو الجهة الممثلة لجميع الفلسطينيين- قرارا، بأغلبية

ثلثي أعضائه على الأقل، للمصادقة على إلغاء جميع بنود الميثاق الوطني الفلسطيني الداعية لتدمير إسرائيل، والتي تتناقض، بأي شكل من الأشكال مع الاتفاقيات مع إسرائيل.

٣. بعد ستة اشهر من التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية، يخلي الجيش الإسرائيلي الخليل، ويتم نقل غالبية أجزاء المدينة للسيطرة الأمنية والمدنية الفلسطينية، ستواصل إسرائيل الاحتفاظ بالمسئولية الأمنية للمنطقة التي يسكنها المستوطنون في الخليل، والطرق التي يتحرك عليها هؤلاء المستوطنين والحرم الإبراهيمي، وعدة مناطق ملاصقة.

المرحلة الثالثة:

في الرابع من أيار ١٩٩٦، ستبدأ المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية حول التسوية الدائمة، والتي ستشمل قضايا، مثل المستوطنات، القدس، اللاجئين، الحدود والعلاقات مع الدول الأخرى. وستنتهي هذه المفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٩.

المرحلة الرابعة:

تخلي إسرائيل المنطقة غير المأهولة من الضفة الغربية باستثناء مناطق أمنية محددة- وفقا لتحديد إسرائيل على أن تفعل ذلك في غضون ثمانية عشر شهرا من تاريخ الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني. تنفذ الانسحابات الثلاثة الإضافية، على ثلاث مراحل بفارق زمني قدره ستة اشهر بين المرحلة والتي تليها.

وفي نفس الوقت تنقل إسرائيل إلى السلطة الفلسطينية صلاحيات أمنية في المناطق القروية الفلسطينية(المنطقة B) باستثناء المناطق ذات العلاقة بقضايا التسوية الدائمة.

تنطبق المسئولية الأمنية الإسرائيلية على الأمن الخارجي، وعلى الإسرائيليين الذين يعيشون في المستوطنات، وعلى حركة الإسرائيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويتحمل الفلسطينيون مسئولية تنفيذ نشاطات أمنية ترمي

لمحاربة الإرهاب. بما فيها مصادرة الأسلحة غير المشروعة، في المناطق الواقعة تحت مسئوليتهم الأمنية.

حدد الاتفاق أيضا الصلاحيات التشريعية المحددة للمجلس الفلسطيني، وألغى أي صلاحيات تعارضها حيث جاء فيها:" أن السلطة الفلسطينية لن تدير أي علاقات خارجية، باستثناء شئون محددة، كانت منظمة التحرير تعالجها- مثل المساعدات الدولية- كما أكد الاتفاق على أن السلطة الفلسطينية ستكون جزءا من الجهاز الجمركي الإسرائيلي.

وأكد الاتفاق على أن إسرائيل، والسلطة الفلسطينية، ستعمدان إلى إنشاء منظومة لجان للتعاون في مجال تطبيق الاتفاق، بما فيها لجنة رقابة ومتابعة عليا، والتي ستشرف على تنفيذ الاتفاق.

أضف إلى ذلك، أن هذا الاتفاق التاريخي وضع حدا للسيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، ووضع حدا لنظرية "أرض إسرائيل الكاملة " ووضع حجر الأساس لبداية تعاون بين الشعبين اللذين قررا اقتسام البلاد فيما بينهما من أجل الهدف المشترك: السلام والأمن والتطوير الاقتصادي.

عدنا إلى إسرائيل، عشية عيد رأس السنة، وبعد انتهاء العيد، توجه وفد كبير إلى واشنطن لحضور المراسيم الرسمية لتوقيع الاتفاقية.

قدم الوفد الفلسطيني عبر القاهرة وشمل أبو مازن، فقد قرر عرفات في اللحظات الأخيرة، أن يوقع أبو مازن وليس أبو علاء إلى جانبه على الاتفاق باسم الفلسطينيين. لقد مس هذا القرار بأبو علاء مسا شديدا، لان أبو مازن لم يلعب دورا في المفاوضات حول التسوية المرحلية، بل ولم ينتقل للسكن في مناطق، الحكم الذاتي، الا قبل شهرين من ذلك، أي بعد سنة من وصول عرفات ورجاله إلى الضفة الغربية وغزة، قادمين من تونس.

كان الانسجام بين عرفات ورابين يوم توقيع الاتفاقية، أكثر من عادي. وفي الكلمة التي ألقاها رابين في مراسيم الاستقبال التي أعدها الرئيس الأميركي

كلينتون في ساعات الظهر، قال رابيـن بيـن ضحـك أعضـاء الوفـد الفلسـطيني: أن عرفات قد اصبح يهوديا بسبب الخطابات الكثـيرة التـي يلقيـها.

وقع رابين وبيرس وعرفات وأبو مازن علـى الاتفاقيـة فـي البيـت الأبيـض بحضور الرئيس الأميركي والرئيس المصري حسني مبـارك، والملـك الحسـين.



١٢- أوري سبير ووزير الخارجة النرويجي هولست وأبو علاء خلال مفاوضات التسـوية المرحلية والتوقيع بالأحرف الأولى عليها.

الباب الثالث

- النضال -

الفصل الثامن

سلام وعنف

شارك ايجال عمير- وهو طالب في كلية الحقوق، يناهز السابعة والعشرين من العمر، ويعتمر قبعة متدينيين سوداء- في المظاهرات التي اندلعت ضد الحكومة، تلك المظاهرات التي أطلقت خلالها شعارات تقول:" رابين قاتل، رابين قاتل". ومثله مثل الكثيرين الآخرين، اختزن عمير مشاعر الكراهية والحقد التي يختزنها اليمين الإسرائيلي، بيد أن المظاهرات والصيحات المجنونة التي أطلقها خلالها لم تكن كافية لإرواء نفسه المتعطشة لتدمير السلام، لذا عمد إلى التخطيط طيلة شهور ووضع خطة ذاتية قادرة على تدمير المسيرة.

سكن عمير في هرتسيليا، وقد عملت والدته مديرة لروضة أطفال، وكان والده روائيا، وعلى رف الكتب في منزله تم العثور على رواية "رئيس هدف لفوهة البندقية" وهي رواية مغامرات، يدور فيها سباق مجنون، بين قوات الأمن الفرنسية، ومحترف قتل مأجور، لقتل الرئيس (ديغول)، وقد تم اعتقال هذا القاتل في نفس اللحظة، التي كان يصوب فوهة البندقية إلى جسد الرئيس ديغول ويهم بإطلاق النار.

قرر ايجال العمل بصورة اكثر فعالية. وفي آذار ١٩٩٤ شارك في مظاهرة أعلن خلالها أن بيرس ورابين هما افعيان يجب قتلهما، ولا شك أن دولة إسرائيل ستنقذ من الدمار إذا ما قتلهما شخص ما، مما سيؤدي إلى إجراء انتخابات توصل نتنياهو إلى السلطة.

لقد شعر اليمين الإسرائيلي، أكثر بكثير مما شعر اليسار، بأن اتفاقيات أوسلو الثانية هي بمثابة تطور تاريخي سيجلب الكوارث على إسرائيل. لقد عكف غالبية أعضاء اليسار، آنذاك، على قراءة ما هو وارد في الاتفاقية، وتتبع مسار الخرائط الملحقة بها، دون أن يتعمقوا بمعزاها التاريخي.

أما اليمين الإسرائيلي فقد أدرك أن إعادة الانتشار وتسليم المدن إلى الفلسطينيين يعني (فلسطنة) الضفة الغربية، وأملوا في أن يتمكنوا من وقف هذه المسيرة بالمظاهرات العامة التي نظمتها المعارضة وجهات برلمانية وغير برلمانية.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٩٥ وعندما انعقدت الكنيست للموافقة على الاتفاقية، تجمهر عشرات الآلاف في ميدان صهيوني بالقدس، وألقى بنيامين نتنياهو- بوصفه رئيس المعارضة- خطابا فيهم، وصف خلالها الاتفاقية بأنها (عملية خنوع) ووصفها أيضا بأنها"خطر على وجود إسرائيل" وقد أكد نتنياهو ونظراؤه الآخرون من أعضاء اليمين، أن المصادقة على الاتفاقية في الكنيست ستتم بأغلبية أعضاء كنيست ليسو يهودا ذلك أن من بين الواحد والستين عضو كنيست- الذين كانوا على وشك الموافقة على الاتفاقية- خمسة أعضاء من العرب ودرزي واحد، وبالإعلان عن أن رابين يعتمد على "الحزب العربي المؤيد لمنظمة التحرير" اسهم أعضاء اليمين في سحب الشرعية من العرب في إسرائيل.

لقد استثمرت الفكرة التي طرحها نتنياهو والقائلة أن الاتفاقية لا تحظى بتأييد أغلبية يهودية في إسرائيل، في العديد من الأوساط اليهودية المتطرفة، وأوساط أولئك الذين شككوا دائما في مدى إخلاص العرب في إسرائيل للدولة.

وفي تعقيبه على هذا الوضع، قال (إليكم هعتسني)، أحد زعماء المستوطنين :"الحكومة هي عصابة، تمكنت من اختطاف الحكم بالاستعانة بمنظمة إرهابية" أي أن حكومة رابين كانت بالنسبة له حكومة غير شرعية ولا تمثل الشعب الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن (ايجال عمير) قال خلال محاكمته، في أعقاب اغتياله لاسحق رابين "لقد اختير رئيس الحكومة بأصوات العرب، ٢٠% من أولئك الذين صوتوا لصالحه هم من العرب، فهل ندع هؤلاء العرب، يقررون مصير بلادي؟

وخلال المظاهرة الصاخبة، آنفــة الذكــر، فــي الســادس مــن تشــرين الأول ١٩٩٥، وزعت صــور رابيــن وهــو يرتــدي ملابــس "الاس اس" الشــرطة النازيــة وقالت الأنباء حينئذ أن الذي وزع هذه الصور هم جماعـــة منظمـــة (كـــهاناحي).

وفي نفس الليلة، هاجمت الغوغاء سيارة رابيــن- بيــد أنــه لــم يكــن فيــها- وأخذت تدق بقبضاتها على السيارة، بل وقام بعضهم بـــاقتلاع علامــة (كــاديلاك) مــن السيارة، وفاخروا قائلين: إذا كنا قادرين على الوصـــول إلـــى علاقــة الســيارة، فنحــن قادرين على الوصول إلى رابين. راقبت رابيـــن خـــلال الجلســات التــي عقــدت اثــر المظاهرات آنفة الذكر، فرأيت أن رد فعلــه علــى تلــك الــهجمات اتســم بمزيــج مــن الغضب والرفض. ولم يبد أنه يخشى اليمين، وأن يكـــن قــد تصــرف تجاهــه بضبــط نفس تــلم.

وفي نفس اليوم الذي كان يفترض أن تصــوت فيــه الكنيســت علــى الاتفاقيــة عقد رابين اجتماعا شارك فيـــه شــمعون بــيرس، والكــادر السياســي الأعلــى، وأنــا واستهل رابين الحديث بـــالقول :" فـــي غضـــون الأســبوع القــادم، سنشــرع بــإخلاء مكاتب الإدارة المدنية -على الأقل مكتبين في منطقــة ســلفيت- وآمــل أن نتمكــن مــن إخلاء أربعة مكاتب وستقرر هيئة الأركان أسلوب الإخــلاء. وأنــا أريــد مــن شــمعون بيرس، ومسئولي جهاز الأمن العام، أن يجتمعـــوا بعرفــات، ويطــالبوه بتحســين أدائــه ضد الإرهاب وبالإمكان أيضا أن تقترحوا عليـــه اختيــار تــاريخ لاجــراء الانتخابــات، يقع بين العشرين مـــن كــانون الأول ١٩٩٦ ونيســان ١٩٩٦ إذا اراد الانتظــار حتــى استكمال إعادة الانتشار في منطقــة الخليــل.

بدا رابين مصـــرا علــى مواصلــة تنفيــذ الاتفــاق، وأن الضجــة وحــوادث الشغب والمظاهرات في الشوارع لا تؤثر عليـــه أبــدا. لقــد كــان علــى وشــك تنفيــذ عمل أمني شديد التعقيد: إخلاء الجيـــش الإســرائيلي مــن أمــاكن التجمعــات الســكنية الفلسطينية، وبالتعاون مـــع شــريك لا يمكــن وصفــه بــالنموذجي، بيــد أن الطرفيــن يعملان من اجل هدف يؤمنان بـــه.

اجتمع بيرس وقادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، مساء اليوم التالي بعرفات، الذي جاء إلى حاجز ايرز وبصحبته مسئولو أجهزته الأمنية. وقد قال عدد من ضباطنا الكبار لعرفات، أنه يسمح لرجاله بالتأكيد اكثر من اللازم على المحادثات التي أجراها مع مسئولي حركة حماس في السودان بموافقتنا. وقالوا له. انه لا يكفي أن يعمل على إقناع حماس بالتحول إلى حزب سياسي غير عنيف، بل يجب عليه أيضا، أن يتخذ خطوات حاسمة ضد عناصر الإرهاب النشطة في المناطق.

أكد مسئولو الأجهزة الأمنية التابعة لعرفات أنهم يعملون ليلا ونهارا للحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، وأعربوا عن تذمرهم من طبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين جهاز الأمن الإسرائيلي، والمتمثلة في المطالبة الدائمة من جانب واحد، وليس التعاون بين الطرفين كجهتين متساويتين.

وقد أكد بيرس ومرافقوه، أن الامر كله رهن بمدى التعاون الذي يبديه الجهاز الأمني الفلسطيني معهم في مجال مكافحة الإرهاب، وخصوصا في الضفة الغربية، بل أن أعضاء الجهاز الأمني الإسرائيلي، اشترطوا تنفيذ إعادة الانتشار بتعزيز التعاون الأمني بين الجهتين وقد وافق عرفات على جميع مطالبنا الشخصية بيد أنه بقي مصرا على أسلوب (فرق تسد) تجاه حركة حماس.

وقد تم الاتفاق، خلال هذا اللقاء، على جدول زمني للانسحاب الإسرائيلي من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. وقد طالب الفلسطينيون أن يتم الانسحاب من منطقة جنين في أسرع وقت ممكن، وان يتواكب مع إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات بمن فيهن المعتقلتان اللتان رفض رئيس الدولة منحهما العفو- رغم التزامنا بذلك في اتفاقية التسوية المرحلية- بسبب مشاركتهما في أعمال قتل إسرائيليين.

أطلقنا على عملية إعادة الانتشار اسم عملية (يومان)، وكنا على وشك إخراجها إلى حيز التنفيذ، وقرر رابين أن توكل عملية الرقابة على التنفيذ، إلى

لجنة متابعة وتوجيه عليا، يتم تشكيلها من طواقم المفاوضات برئاستي، وبرئاسة أبو علاء عن الجانب الفلسطيني.

قررنا عقد اجتماع لهذه اللجنة، مرة واحدة كل أسبوعين، وقد عقد اللقاء الأول في مكتب أبو علاء في (الرام) شمالي القدس، وقررنا خلاله، أن نستقي العبر من اتفاقية غزة – أريحا، وان نشرف على كل بند من بنود الاتفاق، ونضمن سير عمل عشرات اللجان الفرعية، التي تم تشكيلها وفقا لما هو وارد في الاتفاقية.

لقد علمتنا التجربة، أن نجاح تطبيق الاتفاقية رهن بالتعاون الكامل بين الطرفين في جميع المجالات. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم من الإغلاق الذي يتم فرضه عليهم بين الفينة والأخرى، جراء تنفيذ العمليات الإرهابية. وعقب أبو علاء على ذلك قائلا: "انتم تمسون بالمسيرة السلمية، ولا شك أن هذا الوضع هو جزء من الأجواء التي تؤثر على الأمن".

ناقشنا خلال الحوار المذكور، قضية الرقابة على الانتخابات الفلسطينية، وقدوم عشرات المراقبين الدوليين من الخارج. لقد رغب الفلسطينيون منذ البداية، بوجود المراقبين الدوليين كضمانة لعدم تدخلنا في الانتخابات، بيد أن هؤلاء المراقبين، اصبحوا الان بمثابة ضمانة لصحة مسار الانتخابات.

اشرف بيران على إعادة الانتشار، وهي عملية معقدة لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن اكتسب خبرة فيها: انسحاب إرادي مع منح الإمكانية لأولئك الذين كانوا خاضعين حتى الان، لسيطرة الجيش الإسرائيلي، لتسلم مسئولية أمنهم والتي – لاشك – ستؤثر على أمننا. ووفقا لذلك، كانت هناك ضرورة، ليس فقط للقيام بمجهود كبير جدا على الصعيد الميداني، بل أيضا إحداث تغيير عميق في نظريتنا القائلة: انه لا يجب أن نعتمد في القضايا المتعلقة بأمننا الا على أنفسنا.

عقد بيران ندوة لضباط قطاعه، ودعا إليه طاقم أوسلو كي يوضح لهم الاتفاقية. وقد تمت خلال هذه الندوة، مناقشة ما يسمونه في الجيش "بتغيير الهوائي" – تغيير التوجه من السيطرة إلى التعاون. لقد أصبحت الأهداف جزءا

من المسيرة الآخذة في التطور، نظـرا لان التسـوية المرحليـة، تطلبـت تعاونـا اكـبر من التعاون الذي تتطلبه حتى مرحلة التسـوية الدائمـة. ولا يرجـع ذلـك فقـط، لكـبر حجم الأراضي التي سـتمنح للفلسـطينيين، بـل لان أعـداء السـلام كـانوا متطرفـي الطرفيـن.

وفي السابع عشر مـن تشـرين الأول ١٩٩٥-أي بعـد ثمـان وعشـرين سـنة وعـدة اشهر، من احتلاله لها، خلال حرب عـام ١٩٦٧، دخلـت القـوات الفلسـطينية وهـي في أبهى لباسها، ورفعـت الأعـلام الفلسـطينية بيـن هتافـات وصـراخ الجمـاهير. ورغم أن القوات الإسرائيلية توخت ضبـط النفـس فـي خروجـها، الا أن المواطنيـن الفلسـطينيين رشـقوها بالحجـارة، وكـان منظـرا صعبـا للغايـة علـى الجمـاهير الإسـرائيلية.

لم تكن الحرارة التي أبدتـها الجمـاهير الفلسـطينية مفاجئـة لـي، بيـد أن لا مبالاة الزعامة الفلسـطينية للـرأي العـام الإسـرائيلي لا زالـت تدهشـني. لقـد كـان الإسرائيليون على استعداد للتسليم، بان يدير الفلسـطينيون شـئون حياتـهم، بيـد انـهم لم يكونوا على اسـتعداد للتسـليم برشـقهم بالحجـارة، وقـد حولـت هـذه الصـورة، المسيرة السلمية، في أعين الكثيرين، إلى نوع جديد مـن أنـواع المواجـهات.

لم يدرك الرئيس الفلسطيني، مدى تـأثير مثـل هـذه المنـاظر علـى الـرأي العام الإسرائيلي، فقد انشغل تماما بمعالجة القضايـا الداخليـة، فـي حيـن لـم نحـاول نحن، الشروع بحوار مع الرأي العام الفلسطيني لاسباب تتعلـق بـالتقوقع الذاتـي. لقـد كان على عرفات، بوصفـه الطـرف الأضعـف- أن يعـترف بأهميـة التحـاور مـع الرأي العام الإسـرائيلي، مثلمـا فعـل الرئيـس المصـري أنـور السـادات، والملـك الحسـين.

بدأنا نجني ثمار السلام، في مجالات أوسع. فقـد خلـق قـرار إخـلاء المـدن الفلسطينية من الجيش الإسرائيلي. توجـها جديـدا تجـاه إسـرائيل فـي جميـع أنحـاء العالم العربي تقريبا، وكذلك في باقي أنحـاء العـالم.

وبوصفي مدير عام وزارة الخارجيــة، شـعرت بالنتـائج الملموسـة للتحـول الجديد، فقد أصبحت لدينا علاقات دبلوماسية مع ١٦٢ دولـــة، وقـد أفـادت سـفاراتنا، التي طالبناها بالعمل على جني حصـــاد هـذه المسـيرة: بـان هنـاك اهتمامـا كبـيرا بالاقتصاد الإسرائيلي، ولم يكن يمضـــي أسـبوع دون زيـارة ضيـف كبـير – رئيـس حكومة أو وزير خارجيــة، والاهـم مـن ذلـك، كـانت زيـارات رؤسـاء الشـركات الدولية.

لقد تخلت إسرائيل حقا عن المدن الفلســطينية، لكـن الأهـم مـن ذلـك، هـو أنها تخلصت من الصحراء الدولية، التي دفعت إليـها قبـل اكـثر مـن عشـرين سـنة. وبدأت ممثلياتنا في الشرق الأوسط. فـــي سـلطنة عمـان، وقطـر وتونـس نشـاطاتها الدبلوماسـية.

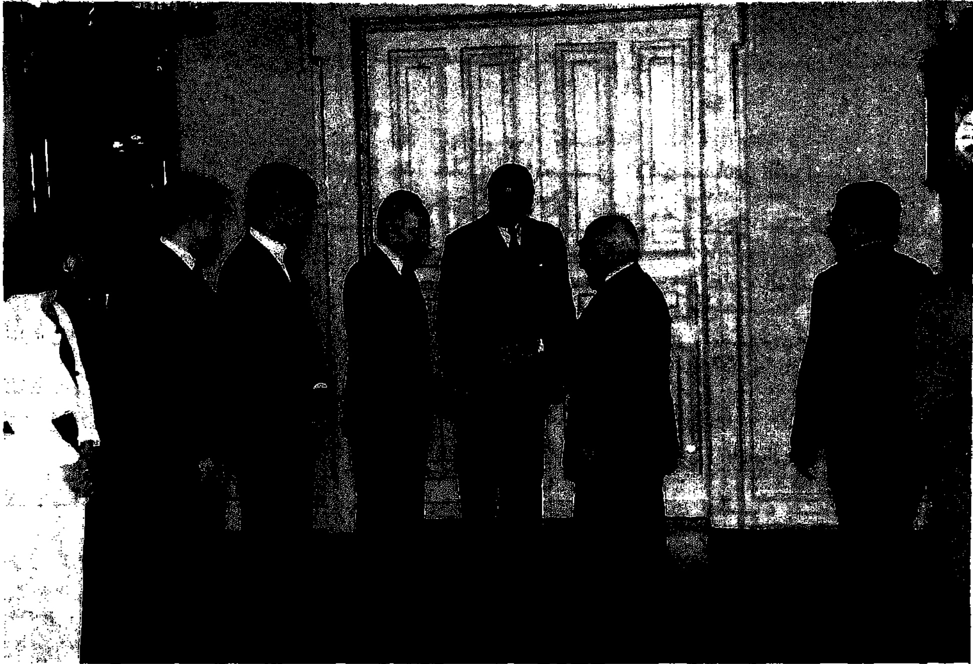
لقد تم إحراز نجاحات كبيرة جدا خلال المؤتمـــر الاقتصـادي الدولـي، الـذي عقد في عمان، بعد سنة من مؤتمـــر كازابلانكـا. وقـد تـم التركـيز خـلال مؤتمـر عمان، على مشروعات التطوير الإقليمـــي، وخصوصـا المشـروعات المشـتركة مـع الأردن، مثل المطـــار فـي منطقـة العقبـة – ايـلات، وريفـيرا سـياحية فـي نفـس المنطقة، ومشروعات مشتركة على ساحل البحـــر الميـت.

وإذا كان مؤتمر كازابلانكا قد شكل السابقة، فـان مؤتمـر عمـان، أكـد علـى الديمومة، وقد اكثر القادمون إلى المؤتمر، مـــن الحديـث حـول إنشـاء بنـك إقليمـي شرق أوســطي، وهيئـة تخطيطيـة مشـتركة بيـن إسـرائيل والفلسـطينيين والأردن ومصر. علـــى أن يعمـل مـن عمـان، وكنـا علـى وشـك تعييـن أول دبلوماسـي إسرائيلي، لشغل وظيفة في أول هيئة شـــرق أوسـطية.

كان السياسيون الذين قدموا إلى مؤتمر عمان قلـــة، وغالبيـة المشـاركين هـم من رجال الأعمال، ودار الحديث حول قضيـــة مركزيـة، تتمثـل فـي تشـكيل شـرق أوسط جديد على الخارطة الاقتصادية العالمية، وخلـــق عـهد مـن التعـاون والمنافسـة الاقتصادية لصالح كل سـكان المنطقـة. وتضمـن البيـان الختـامي للمؤتمـر، أقـوالا

صريحة، حول انتهاء المقاطعة العربيـــة، وتوجــهت مجموعــة مــن رجــال الأعمــال العرب مباشرة إلى مؤتمر القـــدس.

لقد أدى السلام مع الفلسطينيين، وانفتاح العــالم تجاهنـا إلــى تعزيــز الوضــع الراهن في القدس. لقد استندت استراتيجيتنا في القـــدس، علــى خلــق اســتقرار يصــب في مصلحة الحاكم والمسيطر على المدينة في الحـــاضر، وتؤثــر علــى نوعيــة الحــل الذي سيتم إحرازه في المفاوضات حول التســوية الدائمــة.



١٣- أبو علاء، ووزير الخارجية النرويجي هولست، ووزير الخارجية شمعون بــيرس فــي لقاء في النرويج .

إسرائيل: سلام بأسس فلسطينية وسقف سوري

الخطأ الإسرائيلي تجسد في نزعة التمسك بفهم السلام النفسي خارج إطار الوعي

كان اسحق رابين، وشمعون بيرس، ومضيفاهما الأردنيان الملك الحسين، والأمير الحسن – أبطال المؤتمر، وقد اجتمعوا مع رؤساء حكومات ورجال أعمال، واستقبلوا بحفاوة أينما توجهوا. وهكذا، وبعد اشهر طويلة من المفاوضات، والقرارات الصعبة، والنضال ضد معارضة منفلتة، شعر رابين وبيرس بالارتياح التام. لقد أدركنا أن الطريق إلى عمان، ما كانت لتفتح على مصراعيها لولا أوسلو، ولولا حل المشكلة الفلسطينية، لما تعززت مكانة إسرائيل الإقليمية، والتي ستجلب معها استثمارات دولية، وأمن إقليمي.

لقد اصبح مؤتمر كازابلانكا، وعمان، واتفاقيات أوسلو، بمثابة المفتاح للدعم طويل الأمد للاقتصاد الإسرائيلي، والأمن الإقليمي.

وهكذا، بدأ يتبلور في المنطقة، ائتلاف سلام، وتطوير اقتصادي، في مواجهة الائتلاف الأصولي المتطرف.

وفي نهاية المؤتمر في عمان، قام بيرس، والسفير الإسرائيلي في عمان – شمعون شامير. وأنا بجولة على الأقدام في العاصمة الأردنية. وقد استقبلت الجماهير – التي صادفتنا – بيرس بحرارة، وصافحته، وهو الامر الذي لم نكن نحظى به في إسرائيل، حيث كان اليمين الإسرائيلي لا يألو جهدا، في تأليب الجماهير موهما إياها، بأنه يعمل على سد الطريق بأجساد رجاله في الخنوع الإسرائيلي الكبير.

وفي تشرين الأول، قام أعضاء منظمة (كاخ)، بإجراء المراسيم الدينية "الضرب بسياط النار – قرب منزل رئيس الحكومة اسحق رابين في القدس، والتي دعوا فيها لملائكة السماء إنزال لعناتها على رابين. لقد قام بغالبية عمليات التحريض، جماعة حركة (ماماتس) التي قادها المستوطنون ورجال الليكود.

مقدمات الاغتيــال:

وفي أيلول، ظهر عضو الكنيســت (تصحــي هنجفــي) بصــورة ســرية فــي مسيرة القدس، وصرخ قائلا: "رابين خائن". وقــد وصــف الصحفــي (نــاحوم برنيــاع) هذا الحادث، في جريدة يديعوت احرونوت بالقول: "تصحي هنجفــي هــو اليــد اليمنــى لنتنياهو، وبكفاءاته الخاصة سيدفع بنتنيــاهو إمــا إلــى رئاســة الحكومــة، وإمــا إلــى (المجاري)، وربما يجره إلى الاثنتيــن معــا".

كان الشعار الأساسي الذي رفعــه اليميــن يتمثــل فــي: "أن الحكومــة تعمــل كطابور خامس، وأنها تعــرض الدولــة للخطــر بخضوعــها لأعــداء إســرائيل قتلــة اليـهود".

أعلن نتنيــاهو أن الحكومــة الحاليــة خطــر علــى إســرائيل، وبــدأ (إليكــم هعتسني) الاستعداد لمقاضاة الحكومة، مثلمــا فعــل الفرنســيون مــع (خــائن بيتــان) – رئيس حكومة فيشي، الذي حكم عليه بالإعدام، في أعقــاب الحــرب العالميــة الثانيــة– . ووصف (موشيه بيجلين)، رئيس حركة "هذه أرضنــا" "رابيــن القــاتل". الــذي بــاتت أيامه معــدودة".

وفي خضم هذه الدوامــة، وبينمــا انشــغلنا نحــن بالانســحاب مــن مدينتيــن أخريين – طولكرم قلقيلية – شرع (ايجال عمير) فــي وضــع اللمســات الأخــيرة علــى خطة اغتيال رابيــن.

وقالت الصحف آنذاك، أن رئيس جهاز الأمــن العــام، اجتمــع بقــادة أحــزاب المعارضة وعلى رأسهم نتنياهو، وحذرهــم مــن الارتبــاط بجــهات اليميــن المتطرفــة والمتدينة، بيد أن تلــك الأحــزاب رفضــت تحذيراتــه واعتبرتــها تدخــلا أمنيــا فــي الشئون السياســية.

شــعر رابيــن، وبــيرس بالغربــة التامــة وســط هــذه الأجــواء المعاديــة، خصوصا، وان اليسار امتنع عن المواجهات، وفضل، بدلا مــن ذلــك الاحتفــال بثمــار السلام، بل ولجأ قسم منــه إلــى التذمــر مــن هــذا الجــانب، أو ذاك، مــن اتفاقيــات السلام، نظرا لكونها جسدت، أو لم تجســد، أو لســرعتها أو بطئــها.

إن الموقف السلبي، آنف الذكر، لليسار الإسرائيلي، هو الذي أتاح الفرصة لفوز اليمين في الانتخابات، في نهاية المطاف، تماما في الوقت الذي كان فيه اليسار يعلن انتصاره الأيدلوجي.

اصبح الشارع ملكا للمعارضة، وكنت اشعر بالإحباط وخيبة لأمل الكبيرة، كلما سألني أحد معارفي: لماذا لا تبذلون جهدا اكبر في مجال العلاقات العامة، وتوضيح وجهة نظركم للجماهير؟؟ لم يعد الجدل بين الزعماء في إسرائيل بل بين الجماهير والجماهير.

عمل (جان فريدمان) – وهو مواطن فرنسي ورجل أعمال يناهز الستين واحد أصدقاء (شمعون بيرس) – على إقناع بيرس، بان يسمح له بالتعاون مع (شلومو لاهط) – رئيس بلدية تل أبيب– في تنظيم مهرجان سلام كبير لتأييد رابين والمسيرة السلمية، وللرد على العنف الذي يمارسه اليمين.

أهاب بيرس برابين، أن يوافق، بيد أن رابين أعرب عن شكه – في البداية– في إمكانية خروج الجماهير من منازلها ومشاركتها في المهرجان، لكنه وافق في النهاية على الفكرة.

مؤتمر السلام واغتيال رابين:

حال عودتهما من عمان، اكتشف رابين وبيرس، أن (فريدمان) و(لاهط) تعاملا مع المهمة بمنتهى الجدية، فقد غصت الصحف بالإعلانات عن مهرجان السلام المزمع عقده في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، الساعة السابعة مساء، في ساحة ملوك إسرائيل تحت شعار "نعم للسلام، لا، للعنف".

قرأ (ايجال عمير) ما نشر حول المهرجان، وقال لشقيقه: إن فرصته ستلوح، كما يبدو، ليلة السبت – الأحد، وفي ساعات المساء من يوم الرابع من تشرين الثاني، عبأ مسدسه بعيارات (فارغة)، واعده للإطلاق وصعد إلى الحافلة(٢٤٨) العاملة على الخط بين (هرتسليا) وشمال تل أبيب.

توجهت أنا وزوجتي وابنتي إلى ساحة ملوك إسرائيل، وكنت قلقا، واسأل نفسي فيما إذا كانت الجماهير ستؤم المهرجان؟؟ فقد كنت أدرك أن

الحضور الجماهيري هو اختبار التأييد لاتفاقيات أوسلو. ومن بعيد، شاهدنا ساحة ملوك إسرائيل تفيض بالجماهير التي ملأت كل مكان وجاءت من كل حدب وصوب، بينما رفرفت على نافذة بلدية تل أبيب يافطة كبيرة كتب عليها "نعم للسلام لا للعنف".

بدت الجماهير في حالة معنوية عالية، بيد أنها كانت تتصرف بهدوء. وشاهدت الكثيرين من معارفي، والذين اخذوا يشدون على يدي للدور الذي لعبته في المسيرة السلمية وشاهدت الابتسامات تعلو على الشفاه، وكأن تلك الجماهير جاءت على استحياء، ثم اكتشف كل واحد أن هناك الآلاف غيره، يؤيدون السلام مع الفلسطينيين.

اقتربنا من المنصة كي نصغي إلى أغاني المغنيين، وللكلمات التي ألقاها سفيرا مصر والأردن. ثم جاء دور رابين وبيرس، واللذين تحدثا من خلال إظهار تقديرهما.العميق أحدهما للآخر، وبدأ كل منهما يتحدث عن الآخر كشريك في صنع السلام. وكانت كلمات رابين لا تنسى: "وانتم هنا، بحضوركم لهذا المهرجان تثبتون مع الكثيرين من أمثالكم، ممن هم غير موجودين الان، إن الشعب يرغب حقا في السلام ويناهض العنف. إن العنف هو بمثابة تدمير الأسس الديموقراطية الإسرائيلية، لذا يجب شجبه، وإدانته وعزله، فالعنف ليس طريق دولة إسرائيل.

"السلام لا يأتي فقط بالصلاة، بيد أننا نصلي من اجله، وهو محط آمال وتطلعات الشعب اليهودي، الرغبة الحقة في السلام ...

"هناك أعداء للسلام يحاولون المساس بنا بغية تقويض السلام، وأنا أود أن أقول لكم دون لف أو دوران، إننا عثرنا على شريك للسلام أيضا بين الفلسطينيين، في منظمة التحرير التي كانت عدوا، وتوقفت عن ممارسة الإرهاب. ودون شركاء للسلام، لا وجود للسلام، وسوف تطالب المنظمة بالوفاء بدورها في السلام تماما، مثلما سنقوم نحن بدورنا في السلام، بغية إيجاد حل للعامل شديد التعقيد، والطويل، والمفعم بالأحاسيس اكثر من أي عامل آخر من عوامل النزاع العربي الإسرائيلي، وهو العامل الفلسطيني الإسرائيلي".

وفي نهايـــة الخطابـــات ظـــهرت المغنيـــة (مـــيري الونـــي) علـــى المنصـــة، وقدمت الميكرفون لرابين، وبيرس وقادتـــهما والجمـــاهير فـــي غنـــاء "أغنيـــة الســـلام". وقام رابين بمعانقة بيرس بين ذراعيه، وبـــدا أن العلاقـــات العاصفـــة بينـــهما، تحولـــت، في نهاية المطاف لشراكة حقيقية، إذ لـــم يكـــن بمقدورهمـــا تحمـــل عـــبء الحمـــل الا معا. وانتهى المهرجان بنشيد الأمل، وبدأت الجماهير تتفـــرق، الســـاعة التاســـعة.

وصل (عمير) إلى منطقة الساحة، وأزال قبعـــة المتدينيـــن مـــن فـــوق رأســـه، لقد اراد أن يبدو كسائق لإحـــدى ســـيارات الشـــخصيات الإســـرائيلية التـــي حضـــرت المهرجان، كان يرتدي (تـــي شـــيرت) ذا لـــون ازرق. وقـــد وقـــف غالبيـــة ســـاعات المهرجان اسفل السلم بانتظار رابيـــن وبـــيرس. وعندمـــا وصلنـــا إلـــى تلـــك الســـلالم، شاهدنا بيرس على بعد عشرة أمتار تقريبا، يتجه نحـــو ســـيارته، وفجـــأة ســـمعنا أناســـا يصرخون "رابين، رابيـــن".

شاهدته وهو يـــنزل الدرجـــات، وزوجتـــه خلفـــه، ورجـــال الأمـــن يفصلـــون بينهما، وفجأة، ســـمعت صـــوت ثلاثـــة انفجـــارات قصـــيرة. صرخـــت ابنتـــي مايـــه: "ماهذا"؟؟ فقلت:" اعتقد انه صوت دراجـــة ناريـــة".

بدأت الجماهير تفر فـــي كـــل اتجـــاه، صـــاعدة الســـلالم، وشـــاهدت ســـيارة إسعاف تنطلق من ناحية الشمال باتجاه الشارع، وحينها، أدركـــت أن مـــا ســـمعته كـــان أصوات عيارات ناريـــة.

أغلقت الشرطة المكان، ولم نستطيع الوصـــول إلـــى الســـلالم، لـــذا، لـــم يبـــق أمامنا سوى المسارعة إلى البيت لمشاهدة الأخبـــار. وعندمـــا وصلنـــا إلـــى الســـيارة، شاهدت الصحفي (اوري افنيري) جالسا فـــي ســـيارته، والراديـــو مفتـــوح، فقلـــت لـــه سمعنا صوت عيارات نارية. وفجأة ســـمعنا صـــوت المذيـــع يقـــول: كمـــا يبـــدو، انـــه جرى محاولة لاغتيال اسحق رابيـــن.

وصلنا إلى البيت فـــي حوالـــي الســـاعة الحاديـــة عشـــرة، وبـــدأ الأصدقـــاء يتصلون بي، وتتراوح الشائعات لديهم إصابـــة رابيـــن، إصابـــة طفيفـــة وبيـــن أصابتـــه إصابة خطيرة، بدأت أفتش في محطـــات التلفزيـــون، وفـــي حوالـــي الســـاعة الحاديـــة

عشرة وخمس دقائق، قال مذيع راديو (SKY NEWS) أن اسحق رابين توفي متأثرا بالجراح التي أصيب بها في محاولة الاغتيال.

أدرت البث إلى التلفزيون الإسرائيلي، لعل النبأ الذي سمعته غير صحيح، فشاهدت على الشاشة صورة اسحق رابين، وقد كتب تحتها ١٩٢٢-١٩٩٥، وكان (ايتان هابر) يقرأ البيان الرسمي بشأن مقتل رابين: "تعلن حكومة إسرائيل بذهول بالغ، وبحزن عميق، عن موت رئيس الحكومة، ووزير الدفاع اسحق رابين الذي قتل الليلة بأيدي مغتال".

انفجر الأشخاص المحيطون بهابر بالبكاء، وكذلك نحن، وسمعنا صراخا من كل مكان، وكأنه لا أحد يصدق ما سمعته أذناه.

لست ادري حتى كتابة هذه السطور فيما إذا كان (ايجال عمير) قد نجح في اغتيال المسيرة السلمية عندما اغتال رابين أم لا. بيد أن أولئك الذين انشدوا نشيد السلام على المنصة في تلك الليلة، يجلسون الان في صفوف المعارضة، فيما يجلس أولئك الذين هتفوا "رابين خائن" على سدة الحكم.

اتصل بي (لاريسون) من غزة، حيث كان في ضيافة عرفات، وقال لي: انه سمع إيان اجتماعه مع أبو مازن بنبأ اغتيال رابين، فتوجه الاثنان إلى عرفات، واعلماه بمقتل الرجل الذي لقبه بشريكي، فبكى عرفات وأنا".

عقد بيرس اجتماعا عاجلا للحكومة في مكتب وزارة الدفاع، حيث تم انتخابه رئيسا للحكومة خلفا لرابين، مثلما ينص القانون.

بعد مشاورات مع الجهات الأمنية، قرر بيرس عدم دعوة عرفات لحضور الجنازة، وقد ترأس الوفد الفلسطيني أبو علاء، وبصحبته عدد من كبار الشخصيات الفلسطينية، وقد توجه إلي أبو علاء، وقال: "لقد كان قائدا حقيقيا للسلام، الخسارة تعم الشعب الفلسطيني أيضا".

وبعد الجنازة، اجتمع الرئيس الأميركي كلينتون مع بيرس على انفراد، وقد قام السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمار رابينوفيتش) باطلاع بيرس على فحوى القضية التي سيتحدث كلينتون معه فيها: "القضية هي سورية، سيطالب

الأميركيون بأن تفي بالوعد الذي قطعه رابين لــهم. وهــي قضيــة شــديدة التعقيــد. إن التزام رابين بانسحاب محتمــل مــن هضبــة الجــولان كــان مرتبطــا بسلســلة مــن الشروط التي لم يف بها الرئيس الأسد حتى اليوم". "اســتغرق الاجتمــاع المنفــرد بيــن بيرس وكلينتون ساعة ونصف الساعة، فــي حيــن جلســت أنــا ودنيــس روس خــارج غرفة الرئيس، وفهمت منه، أن الولايات المتحــدة معنيــة جــدا بــالتقدم علــى المســار السوري. وفي نهاية المقابلة، نهض كلينتون وعــانق بــيرس، وقــال لــه: "لقــد فقــدت شريكا يمكنك الاعتماد علي في أن أكون شريكك في كل مــا يتعلــق بالســلام".

وفي نفس الليلة، روى لي بيرس، ما حدث بينــه وبيــن كلينتــون، وبــدا انــه شديد الدهشة، فقد اعلمه الرئيس، أن رابين أعــرب خــلال حــواره مــع الأمــيركيين، عن موافقة مشروطة للانسحاب الكامل من هضبة الجــولان، أمــا الشــرط فيتمثــل فــي أن يتلاءم السلام مع احتياجات إســرائيل بشــأن التطبيــع، وترتيبــات أمنيــة، وتطبيــق جدول زمني لذلك. وقــال بــيرس: انــه ملــزم بموقــف اســحق رابيــن، وسيتمســك بالمسيرة السلمية بكل قوتــه.

انشغل بيرس بتشكيل حكومته، وأنجز هــذه المهمــة بســرعة، ومثلمــا فعــل قبله رابين واشكول وبن غوريون، قرر الاحتفاظ بمنصــب وزيــر الدفــاع إلــى جــانب منصب رئيس الوزراء، وعين اهود براك وزيــرا للخارجيــة، وحــاييم رمــون وزيــرا للداخلية. عينني بيرس منسقا لأعمال المسيرة السلمية وقــال لــي: انــه يعــتزم ضمــي إلى حكومته بعد الانتخابات القادمــة.

كان أول قرارات بيرس، اثر توليــه منصــب رئيــس الحكومــة هــو توجيــه أمر للجيش بمواصلة اتفاقية التسوية المرحلية، كــان يجــب علــى المســيرة الســلمية أن تتواصل. وفي نهاية ١٩٩٥، وفي التواريــخ التــي الــتزمت بــها إســرائيل، انســحب الجيش من طولكرم وقلقيلية ونابلس ورام الله وبيــت لحــم.

لقد أصبحت إعادة الانتشار ممكنة فــي تلــك الآونــة، بســبب الصدمــة التــي بدت بوضوح على اليمين، وعلى وجه الخصوص فــي أوســاط اليميــن المتدينــ، فقــد حاولت بعض هذه الأحزاب، إجراء حساب نفــس، وتفحــص المبــادئ والقيــم الوطنيــة

والدينية التي استخدموها في تثقيف الجيل الشاب. وقد قال (زبولون اورلوف) سكرتير عام المفدال: "الحقيقة هي أن أعضاء اليمين المتطرف. هم من معتمري القبعات الدينية وخريجي مؤسسات التعليم الديني. إن معارضتنا للتصريحات التي اندلعت من المعسكر الديني القومي لم تكن قوية بما فيه الكفاية".

لقد فشل اليسار الإسرائيلي في تلك الآونة في توحيد صفوفه مع الجهات السياسية الدينية التي بدا أنها تعيد حساب النفس، وتشعر بتأنيب الضمير، حتى لو كان ذلك التأنيب مؤقتا.

كانت إسرائيل تشرب دما في تلك الآونة بسبب الرصاصات التي أطلقها (ايجال عمير)، بيد أن أفكار رابين وزملائه اتخذت طريقها إلى التنفيذ واحدة تلو الأخرى: إعادة الانسحاب، الانتخابات الفلسطينية، محاربة الإرهاب، المفاوضات مع السوريين، مفاوضات مع الفلسطينيين حول التسوية الدائمة، الآمال في شرق أوسط جديد، ومحاربة الأصولية والإرهاب.

الفصل التاسع

شرق أوسط قديم-جديد

لم يكن لمقتل رابين بيد يهودي متعصب يعمل بوحي التحريض الأصولي اليهودي – في البداية – أي تأثير على المسيرة السلمية، بيد أن الصدمة التي خلفها مقتل رابين، لم يسهم في جعل إصرار الأصوليين العرب محاربة (التهديد) المتزايد للسلام يضعف.

وسرعان ما اتضح أن المتطرفين -من الجانبين- لا زالا ملتزمين بتنمية الخوف بغية تعزيز أسوار الكراهية والبغضاء والشكوك القادرة على حماية مجتمعهم من التعاون مع "الاعداء الأبديين".

وبعد شهر من توزيع صور اسحق رابين في إحدى مظاهرات القدس، وهو يرتدي ملابس نازي، دعت حركة حماس -في بيان لها- الفلسطينيين للإعراب عن سرورهم بمقتله.

عكف صانعوا القرارات الأصوليون المسلمون في قياداتهم -في طهران- على تصدير العنف، مستعينين بحلفائهم المتعصبين في الشرق الأوسط المتمثلين في حماس والجهاد الإسلامي، وحزب الله اللبناني.

وفي مطلع عام ١٩٩٦، وزعت أوامر على هذه الجهات للشروع بجولة جديدة من العمليات بغية قتل اكبر عدد من الإسرائيليين، وبالتالي تدمير السلام الذي لا زال في مهده، مظهرة هذا السلام في صورة "الخنوع المخزي".

اعتقد هؤلاء الأشخاص أن مقتل عدد كبير من الإسرائيليين، سيسهم في دق إسفين بين إسرائيل والفلسطينيين والسوريين، وسيضعف، بل ربما يهدم الحكومة التي احتلت القدس.

ووجهت أوامر علنية وصريحة، إلى مقاتلي حزب الله للعمل على خلق حالة فوضى تامة، ومن الجدير بالذكر أن معسكرات حزب الله في لبنان كانت

مركزا لتدريب اللبنانيين والفلسطينيين، مع محاولـــة غـــرس العقيـــدة الإســـلامية فيـــهم، وملء نفوسهم بأيديولوجيـــة الحـــرب المقدســـة، والثـــواب الـــذي ســـيحصلون إذا مـــا ضحوا بأنفسهم،واستشهدوا في ســـــبيلها.

السلام مع سورية -الصفقة الشـــاملة:

عكفنا في تلك الآونة – ومن خلال إدراكنـــا للأخطـــار المحدقـــة بنـــا – علـــى التخطيط لإمكانية إحداث انفراج جديد يعـــزز المســـيرة الســـلمية واخـــذ بـــيرس يتوجـــه نحو تجسيد استراتيجية السلام الإقليمي. لقد كان هـــذا الاتجـــاه دون ادنـــى شـــك، أحـــد أهم الأسلحة ضد الأصوليـــن والمتطرفيـــن.

وفي غضون شـــــهري تشـــرين الثـــاني وكـــانون الأول، نســـق بـــيرس مـــع الأميركيين استراتيجية سلام شاملة، تنص على العمـــل مـــن اجـــل إحـــراز ســـلام مـــع سورية، في غضون اقل من عـــام. لقـــد كـــان الســـلام مـــع ســـورية بمثابـــة الحلقـــة المركزية في سلسلة الســـلام الشـــامل، والتـــي ســـتفضي، فـــي نهايـــة المطـــاف، إلـــى إيصال النزاع العربي الإسرائيلي إلـــى نهايتـــه.

تحدثـــت خطـــة الســـلام مـــع الفلســـطينيين علـــى التمســـك التـــام بالتجســـيد التدريجي والدقيق للتسوية المرحلية، بادئ ذي بـــدء، عـــبر نقـــل الصلاحيـــات بســـهولة إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، ثم إجراء الانتخابـــات الفلســـطينية الحـــرة الأولـــى.

وكان على الطرفين، في أعقاب ذلـــك، الشـــروع بالتفـــاوض حـــول التســـوية الدائمـــة، ومعالجـــة القضايـــا العويصـــة الباقيـــة: القـــدس، المســـتوطنات، اللاجئـــون الفلسطينيون، والحدود النهائية. وكان يفـــترض أن تبـــدأ هـــذه المحادثـــات فـــي الرابـــع من أيار ١٩٩٦، وتنتهي في موعد لا يتجاوز الرابـــع مـــن أيـــار ١٩٩٩.

تسلمت فـــي منتصـــف شـــهر كـــانون الأول مـــهام عملـــي رئيســـا لطـــاقم المفاوضات مـــع ســـورية -بـــدلا مـــن الســـفير الإســـرائيلي فـــي واشـــنطن، (ايتمـــار رابينوفيتش). وعندما درست المعطيات المتوفرة، وجـــدت أن مـــن الضـــروري تغيـــير التصورات ووجهات النظر التي كانت لـــدي. لقـــد غرقـــت طيلـــة ســـنتين ونيـــف فـــي حوار مكثف ومعقد مع ممثلي منظمة التحريـــر، وكـــان علـــيّ الان، أن ابـــدأ التفـــاوض

مع ممثلي دولة سيادية، وان اجتمع مع أناس ذوي خلفية سياسية ونمط تفكير مختلف جدا عن الفلسطينيين.

في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٩٥ قام وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر، بزيارة المنطقة لوضع الأساس للمباحثات القائمة على توجهات بيرس آنفة الذكر. وقد استقبل في دمشق بالترحاب وكان يحمل معه رسالة خطية وضعت في مغلف خاص من مغلفات مكتب رئيس الحكومة، يتصدرها رمز الدولة- من بيرس، يعرب فيها عن اهتمام إسرائيل بدفع المفاوضات مع سورية إلى الأمام بالطريقة التي يراها الأسد- سرا أو علنا، وعلى مستوى موظفين حكوميين، أو مستوى الزعماء. لقد كان بيرس معنيا بخلق مناخ إيجابي، يؤدي إلى تسريع المسيرة السلمية بيد انه أصر على أمر واحد، وهو طرح جميع المشاكل القائمة بين الطرفين للنقاش في آن واحد.

وقد رد الأسد على الرسالة شفويا، بصورة إيجابية. وبناء على ذلك اصبح بمقدور كريستوفر لدى عودته إلى إسرائيل الإعلان عن استئناف المفاوضات بصورة (تعزل) ثلاثة وفود: إسرائيلية وسورية وأميركية في أحد المواقع القريبة من واشنطن.

كان من المفروض أن نبدأ المفاوضات بناء على المحادثات السابقة التي كان يوجهها اسحق رابين، ويشرف عليها السفير (رابينوفيتش). وفي مناسبتين أجرى رئيس أركاننا –اهود بارك أولا، ثم امنون روبنشتاين، فيما بعد – محادثات مع رئيس الأركان السوري (حكمت الشهابي).

اشتملت اتفاقية السلام التي بناها الأميركيون تأسيسا على الاتصالات مع إسرائيل وسورية على: علاقات دبلوماسية، وتجارية، وسياحية، وترتيبات أمنية متبادلة، لكن ليس تساوقا على الصعيد الجغرافي في مناطق متفق عليها بين الطرفين، انسحاب إسرائيل كامل من هضبة الجولان، وجدول زمني تدريجي لتجسيد الأسس المختلفة في اتفاقية السلام من خلال الاتصالات والتبادل بينهما.

ورغم ذلك لم يكن هناك اتفاق حول أي من الموضوعات آنفة الذكر. وكل ما في الامر، هو أن الطرفين وافقا على أن هناك علاقة تبادلية بين العوامل الأربعة الأساسية: الانسحاب، والتطبيع، والترتيبات الأمنية، والجدول الزمني.

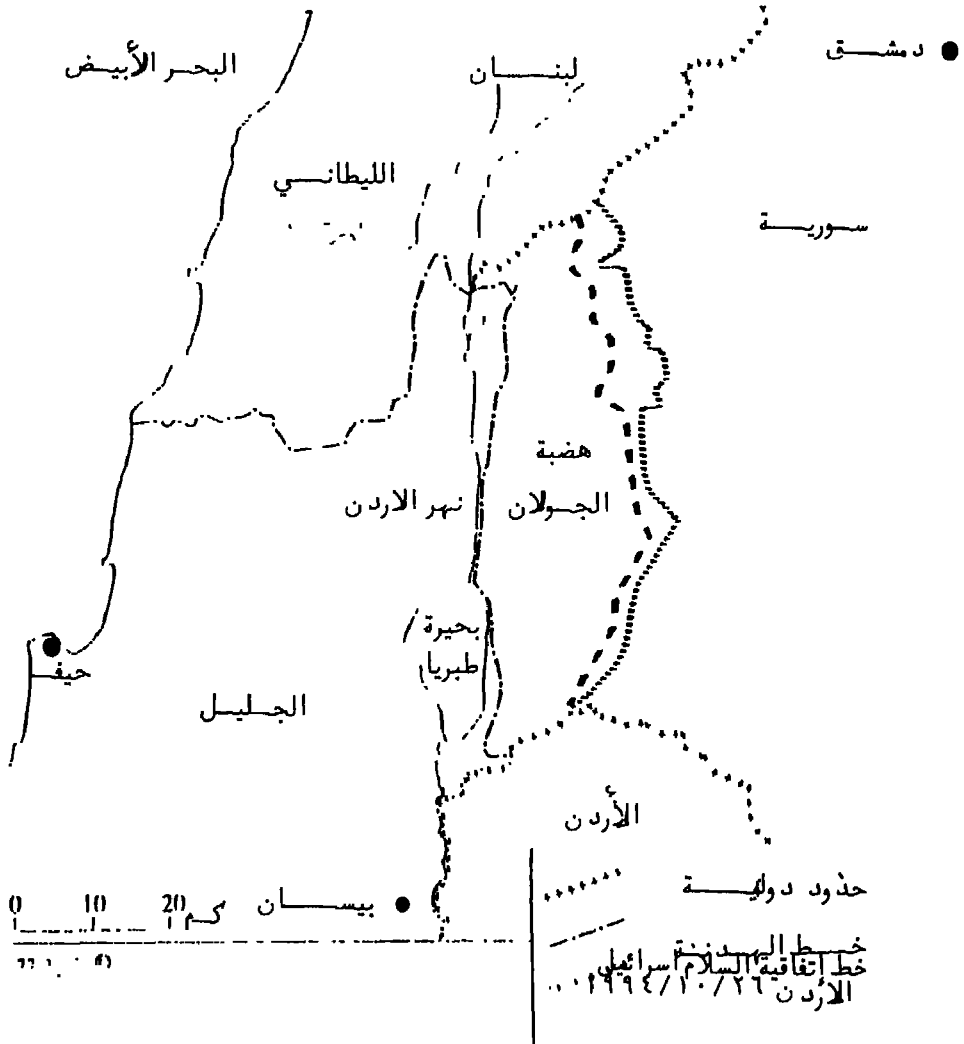
أما فيما يتعلق بقضية الحدود، فقد طالب السوريون بان يتم ترسيم الحدود الذي كان معمولا به في الرابع من حزيران ١٩٦٧. وفي أعقاب المحادثات التي أجراها كريستوفر مع رابين، في أيار ١٩٩٤، اعلم السوريين "شفهيا أن الولايات المتحدة تفهم أن إسرائيل على استعداد لتنفيذ "انسحاب كامل"، شريطة أن تستجيب سورية لجميع احتياجاتها، وهذا يعني العودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ومن الجدير بالذكر، أنه لا وجود على الصعيد الرسمي لخط من هذا القبيل – بمفهوم حدود سارية المفعول- وان الامر يتعلق بمجموعة معقدة من الخطوط التي نجمت عن التوسع السوري في أقسام مختلفة من الأراضي الإسرائيلية، قبل حرب عام ١٩٦٧.

وبناء على أقوال كريستوفر وروس، فإن الشيء الذي كان السوريون يريدونه، خارج إطار الحدود الدولية – والتي تمر على بعد عدة أمتار شرقي خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧- كانت بلدة (الحمة). لقد جرت جميع تلك الاتصالات حول "الصفقة الشاملة" شفهيا، ولم تكن هناك أي تعهدات إسرائيلية مباشرة تجاه سورية حول عمق الانسحاب من المنطقة التي احتلتها عام ١٩٦٧. بل إن السوريين لم يقبلوا في أي يوم من الأيام المطالب التي طرحها رابين، بشأن مجموعة العوامل الأخرى لاتفاقية السلام، وعلى وجه الخصوص الترتيبات الأمنية، التي كانت تعتبر بمثابة شرط لاستعداده للانسحاب من الهضبة.

وهكذا، اتضح من مجمل ما أوردته أن علينا أن نبدأ المحادثات من نقطة ضبابية.

وكان من مهمتنا إدخال سورية في توجه جديد لسلام ثنائي، يفضي بنا، مثلما كان بيرس يعتقد، إلى منظومة إقليمية من التعاون والتطوير الاقتصادي. كنا نسعى لان تكون بنية هذا السلام ذات أسس فلسطينية، وسقف سوري، وجدران

قادرة على الانغلاق على اقتصـــــاد إقليمـــي جديـــد. وكـــان يقـــترح أن تعمـــل الطـــرق والطاقة والتزود بالمياه، والتجارة والسياحة علـــى الوصـــل بيـــن دول الشـــرق الأوســـط الجديد. ومن المتوقع أن يؤدي الازدهار الاقتصادي لــــهذه الــدول فـــي المســـتقبل إلـــى تقليص رغبتها ونزعتها للـــنزاع.



وفي إطار محاولتنا استيضاح هذا المفهوم مع السـوريين، توجـه وفدنـا فـي السابع والعشرين من كـانون الأول ١٩٦٥، إلـى بيـت الضيافـة فـي (واي بلنتيشـن) في الولايات المتحـدة.

كانت غرف نوم وفدنا تقع في أحـد الأجنحـة فـي الطـابق الأرضـي، فـي حين نزل السوريون في طابق آخر، وصل الأمـيركيون بيننـا. وكنـت، أنـا و(ايتمـار رابينوفيتش) نقوم يوميا بـإطلاع بـيرس ويـراك وشـاحك علـى التطـورات خـلال الحوار.

وحال وصولنا اجتمعت برئيس الوفد السـوري السـفير وليـد معلـم، والـذي ظهر لي كمفاوض محنك ومتشدد، داعية سلام، يحـاول تجسـير الـهوة القائمـة بيـن عالمين شديدي الاختلاف، في واشـنطن ودمشـق.

لقد أكمل دراسته في سورية، وخدم فـي الجيـش، واعـد رسـالة الدكتـوراه حول التاريخ السوري، ثم التحق بـوزارة الخارجيـة، ثـم عيـن سـفيرا لبـلاده فـي واشنطن، واعتبر مسئولا عن المحادثات بوصفه كاتما لأسـرار الرئيـس السـوري.

وبوصفه مفاوضا محنكا، فقد كان يـدرك تمامـا، مـا الـذي تريـده دمشـق منه، بيد أنه كان أيضا واقعيا، ويجيد تفهم مواقف الطـرف الآخـر. لقـد أضفـى معلـم على وفد بلاده كفاءة خلاقة إلى حد كبير جدا. وقد تمكنت، أنـا وهـو، مـن خلـق لغـة مشتركة، ودرجة معينة من الثقـة المتبادلـة.

أما العضوان الآخران في الوفد السـوري للجولـة الأولـى، فكانـا ميخـائيل وهبه مدير مكتب وزيـر الخارجيـة السـوري، والمستشـار القضـائي رائـد داودي. وفي الجولات التالية شارك في المفاوضـات جـنرالان همـا، إبراهيـم عمـر، رئيـس المخابرات السورية، وحسن خليل، نائب رئيـس الأمـن الداخلـي.

قاد معلم وفد بلاده بيـد قويـة، وكـان فـي حقيقـة الامـر النـاطق الوحيـد باسمه، ورغم أن زملاءه كانوا مؤدبين وخلوقيـن الا أنـهم لـم يشـذوا مـرة واحـدة، عن الخط الرسمي. رغم أنهم كانوا يبـدون انفتاحـا أكـبر، فـي المحادثـات الخاصـة، ويحاولون إقناعنا بتطلعاتهم وتطلعات أبناء شعبهم الصادقـة إلـى السـلام.

بدا الجنرالان السوريان متشددين جـــدا خـــلال المفاوضـــات الرســـمية، رغـــم أنهما كانا يبديان ليونة أكـــثر فـــي الحـــوارات الخاصـــة مـــع نظيرهمـــا الإســـرائيليين، دون أن ينحرفا عن جديتهما وحرص على التحدث فقـــط باللغـــة العربيـــة شـــارك فـــي المحادثات المترجم المعروف للوفد الأميركي، جميـــل حـــلال.

أما وفدنـــــا، فقـــد ضـــم (رابينوفيتـــش) و(زينجـــر) وأنـــا، ثـــم انضـــم إلينـــا الجنرالات داني يتوم، و(عوزي ديان)، و(شـــــاؤول موفـــاز).

وضـــم الوفـــد الأمـــيركي (دنيـــس روس)، و(مـــارك بريـــس) مـــن البيـــت الأبيـــض، (اهـــارون ميلـــر)، و(تونـــي فرســـتنبرج)، وفيمـــا بعـــد انضـــم (الجـــنرال كريســـتمان).

استغرقت المحادثات في (واي بلنتيشن) عشرة أســـابيع، فـــي ثلاثـــة جـــولات. وخلال الفـــترات الفاصلـــة بيـــن الجـــولات، أجريـــت عشـــرات اللقـــاءات بيـــن روس و(معلم) وأنا، فيما يمكن تســـميته بالمســـار اللارســـمي مـــن وراء الكواليـــس، بموافقـــة بيرس والأســـد.

لقد كانت اللهجة والجوهر في هـــذه المحادثـــات يختلفـــان اختلافـــا بينـــا عمـــا ألفناه في المحادثات مع الفلسطينيين. كان الســـوريون يمثلـــون دولـــة ســـيادية فخـــورة، ترى في نفسها زعيما إقليميا. وبدا لاول وهلـــة، أن أعضـــاء الوفـــد هـــم رســـل نظـــام منغلق على نفسه، يتولى شخص واحـــد فقـــط، إمـــلاء مبادئـــه وقيمـــه، لقـــد أحـــاطت سورية نفسها بسور من الشكوكية، بيد أن رئيس هذه الدولـــة وممثليـــه كـــانوا يدركـــون أن العالم خارج هذا السور آخذ في التغير بصورة ســـتؤثر عليـــهم حتمـــا.

وسرعان ما بدا لنا بوضوح أن الســـوريين يرغبـــون فـــي الانطـــلاق خـــارج السور، وفي نفس الوقت إبقاؤه كاملا وســـليما. فقـــد أرادوا مســـاعدات أميركيـــة، بيـــد انهم رغبوا في منع أي تغلغل أميركي في بلادهم. وارادوا إقامـــة ســـلام مـــع إســـرائيل لكنهم خشـــوا قوتـــها الاقتصاديـــة. أي أن الحـــل الـــذي كـــانوا يرتأونـــه، تمثـــل فـــي مساعدات بلا تأثير، وســـلام دون علاقـــات.

كانت المفاوضات – من وجهة نظرنا– اصعب بكثير من المفاوضات مع الفلسطينيين، نظرا لانه كان يتوجب علينا أن نتأقلم مع نمط تفكير يختلف اختلافا بينا مع نمط تفكيرنا. ورغم ذلك كانت المفاوضات على المستوى الحسي، اسهل من المفاوضات مع الفلسطينيين. فلم يكن يثقل علينا الإحساس بالإشتغال بقضايا تتعلق بالوجود والتعايش في نفس البقعة من الأرض، أي أننا كنا نرى بقاء الوضع دون تسوية، ممكنا اكثر مما هو عليه مع الفلسطينيين.

لقد تحولت المفاوضات مع الفلسطينيين بمضي الزمن إلى رقص، حاول كل طرف أن يتفوق فيه على الآخر، وسرعان ما اكتشف انه مرتبط بالطرف الآخر، في حين بدت المفاوضات مع السوريين وكأنها لعبة شطرنج معقدة، يجب على اللاعبين أن ينهوها بتعادل مرض للطرفين. وكان على أن أتنقل بين الرقص الفلسطيني والشطرنج السوري دون توقف.

لقد حسب الرئيس الأسد خطواته بحذر بالغ ودقة، على أمل أن نحرك، نحن أحد أحجارنا في اتجاه ما، قبل أن يعطينا هو إلماحة حول الاتجاه الذي سيحرك فيه حجارته.

لقد بنيت فهمي لهذا الرجل، من خلال أحاديثي مع أعضاء الوفد السوري، لقد خشي الأسد من أن يؤدي السلام والتغييرات التي سيحملها معه، إلى وضع تحديات أمام نظامه العلوي – الذي يستند إلى طبقة سورية لا تتعدى ١٢% من مجموع الجماهير السورية– وفي نفس الوقت، كان يدرك، كما يبدو، انه لن يستطيع الامتناع عن إدخال تغييرات معينة، في نظامه المنغلق، في أعقاب إحلال السلام مع إسرائيل، وتحسين علاقات بلاده مع الولايات المتحدة، كانت تلك هي بسبب الأزمة السورية. كان الأسد يرغب في إحلال السلام، وفي نفس الوقت يخشاه، لذا اتخذ خطواته بحذر وبطء.

عمدت قبل المشاركة في المحادثات إلى قراءة عشرات الخطابات والمقابلات التي أجراها الأسد، وخلصت إلى استنتاج مفاده، أن انعدام المرونة السورية، يتطلب منا أن نتحدث مع السوريين باللغة (السورية) فإذا كنا نرغب في

توضيح مصالحنا، كان علينا أن نجيد (لغتهم) التي تقدس المصالح والكرامة الوطنية.

هذا في نفس الوقت، الذي كنا نحن أيضا نحمل بعض المساوئ الجدية كشركاء في المفاوضات مع سورية. فرغم أننا طورنا توجهات واقعية ومتداخلة للمحادثات، الا أننا نزعنا نحو التمسك بفهم السلام، كتعبير نفسي خارج إطار الوعي للمودة -تقريبا- تجاهنا، وليس كمنظومة مصالح متبادلة وقائمة. سألت أعضاء الوفد الإسرائيلي: "بعد كل هذه السنوات من العداء، هل نرغب حقا في تطوير علاقات حميمة مع دمشق؟؟ ما الذي يجب أن نفعله إذا كان السوريون لا يرغبون في إقامة علاقات حميمة مع أي جهة؟؟

ومن الجدير بالذكر، إننا نواجه خلال المفاوضات مع جيراننا العرب، دائما، خطر أن تدفعنا رغبتنا في القبول لطرح مطالب مبتذلة نحقق خلالها إنجازات رمزية، بدلا من التركيز بصورة منطقية على مصالحنا الاستراتيجية بعيدة المدى. فعندما تصل الأمور إلى التحاور حول تطبيع العلاقات، فإننا نتجه نحو المبالغة في المطالبة بالسيناريو النموذجي جدا للعلاقات الحميمة. وعندما تطرح القضية الأمنية، فإننا نتجه نحو الاهتمام بجميع التطورات لأخطر السيناريوهات المحتملة. ونحن نولي قضايانا واحتياجاتنا الأمنية اهتماما وثقلا كبيرين جدا، على الرغم من أن المسيرة السلمية هي بطبيعتها مسألة سياسية.

إننا نميل إلى الاستعداد لإحلال افضل سلام مع الدفاع عن أنفسنا ضد أخطار أسوأ الحروب -ولا شك أن هذا المزيج يضم في أعطافه أبعادا متناقضة فيما يتعلق بطبيعة الاتفاقية المرغوب فيها- وذلك بدلا من أن نفتش عن حل وسط واقعي لخلق وتطوير المصالح المشتركة.

كان السوريون يعانون من وضع مماثل تماما! فقد اعتبروا السلام شيئا اقل من الحرب تقريبا، لذا "عندما وصلت الأمور إلى حد تطبيع العلاقات، عرضوا علينا اقتراحات هامشية جدا. وعندما ناقشنا الأوضاع الأمنية، تحدثوا بلغة وعناوين متفائلة، بقولهم أن السلام يلغي جميع احتمالات الحرب. وهكذا،

كان عليهم هم أيضا، التحرك باتجاه حـل وسـط واقعـي، يمكننـا مـن خلـق مزيـج لمصالحنا معا. ورغـم ذلـك استهل (معلـم) الحـوار بـالقول: إن هنـاك ضـرورة لضمان انسحابنا من كـل هضبـة الجـولان أولا. وقـال: "يجـب أن نضمـن إقـلاع مسيرتنا كالطائرة". فقلت: "ما الـذي تقصـده؟؟

–معلم : "يجب أن نعلم انه سيتم الاعتراف بحقوقنا علـى أرضنـا بكاملـها".

– أنا : "وعلينا أن نعرف أين ستهبط الطـائرة؟؟ ومـا الـذي سـتكون عليـه صـورة السلام بيننا، ودون أن نعرف المطار الذي سـتهبط فيـه الطـائرة، لا أجـد أي جـدوى في التحدث عن إقلاعـها.

– معلم: "يجب علينا أن نتحرك مـن جزيـرة الحـاضر إلـى جزيـرة المسـتقبل، وان نحدد ، خلال التحرك، الاثنيـن".

لقد تمكنا خلال الحـوار، وبمـرور الزمـن، مـن الاتفـاق المجـازي علـى التجسير بين الماضي والمستقبل. وكان الجـهد المشـترك لبنـاء هـذا الجسـر بكـامل أجزائه، هو الذي سيدفع بسورية وإسرائيل من دوامة الحرب إلـى واحـة السـلام فـي صورة مراحل متفق عليـها.

لقد أتاح هذا الفهم، والطبيعة الخلاقـة والمفتوحـة جـدا للمحادثـات، الفرصـة لنا لتحديد مصالح مشتركة والتقدم إلـى الأمـام علـى صعيـد عـدة قضايـا جوهريـة خلال الشهرين ونصف الشهر من لقاءاتنـا فـي (واي بلنتيشـن).

حدود السلام الإسرائيلية مع سورية

الأسد تهرب من قمة سورية-إسرائيلية فقرر بيرس إجراء انتخابات مبكرة

اتفاقيات مبدئية على قضايا جوهرية:

طابع السلام:

توصلنا خلال نقاشاتنا حول تطبيع العلاقات إلى وجهة نظر براغماتية توطئة لبناء علاقاتنا المستقبلية. اتفقنا أن لا نحشو أراشيفنا القضائية بعشرات الاتفاقيات حول التعاون، والتي لا تثير اهتمام أي منا، بل أن نكرس جهودنا حول الخطوات العملية التي تخدم مصالحنا المشتركة، وبشق طريق بين الدولتين، وليس بصياغة اتفاقية مواصلات كاملة.

وحددنا مجموعة من مجالات التطبيع، والتي صغناها في ثلاث منظومات رئيسية: سفارات، سياحة، وتجارة، بما فيها إنهاء المقاطعة واقامة اتصالات هاتفية وفاكس وبريد، وصلات قطارات، وعلاقات تجارية بحرية وما شابه ذلك.

العلاقات الاقتصادية:

اعتقدنا أن بناء السلام بعيد الأمد يتطلب منا العمل على الربط بين التطبيع والعلاقات الاقتصادية. بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بإقامة علاقات ثنائية مع إسرائيل خشية أن يسيطر الاقتصاد الإسرائيلي القوي جدا على نظيره السوري. لذا كان يتوجب علينا بناء جسر بين المصالح السورية في العلاقات مع الغرب وبين المصالح الإسرائيلية في العلاقات مع سورية ولبنان، كأسلوب لتعزيز وتعضيد السلام. سعينا نحو تطوير اقتصاد شرق أوسطي يرتبط أحده بالآخر-دون التأثير على الطابع الأيديولوجي لكل اقتصاد منها- ويرتبط بالعالم كله، وبالاستقرار. ولم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك ضمانا للسلام. ولا أقوى تأثيرا على الأصولية.

ولهذا السبب، عمدنا إلى برامج اقتصادية لمعالجة قضية إلغاء الديون السورية للدول الاقتصادية العظمى- بلغ حجم الديون السورية سبعة مليارات دولار وتطوير الاقتصاد السوري بوتيرة سريعة، وخلق صلات اقتصادية بينها وبين إسرائيل- بصورة خاصة عبر بناء بنى تحتية في مجال الطاقة والمياه والطرق- خلق علاقات اقتصادية متعددة الأطراف مع دول أخرى في المنطقة، وتطوير هضبة الجولان، باستخدام استثمارات اجنبية دولية، وعلى وجه الخصوص في المجال السياحي.

وكانت الدول المرشحة للمشاركة في هذه المبادرة: الولايات المتحدة والدول الأوروبية، واليابان، إضافة إلى السعودية.

بدا أن السوريين شديدو الاهتمام بإشراك الأميركيين في الحوارات الثنائية حول الصفقات الاقتصادية الشاملة. بيد أن الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لمثل هذه المشاركة، خشية معارضة الكونغرس.

قام طاقمنا الاقتصادي المؤلف من مدير عام وزارة المالية ديفيد برودت، ويوسي فردي، وعوديد عيران، وأنا-بإجراء محادثات موسعة حول صفقة اقتصادية شاملة مع دنيس روس وطاقمه. كما أجرينا مشاورات غير رسمية مع محافظ البنك الدولي-جيمس ولفسون، ومع نائب رئيس صندوق النقد الدولي ستانلي فيشر.

كان السوريون مهتمين بصورة أساسية، بمساعدات اقتصادية أميركية- على غرار النمط المصري- بيد أنهم أدركوا ضرورة تجنيد الجهود الخاصة على هذا الصعيد. وقد اقترحنا تشكيل شبكة غير رسمية من الأشخاص، من القطاع الخاص في الولايات المتحدة، وإسرائيل والسعودية وسورية - ومجموعات من الاتحاد الأوروبي واليابان على أن تنضم في موعد لاحق- كي تطور- بالاستعانة بالمجموعة الأميركية- برامج لمشروعات محتملة لعهد السلام. وقد طلب الأميركيين من (لستر بولك) من شركة(الأخوة ليزر)- وهو

رجل أعمال لامع ومحنك- ترؤس المجموعة الأميركية، كما وافق السعوديون- عبر سفيرهم النشط في الولايات المتحدة الأمير بندر-على التعاون.

لقد كان اللقاء الذي عقده وزير الخارجية الأميركية كريستوفر مع رؤساء خمس شركات أميركية كبيرة في الثالث والعشرين من شباط في مبنى وزارة الخارجية الأميركية، بمثابة الخطوة الأولى على صعيد بناء هذه الشبكة الجديدة والواعدة.

وافق الرئيس الأسد على تشكيل مجموعة الأعمال آنفة الذكر في إطار بنية غير رسمية، بل واشار إلى جهات في القطاع السوري الخاص، ممن كان بمقدورهم التعاون في هذا الجهد.

*** **** ***

السلام الشامل:

ربما تمثل الجانب الواعد في المحادثات مع السوريين في (واي بلنتيشن) في مجرد قدرتنا على التوصل إلى تفاهم مع السوريين، يفيد بان إبرام السلام الثنائي بين إسرائيل وسورية-وإسرائيل ولبنان، سيفضي إلى وضع حد للنزاع الإسرائيلي العربي، وسيكون بمثابة بادئة للسلام الإقليمي.

وفي إطار الجهود الرامية إلى إنجاز هذا الهدف، كان الطرفان على استعداد للاستعانة بالولايات المتحدة، ومساعدتها في ضمان أن تتبنى الدول العربية اتفاقية السلام الإسرائيلية السورية. وأن تقوم هذه الدول بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل.

لقد حصلت -أنا شخصيا- على تأكيد بأن هذا هو الموقف السعودي، وقد بعث السعوديون رسالة إلى بيرس، أشاروا فيها إلى أنه إذا ما تم إنجاز سلام إسرائيلي سوري، فإنهم سيقيمون علاقات دبلوماسية مع إسرائيل- رغم انهم لم يحددوا مستوى هذه العلاقة.

لقد قال لنا السوريون المرة تلو الأخرى: "لقد توصلتم إلى سلام مع المصريين والأردنيين، والفلسطينيين، ورغم ذلك بقيتم في حالة نزاع مع العالم العربي، لكن عندما تصنعون السلام مع سورية، وعندما يقول الرئيس الأسد

لأعضاء الجامعة العربية، أنه سيسمح لإسرائيل بفتح سفارة لها في دمشق، حينها فقط سيتحرك العالم العربي بكامله أيضا، في هذا الاتجاه.

لم تكن رؤيتنا "للشرق الأوسط الجديد" وعلى وجه الخصوص للجانب الاقتصادي منه مشابهة للرؤية السورية.

لقد تمكنا من التعرف على التطلعات والتنبوءات السورية للمستقبل، خلال جلسات يوم الخميس، والتي كانت تجري دائما بإشراف وزير الخارجية الأميركي كريستوفر، وتخصص لمناقشة مستقبل المنطقة، فقد تنبأ معلم، خلال هذه الجلسات، بأن إحلال السلام بين سورية وإسرائيل سيدفع بطهران إلى الكف عن معارضتها للمسيرات السياسية الدائرة في المنطقة. وألمح إلى التحسن المرتقب في العلاقات بين سورية وتركيا. بيد أن أهم جانب من جوانب التحليل تبدى في مدى تأثير السلام على العلاقات الأساسية القائمة في المنطقة.

وبناء على التحليلات التي كان معلم يقدمها، اعتقدنا أن بالإمكان أن تتحد التطلعات الإقليمية السورية والإسرائيلية حينما يحين الوقت بالاعتماد على الاهتمام المشترك بالاستقرار واقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة.

وإذا كان السلام مع الفلسطينيين ذا أسس تتعلق بالقيمة بصورة أساسية، فإن السلام مع سورية يجب أن يبنى على أسس استراتيجية إقليمية.

<u>الترتيبات الأمنية:</u>

كان التفاهم حول الترتيبات الأمنية أصعب جانب في المفاوضات. وكنا نعتقد أن إسرائيل لا تستطيع الانسحاب من هضبة الجولان دون ضمان عدم استغلال سورية للميزة الاستراتيجية الناجمة عن انسحابنا من الهضبة لشن هجوم مفاجئ علينا. ووفقا لذلك قام الجيش بإعداد سلسلة من المطالب المفصلة، والتي يأتي تنفيذها كضمانة لأمن إسرائيل، وتضمنت هذه الخطوات: وضع قيود على انتشار القوات السورية، ترتيبات وإجراءات لمتابعة عمليات الانتشار، التنسيق بين الجيشين، شبكات إنذار مبكر، وإمكانية تواجد طرف ثالث في هضبة الجولان.

كان السوريون معنيين بترتيبات أمنية هامشـية، ورمزيـة، وبـدور أمـيركي موسع لضمان هذه الترتيبـات، وعـارضوا بمنتـهى الشـدة وجـود محطـات إنـذار إسرائيلية مبكرة في جبل الشـيخ.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض التضارب في آرائنـا بـهذا الصـدد، نجـم عـن التعارض القائم فـي نظرياتنـا. كـانت نظريتنـا تنـص علـى أن السـلام سـيصبح مضمونا، إلى حد كبـير، بالاعتمـاد علـى الترتيبـات الأمنيـة. فـي حيـن نصـت النظرية السورية على أن السـلام سـيضمن الأمـن. لقـد اتسـمت النقاشـات حـول الترتيبات الأمنية بمشاركة جنرالات- من الجانبين- بأنها طويلـة وغـير مثمـرة.

كانت جذور المشكلة تكمن في رفض السوريين لمبـدأ المراقبـة فـي كـل مـا يتعلق بحجم الجيش السوري وإعـادة نشـره فـي عـهد السـلام. لقـد كـان مطلبنـا لمعرفة كيفية أنتشار الجيش السوري تجـاه إسـرائيل، فـي أعقـاب إنجـاز السـلام، بمثابة انتهاك لقـدس الأقـداس بالنسـبة للسـوريين، وكـانوا يـردون علينـا قـائلين: الرئيس الأسد وحده هو الذي يعـرف كيـف يمكـن نشـر الجيـش السـوري آنـذاك. كانت هذه النقطة هي اشد العقبات التي تقف علـى طريـق السـلام.

طرحنا مشكلة الإرهاب في لبنان، فـي إطـار مناقشـة الأوضـاع والترتيبـات الأمنيـة، وتقديـم سـورية الحمايـة للمنظمـات الفلسـطينية الإرهابيـة المعارضـة لعرفات، وقد قال السوريون، أن جميع هذه الأعمال سـتتوقف حـال إحـلال السـلام. ووصفوا العمليات في لبنان كنضال مقـاتلي حريـة، لقـد اعتـبروا "العنـف" بمثابـة ورقة مساومة يجب الاحتفاظ بها حتى نهاية المفاوضـات، أضـف إلـى ذلـك، أنـهم كانوا يعتزمون تطوير العلاقات القائمة بينهم وبيـن حلفائـهم مـن معـارضي السـلام، وخصوصا بينهم وبين إيران كشـركاء اسـتراتيجيين بديليـن لاحتماليـة عـدم نجـاح المسيرة السلمية مع إسـرائيل.

لقـد ارتكـب السـوريون خطـأ جسـيما بـإصرارهم علـى التمسـك بـهذه الاستراتيجية نظـرا لان مصلحـة المنظمـات الإرهابيـة المواليـة لإيـران، كـانت تقتضي تقويض السلام. وأعتقد أننا أيضا أخطأنا لأننا لـم نطلـب مـن سـورية، فـي

صورة إنذار، أن ترغم رجال حزب الله، على وضـــع حــد لجميــع نشـــاطاتهم خـــلال فترة المفاوضات. لقد اعتبرنا السلام الشامل بمثابــــة الحــل النـــاجع لجميــع المشـــاكل السياسية والأمنيــة.

<u>عمق الانسحاب من هضبة الجــــولان:</u>

لم تطرح قضية الانسحاب من هضبـــة الجــولان، وعندمـــا كـــان الســـوريون يتطرقون إلى هذه القضية قائلين أن من الواضـــح لـــهم أن إســـرائيل ستنســحب حتـــى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، كنا نرد عليهم قـــائلين: أن الوقــت لــم يحــن بعــد، لمناقشة هذه القضية، وأننا نعلم، أن رابيـــن تعــهد شــفهيا بشـــأن الانســحاب، بيــد أن هذا التعهد كان مشـــروطا.

اتفقنا، أنا و(معلــم)، علـــى الصعيــد الفنــي، أن يتــم طــرح قضيــة ترســيم الحدود المستقبلية أمـــام مجموعـــات عمـــل" ســيتم تشــكيلها حينمـــا يجــري تشــكيل مجموعات العمل في المستقبل في إطار اللجنــــة الأمنيــة.

كان واضحا أن سورية لن توافق علـــى ســـلام حقيقـــي مـــع إســـرائيل، الا إذا تم تطبيق (السابقة المصرية) في المجال الإقليمي، وقـــد عمــد الســـوريون أكـــثر مـــن مرة، إبان مقارنتهم للسلام الإسرائيلي مع ســـورية ومصـــر، إلـــى القـــول: أن الســـلام مع سورية أكثر جدوى لإسرائيل، ومجد أيضـــا لســـورية.

وهكذا، تمثلت مهمتنا في تحديد الماهيـــة الدقيقـــة والمحتملـــة للســـلام والأمـــن في ظل جميع المفاهيم، بحيث يتـــم تعويضنـــا لتخلينـــا عـــن هـــذه المنـــاطق المهمـــة استراتيجيا لامننا الوطني، والمقارنة بيـــن الربـــح الـــذي ســـنحرزه مقارنـــة بـــالجمود المتواصل في العلاقات مع ســـورية وانعكاســـاته.

لقد أدركنا أن"حدود السلام" النهائيـــة ســـتصبح قابلـــة للترســـيم، فقـــط، عندمـــا نتأكد من أن علاقاتنا ستحول هضبة الجولان، مـــن هضبـــة اســـتراتيجية حيويـــة، إلـــى مجرد هضبة صخرية كباقي الـــهضاب العاديـــة.

<u>الميــاه:</u>

يتدفق ثلثا مياه بحيرة طبريــا التــي تعتــبر بمثابــة احتيــاط الميــاه الوطنــي الإسرائيلي- من هضبــة الجــولان وجنــوب لبنــان، أو تتبــع منــها. لــذا أوضحنــا للسوريين، أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل مــرض لمشــكلة الميــاه، فإننــا لا نســتطيع التوصل إلى اتفاق سلام. وقد توصلنــا إلــى تفــاهم حــول ضــرورة ضمــان تزويــد الطرفين بالمياه علــى الصعيديــن الكمــي والنوعــي. وكــان ذلــك يعنــي، بالنسـبة لإسرائيل، استمرار تدفق المياه عبر نظــام يتــم الاتفــاق عليــه بيــن الطرفيــن. أمــا بالنسبة لسورية، فكان ذلك يعني العثور علــى أســلوب لســد احتياجاتــها المائيــة فــي تسوية ما مع تركيا، تجري بلورتـــها تحــت رعايــة الولايــات المتحــدة. وقــد قــال (معلم)، خلال النقاشات أن تركيا ستكون شريكا في الســـلام الإقليمـــي الشــامل.

ومن الجدير بالذكر، أن غالبيـــة النقاشـــات حــول مشــكلة جــرت بيــن كــل طرف من الطرفين والولايات المتحدة على حـــدة. وقــد اعــتزم دنيــس روس إجــراء حوار مع الحكومة التركية حول ذلـــك.

<u>دور الولايات المتحدة فـــي المفاوضـــات:</u>

كـــان دور طـــاقم الســـلام الأمـــيركي برئاســـة روس دورا مضيفـــا ووســـيطا ومراقبا. وقد قام الطاقم الأمـــيركي بـــهذا الـــدور بكفـــاءة وحكمـــة ودون أي محاولـــة لفرض رأيه. كما لم يكف روس عن التـــأكيد علـــى العـــامل المشـــترك بيـــن أعضـــاء الوفدين، وأبدى ارتباطا إزاء كل تقدم. بـــل عمـــد إلـــى إعـــداد إجمـــال غـــير رســـمي مكتوب في نهاية الجولة الثانية من المفاوضات، أجمـــل فيـــه ســـت نقـــاط تفـــاهم بيـــن الطرفين والتي من الضروري تطويرها وتوسيعها عبر مفاوضـــــات أكـــثر إســـهابا.

وإذا كان هناك ضعف فـــي الموقـــف الأمـــيركي، فقـــد تمثـــل، فـــي التدخـــل المبالغ فيه -كوسطاء- في المحادثـــــات.

حاولت -بوجـــود روس- إقنـــاع معلـــم بالانتقـــال بالمفاوضـــات مـــن النمـــط الثلاثي، إلى النمط الثنائي- بيننا وبينهم، وهو النمـــط الأكـــثر جـــدوى وتحديـــدا، علـــى افتراض أن تواصل الولايات المتحدة التحدث مع الطرفين، كـــل علـــى حـــدة.

وفي محاولتي إقناع معلم، رويت له رواية سمعتها من بيرس:" كان هناك شاب يجب فتاة حبا جما، بيد أن خجله منعه من التصريح لها بهواه، وأخذ يرسل إليها رسالة يوميا مع ساعي البريد، وبعد سنة تزوجت حبيبته من الساعي. انفجر معلم بالضحك حينما سمع الرواية، وقد اقترحت عليه أن يقصها على الرئيس الأسد.

التطورات السياسية داخل إسرائيل والمسار السوري:

أنماط للتقدم في المستقبل:

توصلنا في كانون الثاني ١٩٩٦ إلى نقطة تحول بسبب التطورات السياسية الداخلية في إسرائيل. فكلما اتضح أن بيرس يعتزم إجراء انتخابات مبكرة، كلما بدأت الأصوات في حزب العمل تنحو نحو(البرايمرز) -الانتخابات التمهيدية- داخل الحزب، وتباطأ العمل على صعيد المسيرة السلمية.

وبدا أن الكثيرين من أعضاء الحزب يميلون نحو توجيه الانتقادات إلى سورية، نظرا لان هذه الانتقادات تشغف آذان ناخبي الحزب، الذين يشكون في مدى جدية الموقف السوري تجاه السلام. وقد رد السوريون على هذه التصريحات الإسرائيلية بشدة. بل ووجد بعض مرشحي الحزب ضرورة لتوجيه انتقادات أو شن هجوم على أعضاء الطاقم المفاوض.

تابع السوريون باهتمام بالغ وكبير التمخضات السياسية الداخلية في إسرائيل، وعزوا إلى تلك التصريحات أهمية كبيرة. لقد شعر السوريون أن الساحة الإسرائيلية الداخلية غارقة في الفوضى، وأن بيرس غير قادر على فرض الانضباط داخل الائتلاف الحكومي.

كان من المفروض إجراء الانتخابات في تشرين الثاني ١٩٩٦، بيد أن التمخضات آنفة الذكر جعلت بيرس يعتقد أن من الأفضل عدم الانتظار حتى تشرين الثاني، وإجراء انتخابات مبكرة ليحصل على تخويل جماهيري لمواصلة تجسيد سياسته السلمية.

كانت نصيحتي لبيرس مختلفة. فقد كنت أرغب في أن تتاح لنا الفرصة لدفع اتفاقية السلام مع سورية إلى الأمام خلال عام ١٩٩٦، فقلت له: أن هناك احتمالا كبيرا- لكن ليس مؤكدا- بإمكانية التوصل إلى اتفاقية سلام مع سورية تفي بمصالحنا الاستراتيجية، وتؤدي إلى اتفاقية سلام شاملة.

فرد بيرس قائلا: إن الطريق الوحيد لدفع المفاوضات إلى الأمام، ولضمان تقدم يخدم مصالح إسرائيل، يتمثل في إجراء سلسلة لقاءات قمة بينه وبين الأسد. فإذا ما وافق السوريون على ذلك، فإنه لن يعمل على إجراء انتخابات مبكرة لإتاحة الفرصة، لاستنفاذ فرص التسوية حتى نهاية عام ١٩٩٦. وقد قام وزير الخارجية كريستوفر بنقل رسالة إلى دمشق بهذا المعنى في الخامس من شباط ١٩٩٦.

وقد رد الأسد بالقول: أن من الواضح له أنه سيضطر للاجتماع برئيس حكومة إسرائيل في وقت ما، بيد أنه لا يستطيع الالتزام بتاريخ محدد. وقد فهم بيرس هذا الرد على أنه محاولة للتهرب، لذا، رد على ذلك في الحادي عشر من شباط بالإعلان عن إجراء الانتخابات المبكرة إلى أيار.

بعث بيرس رسالة أخرى إلى الأسد عبر كريستوفر-قال فيها: أن المفاوضات ستستأنف بعد الانتخابات بوتيرة سريعة على أمل التوصل إلى إنهائه عام ١٩٩٦. وقد وافق الأسد على هذا الاقتراح بعد تردد طويل.

واجهنا في جولة السابع والعشرين من شباط حتى الثالث من أيار في (واي بلانتيشن) مشكلة الترتيبات الأمنية، ولم نحرز تقدما يذكر ورتبنا الأوضاع بالنسبة للجان العمل التي ستجتمع بعد الانتخابات.

اتفقنا أنا ومعلم على أن نسجل في المرة القادمة التفاهم الذي تم إنجازه بيننا في جميع القضايا كما اتفقنا على تشكيل لجنة توجيه، تشرف على عمل ثلاث لجان خاصة.

١. لجنة الترتيبات الأمنية، والتي ستتضمن لجنة فرعية للانسحاب ولترسيم الحدود الجديدة.

٢. لجنة تطبيع، على أن يكون ضمن عملها الاهتمام بالعلاقات الاقتصادية، والمياه والسلام الإقليمي الشامل.

٣. لجنة صياغة برئاسة زينجر ورياض داودي.

وخلال المحادثات بين القضائيين تطرق داودي إلى بنية الاتفاق السلمي المستقبلي، وأعرب عن رغبته في تضمينه الأسس المبدئية في صيغة الاتفاق نفسها، وليس في الملاحق الطويلة، وقال لا يجب أن يشتمل الاتفاق على أكثر من ثلاثين صفحة، وأن أي اتفاق يشبه الوثيقة التي وقعنا عليها مع الفلسطينيين(٤١٠صفحات) غير وارد في الحسبان، لانه سيعقد الوضع، وقد رد زينجر على ذلك بالقول أن مدخل الاتفاق قد يصل إلى ثلاثين صفحة، واقترح أن يتم مناقشة طابع الاتفاق فيما بعد.

وقد اتضح من خلال الحوار بينهما، أن لكل طرف توجها مختلفا عن الآخر فيما يتعلق بالكلمات. فالسوريون رغبوا في استخدام الكلمات للتعبير عن مبادئ رئيسية، في حين أردنا نحن استخدامها لوصف واقع محدد بإسهاب كبير.

ورغم ذلك، بدا بوضوح أن الطرفين راغبان بجدية للتوصل إلى سلام. وقد أعرب معلم عن اعتقاده بأن بالإمكان التوقيع على اتفاقية سلام بعد اشهر معدودة من الانتخابات.

وبدأت اقتنع أكثر فأكثر بإمكانية التفاوض مع سورية حول السلام بالاستناد إلى مصالح استراتيجية مماثلة وليس على وهم القتال. وكنت أدرك أن مثل هذا النوع من المفاوضات قد لا يعكس(الدفء) من النوع الذي بدا لنا ضروريا، بيد أنه يستخدم مصالحنا على المدى البعيد، ويعزز أمننا الوطني.

كان العديد من زملائي يشكون في ذلك، نظرا للحذر البالغ الذي يبديه الأسد، بيد أنني اعتقد أن ديناميكية الثمن ومقابله، والتي ستتأثر بالعوامل والمؤثرات الدولية ستفاجيء خبراء الوضع الراهن، بل وربما زعيم الوضع الراهن السوري نفسه.

لقد شاعت المفارقات أن يشعر حتى معارضي السلام، أن السلام اصبح في متناول اليد، وبالتالي يجب إحباط إمكانية تدمير الاتفاق بأعمال العنف. وبدأت رسل الموت تنفذ التعليمات التي أرسلتها إليها طهران. ومما زاد الطين بلة في قطاع غزة انفجار جهاز هاتف خلوي بين أيدي رئيس الذراع العسكري لحركة حماس المسمى المهندس (يحيى عياش) مما أدى لقتله في الخامس من كانون الثاني ١٩٩٦. لقد كان هذا الرجل مسئولا عن مقتل أكثر من خمسين يهوديا، وكان عرفات يخشى من زجه في السجن.

وأنا لا اعتقد أن مثل هذه العمليات مجد، خصوصا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العدد الكبير من (المخربين) المنتشرين ضدنا، ولا اعتقد أيضا أن مقتل عياش هو الذي أدى إلى الأحداث التي برزت في أعقاب ذلك. فحوافز الإرهاب كانت ولا زالت مسألة استراتيجية لا دخل لها أبدا في الأعمال الانتقامية.

وقعت العملية الانتحارية الأولى في الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٦-أي في نفس يوم عودتنا للجولة الثالثة إلى (واي بلانتيشن) وقد وقع الانفجار الانتحاري في حافلة على خط-١٨ في القدس مما أسفر عن مقتل أربعة وعشرين إسرائيليا. ولم يبد أن السوريين يشعرون بالأسف على الحادث، فقد كانوا يعتبرون"الإرهاب" خطوات مشروعة في إطار الدفاع عن الوطن. لقد دقت ردود فعلهم على أحداث تلك الأيام إسفينا حسيا بيننا وبينهم، ومست بهم كثيرا حسب اعتقادي.

وفي نفس اليوم وقع حادث انفجار آخر على طريق عسقلان، وأسفر عن مقتل امرأة واحدة.

لقد طرحت قضية الإرهاب خلال آخر لقاء بيننا، والذي تم في شقة روس في الثالث من آذار. وقد أعرب روس عن خشية الأميركيين من أن الإيرانيين يستخدمون سورية كقناة لنقل الأوامر إلى حركة حماس، بشأن تصعيد عملياتها الإرهابية ضد إسرائيل. فسأل معلم فيما إذا كانت لديه أي إثباتات على ذلك؟؟

وقع حادث انفجار انتحاري آخر في غضون أربع وعشرين ساعة في حافلة في القدس، في نفس الشارع ونفس الحافلة، مما أسفر عن مقتل ثمانية عشر شخصا.

راقبنا على شاشات التليفزيون مناظر القدس المعروفة لنا، وشوارعها الملطخة بالدم، والمناظر المفزعة الناجمة عن الانفجار، وشعرنا برغبة شديدة، في العودة إلى عائلاتنا، وحينما طلبنا ذلك من إسرائيل، قيل لنا أن الرد سيأتينا في غضون أربع وعشرين ساعة.

وقد جاء الرد فعلا في صورة عملية انتحارية أخرى قام بتنفيذها رامز عبيد- وهو طالب في كلية الفنون من خانيونس، واختار هذه المرة شارع(ديزنجوف) وخلال عيد المساخر، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصا، وإصابة العشرات الآخرين بجراح. وفي أعقاب هذا الحادث كنا نتوجه على أول طائرة إلى إسرائيل.

جاء دنيس روس لوداعنا في الطائرة، وقال لي أنه يشعر بالانزعاج الشديد، ويشاطرني الرأي في أن السلام يتعرض لخطر شديد. وقال: إن الرئيس الأميركي سيعقد مؤتمرا حول الإرهاب في القاهرة، وسيقوم الرئيسان كلينتون ومبارك بالعمل كمضيفين. إن المنطقة كلها وإسرائيل في أمس الحاجة إلى التزام دولي صارم، بشن حرب مشتركة ضد الإرهاب.

التقيت حال عودتي ببيرس، الذي بدا وكأنه أكبر سنا بعشر سنوات مما رأيته قبل سفري، لقد اضطر أربع مرات في الأسبوع لزيارة أماكن الانفجارات ورؤية القتلى والدماء وسط صرخات الغضب التي أطلقتها الجماهير التي فقدت إيمانها بالمسيرة السلمية.

وكان على بيرس اتخاذ خطوات لترميم هذا الوضع وموازنته، بيد أن الخطوات التي كان عليه اتخاذها لا تتساوق مع استراتيجية السلام.

بدأت استطلاعات الرأي العام تشير إلى أن بيرس ونتنياهو، اللذين كان الفارق بينهما لصالح بيرس أكثر من ٣٠%- قد بدا يسيران جنبا إلى جنب. لقد

عاد اليمين -من المخبأ الذي لجأ إليه في أعقاب مقتل رابين- للسيطرة على الشارع الإسرائيلي من جديد.

ورغم أن نتنياهو تصرف بفطنة وأيد خطوات الحكومة ضد الإرهاب، بما فيها فرض الإغلاق على المناطق، الا أن عددا من مؤيديه شجبوا سياسة الحكومة ووصفوها بأنها العامل الأساسي المحفز للإرهاب.

كانت ردود فعل الجماهير الإسرائيلية خلال هذه الموجة من الإرهاب شديدة للغاية، لقد ساد الفزع بصورة شاملة، وعبر قسم من الجماهير عن هذا الفزع في صورة هستيرية، وبدا وكأن قدرتنا على الردع قد تراجعت وضعفت، وتمكنت المخاوف والفزع من تحويل الإرهاب إلى سلاح استراتيجي حقيقي.

لقد جاءت ردود فعلنا، تماما، مثلما تمنى الإرهابيون واشتهوا، وبدأت الأسافين تدق بيننا وبين شركائنا في السلام. وزاد الطين بله أن الكثيرين بدأوا يخلطون بين حماس وعرفات.

في الثالث عشر من آذار ١٩٩٦- أي ثمانية أيام بعد الانفجار في (ديزنجوف)، ترأس الرئيس كلينتون مؤتمر شرم الشيخ الذي أعد خصيصا لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام، ومحاربة الإرهاب.

وقد أم هذا المؤتمر ثلاثون زعيما- نصفهم من الشرق الأوسط، ونصفهم من شتى أنحاء العالم، جاءوا إلى المؤتمر كي يقولوا" لا للإرهاب".

لقد تعرضت إسرائيل طيلة وجودها لهجمات إرهابية، بيد أن الوضع بدا الان مختلفا، لقد وقف ثلاثة عشر زعيما عربيا إلى جانبها في شرم الشيخ ضد الإرهاب. بل لقد أعلن عرفات نفسه، أمام الحاضرين، قائلا: سوف نجتث الإرهاب من جذوره ونحطمه. وسنبذل جهودا كبيرة لكبح جماح المتطرفين من أمثال حماس والجهاد الإسلامي.

أما بيرس، فوجه أصابع الاتهام إلى إيران بالقول:" هناك يد إيرانية تشرف على الإرهاب داخل بلادنا، وعلى طول حدودنا".

ما كاد الرئيس الأميركي يقلع بطائرته من إسرائيل، في أعقاب زيارته لنا، قادما من شرم الشيخ، حتى وجدنا أنفسنا نواجه هجمة إرهابية أعنف من حزب الله في جنوب لبنان، تناولت مواقع جيشنا هناك، ومستوطناتنا في الشمال، التي بدأت تتعرض لصواريخ الكاتيوشا التي يطلقها أعضاء الحزب. وإزاء هذا الوضع تزايدت الضغوط الجماهيرية على الحكومة لوضع حد لها، عبر توجيه ضربة شديدة إلى حزب الله.

مشكلة جنوب لبنان، تتطلب إبرام اتفاق سلام أوسع مع سورية، والذي كان سيقود بالضرورة إلى إبرام اتفاقية سلام مع لبنان. ولم تكن لدينا أي أطماع في لبنان، سوى الحفاظ على أمننا، بيد أن هذا الهدف، كان صعب المنال طالما بقي حزب الله يعمل من الجنوب. وكانت سورية، التي تسيطر عمليا على لبنان- هي المفتاح لتخليصنا من هذا الوحل، بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بتخليصنا منه، ولم تكن لديهم أي مصلحة في تحييد حزب الله وكف يده عنا، قبل ضمان إبرام اتفاقية سلام سورية إسرائيلية. شرعت الولايات المتحدة في الثامن عشر من آذار بالتحرك بغية إقناع السوريين بكبح جماح حزب الله، وقد قرر بيرس إتاحة الفرصة للدبلوماسية الأميركية كي تفعل فعلها، بيد أن جميع توسلات الأميركيين ذهبت أدارج الرياح، ولم تحرك سورية ساكنا للقيام بدورها، رغم الوعود التي قطعها وزير الخارجية السوري فاروق الشرع لوزير الخارجية الأميركي كريستوفر، بأن تتدخل بلاده من أجل ذلك.

خلفت هجمات حزب الله، ورد سلاح الجو الإسرائيلي على هذه الهجمات تصعيدا، أرغم بيرس على التفكير في ضرورة الرد. وبالتشاور مع جميع الجهات الأمنية، اقترح بيرس على الحكومة أن تشن إسرائيل هجوما على قيادات حزب الله بالطائرات في العمق اللبناني، بما فيها قيادات الحزب في بيروت تحت اسم عملية "عناقيد الغضب".

لقد تخوفت من مثل هذه العملية والآثار التي ستخلفها، وبعثت إلى يوسي بيلين رسالة بهذه الروحية. لقد نظرت إلى المسألة على النحو التالي: نظرا لان إسرائيل تحملت قدرا كبيرا من الخسائر المادية والبشرية، فقد أصبحت ضحية للإرهاب، لذا يجب علينا أن نرد على هذا الوضع، رغم تخوفاتي من الآثار التي قد تنجم عن هذا الرد. بيد أنني كنت أخشى من الانجرار وراء التدخل العسكري العميق في لبنان، بصورة لا تتساوق مع المصالح الإسرائيلية بعيدة المدى.

بدا أن الضربة العسكرية لقيادات حزب الله باتت محتومة إزاء انعدام وجود أي بدائل أخرى، والاعتقاد السائد في إسرائيل والقائل بأن هناك حلا عسكريا لكل مشكلة، لقد أرغمنا الأصوليون على الانخراط في لعبتهم، وعلى سلحتهم.

شكلت هذه العملية مساسا خطيرا جدا بالمسيرة السلمية، ولا شك أن بيرس كان يدرك ذلك جيدا، بيد أنه في ظل الشروط القائمة فضل إظهار القبضة الحديدية، ثم العودة إلى مسار المسيرة السلمية.

لقد كان يواجه ثلاث مشاكل عويصة للغاية في آن واحد: تحد هائل لاستغلال القبضة العسكرية، والرغبة في إنقاذ المسيرة السلمية، وخوض المعركة الانتخابية.

وفي الثالث من نيسان وجه سلاح الجو الإسرائيلي ضربة شديدة إلى قيادة حزب الله في بيروت. وبدا لأول وهلة أن سلاح الجو قادر على رد الصاع صاعين، وإسكات مصدر الفتنة، واسترداد الكرامة الوطنية، بيد أن صواريخ الكاتيوشا واصلت التساقط فوق مستوطناتنا الشمالية، مما اضطر المستوطنين للفرار إلى الملاجئ. فردت إسرائيل بقصف مواقع وقيادات حزب الله مما تسبب في فرار جماعي لسكان الجنوب اللبناني من قراهم.

تواصلت المعارك والهجمات في لبنان، وأملت قيادة الجيش الإسرائيلي، في أن تؤدي أزمة ومأساة سكانه إلى دفع الحكومة اللبنانية، لممارسة ضغط على

الأسد، لدفعه لكبح جماح حزب الله، ووقف تدفق المواطنين اللبنانيين شمالا، بيد أن الرئيس الأسد ليس بالرجل الذي يتأثر من مثل هذه الضغوط.

وفجأة وقعت المأساة ففي السابع عشر من نيسان هوجمت وحدة مدفعية إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية، فسارعت إلى الرد على مصادر النيران، والتي كانت تتمركز قرب موقع قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بالقرب من قرية (قانا). بيد أن وحدة المدفعية الإسرائيلية لم تكن تعلم أن المئات من اللبنانيين كانوا قد لجأوا إلى هذا الموقع مما أدى إلى مقتل مائة مواطن وإصابة مئات آخرين بجراح.

مأزق قانا:

وجد بيرس نفسه في مأزق، وبدا شديد الذهول، وكذلك قيادة الجيش الإسرائيلي، ورغم أن قائد موقع الأمم المتحدة اتهم حزب الله باستخدام الموقع لإطلاق النار على الجيش الإسرائيلي إلا أن الغضب العالمي انصب كله على إسرائيل.

فكر بيرس للحظات في إيقاف العملية، بيد أنه سرعان ما أدرك، أن وقف العملية، والاعتقاد بأن وقفها هو بمثابة هزيمة لإسرائيل. سيدفعان بحزب الله إلى القيام بعملية تحريض، وعمليات عسكرية أخرى ضدنا، فأمر بمواصلة القتال حتى توصل الطرفين إلى إتفاق يضمن الهدوء على حدودنا.

وعندما قابلت بيرس بعد عملية قانا، شعرن أن حزنه كان حقيقيا، وقال لي : لن أتهرب من المسئولية، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، أعرب عن حزنه العميق وأسفه، وعن تحمله الكامل لمسئولية ما حدث.

لقد أثار قلقي إلى حد بعيد، أن الجماهير الإسرائيلية التي كانت مشغولة بإلقاء اللوم والتأنيب على حزب الله، لم تكلف نفسها عناء الإعراب عن ذرة من الأسف على موت مائة مواطن لبناني بنيران قواتنا.

ونظرا لإدراكنا بأن سورية هي التي تحمل مفتاح الحل، فقد قام دنيس روس وكريستوفر وطاقم السلام الأمريكي في العشرين من نيسان بزيارة إلى

المنطقة تستغرق عشرة أيام للتفاوض مع سورية وإسرائيل، بيد أن الأسد لم يكن في عجلة من أمره. وبعد مفاوضات قاتلة ومدمرة للأعصاب، تمكنا من التوصل إلى إتفاق يخرج مناطق مدنية على الجانبين من إطار لعب القوات المسلحة والأعمال العسكرية.

وبناء على اقتراحات بيرس، والتدخل الأمريكي، تم الاتفاق على تشكيل جهازين جديدين : الأول يقوم بمراقبة الوضع الأمني في جنوب لبنان، بمشاركة ممثلين عن إسرائيل وسورية ولبنان وفرنسا والولايات المتحدة، والثاني للعمل على ترميم الاقتصاد اللبناني بإشراف الولايات المتحدة وفرنسا.

الفصل العاشر

بيرس طرح شعار السلام ونتنياهو أبدى أوسلو ككارثة٠٠٠ ففازت الكارثة

أرض جديدة قديمـــة :

شهد شهرا آذار ونيســـان ١٩٩٦ أخطــر هجمــات أصوليــة ضــد المســيرة السلمية إلى الدرجة التي حـــدت بـالكثير مـــن الإسـرائيليين للإعــلان بــأن إتفاقيــات أوسلو قد قضت نحبها، ورغم أن الأمر لم يكن قد بلغ إلـــى هــذا الحــد، إلا أنـــه كـــان لزاما علينا أن نعود لإدارة المسيرة السلمية، بصورة تشـــجع شــركاءنا علـــى مواصلـــة محاربتهم للإرهاب من جهة، وضمان التعاون الأمني بيننا مـــن الجــانب الآخــر.

إجتمعت في أعقاب عودتي من (واي بلانتيشن) مع أبـــو عــلاء، كــان آنــذاك قد رشح نفسه لمجلس الحكم الذاتـــي، فـــي الانتخابــات التـــي جــرت، نهايـــة كـــانون الثاني، وحققت خلالها الســـلطة الفلســطينية نجاحـــا كبــيرا، فقــد تــم انتخــاب ياســر عرفات رئيسا للسلطة بأغلبية ٩٠% مـــن أصـــوات النـــاخبين، وحظيـــت حركـــة فتــح بحوالي ٨٠% من الأصوات فـــي إنتخابــات المجلــس التشــريعي، وتـــم انتخـــاب أبـــو علاء الذي حظي بأكبر عدد مـــن الأصـــوات فـــي منطقـــة القــدس، رئيســـا للمجلــس الفلسطيني، وأخذ يكرس كافة جهده ووقته لبنـــاء البرلمـــان الفلســطيني.

بدا أبو عـــلاء متكـــدرا، وأعـــرب عـــن ذهولـــه، وأســـفه البـــالغ للعمليـــات الإرهابية التي تقوم بها حركة حماس، وقال لـــي : إن عائلتـــه كلـــها، تشـــعر بالأســـف لذلك، ومن الجدير بـــالذكر أن أبنـــاءه حرصـــوا علـــى الحفـــاظ علـــى اتصـــال دائـــم بزوجتي، وأولادي طيلة فترة غيابي، فـــي (واي بلانتيشـــن)، وشـــاركوهم فـــي حزنـــهم وأسفهم.

نصحني أبو علاء بأن أكرس غالبية وقتـــي وجـــهدي لإنقـــاذ عمليـــة الســـلام، وقال : "هناك عدد كبير من الفلسطينيين يعـــارضون مـــا حـــدث ويحـــدث، ولأول مـــرة تجري في غزة مظاهرات ضـــد الإرهـــاب".

ورغم ذلك ما كـان عليه أن يجري مفاوضات بصورة مباشرة بحكم منصبة الجديد، إلا أننا اتفقنا على إجراء اتصالات – دائمة بيننا، والتشاور حول أفضل الأساليب لمواصلة العمل ودفع المسيرة إلى الأمام.

كان جهازنا الأمني على قناعة تامة بأن فشل السلطة الفلسطينية في الحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، يرجع إلى عدم وجود سياسات شاملة ضد الإرهاب، لقد وضعت أجهزة الأمن الفلسطينية نصب عينيها، هدف إحباط العمليات الإرهابية التي يجري التخطيط لها، وإقناع زعماء حماس، بالتحول إلى حزب سياسي، بيد أنها لم تعمل على مطاردة زعماء حماس المسئولين عن الإرهاب واعتقالهم، وتدمير بنية الإرهاب ولم تقم بمصادرة الأسلحة غير المشروعة من أيديهم.

عمدت حركة حماس، مثل جميع المنظمات الأصولية الأخرى، إلى تجنيد مؤيدين لمدها بالاحتياجات الرئيسية، وأقامت مؤسسات اجتماعية، ورفاه ومدارس ورياض أطفال ومنتديات ونوادي، ورعت مساجد، ومستشفيات ومراكز تدريب وتأهيل مهنية، وقامت جميع هذه المؤسسات بتزويد العديد من الفلسطينيين بالطعام والعمل والخدمات الصحية والتأهيل في أعقاب قضاء فترات سجن.

واستخدمت كل هذه المؤسسات أيضا لأدلجة الفلسطينيين، وزرع نظريات فيهم تساوي بين التسوية والخنوع، وتجنيد الانتحاريين.

أدرك عرفات طبيعة الوضع، والأخطار الناجمة عنه على نظامه، لذا لجأ إلى أسلوب (فرق تسد)، فعمل على ضم بعض زعماء الحركة إلى جانبه بالوعود بإشراكهم في نظام حكمه، وأبعد قسما آخر، بيد أنه لم ينتبه إلى النشاطات التي تقوم بها الأسس الأصولية المتطرفة، والتي وضعت نصب عينيها هدف تدمير إتفاقياته مع إسرائيل بالإرهاب.

إجتمعت بعرفات قبل عشرة أيام من العملية الانتحارية في القدس، وخيل إلي أنه يبالغ في مدى سيطرته على الوضع، وقال لي : " قل لرئيس الحكومة

أنني أبذل كل يوم الجهد اللازم"، بيد أنـــه أعــرب عــن قلقــه مــن تــأثير (العنــاصر الخارجيــة).

لقد وضعته العمليات أمام تحد علنـــي لســلطته، وفــي نهايـــة المطـــاف، بــدأ يدرك أن نتائج النضال ستسهم فــي بلــورة وقبولــه هويـــة المجتمــع الفلســطيني، بــل وأيضا الدولة الفلسطينية المســـتقبلية.

وإزاء هــذا الفـــهم، قـــرر عرفـــات العمـــل بصـــورة أكـــثر شـــمولية ضـــد الإرهاب، أردنا أن نضمن قيـــام عرفـــات بذلـــك، فأرســـل بـــيرس إليـــه أولا، (أمنـــون شاحك)، الذي بدا غاضبا وملحا، ثم أرسل إليه يوســـي (جينوســـار) بمطـــالب متشـــددة، وطالبنا خلال هذا اللقـــاءات، بـــأن توغـــل الســـلطة الفلســـطينية فـــي كيـــل الضربـــات لحماس، وهدم بنيتها ومصادرة أســـلحتها، واعتقـــال المشـــبوهين بممارســـته الإرهـــاب أو الحث عليه، وفي نفس الوقت فرضت إســـرائيل إغلاقـــا محكمـــا جـــدا علـــى قطـــاع غزة والضفة الغربية عزلهما وفصلهما فصلا تامـــا عـــن إســـرائيل.

ولأول مرة، منذ إتفاقيات أوسلو، يعرب بـــيرس عـــن شـــعوره بالإحبـــاط مـــن عرفات، ويتهمـــه علنـــا بـــالتقصير، وعـــدم اتخـــاذ جميـــع الخطـــوات اللازمـــة ضـــد الإرهاب، ورغم أن الاتهام آنف الذكر جاء فـــي إطـــار محاولـــة بـــيرس إبـــداء القـــوة، إلا أنه أسهم أيضـــا فـــي إضفـــاء اللاشـــرعية علـــى عرفـــات فـــي أعيـــن الجمـــاهير الإسرائيلية وساعد اليمين الإسرائيلي في شـــن حملتـــه ضـــد أوســـلو، وهكـــذا، وللمـــرة الثانية نجح الأصوليون في دفعه مجددا إلـــى الزاويـــة.

بعث بيرس جينوسار إلى عرفات من أجل بنـــاء قنـــاة اتصـــال ســـرية جديـــدة للمفاوضات، وتـــم تعيينـــي، أنـــا وأبـــو مـــازن لـــترؤس هـــذا المســـار الجديـــد، أمـــا المشاركون الآخرون فكانوا ضباطا وموظفيـــن آخريـــن، يعملـــون فـــي مجـــال الأمـــن ومكافحة الإرهـــاب.

جرت خـــلال الفـــترة الواقعـــة بيـــن ٢٣ آذار و١٧ نيســـان عشـــرة لقـــاءات سرية، في إطار المسار الســـري الجديـــد، فـــي القـــدس وعســـقلان وأمـــاكن أخـــرى، وكانت اللقاءات ترمي لبلورة تفاهم حـــول العمـــل ضـــد الإرهـــاب والتعـــاون الأمنـــي

واستئناف المسيرة السلمية، وقد بدا لـي أبـو مـازن كشـريك صـادق وجـدي، وقـد اعترف بأن السلطة الفلسطينية أخطأت باعتقادهـا إمكانيـة التوصـل إلـى تفـاهم مـع حماس بالحوار الموسع الذي أجرته مع زعامتها فـي غـزة والسـودان.

وبناء على ذلـك، أصـدر عرفـات أمـرا يقضـي بتوجيـه ضربـة شـديدة لحماس والجهاد الإسـلامي.

وقد أعلمني أبو مازن، باعتقال المئـات مـن الحركتيـن، وإغـلاق مؤسسـات إجتماعية ودينية، وأكاديمية، كانت تعمل تحـت إشـراف حمـاس.

وقـد أدت التحقيقـات الواسـعة، التـي تـم إجراؤهـا والمـواد الكثـيرة المضبوطة، إلـى إقنـاع المحققيـن، بـأن الـهدف الحقيقـي لحمـاس، هـو السـلطة الفلسطينية نفسها، وأن العنف الذي يمارس ضـد إسـرائيل ليـس سـوى أحـد وسـائل الاقتتال الفلسطيني الداخلـي.

وفي نفس الوقت، ألقى المفـاوضون الفلسـطينيون قسـما كبـيرا مـن اللـوم علينا، بشأن تعاظم قـوة حمـاس، وقـال حسـن عصفـور، سياسـة الإغـلاق التـي تتبعونها منذ أوسلو، هي التي خلقت البطالة واليـأس والمـرارة التـي دفعـت بـالآلاف من الفلسطينيين إلى أحضان حماس، وحتى فـي أعقـاب العمليـات الإرهابيـة صـرخ المتظاهرون في غزة "نعـم للسـلام لا للإرهـاب" وفـي أعقـاب تشـديدكم للإغـلاق، صرخوا في شعاراتهم : "نعم للسلام، لا للإرهاب لا للإغـلاق"، وفـي أعقـاب تدهـور الوضع الأمني، بدأوا يصرخـون، " لا للاحتـلال لا للإغـلاق"، ولـن يطـول الزمـن، حتى تتحول هذه الصرخات إلى "لا للسـلام". إن سياسـتكم قصـيرة النظـر، وأنتـم لا تفتشون عن سلام حقيقـي".

وقال عصفور أيضا : إن عرفات لم يكـن قـادرا علـى شـن حـرب شـاملة ضد حماس، لأنه لم يكن لديه بالمقابل ما يقترحه علـى شـعبه، طالمـا بقيـت سياسـة الإغلاق، سيد الموقـف.

وفي حقيقة الأمر فقد ركزنا كل اهتمامنـا علـى ممارسـات وقـدرة الزعامـة الفلسطينية على التنفيذ إلى الدرجـة التـي أعمتنـا عـن رؤيـة الجمـاهير الفلسـطينية

واحتياجاتها، وأن من واجب زعامتها سد هذه الاحتياجات، ولهذا السبب بالغت في مدى قوة عرفات، أضف إلى ذلك، أن عرفات فشل في فهم مدى تأثير الرأي العام على أسلوب اختيار إسرائيل لسياستها في المسيرة السلمية.

قلت لعصفور أن على السلطة الفلسطينية أن تقدم ردودا شافية وسريعة، وأن تقوم بتدمير المعارضة العنيفة كخطوة أولى على صعيد إحياء المسيرة السلمية، وفي نفس الوقت الذي ناقشت فيه الجهات الأمنية من الطرفين أساليب محاربة الإرهاب، عكفنا أنا وأبو مازن على بناء بنية جديدة للتعاون، بحيث تشمل.

- التعاون على الصعيد الاستخباري في الوقت الحقيقي.
- مراقبة نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب.
- تعاون الطرفين انطلاقا من مبدأ المساواة.

قامت السلطة الفلسطينية خلال الأسابيع التي تلت ذلك بشن حرب شاملة ضد حماس والجهاد الإسلامي، هذا إضافة إلى التحسن الهائل الذي طرأ على التعاون الأمني بيننا وبينهم، وتم إعتقال المئات من أعضاء حماس، وصودرت أسلحة ومعدات حربية وجرى إقالة شخصيات عسكرية ودينية وأكاديمية من وظائفها، وأصبح العديد من الأهداف المدنية، بل والمساجد، أهدافا لاجتياح رجال الشرطة الفلسطينية، لقد قاتل عرفات ليس فقط من أجل انقاذ المسيرة السلمية، بل أيضا من أجل إنقاذ السلطة الفلسطينية نفسها.

بدأت أجهزة الأمن الإسرائيلية تتلقى تحذيرات باحتمال وقوع عمليات إرهابية ضد إسرائيل، بيد أنها كانت تشعر بالارتياح التام جراء التعاون الفلسطيني الوطيد على الصعيد الأمني، لقد أثبتت الشراكة الإسرائيلية الفلسطينية أنها قادرة على العمل حتى في أصعب الظروف، لقد وصلت المسيرة السياسية بعد ستة أسابيع من عملية ديزنجوف إلى ثلاثة معالم طريق.

* صادق عرفات وبيرس في السابع عشر من نيسان على وثيقة غير رسمية مفصلة للتعاون بين سلطات الأمن من الطرفين ضد الإرهاب، وأعلنا عن

استئناف المسيرة السلمية، وتفعيـــل جميــع لجــان العمــل بــهذا الشــأن، وتواصلــت الاستعدادات لإعادة الانتشار في الخليل، والتي تم تحديـــد موعدهــا بينــي وبيــن أبــو مازن في الخامس عشر من حزيران – أي في أعقـــاب انتخابـــات الكنيســـت.

وحال توصلنا إلى ذلك، اتجـــهنا نحــو أحــد أكــثر اللقـــاءات التــي عقدناهــا غرابة، وقد قدم بيرس إلى الاجتماع وبصحبته رئيس الأركـــان ورئيســا جــهاز الأمــن العام وشعبة الاستخبارات العســـكرية.

أما عرفات فقد جاء وبصحبتـــه مســئولو أجــهزة الأمــن الفلســطينية، وفــي أعقاب تناول طعام الغداء استعرض الفلســـطينيون النشــاطات التــي قــاموا بــها ضــد الإرهاب منذ العمليات الانتحارية التي وقعت فـــي شــباط وآذار، وقــام محمــد دحــلان بتفصيل تلك النشاطات باللغة العربية، في حين قــام أحــد رجــال جــهاز الأمــن العــام بالترجمة إلى اللغة العبريـــة.

والحقيقة هي أنني لم أكن لأتخيل في يــوم مــن الأيــام، أننــا ســنرى ضبــاط الجيش الإسرائيلي يصغون إلـــى ضبــاط منظمـــة التحريـــر، والســجين الســابق وهــو يشرح لهم كيف يحارب أبناء شعبه ضد الإرهـــاب بجديـــة، ومنهجيـــة.

* في الرابع والعشرين من نيسان وصلنا إلى معلــم الطريــق الثــاني، فبينمــا بــيرس في طريقه للاستقبال السنوي لوزير الدفـــاع الــذي يجــري بمناســبة عيــد الاســتقلال، تلقى بيانا من عرفات يعلمه فيه أن المجلــس الوطنـــي الفلســطيني المنعقــد فــي غــزة اتخذ قرارا بأغلبية ٥٠٤ أصـــوات ضــد ٥٤ صوتــا بإلغـــاء مفعــول بنــود الميثــاق الوطني الداعية إلى تدمير دولة إسرائيل، لقد أتى هــذا التصويــت فــي إطــار الالــتزام الذي بعث به عرفات في رسالة إلى رئيس الحكومة اسـحق رابيــن، فــي التاســع مــن أيلول ١٩٩٣، في إطار الاعتراف المتبـــادل بيــن منظمـــة التحريـــر وإســرائيل، وقــد أطلعنا الفلسطينيون على صيغـــة قـــرار المجلــس الوطنـــي الفلســطيني مســبقا إبــان الاتصالات السرية بين أبو مازن وزينجر وبوســـاطة جينوســـار. كــي يؤكــدوا علــى أنه يتلاءم مع التزاماتهم، وقد أكد زينجــر لرئيــس الحكومـــة، أن الفلســطينيين يوفــون حقا بالتزاماتـــهم.

رغم أن منظمة التحرير كانت قد اعترفت بإسرائيل على جميع الأصعدة، إلا أن لقرار المجلس الوطني- بوصفه برلمان جميع الفلسطينيين والذي يشمل الفلسطينيين الذين لا يسكنون الضفة الغربية وغزة، ويضم فصائل تعارض إتفاقيات أوسلو، وتنفي وجود دولة إسرائيل كالجبهتين الشعبية والديمقراطية -كان أهمية خاصة.

وبهذه المناسبة قال عرفات : " لقد صنعنا سلام الشجعان، ويجب علينا أن نكون شجعانا بما فيه الكفاية، من أجل تغيير الميثاق الوطني.

ونظرا لان الميثاق كان يغص بعبارات الرفض والعداء، فقد قرر المجلس تشكيل لجنة لإعداد صيغة ميثاق جديد، وقد اعتقد أبو علاء الذي كان نشطا جدا خلال جلسة المجلس، أن الميثاق الجديد سيصبح تشريعا للدولة الفلسطينية المستقبلية.

وعندما أعلن بيرس عن قرار المجلس الوطني أمام الحاضرين في باحة وزارة الدفاع، ووصفه "بالتغيير التاريخي" انطلق الحاضرون بتصفيق حاد.

في الخامس من أيار ١٩٩٦ وجدت نفسي قرب فندق هيلتون في طابا، حيث قدم ممثلو الفلسطينيين والإسرائيليين للشروع بمفاوضات التسوية الدائمة، والتي كان يفترض أن تقودنا إلى المصالحة التاريخية وقد ترأست أنا وأبو مازن الوفدين.

جلست في غرفتي في الفندق كي أضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي سألقيها في الاجتماع الأول ، ووجدتني أضيف الصيغة المعدة، الكلمات التالية : "نعم، يجب على شعبينا أن ينفصل أحدهما عن الآخر، و الفصل يستخدم أصلا لتشجيع التعاون.... ويوضعنا أسس هذا الفصل، نكون قد أوضحنا أن الجانبين مسئولان عن هويتيهما".

لم يكن الطرفان في أي يوم ماض مؤهلين لمواجهة القضايا المطروحة آنذاك على جداول أعمال اللقاء : القدس، الحدود، اللاجئون، الفلسطينيون، والمستوطنات الإسرائيلية، لولا أنهما سارا معا على الطريق الصعب.

جمعت أوراقي وتوجهت إلى الجناح الذي كان أبـو مـازن يـنزل فيـه، ولـم يكن هناك شك بصعوبة المهمة التي نواجهها وعمـق الخلافـات القائمـة بيـن مواقفنـا ورغم ذلك كان يسري بيننا تفاهم عميـق فيمـا يتعلـق بـأهداف المسـيرة: المصالحـة التي سيتم إنجازها ستلتزم بالمسـاواة والتقديـر المتبـادل، وسـتضمن السـلام والأمـن والتعاون الاقتصـادي.

وقد عقب أبو مازن قـائلا نحـن مصـرون علـى وضـع حـد لعقـود مـن النزاع، وعلى التعايش السلمي بكرامة وأمـن متبـادل.

استهللنا الاجتماعات بمراسيم توقيـع دراميـة بيـد أن هـذا الاجتمـاع كـان يخدم هدفا، فقد أقمنا خلاله مجموعـات عمـل علـى جميـع الأصعـدة ولجنـة عليـا لتوجيه المفاوضـات.

وخلال اللقاء المغلق الذي أجرينـاه أنـا وأبـو مـازن قررنـا إنشـاء مسـار سري والذي أملنا أن نتمكن عبره من إحراز تقـدم حقيقـي.

إجتمعت في السابع من أيار ١٩٩٦ مع أبـو عـلاء ورويـت لـه مـا حـدث في اجتماع طابا الذي لم يتمكن من حضـوره ومـن الجديـر بـالذكر أن علاقاتـه مـع أبو مازن في تلك الآونة اتسمت بالتوتر. قال أبو عـلاء : " مـن السـابق لأوانـه جـدا أن أشارك في المفاوضات، وتساءل كيف سأواصل المفاوضات.

قلت له : "لا أعتقد أن علينا الانطلاق من رؤيتنـا للوضـع عـام ١٩٩٦، بـل ولا من نقطة رؤيتنا للقضايا التي يجـب علينـا أن نتخـذ قـرارا بشـأنها حتـى أيـار ١٩٩٩، بل أعتقد أن علينا الانطلاق من وضعنـا للأهـداف المشـتركة مثلمـا سـتبدو عام ٢٠٠٠، أي بعد سنة مـن التوقيـع علـى اتفاقيـة التسـوية الدائمـة، لأن القضيـة الموضوعة على كفة الميزان هي طبيعة علاقاتنـا المسـتقبلية.

يجب علينـا أن نحـرص علـى وصـف العلاقـات المرغوبـة بيننـا، علـى الصعد السياسية، والأمنية والاقتصاديـة.

وافق أبو علاء على ذلك قائلا : لقـد رفعـت طيلـة الطريـق لـواء التعـاون العميق فيما بيننا هذا هو الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلـى تعزيـز الطرفيـن.

قلت : "يجب علينا أيضا أن نضمن أن ندفن النزاع نهائيا حال التوقيع على الاتفاق إنني أعتزم عرض إقامة نوع من التحالف بين الشعبين يكون خلاله تعاون أمني حقيقي ضد أعداء الشعبين، وإزالة الفواصل الاقتصادية القائمة بيننا، وأيضا بين اقتصادنا والاقتصاد الأردني وخلق شراكة سياسية وتؤدي إلى تعاون إقليمي.

وعندما نتوصل إلى التوقيع إلى إتفاق حول علاقاتنا المستقبلية، حينها سنبدأ مواجهة القضايا الصعبة.

ضحك أبو علاء وقال : حسنا أوري ، أرى أنك لست بحاجة إلي الآن، اتصل بي هاتفيا عام ١٩٩٨ عندما تكون هناك ضرورة للمواجهة بيننا".

لم يخطر ببالي أبدا أن هذا اللقاء هو آخر لقاءاتي مع أبو علاء أو مع أي مسئول فلسطيني آخر بوصفي منسقا للسلام، لقد مضى منذ بدأنا مسيرة أوسلو وحتى هذه المحادثة ألف ومائة يوم من المفاوضات حول السلام، لقد كنت منشغلا بوضعْ مخططات لمواجهة العديد من القضايا، وذلك على افتراض أن بيرس سيفوز في الانتخابات القادمة.

وعندما رويت لبيرس ما قلته لأبو علاء ولأبو مازن وافقني الرأي وقال لي : يجب أن تستعد لخوص المفاوضات على المسارين الفلسطيني والسوري في حزيران القادم بعد الانتخابات فقلت له:" لقد توصلت إلى تفاهم مماثل أيضا مع وليد معلم".

كانت الحكومة تعلم بأن إيران معنية بتغيير السلطة في إسرائيل، وذلك على افتراض أن هذا التغيير سيفضي إلى وقف المسيرة السلمية وبناء على ذلك، أمرت إيران المنظمات الإرهابية بمواصلة أعمال العنف ضد إسرائيل، وقد أكد اللواء أيلون ذلك علنا.

وقد تلقينا تأكيدا مماثلا حول النوايا الإيرانية من مصادر أمنية فلسطينية بالاستناد إلى المعلومات التي تم الحصول عليها من التحقيقات التي أجروها مع معتقلي حركة حماس.

وفي الرابع عشر من آذار اكتشفت سلطات الأمن البلجيكية صاروخا قصير المدى كان معدا للإطلاق على سفارة إسرائيلية في أوروبا، على متن سفينة انطلقت من إيران وحطت في ميناء انتورفن مما حدا بي للإعلان عن حالة الطوارئ في جميع سفاراتنا في أوروبا واتصل بيرس بالرئيس كلينتون وشيراك والمستشار كول فقام الثلاثة بتحذير إيران من مواصلة العمل بمثل هذه المخططات.

لقد ارتبطت الحملة الانتخابية الإسرائيلية بالنضال من أجل المسيرة السلمية وضد معارضيها المتسمين بالعنف، وقد انقسمت الجماهير الإسرائيلية إلى معسكرين: الذين قدروا إنجازات المسيرة السلمية وأيدوها، أولئك الذين اعتبروا العنف الممارس ضد المسيرة السلمية دلالة على أن هذه المسيرة ساذجة ومضللة من أساسها.

يناهز بنيامين نتنياهو السابعة والأربعين وهو أصغر رئيس حكومة إسرائيلي يخوض الانتخابات الرئاسية، وقد حرص في حملته الانتخابية اليومية على التأكيد صباح أمس، بأن أوسلو هي بمثابة خنوع لمنظمة التحرير الإرهابية، وأن وضع أمتنا بين أيدي زعيم إرهابي، لن يفضي الا إلى حمام دموي، وفي الدعاية الإعلامية التي كان الليكود يبثها ليليا، كان يعرض مناظر دموية من العمليات الانتحارية، ويؤكد أنه لا وجود للسلام ولا للأمن ولا يوجد أي سبب للتصويت لبيرس، في حين كانت حملة حزب العمل تعرض إنجازات المسيرة السلمية دفع المنطقة باتجاه مصالحة سياسية كوسيلة وحيدة لإحراز الأمن على المدى البعيد، وتظهر وجهة إسرائيل المتجه نحو المستقبل.

بيد أن التمزقات القائمة في المجتمع الإسرائيلي كانت أعمق من الخلافات السياسية فقد شارك قسم من الجماهير في ثورة السلام واعتبر انهيار الأسوار التي كانت تطوق إسرائيل بمثابة طوق النجاة للدولة، في حين اعتبر القسم الآخر من الشعب، المسيرة بمثابة كارثة.

وهكذا ما بدا لنصف الشعب كانفتاح آفاق وفرص جديـــدة أمـــام إســرائيل، بــدا للقســم الآخر كترك الدولــة مشــاعا دون قــدرة علــى الدفــاع أمــام العنــف وتغلغــل القيــم الأجنبية، وبالتـــالي اعتــبرت الرؤيــة الأخــيرة أن إســرائيل ليســت محاطــة بــدول مجاورة، بل بأعداء أبدييـــن.

هذا هو الوضع اليهودي الذي ساد آلاف الســنين، ومثلمــا جــاء فــي التــوراة "شعب وحده سيسكن"، لقد فهمت عمليــة منــح الثقــة للآخريــن كتركنــا مشــاعا بيــن أيديـهم.

كانت دعايات الليكود اليومية تبــدي عرفــات وبــيرس وهمــا يســيران يــدا بيد، فبدا هذا الرمز لبعض الإسرائيليين كأنه إحـــدى ضــرورات المصالحــة فيمــا بــدا للآخرين كمسيرة نحو الكارثـــة.

لقد أثبت نتنياهو قدرة فذة علـــى توحيـد معســكرات مختلفــة- تشــاركه فــي تطلعاته- خلفه فضم إليه اليمين العلماني الـــذي خــارت قــواه بســبب النزاعــات بيــن قادته، ثم ضم إليه حامل لواء القضايـــا الاجتماعيــة وزيــر الخارجيــة الســابق (ديفيــد ليفي) وضم إليـــه حركــة شـــاس الدينيــة الطائفيــة تحــت قيــادة الحاخــام (عوفاديــا يوسيف)، كما نجح نتنياهو في ضم جمـــاعتين انتخــابيتين أخرييــن همــا : المتدينــون من مؤيدي المفدال، و(الحراديم الإشكناز) لقـــد بــدت انتخابــات أيــار ١٩٩٦، بمثابــة استفتاء شعبي اجتماعي حضاري أكثر منها اختيارا بين المســـيرة الســلمية وبديلـــها.

لقد بـــدا لـــي طيلــة ســنوات المفاوضــات الثـــلاث، وأيضـــا أثنـــاء الحملــة الانتخابية أن روح الطاقة والقتال في إسرائيل انحرفتا باتجاه اليميـــن الدينـــي لقــد كــان لدى هذا التيار رسالة يرغب في إشاعتها وقـــد اعـــد العـــدة والاســتعداد الـــلازم لعمـــل ذلك بحماس بالغ فـــي الوقـــت الـــذي بـــدا فيـــه اليســـار الممســك بمقـــاليد الســلطة و صولجان الحكم خاملا وغير مبـــال.

لقد اعتقد أقطابه أن الاتجـــاه الإيجـــابي الـــذي فرضتـــه قـــرارات الحكومـــة، سيجر وراءه غالبية الشعب، ورغم الصعوبـــات وأعمـــال العنـــف، وبـــدا بتصرفـــه ذلك

وكأنه يعتقد انه يعيش عهد ما بعد السلام في حين أصــــر اليميــن علــى التخنــدق فــي بؤرة النزاع الأبــدي.

وقد ارتفعت ثقة جماهير اليســار وأقطابــه وهــي تــرى نتــائج اســتطلاعات الرأي العام التي كانت تشير حتى يوم الانتخابــات تقريبــا إلــى تفــوق بــيرس بنســبة تتراوح بين ٣-٥% على نتنيــاهو.

دعاني بيرس، أنــا وعلــيزة جــورن وآفــي جيــل يــوم الانتخابــات التاســع والعشرين من أيار، لتناول طعام الغداء معه، وكان متفــائلا جــدا، بــل وتحــدث عــن الاستعداد لاستئناف المفاوضات بعد الانتخابات، ثــم بــدا غاضبــا جــدا علــى الشــعار العدائي الذي تم توزيــعه والقائل : "نتنياهو جيــد لليــهود".

وعندما زار بيرس بعد الظهر قيــادة الحملــة الإنتخابيــة، إكتشــف أن النشــاط هناك متدن وليس على ما يرام، وخصوصا فــي الوســط العربــي، فــي الوقــت الــذي كانت فيه التوقعات الأخيرة لسير الانتخابــات تشــير إلــى ســير النــاخبين جنبــا إلــى جنب.

وفــي حوالــي الســاعة العاشــرة ليــلا، ســمعنا نتــائج النموذجيــن اللذيــن عرضتهما القناتان التلفزيونيتان الأولى والثانيــة، واللتيــن أشــارتا فيــهما إلــى تفــوق بيرس، وبدأت التهاني تنهال علي في بيتي ، ومــن ضمــن الذيــن اتصلــوا كــان أبــو علاء، الذي تساءل قائلا : "هل يمكنني أن أهنــئ الآن؟؟". قلــت لــه بحــذر:" الأمــر جيد جدا، بيد أن الرواية لم تنته بعــد".

قررت عدم الاتصال ببــيرس حتــى يتــأكد نبــأ النموذجيــن، وفــي حوالــي الســاعة الواحدة والنصف ليلا وعندما اتضــح أنــه لا يوجــد تغيــير فــي النموذجيــن اتصلــت ببيرس وقلت له :" حظ سعيد، يخيل إلي أنك فعلتها؟" فقــال : "نعــم، لقــد اتصلــوا بــي من القناة الثانية، وقالوا لي : إن الفــارق بينــي وبيــن نتنيــاهو يتســع، وأنــه أصبــح ٢,٥%، أعتقد أنه يجب على أن أذهــب للنــوم، كــي أتوجــه إلــى هيئــة الانتخابــات صباحا، أريد أن أقابلك هناك فــي الثامنــة والنصــف أنــت و(يوســي بيليــن) و(افــي جيل) كي نرى من أين ســننطلق؟.

وفي حوالي الساعة الثانية بـــدأت النتـــائج تحـت صورتـــي المتنافســين فـــي التلفزيـــون تتغـــير فوصلـــت أولا إلـــى التعـــادل ٥٠-٥٠ ثـــم إلـــى ٤٩-٥١ لصـــالح نتنياهو، وشاهدت علـــى شاشـــة التلفزيـــون الفرحـــة التـــي عمـــت نـــاخبي نتنيـــاهو، فاتصلت (بموشيه تئوميم) صديق بيرس القديم، ومستشاره لشـــئون الـــرأي العـــام فقـــال لي بصوت حزين : "إن عد الأصوات تسير إلى تحـــول درامـــي لصـــالح نتنيـــاهو، لقـــد خسرنا، ولا شك في ذلـــك. وقـــد اتضـــح فـــي نهايـــة عمليـــة حســـاب الأصـــوات، أن نتنياهو فاز على بيرس بأقل من ١%. اتصل بي (آفـــي جيـــل)، وقـــال لـــي إن بـــيرس ذهب للنوم، وهو يعتقد أنه فاز فـــي الانتخابـــات وقـــد اتصـــل جيـــل بابنتـــه تســـيكي، وطلب منها ومن زوجـــها الا يوقظـــاه وأن يتركـــاه كـــي يعـــرف النبـــأ الســـيء فـــي الصبـــاح.

وعندما قابلنا بيرس في الثامنة والنصف مثلمـــا اتفقنـــا وجدنـــا أمامنـــا إنســـانا حزينا جدا، وقويا جدا، وقد اعد عملية نقل السلطة إلـــى نتنيـــاهو وأخـــذ يواســـي أولئـــك الذين قدموا لمواساته، مؤكدا على انه سيواصل العمل مـــن أجـــل الســـلام.

في الثامن عشر مـــن حزيـــران يـــوم تشـــكيل الحكومـــة – قدمـــت اســـتقالتي لوزير الخارجية الجديد (ديفيد ليفي)، كي أدع له الفرصـــة لاختيـــار مديـــر عـــام جديـــد قادر على تنفيذ سياسته بارتيـــاح.

وبعد عدة أسابيع استقلت مـــن ســـلك خدمـــة وزارة الخارجيـــة بقلـــب مثقـــل بالألم، بعد عمل دام واحد وعشـــرين عامـــا.

قال لي أبو علاء في حديـــث خـــاص دار بينـــي وبينـــه فـــي أعقـــاب تشـــكيل حكومة نتنياهو : "نحن بحاجة إليك والـــى بـــيرس ، إن الفلســـطينيين يقـــدرون بـــيرس كزعيم عالمي وداعية سلام، ويجب عليك أن تواصـــل مـــا بدأنـــاه".

قلت له:" سنناضل من أجـــل معتقداتنـــا عـــبر قنـــوات أخـــرى لقـــد قررنـــا – بيرس وأنا– أن ننشئ مركز ســـلام ســـيخصص لتعزيـــز التعـــاون بيـــن شـــعبينا أمـــا المسار السياسي، فهو الآن رهن بأيدي الحكومـــة ورئيســـها الجديـــد".

-أبو علاء : نعم، لقد سمعت خطابه، إننا قلقون جدا، فـــهو يتحـدث مــن ناحيـة عــن استمرارية المسرة السلمية، ومن الناحية الأخـــرى يتحـدث عــن توسـيع الاسـتيطان، ولا شك أن هاتين المسألتين لا تسيران جنبـا إلــى جنــب، مــا زلنــا لا نـدري كيـف سنتصرف حيال هذا الوضع الـذي فاجأنـا .

أنا : كل ما أستطيع قوله لكم هو أن تبذلوا قصارى مــا فـي وسـعكم لإحـلال السـلام مع الحكومة الجديـدة.

لقد خلقت مسيرة أوسلو ديناميكية تدفـع أمامــها مأزقـا كبـيرا، لقـد انتصـر اليمين حقا في الانتخابات بيد أنه فقد برنامجه الأيدلوجـــي، فلـم يعـد هنـاك بعـد الآن "أرض إسرائيل الكاملة"، أضف إلى ذلك، أن نتنياهو وعـــد بالسـلام والأمــن، وهــو لا يستطيع توفير هذا ولا ذاك بدونكم، هــل تذكــر أننـا كنـا نقـول أن مسـيرة أوسـلو، أقوى من جميع معارضيها؟؟ يجب عليكــم أن تسـاعدوا فـي تـأكيد ذلـك، لقـد كـان لحماس تأثير لا يستهان به على نتـائج الانتخابـات بيـد أنـه لا يجـب بـأي حـال أن نسمح للمتطرفين بأن يحـرزوا الانتصـار.

يجب أن تتذكروا بأنه إذا ما نجحتم فـي الاتفـاق علـى السـلام مـع حكومـة اليمين فإن ٨٠-٩٠% من الإسرائيليين سيؤيدون هذا السـلام لـذا لا يجـب أن تتخلـوا عنـه.

صافحني أبو علاء وقال : سأواصل المحاولة ما دمت حيـا، ويخيـل الـي انـك أيضـا ستفعل ذلك، ثم ضحك بصوت عال وقال لي اعتقد أنها اللعنــة التـي تصاحبنـا.

الفصل الحادي عشر

لقاء آخر

قبل زمن قصير عدت والتقيت مع الرجل الذي قـــدم الـــي فـــي أوســلو علـــى انه العدو رقم –١ لإسرائيل فمنذ عهد أوسلو وأنا أواصل إقامـــة علاقـــات وطيـــدة مـــع مجموعة من الأشخاص، مثل (لاريسون) و(مونه) اللذين عادا إلـــى أوســلو بيـــد أنـــهما لا زالا ينجذبان نحونـــا، و(دنيـــس روس) و(مـــارتن اينـــدك) اللذيـــن لا زالا يحافظـــان على المسيرة السلمية، ولا زلت أصر على علاقتي وصلتي مـــع أبـــو عـــلاء، الـــذي لا زال يشغل منصب رئيس المجلـــس التشـــريعي الفلســـطيني، ولا زال يؤمـــن بالســـلام، ويعمل من أجل إقامة الدول الفلســـــطينية.

وقبل وقت قصير، وخلال إحدى الأزمات العميقـــة التـــي وقعـــت التقيـــت أنـــا وهو وموظف من حكومة نتنياهو، وقـــد توجـــه إلينـــا هـــذا الموظـــف بفضـــول كبـــير وسألنا قولوا لي:" كيف فعلتم ذلـــــك؟؟".

ابتسمت لأبو علاء، وقلت له : قل له حقا كيـــف فعلنـــا ذلـــك.

أبو علاء : "لم نفعل ذلك انتم لا تتذكرون؟؟ لقد كنـــا نعـــارض ذلـــك تمامـــا". وانفجرنـــا نحن الاثنين بالضحك معا لا زالت روح النكتة تربـــــط بيننـــا.

وقلت لذلك الموظف : يقف أمامك صديقـــان ســـبق لـــهما أن أدارا أحـــد أشـــد المفاوضات واصلبها بل وأكثر وحشية، وتنقلا مـــن أزمـــة إلـــى أخـــرى، فـــي الوقـــت الذي كانا فيه عدويـــن يتســـمان بـــالعنف، وأجـــواء الشـــكوكية والعـــداء تسـد عليـــهما الطريق، بيد أن الأهم من كل ذلك حدث منذ البداية عندمـــا خلقنـــا شـــراكة تقـــوم علـــى قرارات زعمائنا وعلى العلاقات بيننـــــا.

أبو علاء : نعم لقد كان أوري شريكي وهو أيضـــا صديقـــي، ونحـــن لـــم نتفـــق علـــى شيء تقريبا باستثناء الأمـــر شـــديد الأهميـــة: أنـــه إذا مـــا تقدمنـــا معـــا فـــإن شـــعبينا

سيكونان قويين، لان كلا منا قادر على تقديم المســـاعدة للآخــر، وخلــق واقــع جديــد، وإذا لم نفعل ذلك فإن الجانبين ســـيتحملان المعانـــاة.

أبو علاء : لقد قلت لسبير في أوسلو إن الجـــانبين ســـيرتكبان أخطـــاء كثـــيرة ولا شـــك أن هذا ما حدث حقا لقد وصلنا إلى مرحلة الحوار بعد زمن طويـــل مـــن العـــداء المـــر وسفك الدماء والكراهية، وتجربة ضئيلة على صعيد الســـلام لـــذا، هنـــاك حاجـــة إلـــى الكثير من الصبر لمواجهة مثل هذا التحدي، الصـــبر، والإيمـــان والتمســـك بالـــهدف.

أنا : ويجب أن يتم كل ذلك انطلاقا من خـــلال الشـــعور بالمســـاواة، فـــالحوافز تحـــرك الأشخاص وليس الأوامر، لقد أدركنا منذ البداية أن الشـــراكة ســـتخلق جوهـــر الاتفـــاق وليس العكـــس.

أبو علاء : وتذكرنا أيضا أن البديل رهيب ومأساوي، لـــذا فإننـــا ملزمـــون بـــان نقـــدم للجيل القادم لأبنائنا حياة مختلفة عن تلك الحيـــاة التـــي عرفناهـــا ونحـــن شـــركاء فـــي ذلك .

أنا : "بالضبط هو كذلك يا أبو علاء:" بدا وجه أبـــو عـــلاء مكفـــهرا، وســـادت لحظـــة صمت ثقيلة جعلتني أخشى مما سيقوله، بيد أن تقاطيع وجهـــه عـــادت إلـــى الإرتخـــاء، وقال للموظف الصامت " هـــل فـــهمت؟؟".

☜ الكتب الصادرة عن دار الجليل ☞

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالاسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية ـ الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم ـ الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور ـ قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين ـ وهي خارطة تمثل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين ـ وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سربية الصحراء	سميح القاسم	

٤١-	الخيار النووي الاسرائيلي	شاي فيلدمان	غازي السعدي
٤٢-	انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم		سليم ابو غوش
٤٣-	نقاط فوق الحروف مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد وبريجنيف	خالد الحسن	
٤٤-	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن	
٤٥-	فلسطينيات	خالد الحسن	
٤٦-	الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك	خالد الحسن	
٤٧-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨	يعقوب الياب	غازي السعدي
٤٨-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣		غازي السعدي
٤٩-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل	د. حمدان بدر	
٥٠-	ملصق يوم الأرض	سليمان منصور	
٥١-	ملصق جمل المحامل	سليمان منصور	
٥٢-	ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس		
٥٣-	فلسطين تاريخا ونضالا	نجيب الأحمد	
٥٤-	فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي نفي ترتسا	طيور المحامي وليد الفاهوم	
٥٥-	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء اسرائيل عسكر وسلاح (١)	بشير البرغوثي	
٥٦-	اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي	محمد الرفاعي	
٥٧-	الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية	فتحي فوراني	
٥٨-	فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة	موسى عبدالسلام هديب	
٥٩-	خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر إسرائيلية	أريه شليف	غازي السعدي
٦٠-	تشريقة بني مازن	د. عبداللطيف عقل	
٦١-	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان	
٦٢-	صورة العربي في الأدب اليهودي (١)	الدكتورة ريزا دومب	عاطف عطاري
٦٣-	الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨- ١٩٨٥	غانم مزعل	

٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د . محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د . جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د . محمد حمزة	
٦٩-	القرار ـ ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم ـ قصائد ـ شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار ـ عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان ـ أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي ـ الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د . وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
١٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١-	النزاع العربي - الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢-	تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣-	الغضب	اكرم النجار	
١١٤-	جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥-	متجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦-	اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧-	تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨-	صرخة في وجه العالم (البوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩-	الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠-	الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١-	ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢-	قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣-	اشتعالات حمدان - مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤-	الحافلة رقم ٣٠٠ (فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥-	آه يابلدي - رواية	اكرم النجار	
١٢٦-	معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧-	من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨-	أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩-	معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠-	صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١-	قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢-	جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية	اكرم النجار	
١٣٣-	اسلحة وارهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤-	حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥-	هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القرق	
١٣٦-	حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧-	المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات الايرانية - الاسرائيلية - الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨-	الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية ـ دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي وتظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- " دولة " اسرائيل ـ زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة ـ اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أريه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر. هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ـ وتأثيراتها البيئية ـ	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشّبح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين ـ وثيقة اسرائيلية ـ	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البلهار	د. عبدالرزاق حسين	دار الجليل
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودة الدويري
١٧٦ـ احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧ـ فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨ـ الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩ـ دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠ـ قرية جمزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١ـ الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ ـ مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ ـ الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ ـ دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ ـ اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ ـ نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ ـ سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

١٨٨ ـ البســـــتان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل	البروفيسور موشيه ماعوز	لينا وهيب
من الحرب الى صناعة السلام		
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو		دار الجليل
الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية		
حول الضفة الغربية وقطاع غزة		
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية	يوفال اليتسور	محمد الدويري
(١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية		بدر عقيـلي
بين اليهود والعرب		
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر		دار الجليل
قصص عبرية مختارة		
١٩٣ ـ المســـــيرة	أوري سبير	بدر عقيـلي
خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء		

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦



المسيرة

حكاية أوسلو من الألف إلى الياء

أوري سبير

هذا الكتاب

يستعرض تفاصيل التفاصيل في المفاوضات التي قادت الى اتفاق أوسلو، ويقلم عرّابها الاسرائيلي أوري سبير الذي لم يترك شاردة ولا واردة دون أن يشير اليها، فخراً أحياناً، وخبثاً في أحايين كثيرة.

ويضع نقاطاً اسرائيلية سوداء على كلمات فلسطينية كانت، حتى أوسلو، تشع بالتصميم والعزم والارادة، واذ كانت مدريد انطلاقة ما بعد الجزر السياسي الذي أعقب حرب الخليج الثانية، فانّ أوسلو شكلت حالة من الاستقرار الاسرائيلي، ربما، جسّدت أسلوب الخروج من المأزق فلسطينياً واسرائيلياً على حد سواء.

ويرسم صورة تتصارع فيها الألوان على النقيضين: عقلية «أرض اسرائيل» من جهة، والرغبة الفلسطينية العارمة في العودة الى «الوطن»، مروراً بجسر واهٍ، على أمل أن يكون أكثر متانة في المستقبل، انطلاقاً من مقولة «اذا لم يكن ما تريد فأردْ ما يكون».

وعلى مدى ألف ومائة يوم، غلّفتها السرية المطلقة، كانت «أوسلو» مسرحاً للضغوط والغضب والحرد و«التنازلات» التي بلغت أحياناً حد «كسر العظم»، بيد أن مصالح الطرفين، رغم تناقضها غذّت الخطى نحو الاتفاق الذي صيغ بأسلوب يحتمل «تفسير التفسير»، وكان اسرائيلياً أكثر منه فلسطينياً.

يضع كتاب «المسيرة» القارىء أمام حقائق مذهلة، وربما ظل المزيد طي الكتمان، صحيح أن «الراوي» هو عرّاب اسرائيل في «أوسلو» الذي احتفل مؤخراً بصدور كتابه بمشاركة بيرس وقريع، لكنه يظل اسرائيلياً، ربما يحرف الكلم عن مواضعه، وهو ما يحتاج ايضاحات فلسطينية.

يظل أن نقول، أن كتاب المسيرة، يحتل المكانة الثامنة عشرة بين الكتب الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأميركية باعتباره أفضل ما كُتب عن أوسلو، وسيتم تصويره في فيلم سينمائي، ينتظر أن يُعرض منتصف عام ١٩٩٩.

المؤلف، أوري سبير (حزب العمل)، كبير المفاوضين الاسرائيليين في أوسلو، من مواليد ١٩٥٥، تخرج في الجامعة العبرية (علاقات دولية) تدرج في المناصب الدبلوماسية، وعُيّن مديراً عاماً للخارجية، حتى أخلى مركزه لنائبه وخصمه ايتان بنتسبور، إثر صعود الليكود برئاسة نتنياهو الى الحكم، ويشغل حالياً منصب مدير مركز بيرس للسلام.



اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمّان ـ ص.ب ٨٩٧٢ ، تلفون ٥١٥٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ ـ فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨